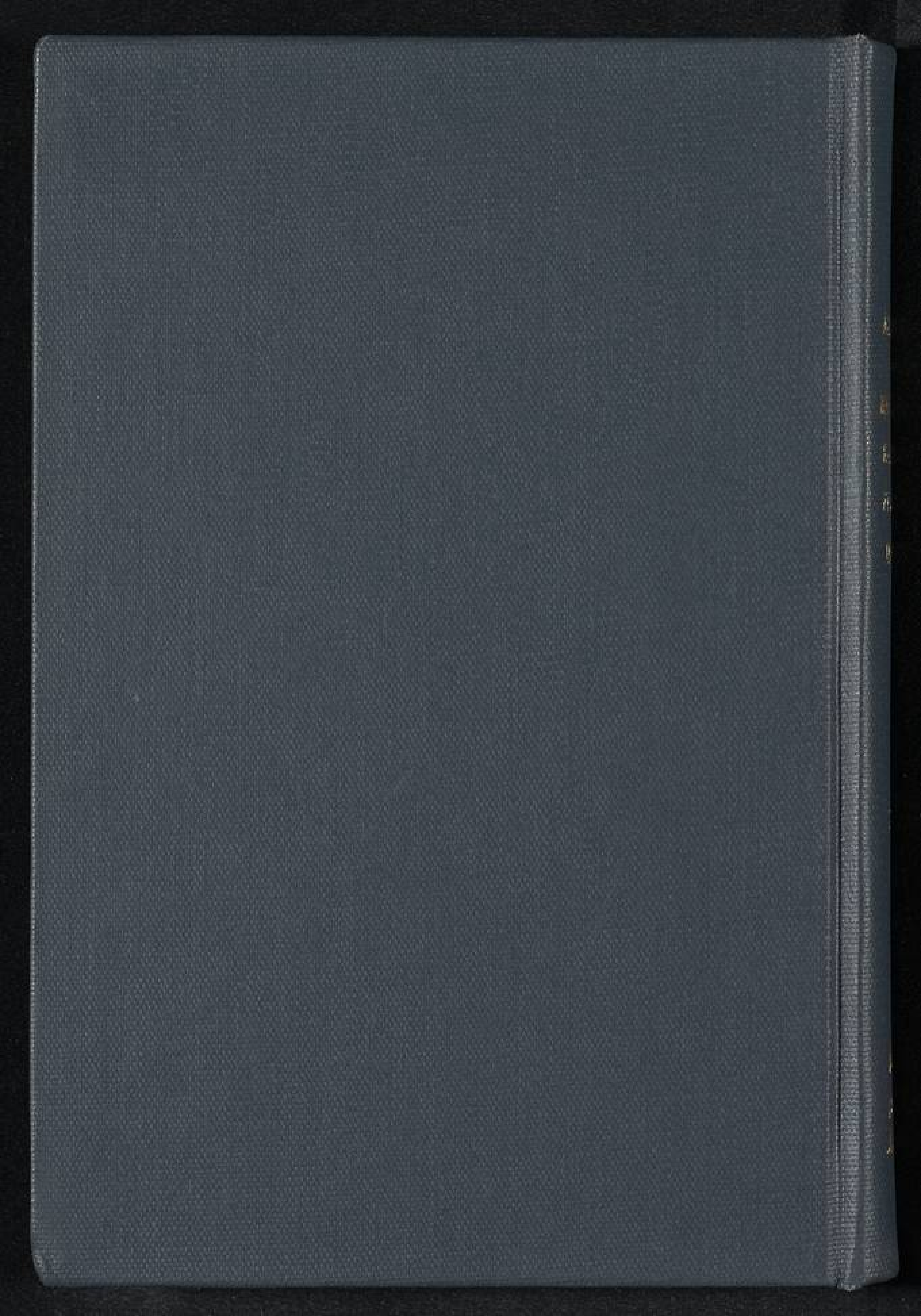
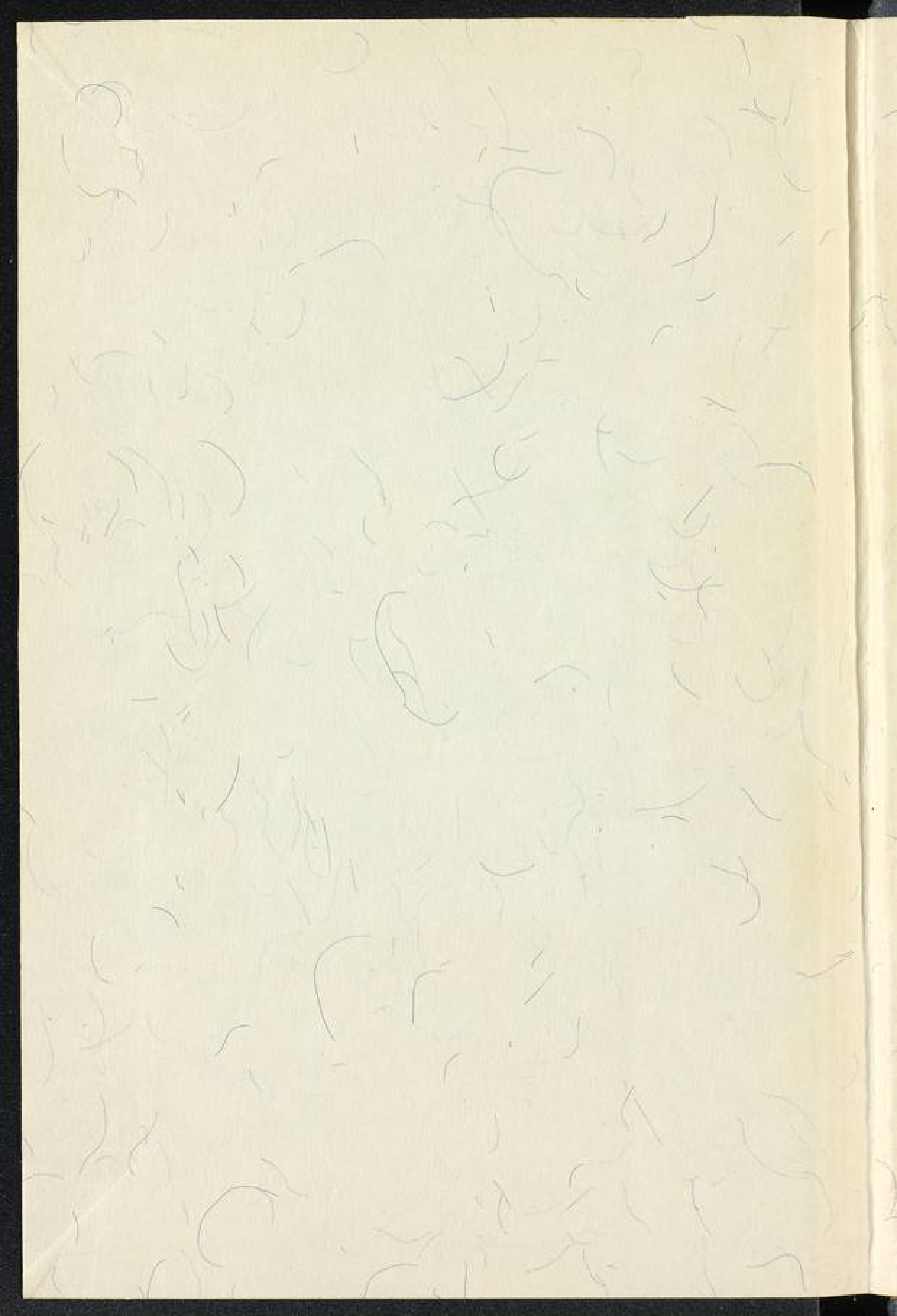
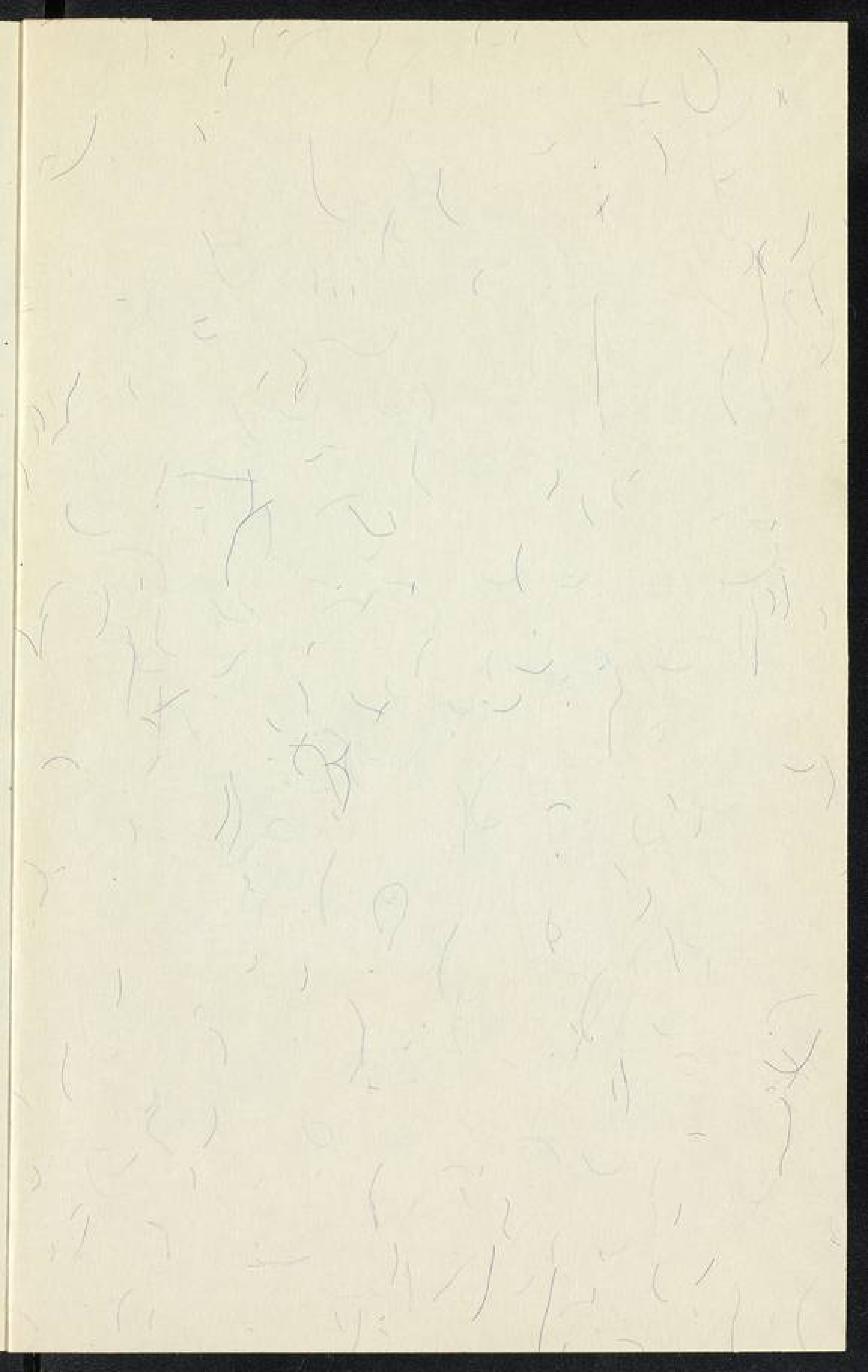
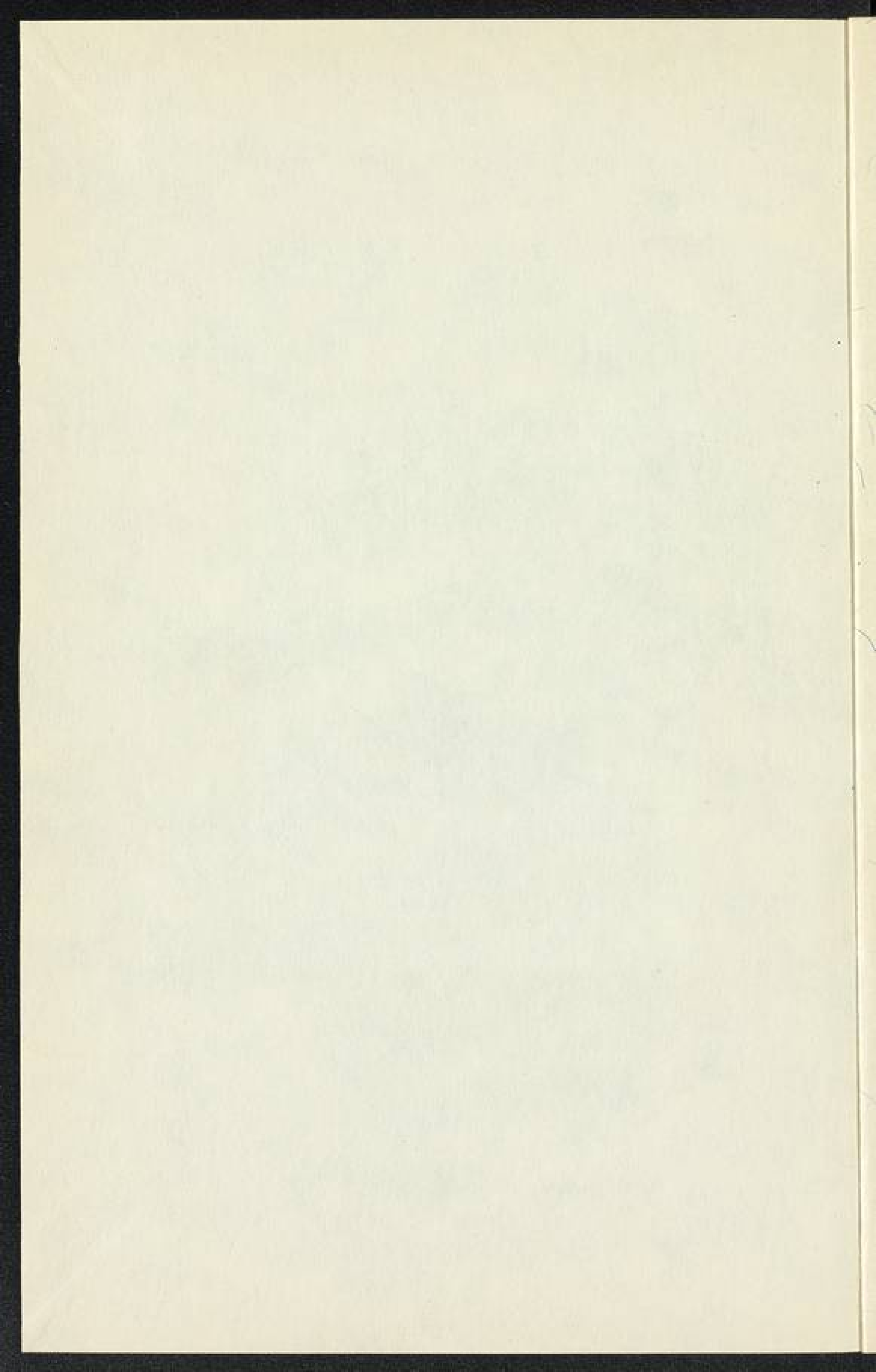
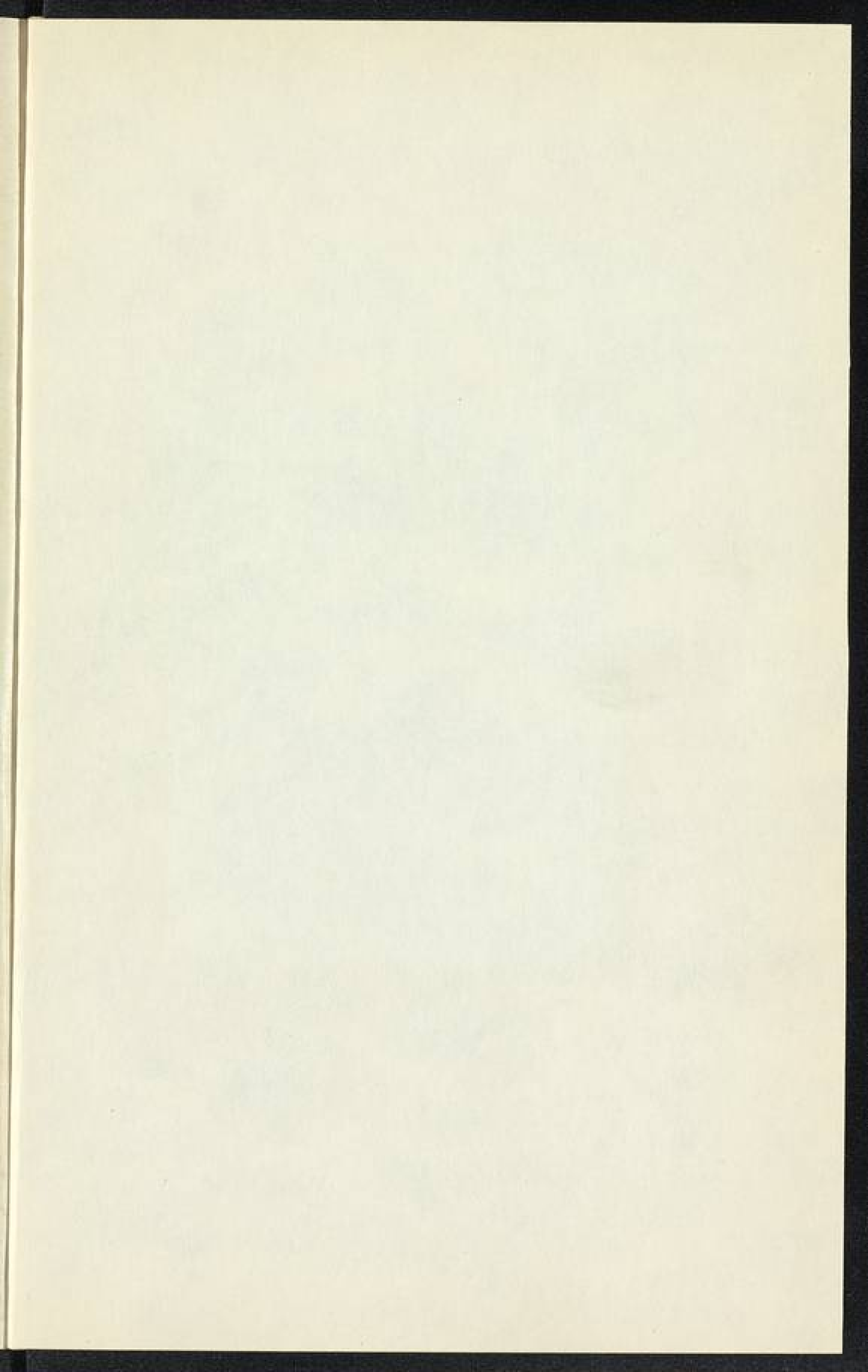




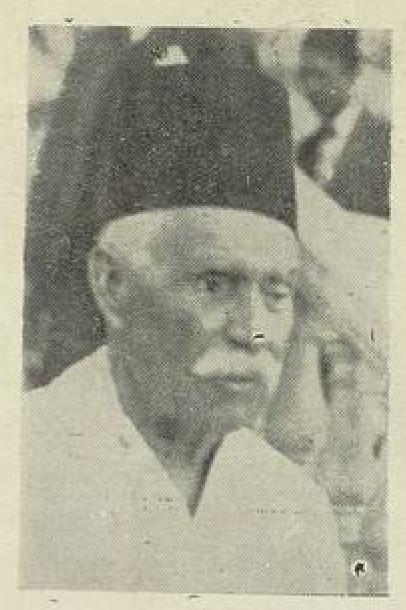






مذكراتي في نصف قرن

بقلم



الحاج احمد شفيق باشا

رئيس الديوان الخديوى ووكيل الجامعة المصرية الأهلية سابقا

وخريج مدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق بباريس

الجزء الثالث

عباس والحرب العظمى

١٩١٥ — ١٩٢٣

دار "مجلتي" للطبع والنشر

مؤلفات صاحب هذه المذكرات

الرق فى الاسـلام : باللغة العربية طبعة ثانية وثمنه ٥ قروش

قنـاة السـويس : باللغة العربية وبه خريطة وصور وثمنه ٥

مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها : باللغة الفرنسية وبه كثير من الصور والخرائط وثمنه ٣٠ قرشاً

حوليـات مصر السيـاسية : فى عشرة أجزاء منها الثلاثة تمهيد

التمهيد الأول : فذلكة من محمد على إلى نشوب الحرب . الحماية وتولية السلطان حسين . تأليف الوفد ونفى سعد وصحبه إلى مالطة . ثورة ١٩١٩ . إطلاق سراح سعد وصحبه وسفرهم لباريس . لجنة ملنر ومقاطعتها . مفاوضات سعد وملنر . الاعتداءات . (٨٧٢ ص و ٤١ صورة وأربع خرائط وثمنه ٥٠ قرشاً)

التمهيد الثانى : الاتحاد المقدس . انقسام الوفد . سعد وعدلى يختلفان . المظاهرات وقمعها بالقوة . الوفد الرسمى بلندرة وإخفاقه . سعد وصحبه فى سيشل . اعتقال أعضاء اللجنة المركزية للوفد . ثروت وألنبى . (٩٢٧ ص و ٢٣ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

التمهيد الثالث : تصريح ٢٨ فبراير ورجوع المنفيين . لجنة تحضير الدستور . تعويض الموظفين الأجانب . تأليف حزب الأحرار الدستوريين . (٧٣٤ ص و ١٧ صورة وثمنه ٥٠ قرشاً والباقى المبيع ٥٨ نسخة)

الحولية الاولى : الانتخابات . وزارة سعد . الخلافة . البرلمان . السودان . الاعتداء على سعد . مفاوضات سعد مع مكدونالد . مقتل السردار . الانذار البريطانى . حل البرلمان . (٦١١ ص و ١١٩ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً والباقى منها للمبيع ١٢٠ نسخة)

الحولية الثانية : الوفد والعرش . تأليف حزب الاتحاد . اخلاء السودان . الانتخابات الثانية . افتتاح البرلمان وحله . استقالة ألنبى . النضال بين الأحزاب ووزارة زيور . الحكم فى قضية مقتل السردار . محاكمة الشيخ على عبد الرازق . الدعوة إلى عقد مؤتمر وطنى عام . تسليم جغبوب لايطاليا . (١١٠٤ ص و ٧٤ صورة وثمنه ٤٠ قرشاً والباقى المبيع ١٨١ نسخة)

الحولية الثالثة : الأحزاب المؤتلفة . الانتخابات الثالثة . عدلى يخلف زيور . عيد الجهاد الوطنى . (٧٠٦ ص و ١٩ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً والباقى منها للمبيع ١٧٣ نسخة)

الحولية الرابعة : القضية المصرية والأحزاب . ثروت يخلف عدلى . زيارة جلالة الملك رسمياً لايطاليا وفرنسا وانجلترا وبلجيكا . مفاوضة ثروت وتشمبرلن . وفاة سعد . افتتاح البرلمان . الامتيازات الاجنبية (٧٨٢ص و٦ صور وثمنه ٥٠ قرشاً والباقى منها للبيع ٣٥ نسخة)

الحولية الخامسة : ملك الأفغان فى مصر . أعمال البرلمان . ولى عهد إيطاليا فى مصر . النحاس يخلف ثروت . حالة الائتلاف بين الأحزاب . مشروع اتفاق ثروت مع انجلترا . وفاة حسين رشدى . النزاع الحزبى . محمد محمد يخلف النحاس . تعطيل البرلمان . النحاس فى الأقاليم . مشروعات الرى الكبرى فى مصر والسودان . وفاه ثروت . النضال بين الوفد والوزارة . محاكمة النحاس . (١٥٢٦ ص و ٢٤ صورة وثمنه ٥٠ قرشاً والباقى منها للبيع ٣٢ نسخة)

الحولية السادسة : الاتفاق على مياه النيل . زيارة جلالة الملك لألمانيا وفرنسا وسويسرا وانجلترا . مفاوضات محمد محمود وهندرسون . تفتيش بيت الأمة . عدلى يخلف محمد محمود . عودة الحياة النيابية . الانتخابات الرابعة . (١٦٠٠ ص و٢١ صورة وثمنه ٥٠ قرشاً والباقى منها للبيع ٩٢ نسخة)

الحولية السابعة : النحاس يخلف عدلى . افتتاح البرلمان وأعماله . مفاوضات النحاس وهندرسون . اسماعيل صدقى يخلف النحاس . تأجيل البرلمان . موقف الانجليز . تغيير الدستور وقانون الانتخابات . تأليف حزب الشعب . (١٦٠٠ص و١٣صورة وقد نفدت)

وتتضمن هذه المجموعة الخطب والمحادثات السياسية وتعليقات الصحف على اختلاف نزعاتها ؛ فهى دائرة معارف سياسية جامعة .

الجزء الأول من مذكراتى فى نصف قرن من سنة ١٨٧٣ إلى وفاة توفيق فى يناير سنة ١٨٩٢ (٥٢٧ صفحة و ٣٥٥ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

القسم الاول من الجزء الثانى من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٢ (٤٥٦ صفحة و ١٧٦ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

القسم الثانى من الجزء الثانى من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩١٤ (٤٤٩ صفحة و ٨٤ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

الجزء الثالث — (عباس والحرب العظمى من سنة ١٩١٥ إلى ١٩٢٣) (٣٨٤ صفحة و ٨٩ صورة وثمنه ثلاثون قرشاً)

وهذه الأسعار غير أجرة البريد

فهرس

القسم الثالث من مذكراتى فى نصف قرن

سنة ١٩١٦

سنة ١٩١٨

سنة ١٩١٩

صحيفة

سنة ١٩٢٠

سنة ١٩٢١

صحيفة

سنة ١٩٢٣

ملحقات

فهرس الأعلام

(ب)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

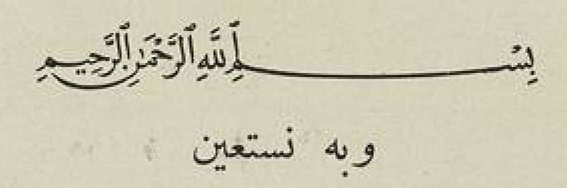
فهرس الصور

الموجودة بالجزء الثالث

فهرس الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٣	والمعنين	والمعنيين
٥	٢٧	بناء	أبناء
٣٢	٢٦	حسين حلمى باشا	حسين حلمى باشا
		الصدر الأعظم	سفير الدولة فى فينا
٥٢	٢٦	الا اد	الاتحاد
٦٣	٢٠	ونجهايم	ونجنهايم
٨٥	٢٧	ء أخبار لى	على أخبار
١٠١	٣	المتحادثين	المحادثين
١٠١	١٣	مذ	فما
١٠١	٥	ملاكى	أملاكى
١١٢	١١	ذكرا	ذكر
١٢٠	٢٠	أوجدا	أوجدوا
١٢٥	٨	بيكن	به
١٢٨	٢٤	قلبها	قلبهما
١٣١	٧	الاء اف	الاعتراف
١٤١	٢٤	قالنبأ	بالنبأ
١٤١	٢٥	بيل	قبل
١٤٢	٢٥	١٧ منه	١٧ مارس
١٤٧	١٣	إذ	إذا

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥٩	٢٧	ودأعته	ودعته
١٥٩	٢٧	وامره	أوامره
١٧١	٢	قبد لها	فعد لها
٢٠٥	١٢	السنوسين	السنوسيين
٢٠٦	١	أوبنهايم	أوبنهايم
٢١٢	٢٥	حادثة	حادثه
٢٣٦	٢	لاكتفاء	الاكتفاء
٢٣٨	٦	عبد الله شديد	عبد الحميد شديد
٢٤٢	٢٥	بأمرها	بأسرها
٢٤٥	٢٦	سويسر	سويسرة
٢٤٧	٢٤	لحص	لحصى
٢٦٥	٩	ى	يحيى
٢٦٦	٢٧	فى	يبنى
٢٧٠	١٠	ن	أن
٢٧٠	١١	لواسطة	الواسطة
٢٧٨	٢٧	لمتفاوضين	المتفاوضين
٣٢٢	٣	العمومية	النجدية
٣٢٣	٣	عجيبٍ	عجيبا
٣٢٣	٢٠	عبد الحميد الثعالبي	عبد العزيز الثعالبي



وبه نستعين

اهداء

الى مصر

الوطن الذى فيه نشأت وإياه أحببت وله أخلصت ووفيت اقدم هذه المذكرات لاشهد أبناء الجيل الحاضر صفحة من أعمال الجيل الغابر في غير تزييف ولا التواء وما أخشى غير الله هو حسبي

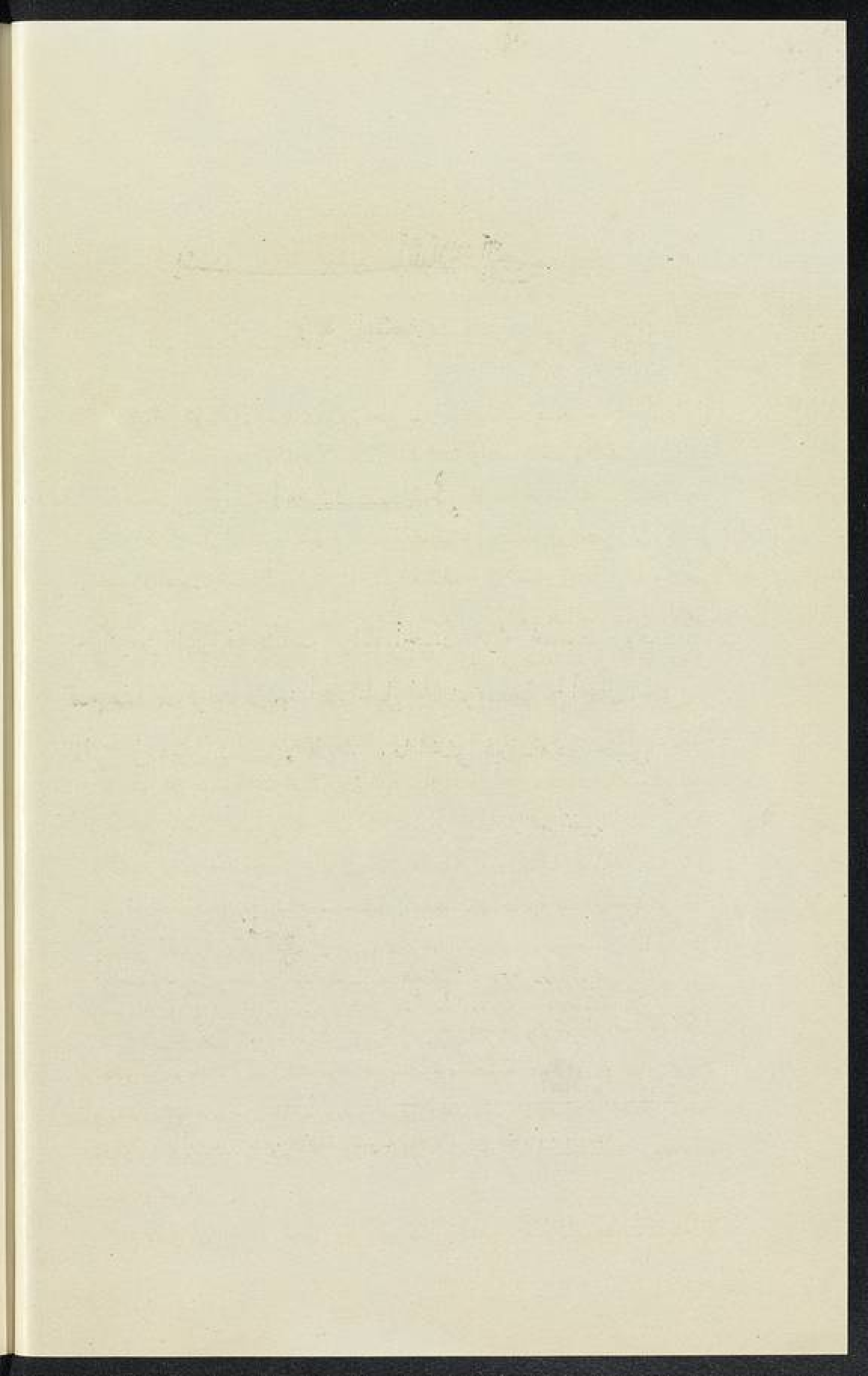
احمد شفيق

صاحب السعادة أحمد شفيق باشا

لما نعهده فيكم من الإخلاص لنا والولاء لعرشنا وبما لكم من الدراية بأعمال ديواننا الخديوي الذي سبق لكم رئاسته اقتضت إرادتنا تعيينكم في وظيفة ناظر الديوان المذكور بمرتب شهري مقداره ماية [illegible] جنيها مصريا اعتبارا من أول الشهر الجاري والمسؤول الله توفيقكم [illegible] أعمالكم [illegible]

[illegible] ١٣٢٨

أمر تعييني مديرا للأوقاف العمومية في ٢٦ مارس سنة ١٩١٠



مقدمة

بقلم الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد

كل عمل يتولاه الانسان له أناس مطبوعون عليه وأناس يصنعونه تكلفا أو مجاراة للعرف والعادة ، ومن ذلك ولا شك كتابة المذكرات الخاصة والتعليقات اليومية

فالمطبوع على كتابة مذكراته يهتم بتسجيل كل ما يعرض له من الحوادث والخواطر كما يهتم الشاعر المطبوع بتسجيل معانيه وأحاسيسه فى القصيد ، وكما يهتم المصور المطبوع بتسجيل مرئياته واختباراته النفسية فى الصور والتماثيل ، وكما يهتم كل فنان بتسجيل ما يدور بنفسه ويعلق بحسه ، فالباعث هنا هو باعث الايحاء الفنى الذى لا اختيار للانسان فيه ، واخلاص المرء فى هذا العمل كاخلاصه فى الافضاء بأسراره وهمومه ووقائع أيامه ولياليه إلى الصديق العطوف الموثوق بأمانته وترحيبه بما يسمع من شواغل صديقه ، فانه ليستريح بعد هذه المكاشفة كمن ألقى عن صدره عبئا ثقيلا يرين عليه وأفرغ من ضميره قلقا دخيلا يعتلج فيه ، وقد يتحرج من السهو والتحريف كما يتحرج الشاهد التقى من الحنث فى يمينه والاخلال بشرفه ، ويذكر ماله كما يذكر ما عليه كأن هناك رقيبا حيا عالما بما فى السرائر يحاسبه على ما يذكره وما ينساه . فالمذكرة الخاصة عند صاحبها هى ذلك الصديق الصدوق وهى ذلك الرقيب المطلع على الغيب ، ومن لم يكن مطبوعا على تدوينها فمن المستحيل عليه كل الاستحالة أن ينظر اليها هذه النظرة ويشعر بها ذلك الشعور ، وأن يستريح إلى مناجاتها كما يستريح الصديق إلى مناجاة الصديق . لأن المطبوعين وحدهم هم الذين يشغفون حباً بأعمالهم ويعطونها جزءاً من قلوبهم وضمائرهم وينفثون فيها قبساً من حياتهم ، فهم حريون بعد ذلك أن يعاملوها معاملة الأحياء مذ كانوا يشعرون بها شعورهم بالأحياء الذين يتعاطفون ويتكاشفون ويتجاوب بينهم الاحساس

وعندى أن هذا هو التعليل الوحيد الصالح لتفسير جميع الملاحظات المستغربة

التى لا حظها النقاد على كبار كتاب المذكرات المشهورين في التاريخ ، وعلى رأسهم السياسى الانجليزى صمويل ببيز (Samuel Pepys) الذى نشأ فى القرن السابع عشر ولا تزال مذكراته موضع البحث والاستقراء بين دارسى التاريخ والمعنين بالطبيعة الانسانية

لقد كان هذا الرجل نائبا وموظفا كبيرا فى وزارة البحرية ورئيسا لمجمع العلوم ومغرما بالموسيقى والتمثيل ، وترك بعده مذكرات مستفيضة لاتزال كما قلنا موضع البحث بل موضع الحيرة عند بعض النقاد ، فلا هم قادرون على أن يجزموا بأنه كتبها لنفسه لأن الانسان لا يكتب كل هذه المجلدات وكل هـذه الحوادث ليطلع عليها وحده ، ولا هم قادرون على الجزم بأنه كتبها للأجيال المقبلة لأنه كشف فيها أسراراً عن سيرته وسيرة اقربائه كان معروفا أنه يخفيها أشد الاخفاء ويود لو يتعقبها بالمحو والنسيان

مثال ذلك أنه حكى يوما عن زميل قديم له من زملاء الدراسة تغدى معه وتذاكرا أيام التلمذة فقال له الصديق : إنك كنت ياصمويل يومئذ من أنصار كرمويل وخصوم الملك !.. قال صمويل في مذكرته . « فارتعبت لأنى خشيت أن يكون زميلى ذاكرا ما قلته له يوم قتل الملك » . . . ومن حق القارىء أن يفهم بعد هذا أن الرجل الذى ارتعب لخوفه من ذكريات زميله سيحرص أشد الحرص على كتمان ما قال ، ولكن القارىء لا يلبث أن يقرأ بين قوسين اعترافا بما قاله صمويل يومذاك ، وهو أنه لو ألقى عظة عن قتل الملك لجعل عنوانها إن « ذكرى الاشرار لا بد أن تعطب وتبلى ! »

ومثال آخر :انه اشترى كتابا من الكتب الشائنة فتعمد أن يختاره من الطبعة الرخيصة لأنه عول على احراقه بعد الاطلاع عليه .... اذن يحق للقارىء أن يفهم انه لن يذكر هذا الكتاب ولن يشير اليه فى حديث ولا كتابة ، ولكن الواقع انه أثبت فى وقائع ذلك اليوم انه اشترى الكتاب وانه كتاب خبيث وانه اشتراه من الطبعة الرخيصة لانه لا يحب أن يرى فى مكتبته

ومثال ثالث: ان مسألة من المسائل البيتية كدرته فأتلف جميع أوراقها وأسانيدها ثم عاد إلى مذكراته فدون فيها جميع تلك الأوراق والأسانيد بأقصى ما استطاع فى اسهاب وتفصيل

كيف يتسنى لنا تعليل ذلك إلا بأن الرجل كان منقادا لايحاء الطبع الذى لا اختيار [illegible] ؟؟ اننا نستطيع أن نعرف علة صناعة الصانع الذى ليس بالمطبوع ولا الموهوب ، فان المنفعة التى ينالها أو السمعة التى يحظى بها كافية لتفسير أعماله ومصنوعاته ، ولكن لا المنفعة ولا السمعة كافية لتفسير أعمال المصور الذى ينقاد فى تصويره بدافع من سليقته ووجدانه ، فانه قد يخسر المال والسمعة جميعاً بل قد يجازف بحياته وعافيته ومستقبله ليثبت على لوحة التصوير ما ثبت منه فى صفحة الحس وطيات الضمير

وكذلك الرجل المطبوع على تدوين مذكراته لا يدونها لتزينه ولا لتشينه ، وليس من همه أن يدخرها لنفسه أو يعرضها لغيره ، وانما هو كاتب لها لأنه يستريح إلى كتابتها كما يستريح المرء إلى المكاشفة والثقة بمن يكاشفه ولو حاق به الضرر من جراء ذلك فى كثير من الاحوال

هذه سليقة نافعة تفيد الثقافة الانسانية كما تفيدها كل ملكة مطبوعة وخليقة حية، تفيدها فى درس النفس البشرية ، وفى تحقيق الحوادث التاريخية ، وفى تمحيص عادات الأمم وآداب المجتمعات ، ولعلنا لا نخطىء إذا قلنا إن تاريخ بنى الانسان فى جملته لا يحتاج إلى المزيد من أصحاب الملكات الفنية والقرائح الشعرية لأنهم يظهرون بمقدار الحاجة اليهم فى كل فترة من الزمن وكل شعب من الشعوب ، ولكن الملكة التى يحتاج فيها تاريخ بنى الانسان إلى المزيد هى ملكة اليوميات والمذكرات ، لأنها لا تزال منذ القدم أندر من القدر المطلوب ، ولا سيما بين رجال المناصب الذين اضطلعوا بالأعمال السياسية واتصلوا بدخائل الامور

ويدلنا على مبلغ هذه الندرة ان تاريخنا المصرى الحديث لم يشتمل على أكثر من مؤرخين اثنين فقط يرجع اليهما الباحث فى هذه الناحية ، وهما الشيخ عبدالرحمن الجبرتى وصاحب السعادة الحاج احمد شفيق باشا صاحب هذه المذكرات ، وانما نذكر الجبرتى فى هذا الصدد من باب التساهل والمقارنة . لأنه رحمه الله لم يكن أولا ، ممن شغلوا المناصب التى تتيح لهم الوقوف على ما وراء الأخبار الشائعة ، ولأنه من الجهة الأخرى كان مصروفا إلى نوع آخر من الكتابة غير نوع اليوميات الخاصة والمذكرات الشخصية ، والفرق بين النوعين أن الجبرتى كان يدون أخبار بناء عصره التى يصح أن تقع تحت عنوان الأخبار التاريخية من الوجهة العمومية

وان تحدث فيها عن أشخاصهم وعلاقاتهم الخصوصية ، أما النوع الآخر وهو نوع اليوميات والمذكرات فهو أشبه باعترافات الانسان عما يعمله وما يراه وما يتصل به مباشرة من الحوادث والأنباء ، وهنا موضع الحاجة إلى الملكة الخاصة والاستعداد المطبوع ، لأن مشاهدة الحوادث وتدوينها قلما تحتاج إلى تلك الملكة أو ذلك الاستعداد . أما الاعتراف بكل ما يصنعه الانسان واثباته على القرطاس بينه وبين نفسه فذلك هو الباعث النفسي الذى يندر بين المؤرخين

ومن ثم يكون الحاج احمد شفيق باشا هو المؤرخ الوحيد في التاريخ المصرى المطبوع على تدوين اليوميات ومكاشفة القرطاس بما يجرى له وينطوى في ضميره : يكتبها في عهد الحداثة كما يكتبها فى عهد النضج والاكتمال ، ويكتبها وهو آمن فى بلده كما يكتبها وهو مغترب فى الديار الأجنبية ، ويكتبها فى أيام السلم والطمأنينة كما يكتبها فى أيام الحرب والفزع وهو محاط بالجواسيس وقناص الأخبار وأصحاب الدسائس والمشاغبات ، ويعنى بالمحافظة عليها أشد من عنايته بالمحافظة على حقائب الجواهر والمصوغات ، ويعلم أن سمو الأمير الذى يعمل معه قد عرف سر هذه اليوميات وتوجس منها والتزم الصمت والحذر من أجلها فلا يثنيه ذلك عن المضى فيها والمثابرة عليها ، ولم يكن يشغله عنها كما قال فى مقدمة الجزء الأول « عمل ولا لهو . وما كانت مشاغلى الخاصة لتحول بينى وبينها ، بعد أن غدت جزءا لا يتجزأ من برنامج حياتى . فكنت أدونها أثناء الدراسة بين كد الدرس والمذاكرة ولا أفتر عن تقييدها أثناء أسفارى خارج مصر سواء للمهام أو للرياضة . ذلك ان تدوينها كان فى ذاته سلوى لى ، لأنه يتصل بعامل خفى في نفسى ، هو الشغف بتسطيرها ثم استجناء مسرة استعراضها وما آنسه في ذلك من لذة معنوية » .

هذا الشغف أو هذه اللذة المعنوية هى الخصلة التى يمتاز بها المؤرخ المطبوع على تدوين يومياته ومذكراته ، وهى التى نعنيها حين نقول إنها ملكة فنية كملكة الشاعر الذى يسجل احساسه واختباره في قصيده ، أو المصور الذى يسجل احساسه واختباره فى لوحاته وتماثيله .

لقد كان صمويل بيبيز الملقب بامام اليوميين وأستاذ كتاب المذكرات Master Diarist يدون أسراره ونوادره بالخط المختزل فلا يقرؤه إلا من عرف مفتاح اختزاله . أما صاحب هذه المذكرات فانه يكتبها بالعربية الصريحة السهلة ولا يبالى أن يستثنى

منها سرا من الأسرار ولاخطرة من الخطرات ، وانما يحذف منها عند الطبع ماتقضى بحذفه الضرورات الاجتماعية والسياسية وما يشير بحذفه الأصحاب والأصدقاء .
وهو — علم الله فى سريرة نفسه — آسف جد الأسف على كل بتر واستثناء من هذه المذكرات التى لم يبالغ حين قال إنها ، غدت جزءا لا يتجزأ من برنامج حياته ،

°°°

عند ما قرأت هذه المذكرات عرفت منها ما كنت أود أن أعرفه ، ووجدت فيها كذلك ما لم أكن أنتظره ولم يقع فى حسبانى ، لأنه بعيد — على مايظهر لأول وهلة — من نطاق المذكرات فى زمانه ومكانه وأشخاص المشتركين فيه .

فصورة عباس الثانى — مثلا — واضحة في خلال هذه الصفحات وضوحا لا يشوبه أقل لبس أو تمويه : واضحة من وراء المراسم والمظاهر ودواعى الحيطة والتجمل ، واضحة فى علاقاته بشعبه وحكومته ، وعلاقاته بأبنائه واخوته وآله ، وعلاقاته بأصحابه وأتباعه وأعوانه وموظفيه ، وعلاقاته بمن يرجوهم ويخشاهم من ذوى الجاه والسلطان ، وعلاقاته بزوجه وصواحبه وأصحاب سره وهواه ، ولا نظن أن كتاباً من الكتب يعرض لنا صورة نفسية لعباس الثانى أوضح ولا أوفى من صورته فى هذا الكتاب .

كذلك الرجال الذين عاشرهم وعاشروه واتصل بهم واتصلوا به ولو لحظات معدودات . فان الحديث المروى فى هذه الصفحات بين عباس وغليوم يعرفنا بالشيء الكثير من دخائل غليوم ومطامعه الاستعمارية وأساليبه فى مخاطبة الناس واستمالتهم إلى ما ينويه ويفكر فيه

وعلى هذا المنوال نعرف كثيراً عن الصدر الأعظم سعيد حليم وعن طلعت وأنور وجمال ، وعن فريد وجاويش ولبيب ، وعن سائر الرجال المصريين وغير المصريين الذين عرض ذكرهم هنا فى حادث من الحوادث أو مناسبة من المناسبات

وعلى هذا المنوال أيضاً نعرف ما أحاط بالحملة التركية على مصر من أسباب الفشل والتعطيل ، تارة من جراء الدسائس الشخصية ، وتارة أخرى من جراء المآرب السياسية ، وتارة غير هذه وتلك من جراء التضارب والتناقض بين مطامع الترك ومطامع الألمان فى هذه البلاد ، وتنجلى لنا أثناء ذلك ادارة الحكم التركى وكيف تدور وتسكن ، وتقديرات الحكومة الألمانية وكيف تخطىء وتصيب بين

آراء الساسة وخطط العسكريين ، وغير ذلك من ملابسات الحرب التى لها مساس بمصر من جانب . وبدول أوربا الوسطى من جانب آخر ، وبانجلترا والحلفاء من جانب ثالث غير يسير

وكذلك نطلع أثناء هذا كله على مغامرات الجاسوسية وأساليب الوقوف على المساعى الخفية ، وما كان يتوخاه الانجليز من تقديم المسائل أو تأخيرها لتعليق الاطماع بهم حينا بالتسويف فى تقرير ولاية العهد ، وحينا بالاشارة من بعيد أو قريب إلى مصادرة أموال المغتربين وأملاكهم وقطع علاقاتهم بذويهم ووكلائهم ، وحينا بفتح باب العودة لمن يشاء واستدراج من يسهل استدراجه إلى الخدمة والموالاة ، وندرك الشىء الكثير من أسرار السياسة الانجليزية التى ظاهرها الرحمة والانصاف واحترام الحقوق والأموال ، وباطنها الكياسة والأناة والانتفاع بالفرص وتأجيل الأمور إلى أوقاتها لاستغلالها أتم استغلال

كل هذا مما يخطر على بال القارىء أن يلم ببعض مناسباته وملابساته في سياق هذه المذكرات ، لأنها مذكرات رجل لازم الخديو ابان الحرب العظمى فى الاستانة وسويسرة ، وساح معه في النمسا والمانيا وقام له بالمهام التى يقوم بها المعين الأمين المؤتمن على ما يسمع من المقاصد والأسرار . ولكن الشىء الذى قلما يخطر على بال القارىء وهو يتصفح هذه المذكرات انه سيعلم منها نبأ عن قضية مدام « كايو » التى كانت لها ضجة عالمية فى حينها ثم كانت لها نتائج خطيرة فى تقلب الوزارات الفرنسية ، فى استعراض حوادث سنة ١٩١٥ يقول صاحب المذكرات « تعرف الخديو بباريس فى صيف سنة ١٩١٤ برجل فرنسى يسمى بولو بواسطة يوسف صديق باشا وهو ينتمى إلى موسيو كايو الوزير الفرنسى السابق الذى عرفه الخديو كذلك عندما كان فى باريس . وحدث أن أحد محررى جريدة الفيجارو ويدعى كالمت (شقيق الآنسة تالبوتيه معلمتى الفرنسية فى أثناء دراستى وقد عرفتنى به) نشر مقالات يتهم فيها مسيو كايو بالاختلاس وخيانة وطنه لسعيه فى خدمة المانيا . فما كان من زوجته إلا أن ذهبت لهذا المحرر وأطلقت عليه رصاصة من مسدسها أردته قتيلا ، فقدمت للمحاكمة الجنائية . وقد طلب موسيو كايو من الخديو أن يبذل نفوذه لدى رئيس محكمة الجنايات لانقاذ قرينته ، وعرف سموه به فى مأدبة خاصة ، فسعى بجميع الوسائل لديه ، ومن ذلك أن وعده بالانعام عليه بنيشان كان

يطمح اليه ، وكانت النتيجة براءة مدام كايو ، وأصبح كايو من هذا الوقت يود أن يقدم خدمة لسموه ردا لجميله ... »

وان الأنسان ليذكر الآن ما كانت تنشره الصحف عن أسباب هذه الجناية وما حام حولها من الشبهات الغرامية ، ثم ينظر فيما رواه صاحب المذكرات فيتبادر الى ذهنه قول القائل « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » ويتدبر كيف تستفيض الأشاعات وتختلف التعليلات ، وتحتاج الحقائق الى المضاهاة بين أقرب المصادر وأبعدها على السواء.

ويتفق أن تبدأ اليومية من اليوميات وأنت لاتتوقع ان تقرأ فى هذا السياق شيئا الا أن تكون محادثة عرضية فى زيارة عرضية مما تقضى به المجاملات ويقطع به السكوت ، فاذا أنت على غير انتظار أمام خبر من الأخبار التى تتعلق بها مصائر الأمم ، وتريك كيف يتحول مجرى التاريخ . فى الرابع عشر من يناير سنة ١٩١٨ يقول صاحب المذكرات : « حضر اسماعيل باشا فاضل من رجال الحربية القدماء وكان مرافقا للسلطان عبد الحميد . وبعد أن زار الخديو جلس عندى » ثم يقول على أثر ذلك وهو الخبر الذى جاء عرضا فى الطريق : « وذكرنا شؤون مصر والاحتلال فقال لى إنه ملم ببعض أطراف المسألة المصرية ، وروى لى أنه عند ما ثار عرابى على توفيق باشا كانت الدولة عزمت على ارسال حملة لأخماد الثورة وصدرت الأوامر باستعداد عساكرها التى كانت فى كريت للسفر إلى مصر ، وأمرت فرقة من الاستانة بالذهاب الى كريت لتخلفها . الا أن يوسف رضا باشا رئيس لجنة اسكان المهاجرين رفع تقريرا الى السلطان يحذره من اخلاء العاصمة من العساكر لئلا يخلعه الشعب كما خلع السلطان عبد العزيز . فخاف على نفسه واستعاض عن الحملة العسكرية بارسال درويش باشا سعيا للوفاق بين العرابيين وتوفيق باشا »

ولا يسع الأنسان وهو يعبر هذا النبأ الصغير الذى جاء فى عرض الحديث الا أن يسائل نفسه : ترى الى أى مصير كانت القضية المصرية منتهية لو حضر الجيش العثمانى وتولى اخماد الثورة العرابية ؟ والا أن يعجب للحوادث الكبرى كيف تتوقف في بعض الأحيان على كلمة يوعز بها رجل غير مسئول عنها ، وقد يكون فيما أوعز به موعزا اليه

وفى المذكرات كثير من أمثال هذه الأحاديث العرضية التى يطالعها القارىء على غير انتظار ، وكثيرا ما تفاجئنا بطرائفها اذا هى لم تفاجئنا بموضوعاتها ، فالتعريف بالخديو مثلا موضوع منتظر من بداية المذكرات ، ولكن النوادر التى تعرفنا به هى الشىء الطريف الذى لايدور فى الحسبان ، وقد يسعى طلاب الدراسات النفسية الى العثور على نوادر من هذا القبيل لاحصاء النقائض الأخلاقية فلا يظفرون بها الا بعد عناء .

كان صاحب المذكرات والمرحوم الدكتور السيد كامل بك يتحدثان فى الثالث عشر من شهر ابريل سنة ١٩١٦ فأبدى الدكتور تألمه مما فاه به الخديو فى جلسة ماضية عن رجال الحزب الوطنى ثم قال : « ان صاحبته هى التى تزين له ذلك . وقد عرفت مواضع الضعف فيه . واستشهد بما رآه ذات يوم من الخديو وقد جلس يفرز الرسائل الواردة ويفصل منها الجزء الأبيض الخالى من الكتابة فيحتفظ به ، فما كان منها الا ان أخذت رسالة سها عنها وصنعت بها كذلك . وهى الآن تستغل حرصه فتقول له : ما الذى نفعك به المصريون فتنفق عليهم ؟ وتحسن له ابعاد رجاله واحدا واحدا اقتصادا للنفقات » .

انى أعرف الدكتور سيد كامل رحمه الله رجلا حريصاً جداً فى أحاديثه ، يشفق أن تفلت منه كلمة تحسب عليه أو تنم عن افشائه الأسرار . فما إخاله أفضى بهذه « الطرفة » الخلقية إلا وقد غلبته طرافتها فلم يقو على كتمانها ، وهى والحق يقال جديرة باخراج المرء عن حواجز المراسم والعادات ، وأى شىء أظرف من منظر امرأة تكلف رجلا عشرات الألوف من الجنيهات فى أشد الأزمات وهى تستـرضيه بعد ذلك « بتوفير » قصاصة من الورق لا تساوى المائة منها بضعة قروش ؟ وأى شىء أعجب من الطبيعة التى تشغل رجلا « بتوفير » القصاصات وقد أضاع عرشاً وأضاع معه القصور والأموال ؟

هذه النوادر الشخصية هى مزية اليوميات الخاصة التى من أجلها كانت عظيمة القيمة للتاريخ والدراسات النفسية ، لانها تعرفنا بابطال الحوادث التاريخية أضعاف ما تعرفنا بهم المظاهر الاجتماعية والأعمال العامة والكتابات العلنية ، فقد يتجملون بهذه المظاهر أمام الناس وهم فى الحقيقة عاطلون من جمالها ، وقد تنسب اليهم الأعمال العامة وهم لا يساهمون فيها ، وقد تراعى فى الكتابات العلنية مصلحة موقوتة أو

مجاملات مفروضة . أما النوادر المرتجلة التى تبدر من صاحبها عفو البديهة فهى هى الصورة الصحيحة بلا مبالغة ولا تجميل

* * *

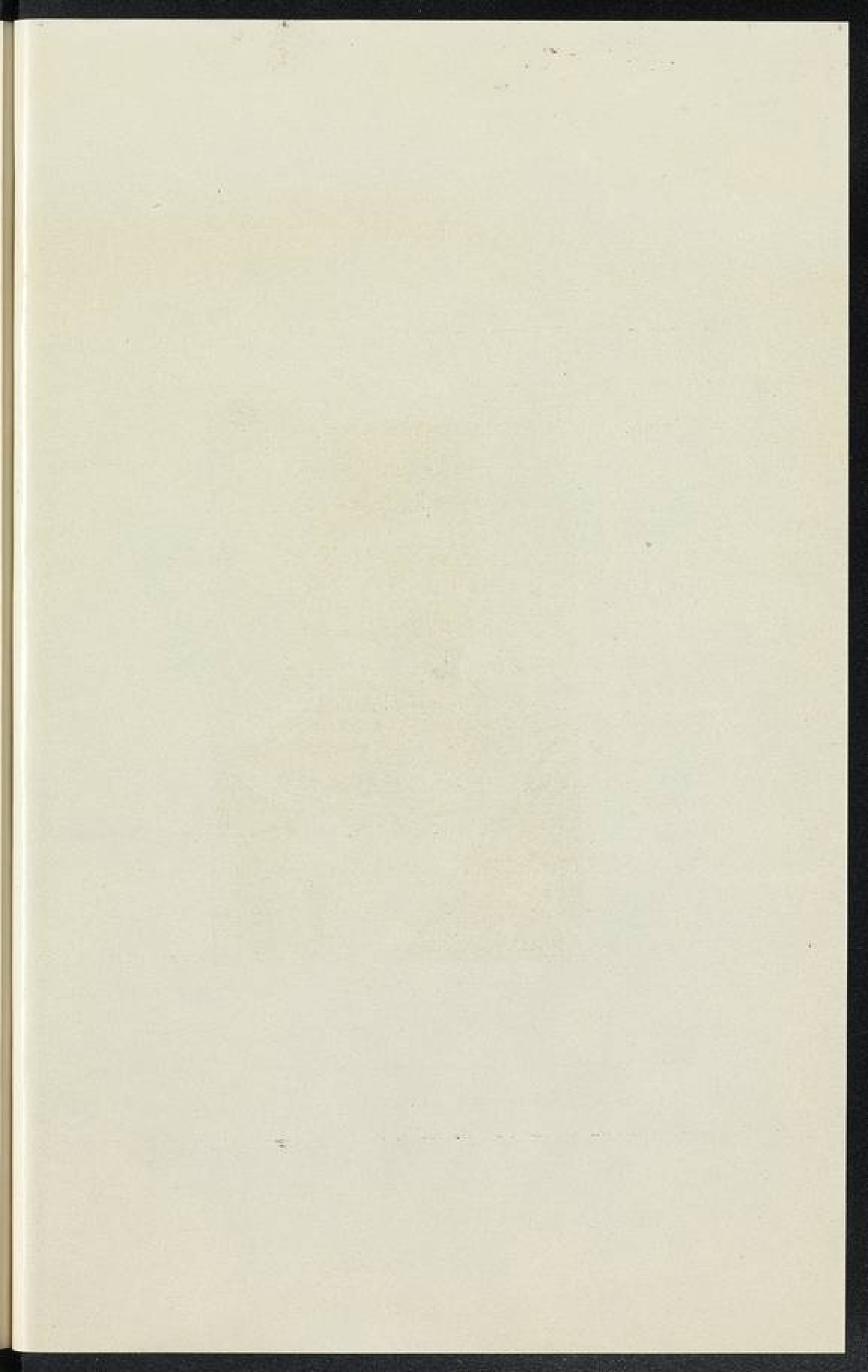
ومن الأمور الحقيقة بالتنويه فى هذا المقام ذلك الحديث الذى جرى بين صاحب السمو الملكى الأمير محمد على والقائد مكسويل في بداية الحرب العظمى فقد اقترح الأمير إعلان استقلال مصر وقال للقائد : « أرى أن الفرصة سانحة للانجليز لاعلان استقلال مصر ، وبهذه الوسيلة يمكنكم أن تجهزوا جيشاً من المصريين للدفاع عن استقلال بلادهم وتتفقوا معنا على أن تتركوا مصر بعد مدة تحددونها . فان صنعتم ذلك تكسبوا ثقة المصريين وغيرهم فى البلاد العربية »

نعم . هذا هو الرأى الصواب ، ولو أصرت عليه الوازرة الرشدية وأخذ به الانجليز لاتقينا كثيراً من المحظورات ، ولكن « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » . . . فان مطالبة المصريين باستقلال بلادهم وثورتهم التى ثاروها فى سبيل هذه المطالبة هى فى ذاتها غنيمة من الغنائم الأدبية التى تستفيد منها الشعوب وتجعل للاستقلال شأناً غير شأن العطاء الموهوب .

* * *

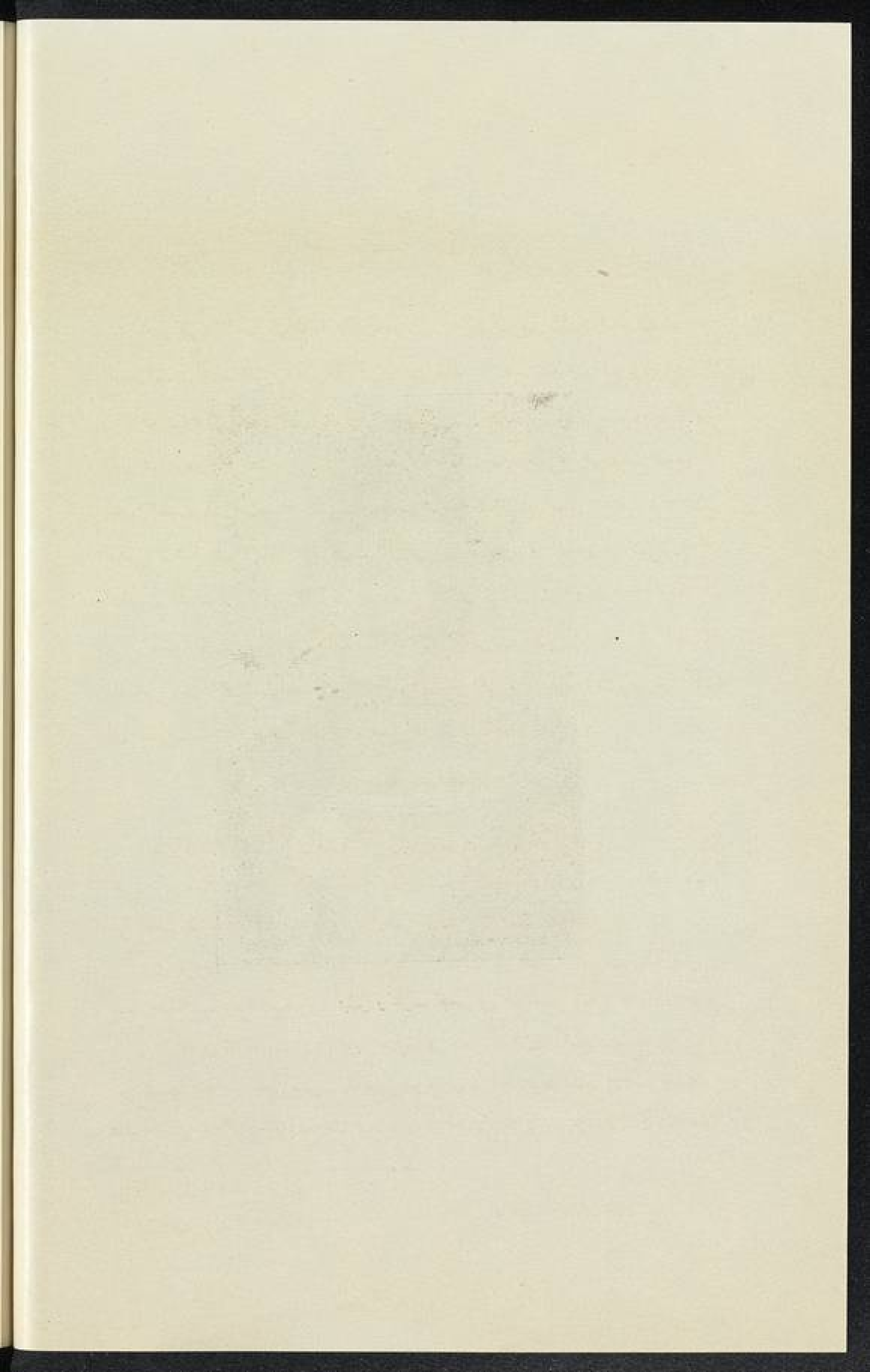
وعلى الجملة نرجو أن تقوم هذه المذكرات بحصتها المشكورة القيمة في تاريخ هذه البلاد ، فقد جاءت فى أوانها لاتمام العلم بتاريخنا القريب قبل أن تترامى به الأيام وتحول الحوائل دون المراجعة والتمحيص ، وجاءت فى أوانها من الجهة الأخرى لأن العصر الحديث في أوروبا يوشك أن يكون عصر المذكرات والمشاهدات الشخصية وإن لم يكن لها بعد نصيب من الشيوع فى بلادنا ، وقد تعود القوم هناك أن يضاهوا بينها ويقابلوا بين رواياتها ويلتمسوا فيها من مصادر الحقيقة ما لا يتاح في غير هذا النوع من التأليف ، وربما كانوا مدينين بمعظم ما يعرفون عن رجالهم وأقطابهم لما يدونه عنهم كبار الصحفيين والسائحين في أمثال هذه المذكرات ، ولعل مذكرات شفيق باشا أن تكون فاتحة لانتشار هذا النوع من التأليف فى العالم العربى فيكون له فضل فى التقدم والتشجيع إلى جانب فضل التأريخ والتدوين .

عباس محمود العقاد





عباس والحرب العظمى



سنة ١٩١٥

امبراطورا النمسا وألمانيا والانقلاب — الموظفون بالمعية والاقتصاد — السندات والتحف التي استحضرها الخديو من مصر — عيد الجلوس الخديوي بالاستانة زياراتي لأعضاء العائلة الخديوية وما سمعته منهم — الارادة الشاهانية وتجديد مهمة الحملة على مصر — اخبار عن الحالة في مصر — نيات الأتراك نحو السلطان حسين — طعون الصدر في الخديو — فشل الحملة التركية على قناة السويس — مشروع خطير لفصل فرنسا عن انجلترا في الحرب العظمى — سفرى الى برلين ومهمتي بها — احاديث الحرب — تنظيم مخابرات مع مصر وتدبير ثورة ضد الانجليز — الاعانات والمرتبات التي تقررت للبرنسات والحاشية — الشريف فيصل ومهمته في الاستانة للتوفيق بين العرب والأتراك — الخلاف بين الخديو ورجاله وخروجه من النمسا الى السويسرة — توجيه انذار لعباس — شؤون مختلفة .

امبراطورا النمسا[1] وألمانيا[2] والانقلاب : أرسل الخديو في صباح يوم أول يناير سنة ١٩١٥ برقتين للتهنئة برأس السنة لامبراطوري ألمانيا والنمسا متمنياً لهما الظفر على أعدائهما . وكذلك أرسل برقية تهنئة لملك ايطاليا

وفي يوم ٢ منه توجه لمقابلة امبراطور النمسا في قصر شنبرون ، فلما مثل بين يديه حيا سموه تحية لطيفة ، وأظهر له أسفه لتصرف الانجليز معه ، فأجاب سموه : « إنني في مدى ثلاثة وعشرين عاما حكمتها في مصر ، كنت أعمل بنصائح جلالتكم التي تلقيتها عند مبارحتي مدرسة الترزيانوم لتولى الخديوية المصرية سنة ١٩٠٢ . فقد قلتم لى جلالتكم إننى سأجد صعوبات في الحكم . كما وجدتم جلالتكم في النمسا »

---

(١) صور ج ٢ ق ١ ص ٢

(٢) صور ج ٢ ق ١ ص ٢٦٩

وإنه يجب على الصبر والجلد فى تذليل الصعاب . وبالفعل صادفنى صعوبات شديدة فى معاملة الانجليز للمصريين ولشخصى ؛ فكنت أدافع عن صوالح بلادى ، على قدر إمكانى ؛ ولهذا كانوا يعدوننى غير مخلص لهم . ولما نشبت الحرب ، حاولوا إقناعى بالسفر الى إيطاليا ، لأنها أقرب لمصر من الاستانة ، ! ولو أنى أطعتهم ما عزلونى . ولكن التربية التى تلقيتها فى الترزيانوم تحت رعاية جلالتكم ، والتى هى مؤسسة على الصدق فى القول والعمل وحفظ الكرامة ، وعزة النفس ، هى التى منعتنى أن أقبل نصائح الانجليز ؛ وأرجو أن تكون نتيجة الحرب ، نصراً لجيوش جلالتكم وحلفائكم فينتصر الحق على الباطل »

وكان الامبراطور يصغى لحديث الخديو مسرورا . فلما انتهى رد عليه قائلا : « إن شاء الله نفوز بالنصر ولو أن أعداءنا أشداء » .

وقد وردت فى اليوم نفسه برقية من جلالته بالشكر للخديو مع تمنيه أن يفوز الحق على الباطل . وكذلك وردت برقية أخرى بالشكر فقط من امبراطور ألمانيا والعنوان في البرقيتين « عباس حلمى الثانى خديو مصر »

وحتى يوم ٣ يناير لم يرد رد ملك إيطاليا وسافرت أنا إلى الاستانة

الموظفون بالمعية والاقتصاد : رأى الخديو بمناسبة الحالة الجديدة ، التى لا يعرف مداها أن يجرى اقتصادا فى النفقات ، فأمرنى بالسفر للاستانة ومعى أوامر للمستخدمين الملكيين والعسكريين و « الخدمة السائرة » فى جبوقلى والضلمان لتنفيذها بواسطة عبد الله افندى البشرى ، وهى تتلخص فى أن كل من أراد منهم الرجوع لمصر يرحل إليها ، وأن يعود ألماس أغا لمصر فيرسل الخادمات اليونانيات والتركيات اللواتى فى قصر القبة إلى رودس (١) بلدهن ، وأن أكاف جلال الدين باشا قبو كتخداى الخديو وصهره أن يقتصد في نفقات داخل الحريم ، أما موظفو القبو كتخدائية فانه إذا ورد للبنك العثمانى أمر من مصر بقطع مرتباتهم فمن يرد الرجوع لمصر منهم يرحل إليها . وأن أخبر عارف باشا رئيس الديوان التركى بأن وظيفته أصبحت ملغاة نتيجة للانقلاب الذى حصل في مصر حتى تعبر الجنود العثمانية القنال وأن أصرف له خمسين جنيها

وفى يوم ٣ يناير سافرت لتنفيذ هذه الأوامر فوصلت الأستانة يوم ٦ منه

(١) ولكن ألماس أغا لم يستطع السفر لهذه المهمة

ولما قابلت ألماس أغا وأبلغته الأمر الخاص به تردد فى الذهاب ، وأخيراً أظهر القبول إذا لم يكن هناك مانع من الحكومة المصرية ، فقلت له : إننا سنسأل عن ذلك بواسطة سفير أمريكا

وساطة سفير أمريكا في عودة بعض الموظفين لمصر : وفى يوم ١٠ يناير قابلت السفير ، وحادثته فى الوساطة لرجوع بعض الموظفين المصريين الملحقين بالخديو لمصر . فوعد ببذل السعى اللازم

وفى يوم ١٤ منه جمعت فى جبوقلى الضباط والملكيين وسألتهم عما إذا كانوا قد تشاوروا بينهم فيما يلزم عمله لصالحهم ؟ وطلبت منهم إبداء رأيهم دون أن يحول في خاطرهم أن الغرض هو التخلص منهم ، أو استثقال وجودهم ، وأن كل من لا يود الرجوع لمصر يبقى على الرحب والسعة وسراى الخديو هى منزلهم ، وسموه يخصص لكل منهم شيئا من النقود لنفقاته الخاصة

وبعد الأخذ والرد اقترحت عليهم أخذ رأى سفير أمريكا فى ذلك . فاتفقوا على أن يكلفونى القيام بهذه المهمة ، وأن اسلم له بيانا بأسماء الموجودين منهم هنا وفى الضلمان . فاذا رخص لهم من مصر في الرجوع ، ومنعت الحكومة العثمانية سفرهم فانهم يراجعون السفير فى ذلك ، ليخطر مصر وبذلك يحفظون حقوقهم

وفى يوم ١٥ منه قابلته وسلمته بيان الأسماء ، فوعد بالمخابرة فى شأنها

وفى يوم ١٧ منه أخبرنى بنجاحه فى مخابرة مصر والترخيص لمن يريد السفر منهم فى العودة . وبعد أن سافر ثلاثة منهم وردت أوامر أخرى ببقائهم فى الاستانة الى نهاية الحرب

وقد كان لهذه المساعى أثر طيب بالنسبة لهؤلاء الموظفين ، فحفظت لهم حقوقهم مدة الحرب ، وسلمت لهم مرتباتهم فيما بعد رجوعهم ، وحسبت لهم فى المعاش ، وحفظوا لى هذا الجميل

السندات والتحف التى استحضرها الخديو من مصر : كلفنى الخديو وأنا مسافر للاستانة يوم ٣ يناير أن أرسل له مفاتيح الصناديق التى أحضرها معه لفينا من الاستانه وفيها أسهم البنك العقارى واسهم البيان فون وشركة الازبكية المصرية البلجيكية (وكان سموه استحضرها من مصر بعد سفره) . والغرض من أخذها فى فينا هو إيداعها البنك السويسرى فى برن

وقد كان مطلوبا كذلك إصلاح تركيبات « الشبوكات » وهى من الكهرمان (الكهرباء) المرصع ، لأن بعض الفصوص محلولة

فكلفت عند وصولى للاستانة عبد السلام ظافر افندى معاون القبوكتخدائية أن يخبر جلال الدين باشا ليرسل المفاتيح ؛ وأن يقوم هو بأصلاح التركيبات المشار اليها وإرسالها

عيد الجلوس الخديوى: فى يوم ٨ يناير كان عيد الجلوس الخديوى فاجتمع ضباط المحروســـة ومستخدموها والياوران وعارف باشا وجلال الدين باشا ومستخدمو القبوكتخدائية ويوسف ضيا باشا [١] (رئيس الياوران سابقا) فقيدنا أسماءهم ، وأرسلناها لدولة الوالدة مع تمنياتنا بأن نهنىء سمو الخديو فى السنة الآتية بسراى عابدين ؛ فردت دولتها بالشكر

ثم أرسلت ليوسف صديق باشا [٢] فى فندق امبريال بفينا ، البرقية التالية :

« إن المصريين الكثيرين من الضباط والملكيين احتفلوا هنا بهذا اليوم ، وبالاصالة عن نفسى والنيابة عنهم أقدم إخلاصنا للعتبات الخديوية »

وفي يوم ١٢ منه تلقيت من الشيخ على الغاياتى [٣] خطابا من جنيف بتاريخ ٨ جاء فيه :

« يذكرنى هذا اليوم بعادتى فى كل عام من تقديم عبارات التهنئة والاخلاص إلى مولانا العباس ؛ ولكنى أذكر بملء الأسف ما قضت به الأقدار فى هذا العام مما لم يكن فى الحسبان ، من التغيير الكبير فى شكل الحكومة الحاضر ، الذى سفسير ولا محالة من طريقه إلى الاستقلال التام في يوم من الأيام .

إلا أننى كنت أود أن يكون سموه على رأس هذه الحكومة سلطانا عظيما على وادى النيل ، يجدد لنا فى عهده أيام السلاطين العظام ، ويعمل بما عهد فيه من الذكاء والغيرة على تقدمه واستقلاله .

ولا ريب أن السلطة المحتلة ، وعظمة السلطان الكامل ، وجميع ذوى الشأن فى مصر ، كانوا يودون ما كنت أوده لسموه حفظه الله ، حتى لايحدث تغيير ولا تبديل فى شخص ولى الأمر الأعظم ؛ ولكن قضت السياسة بما قضت ؛ وكان لوجود سموه

---

(١) صور ج ٢ ق ١ ص ٢١

(٢) صور ج ٢ ق ١ ص ١٩١

(٣) صور ج ٢ ق ٢ ص ٢٣١

بالاستانة فى تلك الظروف تأثير كبير فى الحالة الحاضرة ، لأسباب لا تخفى . وعلى كل حال فالحمد لله على ما بقى من السلطة العليا فى بيت محمد على ، مصلح مصر الكبير ؛ فان فى ذلك تعزية كبرى ، وأملا عظيما سيتحقق بارتقاء عظمة السلطان حسين الأول على العرش العلوى ، وببقاء الامر فى يد هذا البيت الكريم . ومولانا العباس أعرف بذلك ، وأولى بتقديره والعزاء به ؛ فان حق الاسرة من حيث هى ، قد روعى وزيد فيه ، ومصلحة البلاد لم تنل سوءا قط ، والامل فى المستقبل قد ترعرع وأزهر ؛ وما كان يرجى من الامير قد أصبح يرجى من السلطان . ولا بقاء فى الحقيقة للاشخاص ، وإنما البقاء للاعمال ؛ فلسموه خير تعزية قلبية .

« ولا غرو إن هنأته مع ذلك بانتهاء الامر على هذه الصورة المرضية . وعلى أية حال فانى أكرر تهنئتى لذاته المحبوبة بماضيه المجيد ، وبما سلف من جميل أعياده ومشهود أيامه ؛ وأسأل الله أن يهبه الصحة والطمأنينة ويوفقه للرضاء بالمقادير »

زيارتى لأعضاء العائلة الخديوية : فى يوم ٨ يناير زرت منزل البرنس على بك فاضل . وتركت له بطاقة أبلغه فيها تحيات الخديو ، ثم مررت بأسرة البرنس عمر طوسن وأرسلت سلام الخديو لها ، وسألت عنه وعن أخباره ، فردت شاكرة وقالت : إن « أخباره طيبة » . وقد أبلغتها أن الخديو كان قد فكر فى إرسال مندوب لمرسيليا للاطمئنان عليه ، ولكن خشى أن يناله مكروه بسبب ذلك ، لأن الخديو معتبر عدواً لفرنسا الآن .

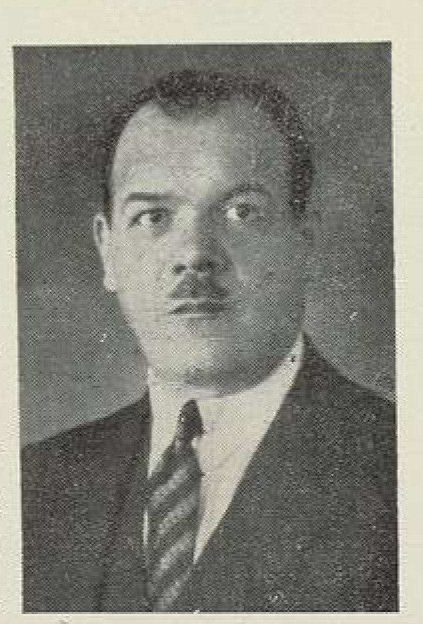
ثم قابلت البرنسيس فاطمة اسماعيل وفائقة هانم أفندى ، وأبلغتهما تحيات سموه فتلقتا السلام بالشكر والدعوات الصالحة ، وقالت البرنسيس فاطمة إنها مرتاحة لوجود الخديو فى أوربا ، وأنه سيبقى فيها حتى يتم الصلح .

وبعد ذلك توجهت إلى البرنس ابراهيم باشا حلمى ، وأبلغته سلام الخديو ، وتحذيره له من الكلام بشىء من خطط سموه أمام حاشـــية الصدر ، لأن رجالها جواسيس الانجليز ، والكتاب الأبيض الانجليزى شاهد بذلك .

وفى ١١ منه كنت على موعد معه ، فقابلته في ميركون وفى هذه المقـابلة أظهر لى استياءه مما سمعه من عقيل بك يسرى ، من أن الخديو قال له : إنه فى هذه الأوقات الحرجة ، لم يجد بين « البرنسات » من هو أخلص وأصدق له من على بك فاضل فتألم البرنس ابراهيم حلمى من هذا التصريح ، لأنه يعتقد بحق ، أنه هو الذى أظهر

الاخلاص والصداقة الحقيقية لسموه . ثم قال البرنس : إن عقيل بك أبلغه كذلك أن الخديو لا يفكر إلا فى ملذاته ؛ وأنه حصل على أربعة آلاف جنيه بواسطة عبد الحميد بك شديد فى روما . فطمأنته وقلت له : إننى أعرف من عقيل بك بحقيقة احساسات الخديو ، وأنه لو لم تكن لسموه ثقة تامة بدولته ما عزم على تعيينه قائمقام له فى الحملة على مصر

وفى ١٦ منه قابلته منفردا ، وأفهمته أن عقيل يسرى حضر عندى أمس ، وأكد لى أنه قال : إن البرنس على بك فاضل ، أصدق البرنسات من عائلة مصطفى فاضل لأن الكلام كان دائرا حول البرنسين حيدر وكامل فاضل ، وأنه لم يتكلم بشىء عن الخديو كما يدعون عليه ، فقال دولته : إننى سمعت هذا الكلام من عبد الرءوف بك يسرى



عبد الرءوف بك يسرى

وفى يوم ١١ فبراير توجهت الى بيك فقابلت الوالدة نحو ساعة ، أخبرتها فى خلالها بتأكيد سفير ألمانيا مسألة عودة الخديو لعرشه ، وبقرب صدور ارادة شاهانية تحفظ امتيازات مصر ، فسرت بذلك ثم قالت : « وبما أن الصدر يتوقع حصول أمور من أفندينا تغضب المصريين فعلينا أن نتلافى ذلك ؛ وأن يترك الأمور التى تمس بسمعته ، ويلتفت للبلد » ، فقلت لها : « ياسيدتى أنا أقسم لك أنه إذا لم يفعل كما تأمرين ، فأننى أترك خدمته » فتأوهت وقالت : « فليراع شيخوختى وليستقم فى أحواله حتى أستريح وأموت راضية » ثم قلت لها : « إن لى رأيا ، وهو أن يطلب الخديو من الحكومتين الألمانية والنمساوية بعض الأخصائيين لاستخدامهم مستشارين فى النظارات ، وينتخب نظارا مقتدرين ومخلصين ، وفى مدة الاحتلال التركى يترك لهؤلاء الرجال التصرف ، ولا يتدخل سموه فى شىء ، حتى لا يقال عنه إنه عمل كذا وكذا ، لأن الوقت الحرج هو وقت وجود الجيش التركى فى مصر » . فوافقت على رأيى ، ثم دعت للخديو بالتوفيق ، وكلفتنى حمل تحياتها له وتقبيل وجنتيه .

وفى يوم ١٥ منه كنت قد عدت لفينا وقابلت الخديو ، فأبلغته تحيات الوالدة والبرنسيسات ، والبرنس ابراهيم حلمى

وقد لاحظ سموه أن الوالدة تركت نفسها بدون نقود كافية ، وكان يمكنها أن ترسل احدى «القلفوات» لمصر لتخبر الوكيل بأن يبعث لها ورق بنكنوت مصرياً إلى أوربا ، أو بواسطة بنك دى روما ، ليحول المبلغ إلى فرنكات ، ويصرف للوالدة فى الاستانة ورق بنك نوت تركيا . فقلت لسموه : وهل هى تلم بهذه الأمور ؟ قال : كان على وكيلها أن يتدبر الامر . ثم قال بتهكم : ها هى ذى الحكومة المصرية تصرف لها وللسيدة خانم افندى (زوجته) مرتباتهما ! فسألت سموه ، من أين علم بهذا ، فأجابنى ، من ابراهيم بك راتب ، الذى طرده الانجليز فحضر للاستانة ، وقال . إن السلطان حسينا زاد مرتب البرنس عزيز حسن إلى مائتى جنيه شهرياً بدلا من مائة . ثم أظهر استياءه من أعضاء العائلة بمصر وهم البرنسان حيدر وكامل فاضل والبرنسيسان فاطمة فاضل وزهرة حليم ، فانهم يحمدون ويشكرون على هذا التغيير ! الذى حصل بمصر ، والاخيرة تقول : «لم يصنع لنا الخديو عباس شيئاً نحمده عليه» ،

ثم أخبرنى الخديو أنه كتب الى البرنس ابراهيم حلمى رسالة لطيفة لتطييب خاطره ، بما سمعه من عقيل يسرى

الارادة الشاهانية وتحديد مهمة الحملة على مصر : فى يوم ٨ يناير قابلت البرنس ابراهيم حلمى ، فسألنى عما إذا كان الخديو يقبل العودة للاستانة ومنها يذهب لمرافقة الجيش العثمانى بصفته سردارا ، لأن الأتراك فهموا الآن ضرورة ذلك بعد الانقلاب الذى حصل في مصر ، وتبذل الآن مساع من محمد عزت باشا زوج فائقة هانم بواسطة جاويد بك لذلك . فقلت : ماأظن الخديو يرضى بأن يرأس الحملة ، والأحسن ترك هذه المساعى ، لتصنع الحكومة العثمانية ماتراه صوابا ، خصوصاً وقد فهمت أن الصدر غير راض بذلك ، وأن الأصوب تعيين قائمقام خديوى لمرافقة الحملة خوفا من أن تطلب الحكومة العثمانية من الخديو



محمد عزت باشا

تعيين جمال باشا القائد العام قائمقام لسموه . فطلب منى البرنس أن أقابله بعد غد ليتكلم معى مرة أخرى ، بعد أن يروى الفكر فيما دار بيننا من الكلام

ارادة خديوية بتعيين البرنس ابراهيم حلمى قائمقام مرافقا للحملة : وفى يوم ١٠ منه قابلته ، وأطلعته على صورة الارادة الخديوية بتعيينه قائمقام خديوياً ليرافق الحملة نائباً عن سموه . فوافق عليها . ثم قال لى : إنه فكر فيما قلته له فى المقابلة الأولى وأنه يجب التعجيل بصدور هذه الارادة ، وأما مايحتمل من انتقام الانجليز منه فى أملاكه بمصر فهو أمر لايهمه . ثم قال : «ولو أننى كنت أشرت عليك بسفر سمو الخديو مع الحملة ، إلا أننى الآن بعد ماعرفته من الحوادث الماضية ، وبعد ماسمعت من ثلاثة أشخاص أن فى النية القضاء على حياته ، لا أرضى له بأن يلقى بنفسه فى التهلكة»

الارادة الشاهانية : ثم تحدثت مع دولته فى ضرورة استصدار ارادة شاهانية بتحديد مهمة الحملة على مصر ، بأن ينص على أنها مرسلة لارجاع الخديو لعرشه ، ولارجاع مصر إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال، مع احترام الفرمانات. فقال : إن الأتراك لا يعملون عملا بطيبة خاطر ، ومن اللازم أن يتكلم الخديو مع الألمان ليجبروهم على إصدار هذه الارادة » . ثم ضرب مثلا لذلك ؛ إجبار الألمان لهم على التصريح للخديو بالسفر من الآستانة إلى فينا وقد سبق ذكر ذلك

مقابلتى للصدر وشعوره نحو الخديو والسلطان حسين : وفى اليوم نفسه قابلت الصدر فلم أجد منه غطرسته وخشونته المعتادة مع رجال المعية الخديوية ، وتحدث معى ساعة كاملة ، وقد ابلغته تحيات الخديو وتهنئته بانتصار العساكر الشاهانية فى القوقاس فتشكر وقال : «إن الحكومة التركية مهتمة بالحملة على مصر وكادت المعدات اللازمة لاجتياز القنال تتم ، وعما قريب سيعود الخديو لبلاده معززاً مكرماً» وسألنى عن صحة سموه ، فأخبرته بتفاصيل حالته الصحية ، ثم قلت له : «ان الحفاوة التى يلاقيها سموه فى فينا تنسيه أكداره ، ولا سيما بعد الانقلاب » فقال الصدر: «نعم إن النمساويين أهل ذوق !» ثم سألنى عن رأيى فى قبول البرنس حسين كامل للسلطنة ، فأجبت بأنه لا بأس من ذلك للمحافظة على الأريكة الخديوية فى عائلة محمد على ، وربما هددوه فى حالة عدم قبوله بضم مصر لانجلترا ، أو تولية غريب عن العائلة ، كما سمعت أن «أغاخان الهندى» كان مرشحاً لهذا المنصب.قال: «لا . هذا

خطأ ، ولا يمكن اجراء هذا العمل من جانب انجلترا ، والروسيا نفسها حتى الآن لم توافق على الحماية . ثم قال : « الحقيقة هى أن الأمير مدين ، وقبل هذا المنصب لسداد ديونه فقط »

وفى النهاية سألنى عما إذا كان الخديو ينوى الحضور للاستانة ، فأجبت بأنى لا أعرف ، فعقب على هذا بقوله : « سيعود إن شاء الله » ثم ودعته وانصرفت .

مقابلتى لسفير ألمانيا واقتراحى باصدار إرادة تحدد مهمة الحملة : وفى يوم ١٥ منه قابلت سفير ألمانيا ، ومكثت عنده ثلاثة أرباع الساعة ، أبلغته فى أثنائها تحية الجناب العالى ، وأخبرته بكل معلوماتى عن الحالة السياسية ، وبارتياح الخديو لوجوده فى فينا ، وصلاته بسفيرى ألمانيا والدولة وناظر خارجية النمسا ، ومادار فى الحديث بينه وبين امبراطور النمسا ؛ ثم تفاهمت معه بصفة شخصية فى ضرورة إصدار إرادة شاهانية ، يصرح فيها بأن الحملة السائرة الى مصر ، إنما تذهب لارجاع السلطة الخديوية دون المساس بالامتيازات التى نالتها مصر من قبل ؛ وما ينتجه هذا التصريح من الطمأنينة ، ومن انجاح الحملة في مهمتها ومساعدة المصريين لها فوافقنى السفير قائلا : « نعم إن هذا ضرورى وأعضاء الحزب الوطنى بجنيف يلحون في ذلك ؛ وقد تحدثت مع الصدر فى هذا الموضوع ، ونحن متفقون عليه » ثم طلب منى مقابلة الصدر والالحاح عليه فى ذلك . فقلت له : « لا . أعفنى من هذه المهمة لأن الأتراك لايحبون التدخل فى شؤون حكومتهم ؛ وربما قالوا « ماهذا الذى يريد أن يعطينا درساً ؟ ! » قال السفير : « إذا كان الأمر كذلك فقل للصدر إننى كلفتك ذلك » . فقبلت . ثم أفهمته أن الانجليز يخدعون المصريين ويقولون لهم . هانحن أولاء قد جعلنا مصر سلطنة ، وسنعطيكم الحرية والدستور ، أما الأتراك ، إذا دخلوا مصر ، فانهم ينهبونها ويسلبونها ويهتكون أعراضها ، فاذا صدرت الارادة برجوع الحالة الى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ وبرجوع خديويهم المحبوب لبلاده ، فانهم لايعبأون بخداع الانجليز . وبعد هذا سألنى السفير عما إذا كان الشعب المصرى يثور على الانجليز ، فأجبته بأن ذلك محتمل إذا نجح



البارون ونجنهيم
سفير ألمانيا

الأتراك فى عبور القنال ، لأنه فى هذا الحالة يضمن الثائرون النتيجة ، ويأمنون الانتقام منهم . أما الآن فلا يجرءون على ذلك

وفى النهاية سألنى عن أيام مكثى فى الأستانة : فأخبرته أن المنتظر أن أظل هنا حتى يلحق البرنس ابراهيم حلمى بالحملة نائباً عن الخديو : فاستصوب ذلك بحماس قائلا « برافو » ! ثم استأذنت وانصرفت .

مقابلتى للصدر ورده على اقتراحى : فى يوم ١٦ : منه ذهبت ومعى جلال الدين باشا وعارف باشا لمنزل الصدر فى استامبول : فوجدنا عنده البرنس ابراهيم حلمى فقدمت للصدر نسخة من جريدة الأهرام فيها صور المخاطبات التى دارت بين شيتهام متولى أعمال الوكالة البريطانية فى مصر ، وحسين رشدى باشا رئيس النظار بخصوص الانقلاب الأخير ، مع ترجمتها بقلم عارف باشا ، فأخذها شاكرا .

ثم قلت له : « إن سفير المانيا تحادث معى فى ضرورة صدور ارادة شاهانية تحدد مهمة الحملة على مصر ، وطلب منى أن أذكر فخامتكم بذلك » . وما كدت أنتهى من هذه الجملة حتى قال بحدة : « مالى أراكم تستعجلون هذا الطلب يا مصريون ؟ فمن منذ شهرين وأنتم تلحون علينا ! » قلت : « إن هذا فى صالح الحملة حتى يطمئن الأهالى فى مصر » فقال : « بل فى صالحكم أنتم ! » ثم قال : « هذه الارادة ستصدر فى حينها » . فتحدث عارف باشا وجلال الدين باشا فى وجوب إصدارها . فقلت : « مادام فخامته قد وعد بأنها ستصدر فى الوقت المناسب فنحن نكتفى بهذا الوعد » ، وذلك لأسجل عليه ما قال ، وخرجنا .

مقابلتى لسكرتير جمعية الاتحاد الترقى :

بعد خروجنا توجهت انا وعارف باشا إلى نادى جمعية الاتحاد والترقى ، وقابلنا مدحت شكرى بك السكرتير العام ، فأبلغته سلام الخديو وتهنئته بانتصار الدولة ، وشرحت له حالة إيطاليا والنمسا ، والحفاوة التى لقيها الخديو فيهما بعد سفره فشكرنى على هذه المعلومات . ثم تطرق الحديث إلى الحملة التركية على مصر فحادثته فى ضرورة إصدار

مدحت شكرى بك

ارادة شاهانية تحدد مهمة الحملة حتى يطمئن أهالى مصر ، ويزول خوف ايطاليا كذلك ، فقال : « نعم هذا ضرورى ويجب إجراؤه » .

مقابلتى الثانية لسفير ألمانيا : وفي يوم ٢٥ منه قابلت سفير ألمانيا فأخبرته بأنى أبلغت الصدر تكليفه لى فيما يختص بأمر الحملة ، فوجدت منه امتعاضاً ؛ وكنت أتوقع ذلك كما أخبرته ، أعنى السفير . فضحك وقال : « انما أجابك بأن الارادة ستصدر لامحالة فى وقتها المناسب » . قلت : « والآن أنسب وقت ، لأن الجيش على حدود القنال » . وعرضت عليه صورة مشروع للارادة الشاهانية ، حضرته بناء على طلبه في المقابلة السابقة وهو :

أولا : « نظرا لكون انجلترا منعت الجناب الخديوى من الرجوع لمصر بدون حق ، فمهمة الجيش إرجاع سموه لعرشه . وثانيا : مهمة الجيش أيضا اخراج الانجليز من مصر واعادتها إلى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ . وثالثاً : تعلن الحكومة العثمانية أنها لاتبتغى من زحف جيشها ضم مصر لولاياتها ، ولا احتلال البلاد ، بل احترام الفرمانات التى خولتها استقلالها الداخلى » . وبعد الاطلاع عليها أعادها لى قائلا : « أبقها لوقتها ، وأننى سأقابل الصدر وأطلب منه الاسراع فى إصدار الارادة » . وأخيراً أخبرته أن الأمر الخديوى بتعيين البرنس ابرهيم باشا حلمى لمرافقة الحملة ، قد أرسلت صورته للجناب العالى لتوقيعه .

ثم حادثنى عن حالة الجيش العثمانى فى القوقاس ، وأنها غير حسنة ؛ والجنود كانوا غير منتظمين حتى ذهب اليهم مدد منظم أخيراً ، ثم عرج على حملة مصر فقال: « إنها بعكس ذلك » .

نفقات القائمقام : وفى أول فبراير وصلت إلى أوامر من فينا بالبريد من بينها حجز ألف جنيه من المبلغ الموجود بالخزانة لنفقات سفر البرنس ابرهيم حلمى ، وأنه أرسلت لجلال الدين باشا صورتان موقع عليهما من الارادة الخديوية : إحداهما للبرنس بانتدابه ، والأخرى للصدارة لاخبارها بهذا الانتداب

وقد ظن جلال الدين أنه مأمور بتوصيلهما ، مع أن الأوامر الواردة لى تقول بابقائهما عندى حتى يتقرر سفر دولته من لدن الحكومة العثمانية ، خوفا من امتناعها فى آخر وقت ، فلا يكون من المستحسن عدم تنفيذ أوامر الخديو ؛ خصوصاً وأننا سمعنا من فريد بك ، أن رئيس مجلس النواب لايرى ضرورة لهذا الانتداب

ولما قابلت جلال الدين باشا أخبرنى أنه سلم صورة للبرنس ابرهيم حلمى ؛ ولما سمع بالأوامر الواردة لى، تقرر أن نذهب ومعنا عارف باشا لمقابلة دولته، وإخباره بالأوامر، وبالفعل قابلناه فرد لنا الصورة التى تسلمها.

معارضة الصدر في تعيين القائمقام : ثم تقرر أن يذهب دولته للصدر لجس نبضه فيقول له : «ان الجناب الخديوى لما علم بقرب وصول الجيش للقنال سيرسل الارادة بتعيينى مندوباً من قبله، فهل يرى الصدر مانعا من ذلك ؟ » ويرى كيف يكون رده !

وفى اليوم التالى تقابلنا ؛ فأخبرنا أن الصدر لا يرى مانعا، ولكنه يلاحظ أن هذا العمل قد فات أوانه ، لأنه كان يجب قبل حدوث الانقلاب حينما كان للخديو قائمقام في مصر، فكان يجوز له عزله وإقامة الأمير مقامه. أما الآن فانه يوجد فى مصر سلطان مناظر له ، فالواجب أن يسير بنفسه مع الحملة . فأجابه البرنس : « بأن الخديو كان قد عزم على مرافقة الحملة وأرسل رجاله ومعداته ، ولكن الحكومة التركية أرجعتهم ثانية . فقال الصدر « نعم حصل هذا لأن الوقت لم يكن قد حان . أما فى هذه المرة فسيطلب الخديو للسفر فى الوقت المناسب » . ولما سأله دولته عما إذا كان سيشار إلى ذلك فى ارادة تصدر من السلطان ؟ قال : « نحن لا نقبل شروطا مطلقا ، ونحن لا نرجو الخديو ، وفقط عندما يحين الوقت نكلف سفيرنا فى فينا بأن يطلب منه الحضور للاستانة للحاق بالحملة ، فان قبل كان بها ، وإلا فيعرف صالحه ونعرف صالحنا ! . أما إذا كان يعتقد بأنه يركب وابوراً من تريسته ويذهب لمصر كما حصل عند تعيينه فهذا لا يكون » ! . ثم سأل البرنس عما إذا كان فى النية ترك المصريين المرافقين للحملة الآن ، والذين هم أعداء للخديو ، أم ارجاعهم؟ فرد الصدر بأن هذه مسائل ثانوية تافهة ، لا يلزم ادخالها فى الشؤون الهامة . وانقطع الحديث بينهما بعد ذلك لدخول أحد رجال جمعية الاتحاد الميالين للخديو وهو عبد الحق بك الكاتب المشهور

ولما أخبرنا البرنس بهذا الحديث فكرنا فى الأمر ، ثم قررنا أولا : أن جلال الدين باشا يكلف مالك بك المعين من قبل الجناب العالى للاتصال بجمعية الاتحاد — وهو من أعضاء مجلس إدارتها — أن يستعلم عما قررته الجمعية في صدد سفر الخديو فاذا عرفنا أن ما قررته مثل ما قاله الصدر سافرت إلى فينا لعرض الأمر على سموه ثانياً : نكتفى بما قدمته من البيانات بشأن الارادة . ثالثاً : السعى لدى ألمانيا والنمسا

لتأييد ماطلبه ، ومن التوسط فى ارجاع المصريين المرافقين للحملة الذين هم ضد الخديو وقد بعثت للخديو بالتفاصيل

وفى يوم ٧ فبراير قابلنا مالك بك ، فعلمنا منه أن الجمعية لم تقرر شيئا بخصوص سفر الخديو ، فأخذت فى الاستعداد للعودة إلى فينا ، وللتفكير فى طريق آخر

المقابلة الأخيرة لسفير ألمانيا بشأن الارادة : وقبل السفر قابلت سفير ألمانيا ، وسألته عن الارادة الشاهانية ، فقال : «إنها ستصدر مختصرة ، وموجهة إلى المصريين يقول فيها السلطان : إنه أرسل الحملة لتخليصهم من يد الانجليز وإرجاع الحالة إلى ما كانت عليه مصر قبل الاحتلال »

فسألته عما إذا كان سيشار فيها إلى رجوع الخديو لأريكته فقال : « لا . لأن هذا قررناه مع الصدر» ثم قال : « وقد قلت له إننى باعتبارى سفيرا لألمانيا اتفقت مع سموه ومع أنور باشا على ذلك ؛فلا محيص عن تنفيذهذا الاتفاق ، لأنه لم يكن هزلا ولا لعبا » . فقال الصدر : « إنما أخشى ألا يسير سيرة طيبة حينما يجد نفسه بدون مراقبة ، فيسىء إلى المصريين فيتظلمون » .

قال السفير « وأنا قلت له ذلك ،لأننى أعرف أن الصدر يدعى وجود اتفاق بينى وبين الخديو ، فأردت بكلامى هذا أن أطمئنه من جهة ، ومن جهة أخرى أن يعرف تصميمنا على إرجاع الخديو لمنصبه ، وأنا متحقق من ذكائه واقتداره وهمته » ثم سألته عن رأيه فيما إذا طلبت الحكومة العثمانية سمو الخديو لمصاحبة الحملة فهل يقبل ، مع العلم بوجود بعض خصومه من المصريين معها ؟ فأجاب : « أما كلام الصدر للبرنس ابراهيم حلمى وتهديداته ، فلا معنى لها ، ولا يعول عليها ، ولا بد أنه طامع فى الخديوية » قلت: « هذا أمر معلوم إنما أسأل: هل الخديو يقبل مصاحبة الحملة ؟ »فقال: «قل له من طرفى : إنه يوجد من يحافظ عليه ويحب له الخير » قلت: « إن الأحسن إذا طلب من سموه السفر مع الحملة أن تبذل مساع فى ألمانيا ، للتأثير على الحكومة هنا ، بارجاع أعداء سموه » فقال السفير : « ما على الخديو إلا أن يقبض عليهم ويشنقهم فى مصر » ! فقلت : إن سموه لا يحب خلق مشاكل بينه وبين القائد العام بمجرد دخوله عاصمة بلاده » . وأخيراً كرر على أن أقول لسموه : « إنه يوجد من يحافظ عليه » وأن أقدم له احترام السفير

العودة إلى فينا :وقد سافرت في صباح يوم ١٢ فبراير ومعى جلال الدين باشا

ووصلنا إلى فينا يوم ١٥ منه وقابلنا سموه ، واقتصر الحديث على ابلاغه التحيات التى كلفت إبلاغها له ممن قابلتهم بالآستانة

وفى اليوم التالى حضر جنابه إلى غرفتى ، فقصصت عليه بالتفصيل كل ما أحمله من الأخبار ؛ وهو منتبه أشد الانتباه ؛ وقد سر لما عرف أن الارادة ستتضمن النص على ارجاع مصر لحالتها قبل سنة ١٨٨٢ ، وان لم يأت ذكر لسموه فيها

صدور الارادة : وأخيراً صدرت الارادة الشاهانية ، ونصت فقط على تحديد مهمة الحملة بارجاع حالة مصر لما كانت عليه قبل الاحتلال ، والاحتفاظ بالامتيازات التى خولتها لها الفرمانات

أخبار عن الحالة فى مصر : فى يوم ١٧ من ينـاير توجهت لزيارة قاضى مصر التركى ، الذى عزل من منصبه ، وحضر للاستانة ، فعلمت منه أن الأهالى في مصر مستاءون من هذا الانقلاب ، حتى إنه عندما يدعو الخطيب فى يوم الجمعة للسلطان الجديد لا يؤمنون على الدعاء ؛ وأنه صدر الأمر إلى الخطباء باسقاط اسم الخليفة من الخطبة ، والاكتفاء بالدعاء « لخليفة المسلمين » دون ذكر اسمه ، كما كان المتبع ، وأن أول جمعة صلاها السلطان كانت فى مسجد السيدة زينب ، مع أنه كان ينوى الصلاة فى مسجد سيدنا الحسين ؛ وفى اللحظة الأخيرة بلغه وجود مؤامرة ضده ، فحول قصده ، وبقى رجال البوليس فى طريق سيدنا الحسين لايهام الناس أنه سيمر من هذا الطريق ؛ وأن رجال الحزب الوطنى الذين كانوا ضد الخديو ، قد أصبحوا فى صفه ، حينما تأكدوا أنه مضطهد من الانجليز ؛ وأن طلبة المدارس لبسوا أربطة رقبة سوداء إعلانا للحداد ؛ وأن الشيخ هارون من هيئة كبار العلماء أفتى بتحويل نظارة الأوقاف الخديوية إلى السلطان الجديد ؛ وأن الانجليز آذوا أحمد بك صادق لاتهامه بتبديد أموال الأوقاف

وفى يوم ٢٠ منه كنت في بيك فقابلت الدكتور مصطفى حسنى مورو ، الذى حضر من مصر بمساعدة قنصل أمريكا بها ، فعلمت منه أن السنوسيين استبدلوا بأسرى الطليان أسلحة ، واستعدوا للزحف على مصر ، ولهـذا وضع الانجليز على الحدود من السلوم إلى بنى سويف جنودا انجليزية ؛ ثم توجه الجنرال مكسويل للفيوم ، وقابل مشايخ العرب ، وطلب منهم أن يحلفوا يمين الطاعة فلم يقبلوا أن



امين بك الرافعى

يؤدوها إلا للحكومة المصرية ، فاستاء الجنرال منهم وأمر المدير بحبسهم ، ولكنه أفهمه أن لكل شيخ من هؤلاء أتباعا بين المائة والمائتين ينتظرون عودتهم ، فاذا علموا بحبسهم حدث مالا تحمد عقباه ، فاضطر أن يأمر باخلاء سبيلهم . ولكن السلطان حسين فى يوم تتويجه تلقى وفد مشايخ العربان بشدة ، وقال لهم : « انهم صاروا مصريين لأن لهم عقارات وأطيانا ووظائف بالحكومة ، فهو من الآن لا يعرف عربا وفلاحين ، لأن الكل سواء فى نظر القانون » فساءهم ذلك . وأن الانجليز انتخبوا البرنس حسينا حتى يستعينوا بسلطته على استخدام الجيش المصرى للدفاع عن مصر ، ولكن لم يقع ذلك ؛ وأن الأهالى يستغربون قبول نظار الخديو للانقلاب والعمل مع السلطان حسين ؛ وأن عظمته طلب الأستاذ أمين الرافعى ، وكلفه أن يصدر جريدة الشعب ، فاعتذر بأنه لا يمكنه ذلك إلا إذا صدر أمر مجلس إدارة الحزب ؛ وأن السرايات الخديوية لم تفتش لأن الانجليز علموا أن الخديو أخذ جميع المستندات والأوراق المهمة ، ولم تصادر أملاك سموه لأنها مرهونة ؛ وأن المصريين يعتقدون أن الاتراك يصلون للقناة فى آخر يناير وأن الخديو اتفق معهم على استقلال مصر استقلالا تاما ، وأنه سافر إلى فينا للعمل على مافيه صالح مصر مع الحكومة النمساوية والألمانية

وفى يوم ١٥ فبراير علمت من الشيخ محمد عثمان أن ابراهيم بك راتب الذى حضر من مصر قابل سمو الخديو وأخبره أن الأمة المصرية بأجمعها تنتظر رجوعه بفارغ الصبر ، وأنها معه قلباً وقالبا ، وقال له بلهجة مؤثرة : « أنت قاعد هنا ليه يا أفندينا ؟ أمتك كلها تنتظر حضورك . حرام عليك تفوتها وهى متعلقة بك ... » فبعد أن كان سموه في حالة يأس ، رجعت له قوته وأمله

وفى يوم ٢٥ منه قابلت الدكتور حسين همت وكان فى الأوقاف الخديوية

والدكتور نصر فريد من الحزب الوطنى وعلمت منهما :

١ — أنه حـــدث حريق فى غرفة الاستقبال الكبرى فى عابدين ، أحدثه أحد الفراشين القدماء بقصد احراق السراى كلها ومنع السلطان حسين من التمتع بها .

وأنه ألصقت إعلانات تهديدية للسلطان بداخل سراى عابدين .



ابراهيم راتب بك

نيات الأتراك نحو السلطان حسين : في يوم ٥ فبراير علمت من البرنس ابراهيم حلمى أن الصدر قال فى معرض الكلام عن مصر: « إذا لا سمح الله لم ندخل مصر فاننا نطلب في مؤتمر الصلح إرجاعها إلى ما كانت عليه بما فى ذلك عزل الأمير حسين ؛ وإذا دخلنا فاننا سنشنقه أمام ضوله بغجة . أما طلعت بك ناظر الداخلية فيرى أن هذا المكان ليس به مارة كثيرون ويستحسن شنقه على الجسر » !

بين الصدر والخديو : في يوم ٥ فبراير قابلت البرنس ابراهيم حلمى فعلمت منه أنه دار كلام بين محمد عزت باشا والصدر ، الذى أكد عودة الخديو لعرشه ، ولكنه قال : « إنما أخشى أنه بمجرد أن يصل إلى قصره فى القبة يبتدىء فى أعماله السابقة غير المرضية ، فيأسى الأهالى على عهد الاحتلال الانجليزى » فأجابه عزت باشا : هذا لا يمكن لأن الخديو ذكى ويفهم أن العهد الحالى ليس كالعهد الماضى . قال الصدر . « أنا أشك فى ذكائه ، وأتوقع حصول مخالفات تجرنا إلى نتائج سيئة »

وفى يوم ٢ ابريل قابلت البرنس فى ميركون فأخبرنى أن الصدر مستاء جدا ، لأن ابراهيم بك راتب قال له : « إن الجناب الخديوى يتهمه بأن الانجليز رشوه بمبلغ ١٤٢ ألف جنيه حتى تمتنع الدولة عن دخول الحرب ، وأن الانجليز مخطئون فى تعيين السلطان حسين على مصر ، ولو عينوا الصدر لأمكنه إثارة اليمن ضد الدولة » . وأن دولته أجاب على كلام الصدر بأن هذا لا يمكن أن يقع من الخديو ، فرد بأن قائل

هذا الكلام من المتسبين لسموه وله علاقات بحاشيته . ثم إن الصدر أرسل لسفير الدولة فى فينا يطلب منه أن يسأل الخديو عما ينسبه اليه ابراهيم راتب ؛ فجاء الرد بنفيه وعلمت أن تقرير السفير كان فى صالح الخديو .

قال البرنس : والصدر يخلق الفرص للطعن في الخديو ، وكان يوما فى النادى الشرقى مع سفير ألمانيا وعزت باشا ، فدار الحديث عن المصريين فقال : « إنهم كخديويهم لايساوون شيئا » وهو كثيرا مايحتد ويصيح قائلا : « نعم هو الخديو الشرعى ، على رأسنا ! ، وأنه يعود إلى عرشه على رأسنا ! ولكن تصرفاته سيئة »

وفى يوم ٩ منه كنت مع الدكتور نصر فريد والدكتور سيد كامل ، وبينما نحن نتحدث حضر ابراهم بك راتب ، ودار الحديث حول مصر والمخلصين لقضيتها والدسائس بين الخديو والصدر ، فوجهت الكلام لراتب بك فيما بلغ الصدر من حديث الخديو نقلا عنه ، كما أبلغنى البرنس ابراهيم حلمى ، فقال مستغربا : « هل البرنس ابراهيم قال ذلك ؟ » قلت : « نعم . وربما كانت دسيسة ضدك حتى يبعدوك عن الخديو » فلم يوافق على هذا الكلام ، واكتفى بالسكوت ، إلا أن عدم تصريحه بالنفى أرابنى من ناحيته . فقلت : « يسوؤنى أن أجد دسائس تقوم بين عظيمين يديران دفة مملكتين اسلاميتين مهمتين ، لأجل تفريقهما ، مع أننا فى وقت نحتاج فيه إلى الوفاق ؛ ولعنت الدساسين الذين ليس من ورائهم إلا الخسارة » . ثم قلت : « يوجد بين محبى الطرفين من يمكنه أن يزيل هذا الشقاق ، فلماذا لا نسعى للوفاق ؟ إننى أعمل لهذا » . فقال راتب بك : « أما أنت ياباشا فانه معلوم أنك تحب الوفاق » قلت : « وأنا أعرف واحدا محبا للجانبين ، ومخلصا لهما ، ويستطيع التوسط في هذا الموضوع ، وهو عماد الدين بك . فليفعل » قال راتب : « إن من طبيعة الصدر ، أنه إذا رسخ فى ذهنه شىء عن انسان فلا يمكن تحويله عنه » يعنى أن الصدر على ثقة أن الخديو ضده ، ولايمكن تغييراعتقاده

وفي هذا اليوم قابلت سفير ألمانيا وساقنا الحديث إلى الكلام عن الصدر وما يشيعه من اتهام الخديو له ، فأبلغته نفى راتب بك للخبر ؛ فأخبرنى أن رجال الدولة والسلطان وزوجة الصدر نفسه ينتقدون خطته

وفى يوم ١٣ منه أخبرت البرنس بحديثى مع راتب بك فاستغرب ، وقال : « هل الصدر إذن كذب في ادعائه ؟ » قلت : « لا أظن . ولكن ربما لم يبلغه ما

بلغه من راتب رأسا ، بل بواسطة جعلت من الحبة قبة » فقال : إن « هذا الشاب لما حضر للاستانة قال : « علمنا ونحن فى مصر أن الخديو متفق مع الخلافة ، ومتحد مع رجال الدولة ، ولكنى أسفت لما علمت عند حضورى بأنه فى شقاق مع الصدر الذى يقول عن سموه كذا وكذا » . ثم أخبرته بما قاله لى سفير ألمانيا عن الصدر فقال : « انه خرج عن حد الاعتدال ، حتى أنه أصبح يصيح بأعلى صوته أمام المأمورين فى الصدارة قائلا : « هل تقبلون أن يدعى الخديو على أننى ارتشيت من الانجليز ؟ ! » .

وفي يوم ١٨ تناولت الغداء مع محمد عزت باشا ، فأبلغته نفى ابراهيم بك راتب لما قيل من أنه هو الذى أبلغ الصدر كلام الخديو عنه ، فرد مؤكدا بأنه قال هذا الكلام شخصياً للصدر مرتين .

وفى يوم ٨ مايو كنت مع حسين حلمى باشا سفير الدولة فى فينا ؛ وجاء ذكر الشقاق بين الخديو والصدر ، فأظهرت له أسفى لهذا الشقاق فى وقت يجب فيه الوئام ، وأثنيت على السفير لأنه أرسل للصدر بنفى التهمة عن الخديو فى أسلوب لطيف ، فقال : « أنا كتبت مرتين » قلت : «ان الصدر الآن خفف وطأة الكلام ضد الخديو ؛ ومن الواجب على بصفة كونى مصرياً وعثمانيا أن أجتهد على قدر الامكان في انتهاز الفرصة المناسبة للتأليف بينهما . والآن توجد فرصة مناسبة وهى أن الدولة قدمت مساعدات لبعض الموظفين وأرباب المعاشات بحاشية الخديو ؛ فيصح أن يكتب الخديو رسالة شكر للصدر ، أو أن يرجو دولة السفير إبلاغ شكره ، فتتحسن العلاقات » . فاستحسن كتابة رسالة خطية لأنها تكون أوقع . ثم قال : « ان بعض الحاشية يتفوه أحيانا بكلام ليس من الحكمة التفوه به ، فيحسب أنه



حسين حلمى باشا الصدر الاعظم

صادر من الخديو نفسه ، وأنه ذكر لحاشيته هذه الانتقادات فرددتها . وأنا لم أسمع من الخديو شخصياً أي انتقاد ؛ ولا يمكن أن يقدم رجل ذكي مثله على اتهام الصدر بالرشوة ، وإلا كان مجنونا »

وفي يوم ٢٣ مايو كنت أحضر جلسة من جلسات اللجنة التي كانت قد شكلت للنظر في كل مايهم الخديو وهي مؤلفة مني ومن فريد بك ويوسف صديق باشا و د ى . بك والاستاذ فهمي والأستاذ سيد كامل، فعرضت فكرة التقريب بين الخديو والصدارة بكتابة رسالة الشكر التي سبق الحديث عنها مع السفير : ثم حضر الخديو الجلسة ففاتحه فريد بك بالحديث في هذا الشأن ، وذكره أن هذا العمل يحسن العلاقات بينهما فأمنت على كلامه قائلا : « إن أفندينا يريد انتهاز الفرص من وقت لآخر للمخابرة بصفة كونه خديوياً مع الباب العالي ، وهذه هي فرصة مناسبة » وقال فهمي : « إن إظهار المودة ـ ولو ظاهرياً ـ ربما يمنع عنا ضرر حقده ـ أي الصدر ـ على المصريين » وأظهر « ى بك » أن من الضروري كتابة هذه الرسالة . فقال الخديو : « إنكم تعملون معي كما كان النظار يعملون . فانهم كانوا يقولون لي : ياأفندينا نحن نساير الأنجليز ونرضيهم لنمنع عنا ضررهم . وبعد أن أوافقهم ونعطيهم مايريدون ، يرجعون إلى قائلين : إنهم لم يمكنهم أن يستفيدوا من الأنجليز شيئاً »

فقال الأستاذ فهمي : « إن النظار ربما كانت لهم أغراض . أما نحن فأننا لانريد إلا خدمة البلاد »

وفي النهاية وعد الخديو على مضض بكتابة هذه الرسالة .

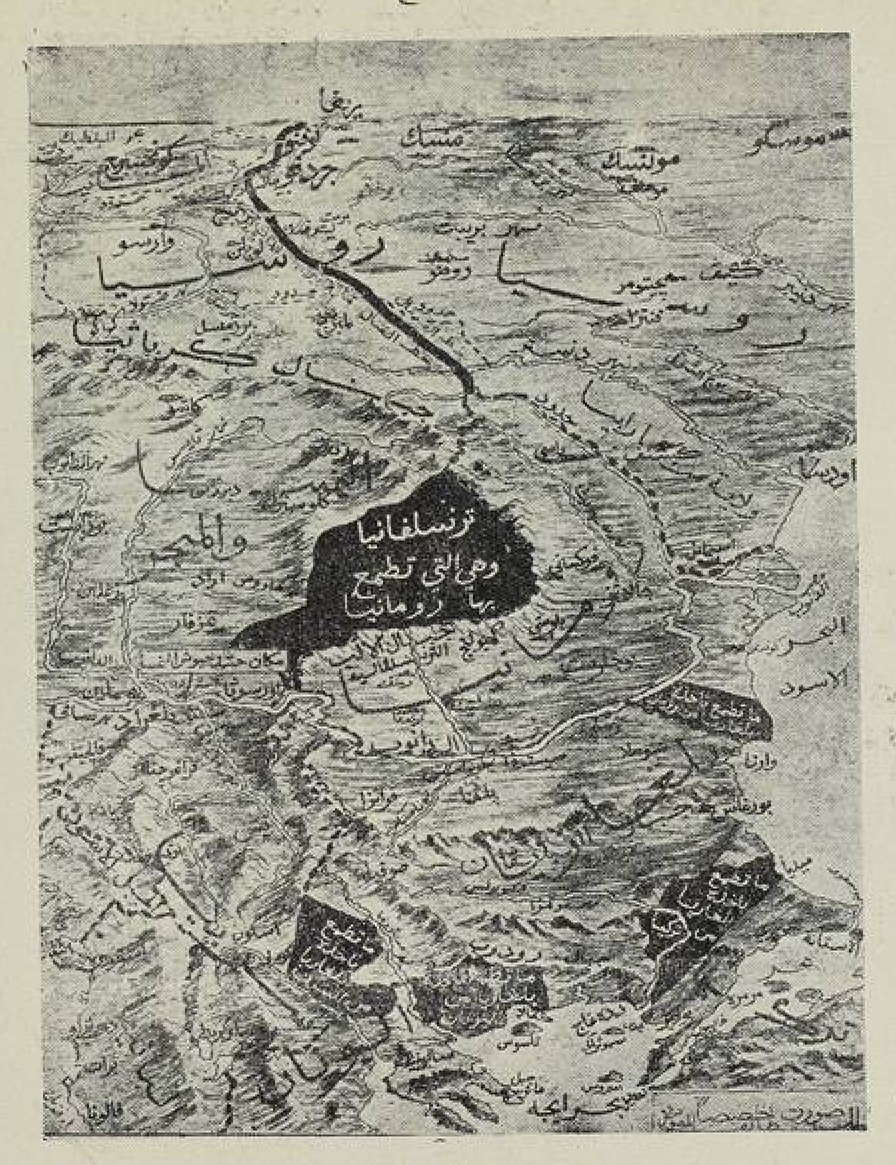
وفي اليوم التالي أمر سموه ثريا بك الألباني من المقربين له بعد الحاح مني أن يحرر رسالة الشكر ، وقد وقع عليها سموه شبه مكره .

وسافرت للاستانة يوم ٢٥ ومعي هذه الرسالة . وكان فريد بك قد سافر اليها كذلك ؛ وتواعدنا على زيارة الصدر ، فزرناه يوم ٣٠ مايو ، وأبلغته تحيات الخديو وقدمت له الرسالة التي أحملها ، فأخذها شاكرا ، وكنت أحس أنه مسرور ، وأنني أفلحت في مهمتي •

فشل الحملة التركية على قناة السويس : جاء ذكر هذه الحملة في مذكرات سنة ١٩١٤ ، والخطوات التي خطتها إلى نهاية هذه السنة . والآن نعود اليها لتفصيل ما تم بشأنها في سنة ١٩١٥

في يوم ٨ فبراير قابلت سفير ألمانيا في الآستانة فعلمت منه أن الجيش العثماني

وعدده عشرون ألف جندى ، تقدم إلى القناة على خمسة أقسام ، ألقى أحدها جسراً نقالا فى نقطة بالقرب من الاسماعيلية ثم رجع إلى سينا تاركا خلفه ثلثمائة عسكرى

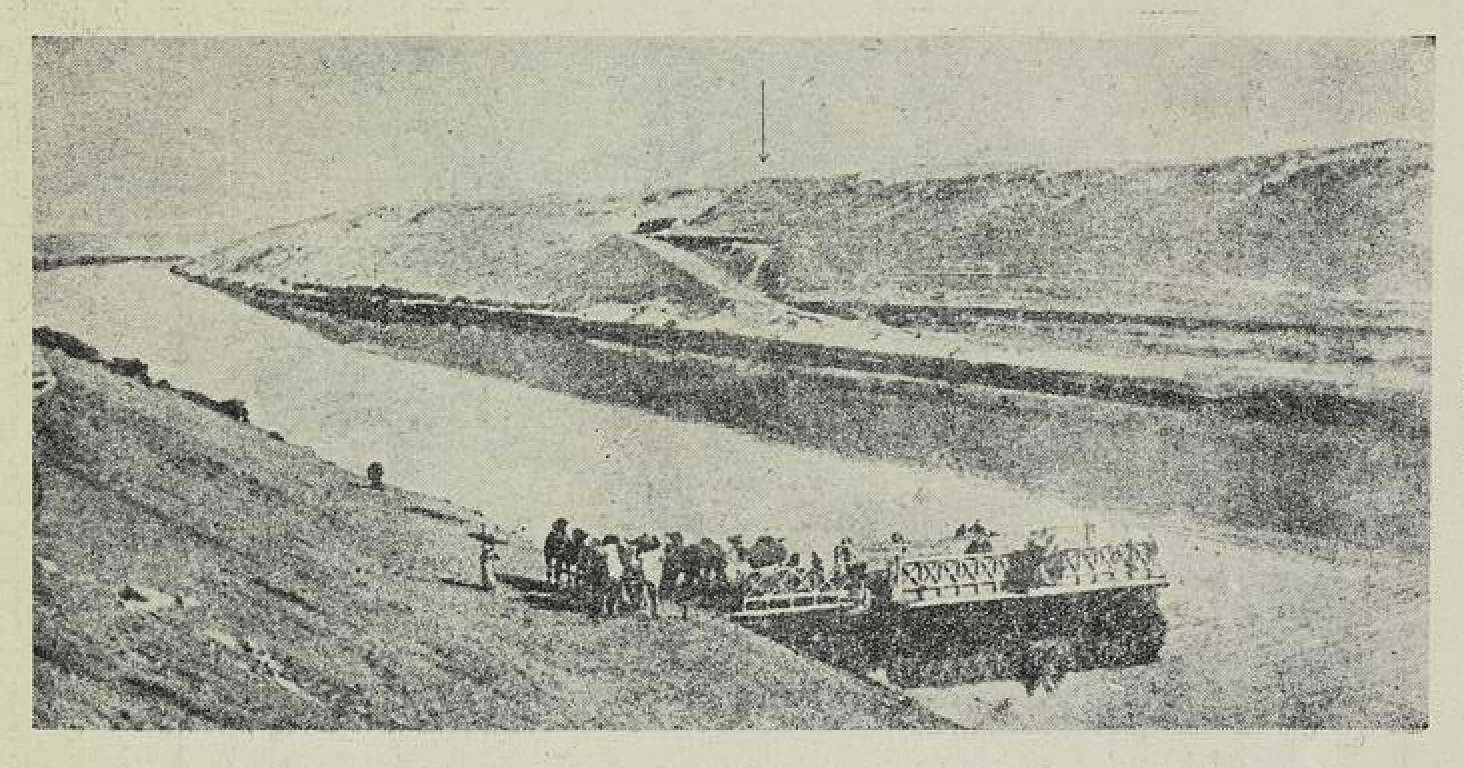


خريطة سير الحملة التركية (١)

لابد أن يكون الانجليز قد أخذوهم أسرى . وأن سبب الرجوع عدم كفاية القوة

---

(١) عن اللطائف المصورة



منظر فشل الأتراك على القناة

عن اللطائف المصورة

العثمانية الهاجمة ، ولكنها تمكنت من أخذ موقع مرتفع على بعد سبعة أميال من القناة . وهذه التجربة تدل على أنه فى الامكان العبور فى المستقبل ؛ كما أن « أركان حرب » الحملة وقد عرف حالة الدفاع الانجليزى سيدبر أمره على حسب المعلومات التى حصلها ؛ وسنرسل مدافع من عيار ٢١ سنتيمترا . وأقول لك بصفة سرية : إذا احتاج الأمر سنرسل جنودا ألمانية ، لأننا صممنا على محاربة الانجليز إلى النهاية ولو تم الصلح مع فرنسا وروسيا . لهذا سنهتم باتمام السكة الحديدية من برلين إلى القاهرة بين بوزانتى وقره قولاق لتسهيل النقل » ، ثم قال : « إن ألمانيا تعلق أهمية كبرى على هذه الحملة ولابد من كسر الانجليز هناك » قلت « إنه ينتظر إذا هزموا أن يثور الشعب ضدهم فى مصر والسودان كذلك ، وأن الشيخ الطيب من أقارب قاضى الخرطوم أكد لى هذا العزم » فسر السفير لهذا الخبر .

وفى يوم ٢٥ منه علمت من الدكتورين نصر فريد وحسين همت من أخبار الحملة ما يأتى :

١ — ان الضابط المصرى المدفعى محمد توفيق افندى الذى كان ببطارية الاسماعيلية طلب اعفاءه من أداء واجباته ، فقبل ضابط مصرى أن يحل محله ، ولما وقع القتال على القنال رفض الجنود المصريون استعمال المدافع ضد الأتراك ، فأخذ الضابط نفسه يستعمل المتراليوز ، ولكن أصابته قنبلة أماتته فى الحال ، ولم يقبل ضابط آخر أن يحل محله



المرحوم الصاقول اغاسى الطوبجى
محمد افندى توفيق

٢ — يشاع أن الجرحى من الانجليز فى واقعة القناة نحو ثمانمائة والأهالى يقولون إن هذه مناوشة كشفية ، وأنها نجحت ، وأنه عند ماتتجمع قوى الأتراك لايقوى الانجليز على دفعها ، ويهزأون بدعوى الانجليز أن الرمال كانت سببا فى تقهقرهم فى جهة الاسماعيلية



جثث الأتراك والمصريين بعد حادثة العريش فى سنة ١٩١٥

٣ — زار السلطان حسين جرحى الأتراك بمستشفى قصر العينى، فسأل ضابطاً طرابلسى الأصل عن عدد جيش الأتراك، فرد عليه قائلا: «وما مقدار قوة الانجليز؟ فهل يمكنك أن تجيبنى؟» فقال: «لا» فقال: «وأنا كذلك لا أستطيع إجابتك!» فسأله السلطان: هل أنت مستريح للطعام بالمستشفى؟ فأجابه: «ماجئنا لنأكل وليتنى مت فى الموقعة»!

٤ — بعد موقعة القناة ابتدأ الأهالى يتخلون عن السلطان، ويجاهرون بالعداء للانجليز والتجمع فى المقاهى على الرغم من وجود الجواسيس، وأحس الانجليز خطورة مركزهم أمام الأهالى، والبوليس المصرى يتظاهر بتنفيذ الأوامر ولكنه فى الحقيقه لا يعمل بها

مشروع انشاء مستشفى يحمل اسم الخديو: فى أثناء وجودى بالاستانة حضر الدكتور مورو اليها وفكر فى إنشاء مستشفى باسم «مستشفى الهلال الأحمر الخديوى» لمعالجة الجرحى الأتراك والمصريين من المصابين فى الحملة على مصر وغيرها

وقد عقد اجتماع لبحث هذه الفكرة من بعض «البرنسات» المصريين والأعيان المقيمين بالاستانة، وكنت حاضرا هذا الاجتماع تحت رياسة البرنس ابراهيم حلمى فاقترحت أن يتبرع جميع المصريين الذين يتناولون إعانات شهرية من خزانة الدولة بما يعادل ١٠ ٪ من مرتباتهم

وقد اعترض الدكتور صالح صبحى بك على المشروع بأن موارده المالية لا تسمح بتنظيمه والقيام بنفقاته، واقترح أن تحول التبرعات للهلال الأحمر التركى، وأورد محيى الدين بك جلال اعتراضاً آخر على اسم المستشفى، مشيراً إلى الخلاف القائم بين الاتحاديين والخديو، وعدم استحسانهم لأن يحمل المستشفى اسم سموه

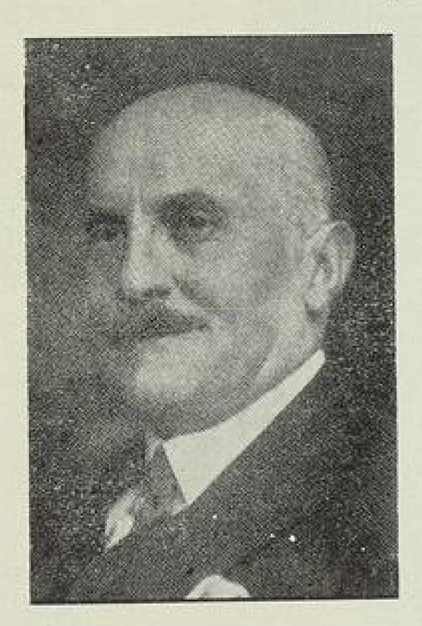
فأجبت على الاعتراض الأول بأن المستشفى سيكون فى إحدى سرايات جبوقلى حيث تتوفر الأسرة والنور الكهربائى والمياه الصالحة، وهذا يوفر كثيرا من المبالغ

وردت على الاعتراض الثانى بأن الاتحاديين لا يزالون معترفين بخديوية عباس ، ولذلك لن يعترضوا على تسمية المستشفى باسمه .
وأخيراً انتهى المشروع إلى الفشل

مشروع خطير لفصل فرنسا عن انجلترا فى الحرب العظمى :

تعرف الخديو بموسيو كايو وموسيو بولو : تعرف الخديو بباريس فى صيف





بولو باشا



الموسيو يوسف كايو

سنة ١٩١٤ برجل فرنسى يسمى « بولو » بواسطة يوسف صديق باشا وهو ينتمى إلى موسيو « كيو » الوزير السابق ، الذى عرفه الخديو كذلك عند ما كان فى باريس
وحدث أن أحد محررى جريدة الفيجارو ويدعى « كلمت » (شقيق الآنسة تالبوتيه معلمتى الفرنسية فى أثناء دراستى وقد عرفتنى به) نشر مقالا يتهم فيه موسيو « كيو » بالاختلاس وبخيانة وطنه لسعيه فى خدمة ألمانيا . فما كان من زوجته إلا أن ذهبت لهذا المحرر وأطلقت عليه رصاصة من مسدسها أردته قتيلا ، فقدمت للمحاكمة الجنائية .
وقد طلب مسيو « كيو » من الخديو أن يبذل نفوذه لدى رئيس محكمة الجنايات لانقاذ قرينته ، وعرف سموه به فى مأدبة خاصة . فسعى بجميع الوسائل لديه ، ومن ذلك أن وعده بالانعام عليه بنيشان كان يطمح إليه . وكانت النتيجة براءة مدام

« كيو » ، وأصبح زوجها من هذا الوقت يود أن يقدم خدمة لسموه رداً لجميله .

الخديو يعمل لحفظ العرش له أو للبرنس عبد المنعم : ولما نشبت الحرب رأى الخديو أن يستعين بموسيو « بولو » الذى أشار « كيو » على سموه باستخدامه ، للسعى فى لندن لدى « ربرتسون » أحد أصحاب النفوذ فى إنجلترا للحصول على وعد من الحكومة الانجليزية بأنها تعيد الخديو لعرشه أو على الأقل تعامله معاملة حسنة بتعيين نجله البرنس محمد عبد المنعم بعد السلطان حسين

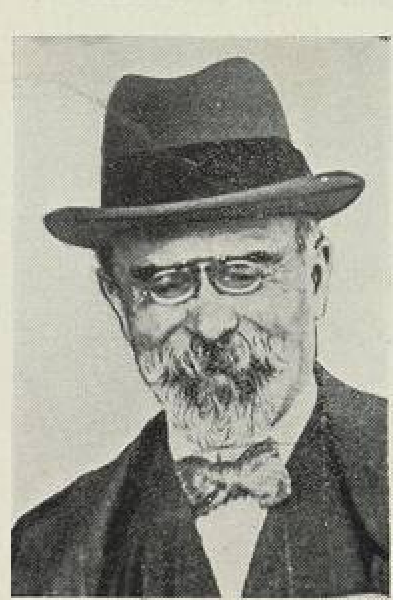
وقد قام « بولو » بهذا المسعى ، ولكنه أخفق فيه وقابله « ربرتسون » بخشونة ، وقال له . كيف تتحدث فى هذه الظروف فى شأن كهذا ؟ ، وأمره بالرجوع من حيث أتى ، وإلا نبه الحكومة الانجليزية للقبض عليه .

تفكير بولو فى مشروع صلح انفرادى بين فرنسا وألمانيا : وفى ٢١ ديسمبر سنة ١٩١٤ كان « محمود خيرى بك » من الحاشية الخديوية بباريس ، فكلفه « بولو » أن يرسل برقية إلى « يوسف صديق » ليقابله فى جنيف

وفى ٢٩ منه تقابلا ونقل عنه يوسف باشا ما يأتى : —

إن حالة الجيش الفرنسى ليست على ما يرام ، ولكن يمكنه المدافعة مدة طويلة ، والألمان لا يرغبون فى محو فرنسا ، ولا يقصدون إلا القضاء على نفوذ الانجليز .

ولذلك فكر بولو فى مشروع خطير يقضى بتحسين العلاقات بين فرنسا وألمانيا للوصول إلى الصلح بينهما . وذلك باستمالة بعض أصحاب الصحف المهمة فى فرنسا وبعض كبار الفرنسيين مثل « بارتو » و « كليمانصو » و « بريان » ومساعدة موسيو « كيو » بنفوذه على أن يسير العمل سريا . ولهذا فكر في انشاء بنك كاثوليكى يكون شقيق البابا « الكونت دى لاكيزى » مديرا له ، وهذا البنك يقوم بهذا العمل بأمواله التى ستدفع من ألمانيا . ولو علم أنه فعل ذلك فلا حرج لأن من وظيفة البابا أن يعمل لصالح الانسانية الذى يقضى بوقف

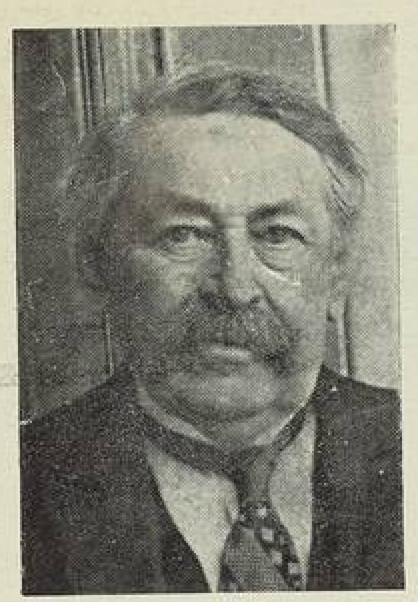


مسيو بارتو

الحروب . وطلب من « يوسف صديق » ألا يبوح الخديو بسر المشروع لأى إنسان وألا يتحدث فيه إلا مع امبراطور ألمانيا نفسه ، لأن الفرنسيين لو علموا الآن شيئا عنه لفتكوا به ، أما اذا تم فانهم يرفعونه فوق رءوسهم .



الموسيو كليمانصو



موسيو بريان

الخديو يعمل لمقابلة الأمبراطور : وقد وافق الخديو على هذا المشروع الخطير وبدأ يعمل لمقابلة الأمبراطور وعرضه عليه ؛ ولكن رجال تركيا كانوا يعاكسونه ويعرقلون هذه المقابلة ، خوفاً من اتصاله رأساً بالأمبراطور .

ولما يئس من المقابلة ، أرسل إلى برلين لاستحضار « البارون أوبنهايم » المستشرق الألمانى ، وكان بقنصلية ألمانيا فى مصر ، وأسر اليه المشروع كما أسره للسفير الألمانى فى فينا ، ولكن الموضوع أهمل ، ولم يهتم به أحد فى المبدأ ؛ ولم ترسل وزارة الخارجية ردها على السفير .

العودة إلى التفكير فى المشروع : وكان الخديو قد تعرف فى فينا برجل ألمانى كبير اسمه « سمرى » فدعا سموه لمأدبة تضم سفير ألمانيا فى رومه سابقاً وكان الخديو يعرفه ، فانتهز هذه الفرصة وحادثه فى المشروع فأظهر اهتماما كبيراً به ، وخاطب وزارة الخارجية الألمانية ، فورد له الرد بأن ألمانيا تقبل مبدئياً هذا المشروع .

عندئذ أرسل الخديو « يوسف باشا صديق » لمقابلة «بولو» فى رومة حيث كان يمهد لانتخاب شقيق البابا مديراً للبنك الكاثوليكى وإخباره بهذا الرد ، ثم مقابلة البارون « أوبنهايم » فى برلين وتعريفه بنتيجة المسعى .

تكليفى بمهمة خاصة بالمشروع : وبعد سفره تقرر أن أسافر إلى برلين لمقابلته عند عودته من رومه إلى برلين ، وإفهامه أن يخبر « أوبنهايم » بعدم نجاحه فى مهمته عن مشروع البنك فى إيطاليا ، وأن يقابل ناظر الخارجية ويعرض عليه تفاصيل الموضوع دون أن أرافقه أنا فى هذه المقابلة .

وقال لى سموه : « إن يوسف صديق سيسلمك رسالة لى » فقلت : وهل لا يكفى طريق البريد العادى لحمل هذه الرسالة » ، فأجابنى بأنها ليست مما يرسل بالبريد ، وأنه سيخبرنى بالمسألة بعد ذلك (ولم أكن حتى الآن عرفت حقيقة المشروع) .

وقد سافرت فوصلت برلين يوم ١٧ فبراير وبقيت أربعة أيام انتظر يوسف باشا .

وفى يوم ٢١ حضر وأخبرنى أنه فشل فى مهمته بأيطاليا ، لأنه لما قابل بولو لأبلاغه رد نظارة الخارجية وجد المسألة فشلت ، نظراً لسوء التفاهم بين البابا وألمانيا بمساعى فرنسا من جراء مسألة « الكردينال مرسينه » البلجيكى ... فأمر البابا شقيقه الذى كان قد اختير لأدارة البنك بالانسحاب ؛ ولكن ألمانيا اجتهدت بعد هذا فى تسوية المسألة ولم يتم شىء بعد ذلك .

ثم ذهبنا لمقابلة «أوبنهايم» فأخبره «يوسف باشا» بفشله فى مهمته ، ولم يذكر اسم «بولو» بل قال : إن الواسطة هو أحد المعارف ، فقال البارون : « أليس هو الرجل المسمى بولو الذى قال لى عنه الخديو » ؟ فأجابه نعم ! ، ولكنه دهش لأن الخديو كان كلفه ألا يعرف البارون باسمه !

موافقة وزير الخارجية على المشروع : وفى يوم ٢٣ منه تقابل « يوسف باشا » لأول مرة مع موسيو « ياجو » وزير الخارجية وشرح له مشروع فصل فرنسا عن حلفائها ، وعمل صلح انفرادى مع ألمانيا فاهتم الوزير بهذا المشروع وحدد للباشا يوم ٢٥ منه للكلام فيه ؛ ولما رجع من الزيارة علمت منه هذا المشروع الذى كان الخديو كتمه عنى ، وأن « ياجو » قبله ، وصرح باستعداد ألمانيا لأن تنفق عليه من عشرة مليونات إلى خمسة عشر مليون مارك على أقساط شهرية فى مدة سنة ، وأن يكون الدفع

باسم الخديو على أحد المصارف بسويسرا وهو الذى يتصرف حسبما يراه ، بحيث لا يعلم أحد أن هذه المبالغ آتية من ألمانيا أو النمسا

وقد فهم يوسف باشا ، أن ألمانيا كانت قد وجدت ايطاليا يقوم بعمل كهذا ولكنه لم ينجح .

وقد أعد يوسف باشا الخطاب بما تم فى المشروع ، وسلمه لى ، فسافرت به

ولما عرف الخديو بحضورى جاء إلى غرفتى فأخبرته بما لدى ، وسلمته الرسالة وبعد قراءتها ظهر عليه السرور وعندها أخبرنى بالمشروع

وقد أعلمته أن يوسف باشا أفهم أوبنهايم أن المشروع قد فشل ورجوت سموه أن يكتم الأمر عن صاحبته الفرنسية « مدام لوزانج » - التى تعيش معه فى الفندق - وإذا كانت قد علمت فيخبرها بعدم نجاحه

وبعد التدبر قال سموه : « أنا لا أريد أن أكون مسئولا وحدى ؛ وربما يلعب يوسف أو بولو بقصد الانتفاع ، فلا بد أن أطلب وجود واحد موثوق به عند نظارة الخارجية ، ليكون العمل والاتفاق باشتراكه معى . »

موافقة الامبراطور نهائيا على المشروع : وفى يوم ٢٧ فبراير عاد يوسف باشا وعرض على الخديو نتيجة مهمته ، ثم أخبرنا أنه قابل ناظر الخارجية مرة أخرى وفهم منه أنه قابل الامبراطور فوافق على المشروع بتفاصيله السابقة مضافا اليها أن الدفع يكون بواسطة أحد المصارف فى زوريخ وأن النمسا قد تشترك فى النفقات.

تخوف الخديو من يوسف : وبعد خروج يوسف باشا خلا بى الخديو وأعاد على ذكر مخاوفه من يوسف باشا ، قائلا : « إننى أخشى من تلاعب يوسف ، وأنا أعرفه ولا بد أن أقوم بهذا العمل بنفسى ، وأفهم بولو ألا ينخدع باقواله ، وأن يقطع كل صلة به ، ولكن كيف نمنعه من مقابلته قبل أن التقى به وأحذره ؟ » فأجبته بأننى على استعداد لمساعدة سموه فى منعه بطريقة غير محسوسة ، وما عليه - عند سفره إلى سويسرا للاجتماع ببولو - إلا أن يرسل لى برقية بالحضور اليها فوافقنى على ذلك .

سفرى إلى سويسرا : وبعد هذه الحادثة بيوم واحد سافرت إلى روما ومنها إلى سويسرا تمهيدا للاجتماع ببولو ، فقصدت أولا إلى جنيف ، وقابلت فيها على الشمسى بك والاستاذ فهمى

وفي يوم ٨ مارس قمت من جنيف قاصدا زويرخ بناء على أمر الخديو للاستعلام عن المسائل الآتية : —

اولا : هل يمكن للمقيم فى زويرخ التوجه إلى مدينة رورشاخ والعودة منها فى نفس اليوم

ثانيا : المدة والمسافة بين الذهاب والاياب

ثالثا : أحسن الفنادق فى رورشاخ

رابعا : المواصلات بين رورشاخ وبريجنز (فى النمسا) - براوبحرا - والاستفهام عن مسافة الطريق بالعربة والسكة الحديدية والبحر وعدد القطارات

وقد قمت بهذه الاستعلامات ، والغرض منها مقابلة بولو بعيدا عن يوسف صديق ، وسافرت من زويرخ الى رورشاخ . وفى صباح يوم ٩ وردت الى برقية بالرجوع إلى فينا حيث كان الخديو لا يزال بها ، وعلى أثر ذلك جاءنى ضابط « ليتحرى » عنى وعن سبب حضورى نظرا لهذه البرقية ، وقد أعطيته كل المعلومات ؛ ولم أخبره بوظيفتى ولا رتبتى ؛ ثم سافرت من رورشاخ إلى « بريجنز » ، ومنها إلى « انسبروك » ، ووصلت إلى فينا صباح يوم ١١ مارس ، فعرضت على الخديو معلوماتى .

وقد تقرر أن أعود إلى جنيف ، فرجعت فى المساء مع اننى كنت متعبا ، ووصلت صباح يوم ١٢ منه . وهناك وجدت برقية إلى الدكتور همت أحد أطباء السراى واحمد بك صادق الذى رافقنى الى جنيف أن نسافر جميعا إلى زويرخ ؛ وننتظر فى فندق سافوى . وقد سبقانى ، وبقيت بعدهما لبعض مهام عائلية حيث كانت تقيم عائلتى ، ثم لحقت بهما يوم ١٣ وهناك سلمنى أحمد بك صادق برقية من يوسف باشا في « سان جال » فى سويسرا بأن أرسل صادق بك والدكتور همت ونخر الدين أغا الحارس الخاص للخديو إلى رورشاخ غدا حيث يحضر سموه ، وقد سافروا فى اليوم التالى ثم لحقت بهم .

حضور الخديو ومقابلة بولو باشا : حضر الخديو يوم ١٥ منه وفى اليوم التالى خلا بى وتداولنا فيما يجب عمله لمنع يوسف باشا من الاجتماع ببولو : فهل نذهب جميعا إلى زويرخ أو نرسل لبولو بالحضور إلى سان جال ونقابله هناك ؟

وفى يوم ١٧ مارس أرسل الخديو يوسف باشا لمقابلة ناظر خارجية ألمانيا للتفاهم معه على طريقة العمل وصرف المال — فلم يعد هناك داع لمقابلة بولو بعيدا

عن زوريخ ـ فسافرنا من روورشاخ إليها ونزلنا فى فندق سافوى وهناك حضر موسيو بولو ، وكان الخديو أمرنى بانتظاره فى الفندق ـ وأنا لا أعرفه ـ ولكنى رأيته يسأل قلم الاستعلامات فعرفته ، وأرسلت من يخبر الخديو بقدومه ، فنزل فى الحال ؛ ولما رآه بولو عانقه بحرارة ـ على الطريقة الشرقية ـ فجال فى نفسى أن هذا الرجل مخادع ، وأنه يتظاهر بهذا الأخلاص تظاهرا فقط لغرض فى نفسه .

فأخذ الخديو بيده وذهبا إلى الجناح الذى يقيم به مع صاحبته وظل ، بعد ذلك يخلو به ليل نهار . ولايخرج إلا قليلا فى المساء .

وفى أثناء ذلك أطلعنى الخديو على رسالة من كيو يحملها بولو ، وفيها أنه يرسله لسموه ليكون تحت تصرفه ، وأن يعهد إليه بمباشرة مصالحه في مصر[1] ـ وكلفت ان أرد على هذه الرسالة فكتبت رداً مختصرا بالشكر له على اهتمامه بشؤون الخديو ومصالحه دون الأشارة بشىء إلى بولو ومشروعه ، خشية أن يقع هذا الخطاب فى أيد أخرى ، ولكن لم يرق فى نظره هذا الاختصار وعدم التصريح بمهمة بولو فلاحظت له . أن هناك خطرا فى التصريح إذا ضبط الخطاب؛ ومع هذا فقد حررت الرد بطريقة لايستمسك فيها بشىء . فأخذ منى « المسودة » دون أن يكلفنى « تبييضها » فعلمت أنه لم يقتنع بالرد وكتبه هو وصاحبته بطريقة لا أعلمها .

تفكير الخديو فى ابعاد يوسف عن المشروع : وفى يوم ١٨ صرح لى بأن بولو يتضايق كسموه من يوسف صديق باشا، وأنه كاد يهم بالتخلى عن العمل لولا الخديو ، وأن من رأيه ابعاده نهائيا . فلاحظت أن هذا العمل خطر وربما كان سبباً فى أن يفشى يوسف الأسرار ويحدث مالا تحمد عقباه ، وأن الأفضل اتخاذ طريق غير محسوسة لأبعاده . وقد كنت اتحدث مع الخديو بالعربية لحضور صاحبته معنا ، ولكن ظهر أنها فهمت لأنها قالت « شوية شوية » تعنى التمهل فى الأمر ، وهذا ما كنت أخشى منه أكثر من خشيتى يوسف .

وفى يوم ١٩ سافر بولو باشا وعدنا نحن جميعاً إلى فينا فوصلنا اليها صباح يوم ٢٠ .

وقد عاد يوسف يوم ٢١ من برلين وأخبرنا بما يأتى :

أولا : كان وزير الخارجية فى مقابلة سابقة معه قد طلب أن يشمل المشروع

---

(١) وقد انعم عليه الخديو برتبة الباشوية

تشكيل قلم مخابرة فى سويسرا لنشر أخبار ألمانيا، والدعاية لها، ومحاولة إدخال ذلك إلى فرنسا وانجلترا؛ ولكن بولو لم يوافق على هذا وقال: إن الأمر لو عرف لأعدم باعتباره جاسوساً، وبسبب اشتراكه فى المشروع؛ وقد وافق الوزير على هذه الملاحظة أخيراً.

ثانيا: وكان الوزير قد عرض فكرة شراء أسهم فى الفيجارو والطان فلم يوافق بولو أيضاً قائلا: إنه لا أهمية لها ويخشى أن يتعرض لانتقاد ألمانيا من جراء ذلك فيما بعد؛ وقد ترك له الوزير الحرية فى العمل

ثالثا: يرى بولو ضرورة إنشاء جريدة سياسية «راديكال سوسيال[1] Radical Social» فى باريس يتولى كتابتها محررون ينتخبهم هو ويعطيهم مرتبات ويختارون من أعضاء مجلس النواب الفرنسى أو مجلس الشيوخ.

رابعا: إن خطة بولو ليست شراء الصحف، بل شراء أصحابها ليكتبوا فيها مقالات بقصد بذر الشقاق بين فرنسا وانجلترا، ثم التكلم بعد ذلك فى الصلح بغاية الاحتراس.

خامسا: طلب بولو أن يكون أول قسط مليونين ونصف مليون مارك، والثانى كذلك، وأما بقية الأقساط فتدفع مليوناً فى كل شهر فوافق الوزير.

مطامع يوسف باشا وصاحبة الخديو: وفى اليوم التالى تقابل معى يوسف باشا فتحادثنا في الموضوع، وجاء ذكر رجل اسمه «كافالينى» الطليانى الذى كان يرافق بولو وقد علم منه بالمشروع وله رأى يقضى بشراء بعض الصحف الأيطالية، وهو من معارف محمد يكن باشا فقلت: «لابد أن مسيو كافالينى سيأخذ من بولو نصيباً من المال فى مقابلة قيامه بالعمل فى إيطاليا» قال: «هذا مما لاشك فيه وطبعاً بولو سيأخذ لنفسه مبلغاً، ولا أدرى لماذا نحن أيضاً لانتفع؟ فأنى أنا الذى تحادثت مع وزير الخارجية، وأنهيت المسألة! فاذا أخذنا نحن أيضاً ثلاثة آلاف جنيه فهى قطرة من بحر، وأنا كنت عازماً على أن أحادثك فى هذا الموضوع لمفاتحة الخديو فيه». ووعدنى بأنه إن حصل على مايطلب فأنه يهدى إلى جزءاً منه فلم أجبه بشىء

---

(١) أحرار يشتغلون بالمسائل الاجتماعية وأخصها مسألة العمال

ولما كنت أعلم أن الخديو عازم على إعطائه مبلغ مائة الف فرنك — ولابد أن هذا كان بالاتفاق مع بولو — فأنى وجدت من تحصيل الحاصل محادثة الخديو .

وكانت صاحبته قبل هذا قد قالت لى : « إن يوسف باشا لابد أن يطلب مبلغاً كبيراً » وحرضتنى على طلب مبلغ فأجبتها : « بأننى لم أقدم على مثل هذا الأمر من قبل ولم أطلب من الخديو شيئاً لى أو لأحد أقاربى ، فقالت « أقصد من يوسف » فامتنعت أيضاً فقالت « إذن أنت أبله » فضحكت وقلت « فليكن ذلك وهو خير عندى من الطلب » .

وفى صباح ٢٣ مارس جاءنى يوسف باشا وقال لى : « سأطلعك على سر تعدنى بعدم إفشائه » فوعدته بذلك . فقال : « إن صاحبة الخديو أخذت تلعب ، وسيفشل المشروع لأنها تطلب هى أيضاً سمسرة مائة الف جنيه وإلا أفشت السر ؛ وما أظن أفندينا يرضى على نفسه أن يطلب من بولو مبلغاً لها لأنه عار عليه » قلت : « وأنا أيضاً أستبعد صدور طلب كهذا منه » .

الدفعة الأولى وكيف انفقت : وقد أخبرنى كذلك يوسف باشا أن سفير ألمانيا طلب أن يقابله الخديو اليوم لتسلم الصك الأول بالدفعة الأولى ، ثم قال وسأطلب منه غداً صرف المبلغ لى ، وقد سافر الخديو إلى زوريخ للقبض ، وفيها قابله بولو لأخذه منه

وحصل يوسف باشا على مائة ألف فرنك ، ذكر لى أنه سدد منها أربعين ألفا للخاصة وأهدى إلى منها عشرة آلاف ؛ وكان يجول بخاطرى أن الخديو هو الذى أوعز ليوسف بذلك ، لأننى منذ الحرب لم أتسلم منه مرتبى بينما كان يوسف يتسلمه آخر كل شهر

فشل المشروع : وقد علمت يوم ٩ مايو من يوسف صديق أن الدفعة الأولى استولى عليها بولو ، ولم ينفق منها إلا مائة ألف الفرنك التى سلمها له ، وأما الباقى فأعطى منه جزءاً « لكافالينى » واشترى ضيعة له بنصف مليون فى باريس ، واحتفظ بما بقى بعد ذلك !

وأما الدفعة الثانية فأعطى منها مائة وخمسين الف فرنك لرجل فرنسى فى مقابلة كتابة بضع مقالات فى جرائد فرنسية من جرائد الارياف ، ومبلغ نصف مليون وضع أمانة فى مصرف لشراء أسهم من جديدة الفيجارو ، وذهبت الاطماع بالباقى

وكان لهذا العمل أثره السيء فى صلة الخديو بالألمان، وتشويه سمعته فى نظرهم، وتصديق ما كان يشيعه عنه الانجليز من المساوىء . وكان له أثره السيء كذلك فى صلة الخديو برجاله المصريين فى السويسرة، فقد كنا نرى أن الواجب رد بقية النقود إلى ألمانيا خوفا من تشويه سمعة الخديو لدى الألمان . ولكن سموه كان يتألم منا عندما نفاتحه فى هذا الموضوع حتى إنه فى مرة من المرات قال لنا فى حدة : « ياناس من قال عنى اننى لص حتى أبدد نقود المانيا ؟ »

وفى يوم ١٢ نوفمبر تقابلت مع الشمسى بك وعلمت منه أن الخديو أرسل تقريرا إلى برلين قال فيه بصدد هذه النقود : إنه موجود عنده مليون فرنك تقريبا ولكن توجد بعض مبالغ لم يسو حسابها بعد وهو منتظر تسويتها

وبلغنى منه كذلك نقلا عن الدكتور امستر الذى كان مدير مخازن الصحة بمصر واتصل فى مدة الحرب بالخديو أن الألمان لأول مرة قالوا للخديو : « قبل التفكير فى مقابلة الامبراطور يجب رد جميع المبالغ التى أخذتها من المانيا »!

وفى يوم ١٩ منه قابلت سموه فى فندق ناسيونال (وكان قد انتقل للسويسرة كما سيأتى فى فصل خاص) ثم حضر فريد بك قادما من برلين فقال : « إنه قابل وكيل الخارجية الألمانية ففاتحه فى أمر النقود ، قائلا : « إنها هى الحائل بين الخديو وما يرجوه من مقابلة الامبراطور » وأن فريد كان يعتقد أن عباسا قد أعد الحساب وأرسله ولكن وكيل الخارجية نفى له ذلك . فقال الخديو : « لقد أرسلت مسيو امستر وسوى المسألة مع وزير الخارجية »!

<u>سفرى الى برلين ومهمتى بها</u> : سافرت يوم ١٨ فبراير من فينا الى برلين لقضاء عدة مهام منها ما يختص بمشروع بولو لفصل فرنسا عن انجلترا فى الحرب العظمى وقد ذكرته تحت العنوان الخاص به ، ومنها أمور أخرى أذكرها هنا

<u>المساعى لتسهيل زيارة الخديو للامبراطور</u> : في يوم ١٨ فبراير قابلت موسيو الكساندر المالى المعروف ؛ وكنت قد تعرفت به فى مصر حين أنشأ البنك الالمانى الشرقى قبل الحرب ، وهو عضو فى عدة بنوك وله علاقة طيبة بالخديو ، وأبلغته تحيات سموه فتقبلها بالشكر وقال لى « إن سموه اكتسب فى برلين سمعة طيبة ؛ وأنا مستعد لقضاء ما يلزم سموه من الخدمات » ثم سألنى عما إذا كان فى نيته الحضور إلى برلين؟ فأجبته بأن ذلك ربما يحدث حينما يتقرر أمر مقابلته للامبراطور ، لأنه لا يمكنه

أن يصاحب الحملة قبل أن يشكر جلالته عنايته بمصر والمساعدة الكبيرة التي تبذلها ألمانيا لخروج الانجليز منها

فسألني عما إذا كنت قد حضرت برلين لهذا السبب فأجبته : لا . ولكن يوسف باشا صديق مكلف أن يقابل وزير الخارجية الالمانية في مهمة ؛ وأن يتكلم معه في هذا الغرض . فطلب مقابلته قبل أن يذهب للوزير ، ليخبره بأهمية الاشخاص الذين يتحدث اليهم ، لأن « زيمرمان » وكيل الخارجية ذو نفوذ قد يفوق نفوذ الوزير

وقد كنت مكلفا من قبل الخديو أن ابلغ يوسف صديق باشا أن يتفاهم مع البارون أوبنهايم في تسهيل هذه المقابلة قبل أن يسافر سموه لمصر ، لأن سبب تأخيرها أن سفير ألمانيا لم يجد ضرورة لها بسبب اضطراب أفكار الاتراك نحو سموه ، أما الآن وقد خلعه الانجليز فالافكار قد هدأت ، وتأكد رجال الدولة أنه معهم

وفي يوم ٢٣ فبراير كان يوسف ذاهبا لمقابلة وزير الخارجية فيما يختص بمشروع بولو السابق الذكر ، فاتفقت معه على أن يحادثه كذلك في تسهيل زيارة الخديو للامبراطور ، ويقنعه بضرورة ذلك لأسباب منها

أولا : أنه لا يحسن أن يعرف المصريون أن خديوهم جاء إلى أوربا ولم يلتق بامبراطور ألمانيا مع أن سموه متحد مع جلالته ؛ والاتراك يؤولون عدم المقابلة تأويلا يضر بالحملة ؛ والانجليز كذلك يروجون اشاعات في صالحهم

ثانيا : أنه لا يليق أن امبراطور ألمانيا لا يقابله مع أن حليفه امبراطور النمسا قد قابله

ثالثا : أن اهتمام جلالته بمسائل مصر يستوجب أن يشكره سموه على هذه العناية

ومن جهة أخرى أن الأسباب التي كانت تمنع هذه المقابلة قد زالت بزوال الوحشة التي كانت بين سموه وبين رجال الدولة

وقد تحادث يوسف باشا مع الوزير في ذلك فاقتنع ، واتفق معه على أنه عندما يدعى سموه للعودة الى الآستانة لمصاحبة الحملة يطلب من سفير الدولة أن يخبر الصدارة بأنه سيرجع بعد مقابلة امبراطور ألمانيا . وعندئذ لا تستطيع الصدارة أن تمانع في ذلك .

أما عن شخص الخديو فان الوزير قال ليوسف : « إنه وإن كان لم يتعهد تحريريا

لسموه برجوعه إلى عرشه، إلا أنه يصرح بأن ألمانيا تعاضده حتى النهاية للوصول إلى هذا الغرض.

ثم زار وكيل الوزارة فردد له مايشبه كلام الوزير فيما يختص بالخديو

وبعد عودته الى فينا روى لنا أنه فى مقابلته الأخيرة مع محمود مختار باشا، تحادثا فى زيارة الخديو للامبراطور، فلم يجد منه ممانعة، بل وافق عليها، وطلب معرفة وقتها، لاعداد مايلزم

سلف للبرنسات: وفي مقابلة أخرى مع الكساندر تكلمت معه فيما إذا كان يمكننا عقد سلفة للبرنس ابراهيم حلمى، وللبرنسيسين فاطمة اسماعيل وحرم البرنس عمر طوسون ولدولة الوالدة فقال: إنه سيتكلم مع أعضاء مجلس ادارة بنك الدتش أوريان فى ذلك، ويعطيني جواباً، ولكن هذه السلفة لم تتم، واستعيض عنها بسلف من الحكومة التركية كما سيأتى.

الخديو ومحمود مختار باشا سفير الدولة فى برلين:

كان من الأوامر التى تلقيتها من الخديو أن أبلغ يوسف صديق بألا يقابل عندحضوره من روما الى برلين محمود مختار باشا[1] سفير الدولة بها، وذلك بسبب موقفه العدائى من سموه؛ وإذا سأله أحد عن ذلك فيجيب: بأن المصريين يودون من صميم أفئدتهم مقابلة سفراء الدولة فى أى مكان متى علموا أنهم يحترمون الخديو، وإلا فيطرحونهم جانباً

ولما قابلت موسيو الكساندر يوم ١٨ فبراير سألنى عما إذا كنت قد زرت سفير الدولة، فأجبته بالنفى لأن وقتى لايساعدنى على ذلك. فسألنى عن علاقاته بالخديو فقلت: «على ماسمعت أنها ليست كما يرام، من وقت إحالة نظر وقف اسماعيل باشا على سموه[2] فقال: «إننى آسف لوجود شقاق في هذا الأوان» ثم عرض على أن أقابله، فقلت: «أنا رجل أفنديا، وما دام الباشا يشعر بهذه الاحساسات نحو سموه، فلا يمكننى أن أقابله، وهو لايرحب برؤيتى، فان أظهر هو الرغبة فى مقابلتى ليكلفنى ابلاغ تحياته واحتراماته للخديو فاننى لاأتأخر» فقال الكساندر: «فهمت ماتعنى، فدعنى أعمل ما أراه بدون مسئولية عليك»

---

(١) صور ج ٢ . ق ٢ . ص ٦

(٢) كان مختار باشا متزوجا بالأميرة نعمت هانم بنت اسماعيل

وفى يوم ٢١ حضر يوسف فأخبرته بالأوامر ومن بينها عدم مقابلته للسفير ، فلم يوافق على هذا الأمر الأخير ، وبعد المناقشة اتفقنا على أن نسترشد بالبارون أوبنهايم ،وموسيو الكساندر فى ذلك .

وفى يوم ٢٢ منه قابلنا الكساندر وعرضنا عليه الفكرة ، فقال إنه يسعى فى إصلاح ذات البين ، وإنه سيقابل السفير ويدعوه للعشاء غداً .

ثم شرح له يوسف أسباب النفرة بينه وبين الخديو بطريقة طيبة ، وذكر أن العلاقات الشخصية بينه هو (يوسف) وبين السفير علاقات مودة واحترام .

وفى يوم ٢٣ منه قابلنا موسيو الكساندر فعلمنا منه أنه قابل السفير ، فقال له : إنه يرحب بيوسف باشا . ولكن الكساندر حذره من الاندفاع فى الكلام معه عن الخديو ، وأن يكتفى بالأحاديث الشخصية ؛ ففهمت أن إحساس مختار باشا نحو سموه لم يتغير

وقد توجه يوسف لمقابلة السفير فاستقبله بلطف ، ثم ذكر يوسف له أن هذه أول زيارة رسمية يقوم بها ، لأنه يقدره ويعجب بفضائله ، ويعتقد أن إحساسه نحوه كذلك ، فرد عليه مؤكداً له صدق شعوره

ثم دار الكلام عن الخديو ، فقال السفير: « إنى لا أنسى حسن معاملته لى شخصياً، فقال يوسف : « إذا سلمنا جدلا بأنه حدث من الخديو فى مدة حكمه الطويلة بعض مساس بالمصالح الخاصة ،فان الطريق السياسى الذى سلكه في هذه الظروف الحرجة يكفر عن ماضيه، فقال السفير: « نعم يعترف الجميع بذلك حتى أعداؤه، ولهذا السبب لا أتأخر عن معاضدته » فا كتفى يوسف بذلك ووعد مختاراً بزيارة أخرى يتبادل معه فيها حديثاً طويلا

وفى يوم ٢٥ فبراير وصلت إلى فينا عائدا من برلين ، وعرضت على الخديو ما حصل فى مسألة محمود مختار فقال : « إنكم لم تفلحوا فيها ، وكان يجب أن يكون موقفكم موقف دفاع ، حتى تروا ما يعمله ، ولا يكون موقف تذلل كما حدث » فأجبته إن قصدنا هو منعه عن الخوض فى حق سموكم ، وقد وصلنا إلى هذا النتيجة

وفى يوم ٢٧ منه عاد يوسف باشا ، وأخبرنا أنه قابله مرتين بعد سفرى لقى فيهما منه حفاوة كبيرة ، وكلفه ابلاغ تحياته للخديو

أحاديث الحرب :

خطط هندبورج : فى يوم ٢٢ فبراير قابلت موسيو الكساندر مع يوسف صديق ، فحدثنا عن خطط هندبورج الحربية ، وهى أنه فى مدى شهر ونصف أو شهرين ، يكون قد أتم برنامجه ضد الروسيا ، وأجبرها على عقد الصلح ، لأن الجيش كله زاحف إلى الأمام ؛ وفى عزمه أن يقطع المدد الذى يحضر من بطرسبورج بالحركات التى قرر اتخاذها مع النمساويين ، وبها يتمكن من كسر الروس فيدخل فرسوفيا

أما الحرب مع فرنسا فتستمر فى حالة دفاع من جهة الألمانيين ، حتى تنتهى الحرب مع الروس ؛ وبعدها يحول جزء من الجيش إلى فرنسا ويبدأ الهجوم

وهو يؤمل أن يصل إلى نتيجة حاسمة فى زمن قليل ، فيعقد الصلح مع الفرنسيين وبعد ذلك تستمر الحرب بين ألمانيا وانجلترا حتى تسحقها

موقعة الدردنيل وسفر الوالدة إلى بروسة : عند ما حدثت موقعة الدردنيل . استولى الفزع على سكان الاستانة فسافرت الوالدة منها إلى بروسه . فكلفنى الخديو عند سفرى للاستانة أن أقابل دولتها ، وأبلغها أسفه لأن المفسدين أشاروا عليها بالسفر ، فأصبح الأتراك يدعون أننا نحن المصريين بعملنا هذا ، ندخل الخوف على سكان الاستانة

وفى يوم ٣١ مارس علمت من جلال الدين باشا أن البرنس عباس حليم هو الذى اقترح على الوالدة السفر إلى بروسة ، وصور لها الحالة بصورة مزعجة ، فأجرت باخرة ونزلت بها ، ولما كانت الريح جنوبية شديدة فقد عادت إلى الاستانة بعد ساعة ، وأخذت القطار من محطة حيدر باشا إلى مدينة داخل الأناضول ، ومنها سافرت بالعربات إلى بروسة ، فوصلت فى أكثر من يومين

وفى يوم ١١ ابريل زرت الوالدة مع جلال الدين باشا ، فأبلغتها احترامات الخديو ، وقلقه عليها لوجودها فى بروسة مع انتشار الحمى بها ؛ وأنه يأسف لسفرها الذى يثير أقاويل الأتراك فقالت : « إن الزنابير فى الاستانة كادت تجننى ، وقد كنت خائفة ، أما أنتم فكنتم بعيدين عن الخطر » ثم سافرت على أن تعود دولتها للاستانة قريبا

وفى يوم ١٦ منه زرت أنور باشا فسألته عما إذا كان هناك خوف على الدردنيل فنفى ذلك قطعياً . ثم قلت له : « إن مولاى لم يستحسن سفر الوالدة لبروسة ،

وكانت أوامره لجلال الدين باشا ألا تترك الاستانة إلا إذا سافر منها السلطان » فقال : « وهذه هى زوجتى « سلطان افندى » لم تبرح اسلامبول » فأخبرته أننى أقنعتها بالعودة قريبا

تنظيم مخابرات مع مصر وتدبير ثورة ضد الانجليز : فى يوم ٤ مارس أطلعنى الخديو على رسالة وبرقية من البارون مكس أوبنهايم بأنه سيصل الى فينا بعد غد فيقيم بها يوماً واحدا ، ثم يسافر الى الاستانة . وقال لى الخديو : «إن الأصوب أن تسافر معه ، وتحصل على ما لديه من المعلومات بصدد مهمته هناك وأن تحضه على السفر الى الشام لاستطلاع الأحوال بها »



البارون مكس اوبنهايم الملحق بسفارة المانيا بالاستانة فى مدة الحرب

وفى يوم ٢٦ منه حضر البارون وأخبرنى أنه سيقيم بالاستانة عشرة أيام وبعدها سيتوجه الى دمشق ، ويقيم فيها لنشر الدعاية الاسلامية ، وتوزيع منشورات فى مصر ، وأخذ أخبارها . وقد سأل عن اسماعيل بك لبيب ، فأخبرته أنه يقيم فى دمشق ، فقال : انى أريد أن أجمع حولى الرجال المخلصين للجناب الخديوى ، فشكرته ثم أخبرنى بما عاناه فى اختيار رجال للحصول على أخبار مصر وصحفها ، فقلت له : « إن الخديو كان اختار رسمى افندى الضابط لأمر كهذا ، ولكنه حتى الآن لم يأت بفائدة »

وفى يوم ٢٧ منه سافرنا للاستانة ، ومعنا سكرتيره الألمانى موسيو كندلر وهو يعرف العربية لأنه مكث مع البارون عدة سنوات فى مصر ، وعلى العنانى افندى سكرتيره العربى ، وهو مصرى تخرج فى دار العلوم ، وأرسلته الجامعة المصرية الى برلين لاتمام دروسه .

الاتحاد الاسلامى : ولما خلوت بالبارون قال لى : « إن مهمتى تنحصر فى نقطة واحدة ، هى جمع كلمة البلاد الاسلامية حول الخليفة ، على أن تكون كل مملكة

مستقلة استقلالا داخليا ، ولكنها ترتبط بهذا المركز ، وأن هذا الوقت هو أنسب الأوقات للقيام بالحركة ، لأن الدول في وقت السلم تقاوم هذه الفكرة ، أما الآن فلا يمكنها عرقلة المساعى »

انشاء صحيفة عربية للدعاية : ولتنفيذ هذا المشروع فكر فى تشكيل هيئة برياسة شيخ الاسلام بالاستانة للدعاية وإنشاء صحيفة عربية لأذاعة هذه الفكرة فى الممالك الاسلامية كلها ، على أن تطبع هذه الصحيفة فى دمشق .

وسألنى عما إذا كنت موافقا على ان يشترى جريدة المقتبس ويوسع نطاقها ، فقلت : « إن اسمها لايؤدى إلى الغرض الذى ترمى إليه ، والواجب إنشاء صحيفة باسم جديد مثل « الاتحاد الاسلامى » فوافقنى على ذلك

ألمانيا تنفق على تنظيم المخابرات والدعاية : وقال : « إننى أحمل الأموال التى تلزم لذلك »

ثم طلب منى أن أساعده فى تحرير بيان باسماء المصريين بالاستانة والشام وأوربا لانتخاب الأكفاء منهم فى التحرير أو الدعاية ، وأن أبين له ميولهم السياسية وثرواتهم .. الخ

وأخبرنى أنه يريد أن يجعل للصحيفة مخبرين في أهم المدن التركية والعربية ، وأن ينظم هيئات للدعاية فى الهند والعجم والأفغان ، فنبهته إلى ان هذا العمل ليس يسيراً

ثم كاشفنى بأنه ينوى إسناد رياسة تحرير الصحيفة إلى الشيخ جاويش ، ولكنى تمكنت من إقناعه بالعدول عن ذلك ، لأن الشيخ لم يعد مواليا للخديو بل يعمل ضده ، وهو فى الوقت نفسه — كما علمت — غير محبوب من المصريين ولا السوريين ولا الأتراك ، حتى أن جمال باشا أبعده عن مرافقة الحملة

ثم طلب منى أن أساعده كذلك فى انتخاب مندوبين فى روما ونابلى وأتينا لجمع المعلومات عن أحوال مصر ، وتشكيل قلمين للمخابرة أحدهما فى نابولى والثانى فى بيروت ، واستخدام بعضهم فى الاتصال بالمخلصين للخديو بمصر لاشعال الثورة وقت لزومها ؛ وأنه يعتقد أن بين أصحاب الطرق من يقدر على ذلك . ولهذا طلب منى ما يأتى :

استخدام ارباب الطرق :

١ — كتابة تقرير عن مشايخ الطرق فى مصر وأمثالهم فى الشام والاستانة والحجاز

٢ — البحث فى مصر عن اشخاص أمناء يمكن أن ترسل اليهم الخطابات والنشرات ونسخ الصحيفة المزمع انشاؤها

وفى ١٢ ابريل زرت البارون ، ومعى الدكتور سيد كامل فقدمته له ، وكان قد حرر كشفاً بأسماء المصريين فى الاستانة والشام وأوربا وملاحظاتنا عليه ، وتركته للاستمرار فى العمل مع البارون ؛ وبعد ذلك اتفقنا على عمل برنامج يأخذ كل منا صورة منه . وقد أعددناه فعلا فى هذا اليوم مقسما إلى عدة فصول ، تتلخص فيما يأتى

تحديد مهمة الجمعية السرية فى مصر : تتلخص مهمة الجمعية فى الحصول على أخبار صحيحة عن مصر ، والقيام بثورة عامة فيها تستمر حتى انتصار الحملة التركية ، وابلاغنا أولا بأول عن أخبار هذه الثورة ، وإمدادها بالوسائل التى لا تستطيعها فى مصر .

نظام المخابرات مع الجمعية السرية بالاسكندرية:

١ — تكون « المخابرات » بين الوطنيين فى مصر والخارج بواسطة أحد المصريين المقيمين بالاسكندرية ، حيث يكون للجمعية مركز سرى

٢ — يتصل مركز فينا بمركز الاسكندرية ، وعليه ارسال التعليمات اللازمة ، وكذلك يجب البحث عن مندوبين لارسالهم إلى طرابلس وأتينا ونابولى .

٣ — يؤلف مركز بسفارة المانيا فى الاستانة يتصل به مركز فينا ويبلغه المعلومات التى ارسلت للاسكندرية ؛ وعلى السفارة الألمانية تزويد السلطات التركية والألمانية بالمعلومات

استعمال شفرة وحبر كيماوى :

٤ — يكون لدى المراكز الثلاثة بالاسكندرية والاستانة وفينا شفرة « صفر » بحبر خاص للمخابرات ، والمركز الأخير هو الذى يعدها باللغة العربية ؛ والأفضل وضع الشفرة بين أسطر المصحف ؛ ولا يعرف الوسطاء فى نقل الرسائل شيئا عنها

المندوبون فى الاسكندرية ونابولى واتينا وطرابلس : وقد فكرنا فى أن يكون عبداللطيف المكباتى بك فى مركز الاسكندرية ، لأنه مخلص وله أساليب مرنة يتخلص بها من المراقبة ، وعند رفضه يختار احمد حلمى افندى

واخترنا أن يكون على الشمسى بك معتمدا فى نابولى إذا قبل صديقه المكباتى أن يكون معتمداً فى الاسكندرية : وفى حالة قبول الشمسى يقيم فى نابولى ، ويقابل جميع المسافرين الآتين من مصر لمعرفة أفكارهم عن حالة البلاد .

فاذا رفض المكباتى والشمسى ، يختار اسماعيل لبيب بك فى نابولى ، وهو صديق لأحمد حلمى افندى

ووقع اختيارنا على ابراهيم صادق افندى ، وكان ضابط مدفعية فى البحرية العثمانية ليكون معتمداً فى أثينا ؛ وعلى محمد سلام افندى الضابط بالمحروسة على الحدود الطرابلسية ، ليتسلم ما يرسل من أثينا ، ويسلمه لمعتمد الاسكندرية ؛ وعلى احمد أبو على افندى الضابط بالجيش العثمانى ليكون مراسلا للجهات الصحراوية

وأن يترك سفر المراسلين إلى طرابلس لتقدير اسماعيل بك لبيب الذى يتصل بأنور باشا ليأخذ منه خطابات توصية لشيخ السنوسيين ونورى بك شقيق أنور باشا

توصيل الرسائل : اتفقنا على أن يقوم احمد نور الدين افندى « بالمخابرة » مع المكباتى لاستطلاع رأيه فى القبول أو الرفض ؛ وذلك بأن يكتب لزوجته فى مصر ثلاث رسائل يقول لها فى كل منها : أن تزور المكباتى بك ، وتنبهه إلى أنه سيأتى له خطاب من أحد أصدقائه ، وانه لكى يقرأه يجب استعمال طريقة معينة (الشفرة)

وهذه الرسائل ترسل من جهات مختلفة مع بعض البحارة المسافرين لمصر ، وعند وصولهم يلقونها فى صندوق البريد

وبعد أيام يكتب على الشمسى بك بين أسطر المصحف رسالة عادية بالحبر الكيماوى . والشفرة التى ستستعمل لحل الرسائل ويرسله لأحد الطلبة فى مصر مع كتب أخرى ؛ ثم تذهب زوجة احمد نور الدين للطالب ، وتتسلم المصحف منه ، وتسلمه للمكباتى

وبعد ذلك يرسل الشمسى رسالة للمكباتى مباشرة بطلب رأيه ، فيحلها بواسطة الشفرة المرسلة فى المصحف

فاذا لم تنجح الشفرة فى المصحف ، تعاد فى رواية فرنسية تسلم لبحار ايطالى له المام باللغة الفرنسية ، فيوصلها إلى مصر

وكذلك فكرنا فى طريقة أخرى لتوصيل الرسائل ، بأن توضع الرسالة بين نعلى حذاء ، أو طبقتى ثوب يلبسه رجل نأتمنه ليسافر إلى مصر عن طريق ايطاليا بأى سبب معقول ، ويسلمها للمكباتى . أو بواسطة سيدة ايطالية أو أمريكية تسافر لمصر بهذه المهمة ، وعلى مركز فينا أن يفاضل بين هذه الطرق الثلاث

أما تبادل الرسائل ، فالمرسل منها لمصر يستحسن استخدام مصرى لأخذه من نابولى ؛ فاذا لم يمكن يستخدم بحار طليانى . والمرسل من مصر للخارج يكتفى فيه بطريق البريد العادى . أما الرسائل المهمة فترسل مع رسول خاص

البريد عن طريق أتينا : كل التفصيلات السابقة تختص بارسال المخابرات عن طريق نابولى ؛ ويمكن فى المستقبل تنظيم المراسلات عن طريق أتينا إلى الاسكندرية وعلى مندوب أتينا أن يبحث فى الوسائل العملية لتنفيذ هـذا المشروع باستخدام أهالى كريت من المسلمين لهذه الغاية ؛ ويسافرون بصفتهم أرواما مسيحيين

توصيل نقود ومفرقعات : إذا أمكن عمل هذه الأشياء فى طرابلس فعلى مندوبنا هناك أن يتسلها ويوصلها إلى أقرب نقطة فى الحدود المصرية ، ويسلمها لمن يعينهم مندوب الاسكندرية

وإذا لم يمكن صنعها فى طرابلس ، فعلى مندوبنا فى أتينا أن يحصل عليها ويرسلها في المراكب الشراعية المستعملة لاستخراج الاسفنج ، ويعهد بها إلى أشخاص موثوق بهم من أهالى طرابلس أو من مسلمى كريت لا يصال هذه الأشياء إلى طرابلس. أما خطا أثينا ونابولى إلى الأسكندرية فلا يجوز استعمالها لخطورتهما ، أما إرسال النقود إلى مصر فمركز فينا يتدبره

طرق الدعاية الوطنية فى مصر : تقوم الدعاية على الأمور التى تنفر المصريين وتستثيرهم من عدوان الانجليز عليهم وعلى دولة الاسلام ، وعلى الاسهاب فى شرح سياستهم المخربة للبلاد ، وايقاظ الحمية الاسلامية فى النفوس ؛ ولكن من الخطر إرسال منشورات كهذه بواسطة جمعيتنا السرية فى مصر ، فلو كلفنا رجالها وانكشفوا يقبض عليهم جميعا ، ويعدموا بمقتضى الأوامر العسكرية ، فيحسن أن تلقيها الطيارات مرتين فى الشهر أو ثلاثا

وبعد الاتفاق على أسس المشروع المتقدمة طلب البارون وضع ميزانية له فوضعها الدكتور سيد كامل ، وأطلعنى عليها ؛ وهى تبلغ نحو ٢٥٠٠ جنيه نصفها لمعاونة المندوبين في البلاد مدة اقامتهم وهى ثمانية شهور ، والنصف احتياطى للنفقات اللازمة

تحليف المندوبين : وبعد ذلك اجتمعت فى جلسة مع البارون والدكتور سيد كامل واسماعيل بك لبيب الذى حضر من الشام ، فطلب البارون تخفيضها فخفضناها إلى مبلغ ١٧٧٨ جنيها

ثم عقدنا جلسة أخرى حضرها نور الدين افندى وسالم افندى مندوبا طرابلس وابرهيم صادق افندى ، مندوب أثينا ؛ وتوليت تحليفهم اليمين بالصدق فى الخدمة والأمانة في العمل مع كتمان السر . ووافق البارون على سفر نور الدين افندى فى الحال .

بينما موسيو كندلى سكرتيره لم يكن ميالا لاستخدامه ، بسبب ظهور حركة منه لم تعجبه ، وذلك أنه أطلعه على صورة زوجته بلا داع ، فاستدل من ذلك على خفته ، وعدم لياقته لمهمة عظيمة كهذه .

وبعد ذلك عدت إلى فينا وتركت الدكتور سيد كامل مع البارون لاتمام العمل.

تقرير الدكتور سيد كامل : وفى يوم ١٥ مايو أرسل الدكتور تقريره عن المشروع ، متضمنا الخطوات التى تلت ذلك ويتلخص فيما يأتى :

أن البارون حادث أنور باشا في المشروع فوافق عليه بالاجمال

وفى يوم ١٠ مايو اجتمع البارون والدكتور ، واسماعيل بك لبيب ، واقترح الأول إدخال تعديلات على المشروع تقضى بعدم استخدام البحارة فى توصيل المراسلات إلا فى أحوال نادرة ؛ وأن تعطى التعليمات لمندوبينا فى أثينا ونابولى ليكونا مترقبين حركة الذهاب والاياب من مصر إليها بالبواخر لأخذ معلومات عن حالتها ؛ وأن سفر مندوب طرابلس يجب أن يتأخر حتى وصول خطاب القبول من مندوب الاسكندرية

وفى هذه الجلسة تناول البارون الميزانية بالتعديل فرأى أن يحذف منها ألف جنيه مقررة « احتياطاً » لنفقات المندوبين ، وأربعمائة جنيه كان مقرراً إرسالها لمندوب الأسكندرية ، بسبب صعوبة الأرسال ، ووجود من يدفعها فى مصر من المخلصين للخلافة ، وحذف مبالغ أخرى ، ووصلت بعدها الميزانية إلى ٨٧٨ جنيهاً فقط

ثم حادث البارون سفير ألمانيا فى المشروع حتى ينال موافقته ، ولكن السفير قال : إنه غير محقق النتيجة ، فلا يستطيع تحمل مسئوليه نفقاته أمام الحكومة الألمانية قبل عرضه عليها

وعندئذ عرض الدكتور سيد كامل على البارون أن يرفع المشروع إلى الخديو ليتصرف بما يراه ، فأجابه قائلا : « إننى مافكرت قط فى أن أتخلى عن الاشتراك مع سمو الخديو فى عمل نافع لمصر ، وإنما نحن الألمان نحب دائماً أن نشترك مع سموه فى العمل ، كما نشترك مع أنور باشا فى الشؤون العثمانية » وكلفه أن ينسخ صورة من المشروع ليرفعها هو للخديو عن طريق السفارة الألمانية .

وفى يوم ١٢ مايو تقابل البارون وسفير ألمانيا ، وفهم منه أنه يوافق إجمالا على

المشروع ، وأن تكون سفارة ألمانيا فى الأستانة مركزاً من المراكز ، إلا أنه يرى ضرورة تقسيمة إلى قسمين : السياسى ويبقى على ماهو عليه ، والحربى الخاص بالقنابل والمفرقعات فيترك لأنور باشا . وعلى ذلك نقصت الميزانية إلى ٣٢٨ جنيهاً

والسبب فى تقسيم المشروع هكذا أن أنور باشا غير مستريح لتدخل الألمان فى شؤون الدولة العسكرية .

اسماعيل لبيب يفكر فى مشروع مستقل : ولما رأى اسماعيل بك لبيب هذه التقلبات التى لحقت بالمشروع ، عزم على الانفصال عن البارون ، وتنفيذ مشروع مستقل ؛ وذلك بأن انتقى ستة من الشبان المصريين فى كلية الطب والمدرسة الحربية الأعدادية بالأستانة ؛ وبث فيهم الروح الفدائية للقيام بأعمال وطنية في مصر ، واتفق مع أنور باشا على تعليم أربعة منهم صنع المواد المفرقعة ، وعلى أن يذهب الخامس للسويسرة الألمانية والثانى يذهب لمصر ، ويتلقى مراسلات من زميله ، وإذا أمكن دخول هذا الشاب إلى مصر أمكن التأكد من دخول الأربعة للقيام بأعمال تهديدية بالقاء القنابل والمفرقعات .

تقرير البارون : وفى يوم ٢٣ مايو وصل إلينا فى فينا تقرير من البارون أوبنهايم ، فاجتمعت اللجنة المؤلفة للنظر في كل مايهم الخديو لبحثه ، وبعد تلاوته تناقشنا فيما إذا كان الخديو هو الذى يتولى الأنفاق على المشروع الأصلى ، أم يترك الأنفاق حسب التعديل الأخير للبارون ، فاقترحت أن نتركه إليه ، ونقول له : « إذا كان العمل والأنفاق عليه سيضر بمشروع جريدته ضرراً مالياً ، فالخديو يقوم بدفع المبلغ كما هو فى الميزانية الأخيرة » إلا أن الخديو رأى أن نقبل المشروع المختزل ، وأن يكون تنفيذه بواسطة الألمان مع استخدام رجالنا ، حتى إذا فشل لاتقع التبعة علينا ، وأشار بسحب الدكتور سيد كامل من خدمة البارون ، فقلت : « إن الأحسن إبقاؤه ، لئلا يقال إننا نفضنا أيدينا من الألمان » فوافق محمد بك فريد على ذلك ، وقال : « إن وجود الدكتور يفيدنا لأنه رجلنا ويمنع أى ضرر عنا ويخبرنا بكل ما يصنع البارون »

فقال الخديو : « أنا حينما كنت أحضر مجلس النظار وأعارض فى مسألة ، وهم يخالفونى فيها كنت أقول لهم : « الأغلبية فى جانبكم فأنا لاحيلة لى إلا ضم صوتى اليكم ، وأنا الآن أقول لكم ذلك »

السلف والمرتبات التي تقررت للبرنسات والحاشية : عند حضوري للاستانة يوم ٣١ مارس علمت ، أنه بذلت مساع لدى الداخلية والحربية ، انتهت بتقرير ستمائة جنيه شهرياً للبرنسيس فاطمة اسماعيل ، واربعمائة للبرنس ابراهيم حلمي ، ونصف مرتب لموظفي القبوكتخدائية ولعارف باشا

فسألت : ولماذا لم يعمم الصرف لجميع الموجودين بمعية الخديو ؟ فكان الجواب إن الصرف قد قرر لمن كان في الأستانة ، فقلت : « إن الأصوب أن يطرح هذا السؤال على المنوط بتسوية المسألة بالنسبة ليوسف باشا ، وكاوتسكى بك والشيخ محمد عثمان وأنا ، فاذا أمكن تعميم الصرف كان ذلك تخفيفاً عن الخديو ؛ وإذا لم يمكن يبلغ الأمر لسموه حتى لا يقول : « إن الذين في الاستانة فكروا فى أشخاصهم ونسوا الآخرين »

وفى يوم ١٣ ابريل زرت عارف باشا ، فأخبرنى أنه خاطب طلعت بك فى ترتيب مرتبات ابقية الحاشية ، فطلب أن يكتب جلال باشا للصدارة مذكرة بهذا الطلب ؛ ولكن عارف خشى أن يرفضها الصدر ، فرجا طلعت أن تكتب المذكرة له هو ، فقبل ، لأن مبدأ الصرف سبق تقريره من الصدارة ، فقدم له المذكرة ، ووعد باحالتها على الحربية

وفى يوم ١٦ منه قابلت أنور باشا وأبلغته ما قاله طلعت بك لعارف ، ورجوته فى الموافقة على الصرف حينما تحول المذكرة إليه ؛ ولما كنت على وشك العودة إلى فينا فأرجو أن يتيسر الصرف قبل سفرى . فطلب منى أن أحضر غدا ومعى بيان بالأسماء وبمقدار المرتبات وهو يأمر بصرفها ، وعند ارسال الأوراق من الداخلية تشفع باذن الصرف . وقد تم ذلك وتسلمت مرتبى قبل سفرى .

وقد أظهر أنور باشا استعداده لصرف ما يلزم للخديو شخصياً أو لنفقات سراى جبوقلى

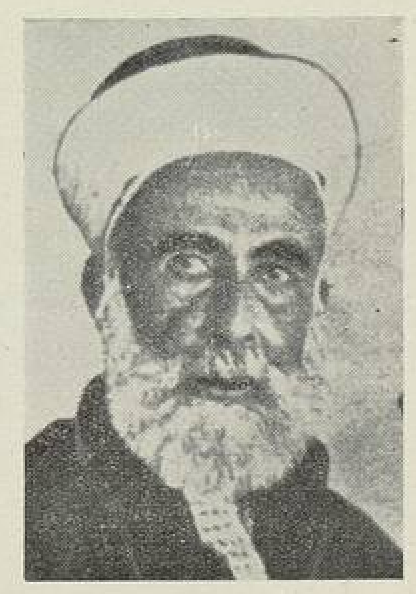
وفى يوم ٢٣ مايو (وكنت قد سافرت الى فينا ثم عدت الى الاستانة) قابلت أنور باشا فى منزله ، وأبلغته تحيات الخديو ، وشكره على المساعدات المالية التى قررتها الدولة للمصريين ، أما فيما يختص بالصرف لسموه فانه سيراجعه إذا لزم ذلك . فقال : « لا يحتاج الجناب العالى للمراجعة بل عليه أن يأمر بما يريد »

الشريف فيصل ومهمته فى الاستانة

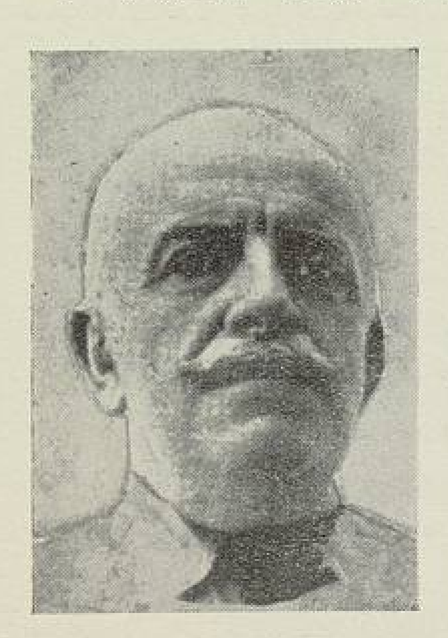
فى يوم ١٣ ابريل قابلت عارف باشا فأخبرنى أن الشريف فيصل بك (١) حضر إلى الاستانة من مكة ، يحمل من والده الشريف حسين شكوى من نادى الاتحاديين هناك ، لأنه ضبط جملة خطابات أرسلها النادى إلى المركز هنا يطلب فيها عزل الشريف حسين وتعيين الشريف على المقيم بمصر ، وذلك لأن الأخير استمال اليه أعضاء هذا النادى ومن بين هذه الخطابات خطاب مملوء بالشتائم للصدر . والشريف يهدد بالاستقالة إذا لم يبعد هؤلاء المفسدون

الشريف فيصل

وفى يوم ٢٣ منه زارنى الشريف فيصل ، فعلمت منه أن العلاقات كانت بين والده والوالى السابق وهيب باشا سيئة ،



الشريف حسين



الجنرال وهيب باشا

(١) المرحوم الملك فيصل

وكان فى معاملته له شديدا ، وربما كان متبعا لأوامر الاتحاديين فى ذلك ، وأنه كانت هناك دسائس ضد والده من الشريف على بمصر والشريف حيدر بالاستانة

اتهام الشريف حسين بموالاة الخديو ثم الانجليز : وأن والده وفق للحصول على بعض مراسلات بين نادى الاتحاديين بمكة ومركزهم بالاستانة ، ورأى فيها أنهم كانوا يتهمونه من قبل بالتشيع للخديو ، والآن يتهمونه بموالاة الانجليز ؛ وأنه لما وصل إلى الشام أطلع جمال باشا على هذه الأوراق المضبوطة ، فطيب خاطره ؛ وحادثه فى مساعدة العرب للدولة بالرجال عند تحرك الحملة على مصر ، وقد أظهر الشريف فيصل شعورا طيبا نحو الخديو .

عواطف العرب نحو الخديو : ثم قال : « ونحن العرب لو لم نعلم أن الدولة سترجع سموه إلى أريكته ما قبلنا مساعدتها ، ومما يؤسف له أن بعض المصريين يدسون الدسائس ضد خديوهم ، وقد رافقنى الدكتور احمد فؤاد من الشام إلى الاستانة ، وعلمت منه أنه ضد سموه ، ولكنه إذا لم يعتدل فاننا لا نبقى له أثرا » .

ثقة أنور وطلعت بالشريف حسين : ثم ذكر لى أنه لما حضر إلى الأستانة وأطلع أنور باشا وطلعت بك على الرسائل المضبوطة أظهرا له أسفهما وثقتهما بوالده . فقال لهما : إن كانت ثقة الحكومة العثمانية به لاتزال فعليها أن تقدم الترضية . وقد أكد لهما أن والده مستعد للتخلى عن الأمارة إن لم تكن الثقة به متوافرة ؛ أما إذا توافرت هذه الثقة فانه يرسل الرجال ، وعلى الدولة مساعدته بالذخيرة والسلاح والمال . .

ولم يحدد لى مقدار من يستطيع والده تجريدهم للحرب ، ولكنى فهمت أنهم نحو عشرة آلاف . وقال لى عن عرب الشام : « إنهم طيبون ، ومتى شاهدو عرب الحجاز تشتد الحماسة في قلوبهم » .

العمل مع فيصل واوبنهايم للتوفيق بين الشريف والأتراك : وقد اشتغلت بعد ذلك مع البارون أوبنهايم والشريف فيصل مدة أسبوع فى عمل اتفاق نهائى بين والده والحكومة العثمانية ، وكنا تارة نجتمع فى فندق بيرا بلاس ، وتارة عند الشريف فيصل فى منزله بأعالى بيوكدره وفى بعض الأحيان كنا نقضى السهرة عند البرنس ابراهيم حلمى ولا نرجع إلا بعد منتصف الليل ؛ وكان الشريف ناصر أخو الشريف حسين يحضر بعض الاجتماعات . وفى هذه الجلسات شرح لنا الشريف فيصل كل ما يختص بالحالة الحاضرة بين والده والأتراك وهى تتلخص فيما يأتى :

١ - إن الحجاز يعتمد فى مؤونته على المحصولات الخارجية التى ترد إليه بواسطة السفن الأنجليزية ، لأن البلاد العربية تنتج محصولا قليلا وهى فى حاجة إليه موضعياً ، فلا تكفى محصولاتها لتموين الحجاز ؛ علاوة على أن الخط الحديدى الحجازى ينتهى بمكة وهو خط فردى غير مزدوج ، فلا يستطيع القيام بسد حاجات التموين من الداخل ، فاذا انقطعت الواردات من الخارج ، حصلت مجاعة تجر إلى ثورة العرب ، وهذا هو الذى يضطر الشريف إلى التعامل مع السفن الأنجليزية .

الشريف ناصر

٢ - كانت العلاقات بين الوالى التركى وهيب باشا والشريف حسين يتخللها الجفاء وسوء الظن ؛ فكانت الحملات التى يجهزها الشريف فى بلاد العرب والعسير ليخمد بها حركات ضد السلطنة العثمانية ، تقابل بالريبة والحذر .

٣ - فيصل يلفت النظر للدسائس التى يقوم بها الأمير جعفر الأخ الأصغر للأمير على حيدر المشترك في نادى الاتحاد والترقى بالحجاز ؛ والذى يطمع فى عودة الامارة إلى أسرته .

٤ - بين الشريف فيصل دقة موقف والده فى أثناء الحج بين الأجناس المختلفة والمذاهب المتعددة . يقابل ذلك أن الشريف ومن حوله يتمتعون بدخل عظيم من الحجاج ، وإذا وقع الحجاز تحت الحكم الانجليزى ، فان نفوذه يهبط كثيرا . فهو من هذه الوجهة مرتبط بالخلافة لارتباط جميع المسلمين بها ضد العدو المشترك ، فيجب أن يثق به الاتراك ويبعدوا عن أذهانهم فكرة عزله ، وبذلك لا يدفعون به إلى اليأس حتى يستطيع أن يتظاهر أمام الانجليز بحياده التام فيضمن تموين الحجاز ويمنع عنه المجاعة والثورة . وبهذا يحفظ كيان الوحدة العربية

وقد انتهت هذه المداولات بيننا وبينه ، ثم بينى وبين أنور باشا وطلعت باشا

بالاتفاق على ترضية شريف مكة وتأمينه على مركزه . وسلم السلطان لفيصل سيفاً هدية لوالده ، وكتاباً من طلعت باشا يؤكد فيه ثقته به .

وبعد ذلك سافرت من الاستانة إلى جنيف لأمور عائلية ثم إلى فينا . وقد وصل إلى تقرير من الدكتور كامل جاء فيه عن هذا الموضوع ما ملخصه :

أنه بعد سفري اجتمع الشريف فيصل بالبارون فى بيرا بالاس ، وحضر الدكتور الاجتماع ودار الكلام في تنظيم دعاية يقوم بها الشريف حسين فى البلاد الاسلامية لاثارة شعورها وحميتها نحو الدولة ، فأبدى الشريف فيصل أن هذا المشروع يشمل ارسال المندوبين إلى البلاد الاسلامية ، التى ليست فى حوزة الدولة وهذا العمل سهل . ولكن إذا أريد أن يتناول اشعال ثورات فى السودان المصرى والهند الشمالية والصومال الانجليزى فان وجه المسألة يتغير ، وتجب ملاحظة ما يلزم من النفقات لذلك العمل الكبير . ثم أظهر أن والده قادر على اشعال ثورات فى هذه الجهات . ولكنه هو لا يستطيع الآن أن يبين الطريق التى يسلكها لهذه الغاية ، كما أنه يقول هذا الكلام بصفة شخصية ، ولا بد من تصريح والده بالقبول

ثم عاد فعدل عن كلامه مكتفياً بارسال مندوبين للدعاية وإذاعة الأخبار

ولكن البارون تشبث بما عرضه فيصل ، وألح عليه فى بيان ما يلزم من النفقات . فأجابه بأن المبلغ يتراوح بين ثلاثين وأربعين ألف جنيه .

ثم قال الشريف : « إن أنور باشا دفع اليه خمسة آلاف جنيه لتجهيز قوة منظمة تلحق بالحملة الزاحفة على مصر ؛ وهو يخشى أن يمزج أنور بين هذا العمل الحربى ، والمشروع الذى يعرضه الآن ، والواجب التفرقة بينهما »

وبعد ذلك ذهب البارون لسفير ألمانيا البارون ونجهايم ، وأطلعه على ما عرضه فيصل ، فأظهر ارتياحه لذلك ، وكلفه بمقابلة أنور باشا ، لأخذ رأيه ، وصرح له بأن الدولة إذا لم تدفع المطلوب فان ألمانيا مستعدة لدفعه

وفى يوم ٨ مايو تقابل الدكتور مع الشريف على انفراد فسأله باعتباره أحد رجال الخديو المخلصين ، عن رأيه فى الخطة التى يتبعها مع رجال الدولة هو ووالده . فنصح له بألا يحدد مبلغاً معيناً خشية عدم كفايته ، وأن يترك ذلك لوالده ؛ وأنه يحسن عدم التعهد باحداث الثورات فى هذه البلاد من الآن ، حتى إذا لم يفلح المسعى اكتفى بالدعاية السلمية ؛ فوافق على نصائحه ؛ ثم طلب منه أن يبلغ البارون أنه يطلب لوالده

ساطة تامة فى كل ما يتعلق بالشؤون الحكومية فى الحجاز تسهيلا لهذا العمل ؛ وأنه فى حالة عدم النجاح والتشكك فى والده ، فهو يفضل الاكتفاء بالدعاية .

وقد أبلغ البارون هذين الطلبين ، فرفض الحديث فى الطلب الأول لأنه يعد تدخلا من الألمان فى شؤون الدولة ، ووعد بالكلام مع أنور باشا فى الطلب الثانى .

وقد تحادث البارون مع أنور ، فوافق على المشروع مبدئياً دون الدخول فى التفاصيل .

المشروع النهائى وانتهاء مهمة فيصل : وفى يوم ٩ مايو قابل الشريف أنور باشا فسلمه رسالة الترضية ، وفى طيها ورقة بالتركية تشمل نقط المشروع المراد تنفيذه وهى مختصرة تتلخص فيما يلى :

١ - تسيير أحد أنجال الشريف مع قوة منظمة للالتحاق بالحملة على مصر
٢ - إذاعة إعلان الجهاد فى البلاد الأسلامية الأجنبية
٣ - إرسال مندوبين لهذه البلاد وتوزيع الرسائل والمنشورات
٤ - السعى للفتك بمن يراد قتلهم من الأعداء
٥ - توصيل الأخبار التى تنمى الى الشريف من الخارج إلى تركيا
٦ - الاتفاق مع الوالى على النفقات اللازمة لهذه الأعمال

وفى يوم ١٠ مايو سافر الشريف من الاستانة

تقرير أوبنهايم : وقد كتب البارون أوبنهايم تقريراً عن هذه المسألة سرد فيه كثيراً من الحقائق التى تقدم ذكرها ومما جاء فيه :

« لقد كادت مهمة فيصل تنتهى بالفشل ، فرأيت من الواجب تلافى الحالة محافظة على التفاف البلاد العربية حول الخلافة ، وكان من الظروف الطيبة وجود أحمد شفيق باشا معى فى هذا الوقت بالاستانة ؛ وقد كنت أعرفه من أيام وجودى بمصر ملحقاً عسكريا للقنصلية الألمانية ؛ وهو يعرف فيصلا من أيام حج عباس

« وشفيق باشا هو الذى دبر اجتماعاتنا فى بيرا بالاس بعد ما أخذ فيصل إذنا من طلعت فى أن يتفاهم معى

« وقد وجدت أقواله التى أدلى بها مطابقة لمعلوماتى الخاصة التى جمعتها من تحرياتى

« وفى مبدأ الأمر كنت متشككا فى فيصل ثم وثقت به ، وتمكنت من إنهاء المسألة بمساعدة شفيق باشا الذى كان فى مركز يسمح له بأقناع الحكومة التركية بحسن نية فيصل ، وفسح المجال له ليتصرف »

« ومن الغريب أن التقارير التى قدمها سير مكماهون وسير ونجت ، عن الميدان الشرق ، دلت على أنهما كانا يبذلان جهداً عنيفاً لفصل الشريف حسين من الأتراك ولكن لم يحصل شيء من ذلك فى خريف سنة ١٩١٥ لأن فيصلا عاد من الأستانة مطمئناً .

« وكانت النتيجة أن حاصر الانجليز شواطىء الحجاز . ولو انضم الشريف اليهم في هذا الوقت الذى كان الاسطول يهدد الدردنيل لكانت ضربة قاضية على الاتراك ولكن فيصلا ظهر فى الخريف بفريق من البدو إلى جانب الجيش الرابع الذى يقوده جمال باشا ؛ ولو أنه لم يكن لهذا العدد القليل أهمية عسكرية ، ولكن كانت له دلالة معنوية كبيرة

« واختار فيصل بناء على طلب جمال باشا أن يقيم فى دمشق كأنه كان رهينة فى يده »

خشونة جمال باشا تسبب انضمام العرب للانجليز : وفى أثناء حديث بينهما طلب فيصل أن يراعى جمال باشا عواطف العرب فى الشام لأن اعدام بعض الوطنيين والمعاملة الشديدة التى عوملوا بها أثارت استياءهم فأجابه بحدة : « بأن ماعمله كان ضروريا ولوأن والده الشريف حسين حدث منه ما حدث من الوطنيين فى الشام للاقى جزاءه مثلهم »

فاستاء فيصل لهذا الجواب الخشن وأضمره فى نفسه ، وقرر أن يغادر الشام إلى الحجاز خفية .

وقد فعل وانتهت المسألة بانضمام شريف مكة للانجليز

الانجليز يعرضون ولاية العهد على عبد المنعم : علمت فى يوم ٧ مايو من (ى . بك) أن الانجليز أوفدوا الى البرنس عبد المنعم ، شقيق قنصل الانجليز في جنيف ، فعرض عليه قبول ولاية عهد السلطنة المصرية فأجابه الأمير بالفرنسية :

"Pour qui vous me prenez, je ne suis pas un fils qui trahit son père „

وترجمتها « من تحسبنى ؟ لست الولد الذى يخون والده » وبذلك انتهت المسألة

الخلاف بين الخديو ورجال الوطنيين وسفره الى السويسرة : فى يوم ١٢ يونيو اجتمعت مع يوسف باشا ومحمد فريد والشمسى والدكتور سيد كامل ولبيب بك ، وقد

عاد إلى فينا بأمر عباس ، فلاحظ يوسف باشا أننا نسير بلا نظام في عملنا ، وأنه وضع أسئلة للبحث فيها وتقرير خطة معينة للعمل بعد الجواب عليها

بحث موقف الخديو من جميع الوجوه : وفى يوم ١٣ اجتمعنا للبحث فى الأسباب التى حملت المصريين الوطنيين عند إعلان الحرب الحاضرة على انضمامهم لتركيا وحلفائها ، وقررنا أن السبب ، هو الأمل فى تخليص مصر من الاحتلال الأنجليزى ، والقيام بالواجب نحو الدولة العلية .

وكان السؤال الثانى : هل كان المصريون الوطنيون يؤملون إعادة استقلال مصر الداخلى حسب الفرمانات وكان الجواب بالايجاب

وبحثنا فى السؤال الثالث : وهو ما الضمانات التى أخذت للوصول إلى تحرير مصر من الانجليز مع حفظ امتيازاتها ، والجواب هو ما أعلن فى الارادة الشاهانية ويحسن الاستزادة من هذه الضمانات

وفى يوم ١٤ منه بحثنا فى الأسباب التى أدت إلى خروج الخديو من الاستانة فاستعرضنا هذه الوقائع واحدة فواحدة ، وبعد عدة جلسات كانت الآراء النهائية : أن ما حدث يدل على تحول فى السياسة التركية نحو مصر والخديو . ورأى ثان — وهو رأيى — أن هذا لا يدل على تحول بل ما حصل كان مجاملة للصدر الذى يحقد شخصياً على الخديو . ورأى ثالث باحتمال الرأيين السابقين . وعلى العموم فقد قررنا أن يتقرب الخديو من رجال تركيا وأن يعود إلى الاستانة لمناسبة شهر رمضان حسب دعوة السلطان ويقيم عدة مآدب يدعو إليها رجال تركيا

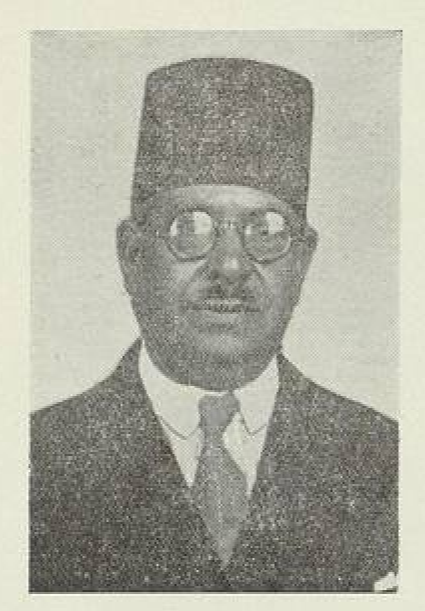
وفى يوم ١٦ اجتمعنا فى جلستين واقترح يوسف باشا أن يتبع الخديو خطة تهديدية للحصول على ضمانات لمصر ولشخصه ، وذلك بأن يهدد بتنازله عن عرشه واعلان ذلك لرجال تركيا وألمانيا والنمسا ، وهم يخشون تصريحاً كهذا يعرقل عمل الحملة ، ولكننا لم نوافق عليه ، واعتبرناه سلاحا ضدنا للصدر يقنع به الألمان بعداء الخديو ، فسحبه الباشا ولم يقيد فى المحضر

وبعد ذلك عملنا تقريرا وافيا بواسطة الدكتور سيد كامل ، وعرضناه على الخديو يوم ١٨ منه فوافق عليه ، ماعدا نقطة التقرب من الاتراك فانه تلقاها واجما ؛ وعندما سمع قرارنا بعودته إلى الاستانة فى رمضان ، جاهر باستيائه من هذا القرار

ألم الخديو من بعض القرارات : وفى اليوم التالى بينما كنت داخلا عند الخديو —

وقد عرفت أنه متوعك ـ سمعته يقول بعد التأوه « لما كنت فى مصر كان الناس يقولون : إننى سبب الاصطدام مع الانجليز وسبب الارتباكات التى تقع ، والآن هاهم أولاء يقولون : انى سبب الشقاق مع الاترك فأنا فى حيرة » . وقد هممت أن أصارح الخديو في هذه النقطة برأيى لولا أننى وجدته متوعكا ، فأشفقت عليه ، وصمت

خلاف الخديو مع رجاله : وفى يوم ٢٦ تقابلت مع « مدام روشبرن » صديقة فريد ، فأخبرتنى بأن الخديو صارحها باستيائه من قرارنا الذى يشير برجوعه إلى الاستانة لمناسبة شهر رمضان ، وقال : « إنه لن يعمل بهذا القرار ، وكذلك سمعت من عبد الله البشرى افندى وكان قد وصل إلى فينا يوم ٢٩ منه أن الخديو متألم من قراراتنا ويقول عنا « هم يريدون انتحارى » !


عبد الله البشرى افندى

سفر الخديو إلى سويسرة : فى يونيو وردت لى برقية من عائلتى بجنيف لأسافر اليها ، فقلت ليوسف باشا : « إننى سأطلب أجازة بضعة أيام فقال : « ولكنى أنا أيضاً طلبت أجازة ، ورخص لى فيها » فأجبته بأنه يجب ألا نترك الخديو وحده . وكانت صاحبته واقفة فقالت : « الخديو لا يريد أن يرى أحدا منكم » فامتعضت لهذا الكلام وأجبتها بأنها غير صادقة فيما تقول ، وطلبت منها أن تتركنا نؤدى واجبنا نحو أميرنا ، ثم أدرت لها ظهرى وخرجت غاضبا . وقد سافرت بأجازة بضعة أيام ؛ ولكن جاءتنى برقية من جلال الدين باشا بأن أبقى لحين صدور أوامر أخرى : فعلمت حينئذ أن الخديو لا يرغب فى وجودى كما صرحت صاحبته

رأى رجال الخديو فى موقفه : وقد اجتمعت هناك بالأستاذ فهمى وأطلعته على قراراتنا فوافق عليها .

وفى يوم ١٢ يوليو قابلنى على بك الشمسى ، وأخبرنى أنه كان فى « لوسرن » منذ

أربعة أيام ، وأن الجناب الخديوى حضر إليها ، وعلم منه مايأتى :

أن سفير تركيا فى فينا تكلم مع سموه فى السفر الى الاستانة لتمضية شهر رمضان وقال له : إنه بلغه من فريد بك أن جميع المصريين على هذا الرأى ، وأنه سيخاطب وزير خارجية المانيا في ذلك ، فظن سموه أن الرأى سيتفق على ارساله إلى الأستانة رغب أم لم يرغب ، وخاف من ذلك . فقال للسفير : إنه الآن يغير الهواء وسيمر على كارلسباد ، ومر عليها فعلا بالسيارة وحجز له غرفا فيها ثم رجع إلى فينا دون أن يدخل الفندق ، وتنقل من مكان إلى آخر فيها ، حتى جاء ميعاد القطار المسافر من فينا إلى « انسبروك » فركبه هو وصاحبته وخادمتها ، ويوسف صديق وعبدالله البشرى ، وجاءوا إلى لوسرن بجواز ألمانى حرره له ثريا بك معتمد ألمانيا فى فينا بصفة سموه ألمانيا (يعنى أنهم هربوا)

وقد علمت أن هذا هو سبب غضب الخديو على وإرسال البرقية لى بالبقاء فى جنيف

وأخبرنى الشمسى أيضا أن سموه يقول: « سيقول رجال الحزب الوطنى ومن معهم (يعنى شفيق) إننى خائن ؛ وهم لايعلمون شيئا من دخائل السياسة التى أعرفها ، وأعرف ماترمى إليه أعمال الأتراك »

وفي يوم ١٣ منه اجتمعت معه وتفاهمنا فيما يجب علينا نحن المصريين بازاء خروج الخديو بهذه الصفة ، ووجود اشاعة بأن سموه ينوى الاتفاق مع الانجليز على أن يتنازل عن الخديوية نظير اعطائه مخصصات سنوية قدرها ٢٠ أو ٢٥ ألف جنيه ، وتولية ابنه بعد السلطان حسين . وقد قلت للشمسى بك : وانى لن اتقهقر أمام سموه عند مقابلتى له ، وسأسأله عن حقيقة نيته ، وإذا كان يريد التنازل فاننا نتخذ الخطة مع الأتراك والألمان لتولية البرنس عبدالمنعم ، وهم يفضلون ذلك على رجوع الخديو الى الاستانة ، ثم استقر رأينا على طلب فريد للتفاهم معه في الأمر

وفى يوم ١٥ منه اجتمعنا به وكان رأينا جميعا أن عمل الخديو يؤخرنا خطوات ، بعد أن كنا تقدمنا خطوة بالرسالة التى بعث بها إلى الصدر كما أسلفنا

ثم حضر عندنا يوسف صديق ، فأخبرنا أن الخديو فى الأيام الأخيرة كان يخفى عنه أسراره ، ويتحادث فقط مع محمد باشا يكن ، وأنه برىء من الاشتراك فى تدبير أمر الخروج من النمسا ، وصرح لنا بعزمه على ترك خدمته .

وفى يوم ٢٨ يوليو زارنى عبدالله البشرى ، وعلمت منه أنه حضر لمقابلة يوسف صديق وابلاغه رسالة قال عنها : « إنها ثقيلة » فقلت : « إن الأحسن إذا شاء الخديو أن يتخلص من أحد رجاله أن يكون ذلك بالحسنى ، بدلا من الانفصال بضجة » فقال عبد الله افندى : « الظاهر أن افندينا رامى طوبتها » وقال لى : « هلا تذهب لمقابلة الخديو ؟ » ففهمت أن عباسا هو الموعز بذلك ، فقلت : « إننى لا أذهب ما دام عندى أمر من جلال الدين بألا أحضر إلا بطلب »

تهديد تركيا للخديو بسحب الأوسمة وشكوى عباس للسلطان : وفى يوم ٢٠ أغسطس علمت أن ضيا بك قنصل جنرال الدولة فى جنيف قابل الخديو — ولم أعلم فى هذا اليوم ما دار بينهما — ولكن فى يوم ١٣ سبتمبر لقيت الأستاذ فهمى فأخبرنى أنه قابل الخديو فأظهر له تألمه من رجاله وأنهم خانوه ، فأبلغوا اسراراً قررت بينهم وبينه إلى سفير الدولة بفينا ، وهى الخاصة برجوعه إلى الاستانة فى شهر رمضان . ثم قال له « والآن يحضر قنصل جنرال الدولة فى جنيف ، ويهددنى بأننى إذا لم ارجع فان الدولة تسترد منى الرتب والنياشين . وفى أى شىء تنفعنى هذه الرتب ؟ وهل كان يصح أن يذهب شفيق وفريد ويخبرا سفير الدولة فى فينا بسر من أسرارنا ؟ »

ثم خاطب الأستاذ فهمى قائلا : « والظاهر أنك وافقتهم على فكرهم ولا أعلم ماذا قالوا لك حتى اقتنعت » فرد : بأنه موافق نعم على فكرة الرجوع إلى الاستانة فى رمضان : فقال الخديو « وما هى الجريمة التى ارتكبتها فى مجيئى إلى سويسرا ؟ وهل يخطر على بال أحد أنه بمجرد خروجى من النمسا اعتبر قد عزمت على الاتفاق مع الانجليز كما يشيعون » ؟ !

وبعد خروج قنصل الدولة حرر الخديو الشكوى الآتية :

شكوى عباس من قنصل تركيا فى جنيف : مولاى ياصاحب الجلالة . أتشرف بأن أعرض على مسامع جلالتكم أن أسبابا شخصية أوجبت على منذ زمن وجيز أن أذهب إلى السويسرة

وبناء على الأوامر التى صدرت من الباب العالى إلى قنصل جنرال الدولة العلية والتى استغربت لها ، عرفنى بأن وجودى فى السويسرة غير مرغوب فيه ؛ وفى بلاغ آخر أمرنى بالرجوع إلى الاستانة فى الحال ، وطلب منى الاجابة اما بالقبول أو الرفض

بدون شرط ولا قيد . وفى ١٨ أغسطس أخطرت الباب العالى رداً على ذلك بأنه لم يدر بخلدى الامتناع عن الرجوع إلى الاستانة، وما كان حضورى إلى السويسرة إلا لأسباب اضطرارية وانى اكرر الاعراب عن اخلاصى لجلالتكم ، وولائى منذ تبوأت عرش مصر سنة ١٨٩٢ للدولة العلية صاحبة السيادة ، وأن الحوادث الأخيرة لتدلكم على محبتى لجلالتكم واخلاصى لدولتكم، مما يفرضه على شعورى الدينى، ويوحيه إلى ضميرى

وقد مضت أربعة أيام بعد ارسال الرد المشار اليه ، وإذا بالقنصل يرى من واجبه أن يخطرنى بالرجوع بواسطة محكمة احدى المقاطعات السويسرية فحضر عندى موظف من قبل البوليس المدنى فى يوم ٢٤ أغسطس ، لكى يسلمنى شخصيا هذا الاخطار ، ومعه وصل طلب منى التوقيع عليه بما يفيد الاستلام، فلم يسعنى إلا أن أرفض رفضا صريحا ، لاجئا إلى بابكم العالى محتجا على أعمال هذا القنصل وإنى لأسائل نفسى — وما كنت انتظر هذه المعاملة من بعض رجال الحكومة السنية — أى شىء اقترفته حتى استوجب هذه الشدة وهذه الغلظة ؟ إلا أن هناك أراجيف وأكاذيب اشيعت فى الاستانة فوجدت آذانا صاغية وقلوبا واعية ، وهذه الأراجيف وهذه الأكاذيب من بعض ذوى النيات الخبيثة ، والنفوس الدنيئة ، يريدون بها ارضاء حزب يدعى خيانتى للدولة، وأنى منفصل عن الغاية المنشودة ، واننى كنت متصلا ببعض الدول المعادية لها، وما أكذب هذا الافتراء وهذه الأقاويل ؟ لقد حضرت إلى السويسرة أكثر من مرة ، دون أن يستوجب حضورى سوء ظن الباب العالى

ولو صح هذا الادعاء لكان الأولى به وقت وصول الجيوش الروسية إلى حدود أراضى المجر، والحملة على الدردنيل فى بادىء أمرها . مع أننى اليوم أرى أن الجنود الشاهانية تذود ببسالة عن حمى الدولة ، بينما جيوش الممالك المتفقة معها تنتصر فى الشرق انتصارات عظيمة متوالية؛ وأن الوقت لم يحن لانفصالى عن الغاية المقدسة المشتركة التى هى محور الرجاء وقبلة النظر ، وانى منذ صارت انجلترا وروسيا يداً واحدة لم أر نجاة للدولة العلية إلا فى تقربها من ألمانيا ؛ وتلك هى نظريتى التى لا يزال الزمن يؤكدها لى . وأختم شكواى لجلالتكم بأننى آمل غير الذى حصل وأرجو زوال الوساوس القائمة من شهور عدة بينى وبين الدولة العلية ، رغما عن

بذل مجهودي في استئصالها ، والسبب في كل هذا هو سوء ظن الحكومة العثمانية بما لا استحقه ، حتى استبعدت كل الاستبعاد منذ اكثر من عشرة شهور من مهمتي الحقيقية ، التي كان في امكاني أن أقوم بها لبلوغ الغاية العامة لبلادي وللدولة صاحبة السيادة ، وفي هذا الوقت العصيب أبدي لجلالتكم أنني أود أن أظل دائما مخلصا لجلالتكم صبوراً على تحمل الصعاب . واني في انتظار النتيجة النهائية التي أرجو أن تحصل ، في عظمة ورفاهية دولة جلالتكم

بيني وبين الخديو : وفي يوم ٢٤ منه وردت لي رسالة من عبد الله البشري يقول فيها : « ان الخديو أمره أن يكتب في طلبي مع السرعة في الحضور » فسافرت إلى لوسرن . وفي صباح ٢٥ منه لقيت الدكتور سيد كامل ، ثم عبد الله البشرى ، وتوجهنا لمقابلة الخديو ، وكان في الرياضة ، ولما دخل سأل : « كيف أنت ياشفيق ؟ » فأجبته : « بخير » ، وهممت بتقبيل يده فسحبها مني دلالة على أن في نفسه شيئاً ، ثم جمعني مع كل المصريين الذين كانوا في لوسرن ، وكان يقصد أن يعاتبني بمسمع منهم حتى لا أستطيع الرد عليه بصراحة ، وهم : محمد باشا يكن ، والشيخ محمد عثمان ، وعبد الله البشرى ، والدكتور سيد كامل ، وغيرهم . ثم سألني عن مقابلتي لسفير الدولة ، فنفيت ما نمي اليه من أنني أبلغت السفير شيئاً ، ودللت على كذب هذا الخبر بأن فريداً لم يكن معي مطلقاً كما يقولون . وكذلك بعد سفري الى الاستانة لم أتحدث إلا مع التحفظ ، فلما سئلت عما إذا كنتم سموكم ستزورون الاستانة في رمضان أجبت : بأني لا أعلم — وقد يقع ذلك إن شاء الله — وتلك هي رغبتنا جميعاً (وكررت هذه الجملة)

ثم خاطبت سموه بحدة قائلا : « يا أفندينا كل الذين يعملون معك لا يعرفون نياتك وخططك السياسية ، وكل منهم يخمن تخميناً فيما يريد ؛ وأنا أيضا لم أفهم سياستك ولا أعرف الوجهة التي تقودنا اليها : وأنا بصراحتي المعهودة لا أستطيع أن اكتم عنكم ماأعتقده صواباً ، ولست كهؤلاء الذين حولك فهم لايجسرون على مصارحتك بآرائهم ، ولقد تحالفنا مع الاتراك ، والآن إذا تركناهم فالى من نذهب بعد عدائنا للانجليز ؟ » فقال : « أما سياستي فهي الانتظار هنا حتى نعرف نتيجة الحالة »

وبعد ذلك قال سموه : « وهناك مسألة أخرى غير مسألة السفير التركي ، وذلك أنك لم تدافع عني عندما هاجمني محيي الدين بك جلال بخصوص فكرة المستشفى بالاستانة » فرددت عليه بأنني لم أقصر في الدفاع عن سموه ، وتأدية الواجب الذي يحتمه على ضميري

ثم تركته على أن أعود في الساعة الثالثة والنصف بناء على طلبه . وبعد خروجنا قال الدكتور سيد كامل : «لنجتهد فى ارجاع الخديو إلى فينا» . ولما اجتمعنا به حسب طلبه كانت المناقشة هادئة ، وحاولت اقناعه بخطر الاقامة في سويسرة إذ يفسر الاتراك ذلك بأنه عداء لهم ، ويدخلون هذا في روع الألمان ويزينون لهم ترك الخديو ، والحملة فى طريقها إلى مصر ؛ ووافق الدكتور على ما قلت . فرد سموه بأنه لا يأتمن الاتراك ؛ ويعتقد أنهم لن يرجعوه إلى أريكته ، وكذلك هو لا يثق بالألمان لأنهم يحابون تركيا؛ وقد كذبوا عليه كثيرا فى وعدهم له بمقابلة الامبراطور .فقلت : « يامولاى أن الألمان لايريدون اغضاب الأتراك وإنه نظراً لسوء التفاهم بيننا وبين رجال الدولة تحاشوا مقابلة سموكم للامبراطور ؛ فاذا حسنا العلاقات مع تركيا تحسنت أيضا مع المانيا »

ثم خرجت والخديو غير مقتنع إلا برأيه بالبقاء فى سويسرا

سوء ظن الخديو برجاله : وقد ظلت الحالة تتحرج بين الخديو والرجال الذين يعملون معه ، ويزداد سوء ظنه بهم يوما بعد يوم ، ويزيد ذلك فى بعدهم وتفرقهم من حوله . ومن ذلك أنه فى يوم ١٠ ديسمبر وكنت بحضرته قال عن فريد : «إنه كان مخلصا ووطنيا ولكن لما اختلط في أوربا بالطلبة فقد مزايا الرجولة ، وأصبح يعتقد أن خلاص مصر انما يكون بانشاء جريدة يكتب فيها كلام ، فى حين أن الكلام يذهب فى الهواء والواجب هو الجهاد والتضحية ! »

وكان هذا بمناسبة عرض فريد لفكرة انشاء جريدة فى سويسرة تدافع عن حقوق مصر ورفض الخديو ذلك فى الوقت الذى اشترى فيه لصاحبته بعض الجواهر وأعطاها مبالغ كثيرة من النقود الألمانية

توجيه انذار لعباس . ونظراً لهذه الأحوال دعوت كلا من محمد فريد بك وعلى الشمسى بك واسماعيل لبيب بك والاستاذ محمد فهمى إلى منزلى ، وتذاكرنا فى هذه الحالة ثم قررنا كتابة الانذار التالى لعباس :

« مولانا الخديو المعظم

« قامت الحرب الأوربية من نحو عام ، وكان سموكم موجودا بالاستانة العلية ولما أردتم العودة الى مصر مقر الأريكة الخديوية منعكم الأنكليز من ذلك ، عندها فكرتم فى الأتفاق مع تركيا ، وقد تم ذلك بينكم وبين سعادة ناظر الحربية أنور باشا

وحضور ممثل دولة ألمانيا الفخيمة البارون وانجنهايم ، وقد رأى الوطنيون أيضاً ضرورة اتفاق جميع طبقات الأمة المصرية على اختلاف احزابها ، والتفافها حول سموكم لانتهاز هذه الفرصة السانحة لتخليص مصر ، لذلك اجتمعنا بالاستانة وقررنا السير معاً للوصول إلى هذه الغاية الشريفة ، فلما شعر الأنكليز بأن سموكم يعمل بالاتفاق مع رجال تركيا والوطنيين المصريين طلب سفيرها بالاستانة منكم السفر الى إيطاليا للأقامة بها . حتى تضع الحرب أوزارها ، فرفضتم الانصياع لأوامر الدولة المحتلة وفضلتم تحمل كل ما ينجم عن ذلك من النتائج السياسية وغيرها ، وقد وقع هذا العمل موقع الاستحسان لدى المصريين والعالم الأسلامي أجمع ، وفي أول شهر نوفمبر خاضت الدولة العلية غبار هذه الحرب الضروس ، وفى ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٤ سافرتم إلى ويانة حسماً للنزاع القائم بين جنابكم العالى ودولة الصدر الأعظم لأسباب أغلبها عائلية قديمة ، وفى ١٨ منه أعلنت انكلترا الحماية على مصر ، وقررت عزل سموكم وتعيين حسين كامل سلطاناً عليها .

وقد اجتمع الوطنيون في مدينة لوسرن من أعمال سويسرة تحت رئاسة جنابكم العالى ، فتقرر مبدئياً تعيين لجنة مركزية تعمل بالاشتراك معكم فى جميع الأعمال السياسية ، وفى اجتماع آخر فى ويانة تأيد هذا القرار ، ولكن نلاحظ مع الأسف إهمال تنفيذه . وفي شهر يونيه سنة ١٩١٥ اجتمع ممثلو الوطنيين بأوروبا مع بعض رجال حاشيتكم لبحث الحالة السياسية ، وتقرير الخطة الواجب اتباعها لتحقيق آمالنا الوطنية ، وبعد عدة جلسات تقرر بالأجماع ضرورة عودة سموكم إلى دار الخلافة حتى تكونوا بجانب جلالة الخليفة المعظم فى شهر رمضان على الأقل ليزول سوء التفاهم وتتحسن علاقتكم الشخصية مع بعض رجال الحكومة العثمانية . فرفضتم أولا ، وبعد إلحاح شديد أفهمتمونا بأنكم ستتروون فى هذا الأمر . بعد ذلك سافر كل منا إلى وجهته ، وسافرتم سموكم إلى كارلسباد بعد أن زرتم جناب ناظر خارجية النمسا وسفيرى الدولة العلية وألمانيا ، وعرفتموهم بأن ذهابكم إلى كارلسباد هو للاستشفاء ، ثم تعودون إلى ويانه .

أقمتم ثلاثة أيام فى كارلسباد ، ثم عدتم خفية إلى ويانه بعد أن خابرتم سعادة يوسف باشا صديق لانتظاركم ؛ ثم سافرتم ليلا إلى السويسرة بدون أن يعلم أحد من حلفائكم بتغيير وجهتكم . واستصحبتم معكم كل عفشكم ، وأتيتم إلى لوسرن بقصد الأقامة بها وعدم العودة كما ظهر لنا من أقوالكم أخيراً

ولما علمت الدولة العلية بمجيئكم إلى السويسرة بهذه الصورة غير المرضية داخلها الشك فى أن قصدكم من وجودكم فى بلد محايدة التمكن من مخابرة الأعداء للانضمام معهم ضدها وضد حلفائها، فكلفت قنصلها فى جنيف بأن يبلغكم رغبتها فى أن تعودوا للأستانة منعاً للشبه، فوعدتم بأرسال الجواب على ذلك إلى الأستانة؛ وفعلا كلفتم صهركم جلال الدين باشا الذى كان إذ ذاك بالأستانة بأن يقابل سعادة ناظر الداخلية طلعت بك، ويخبره بعزم سموكم على العودة فى شهر سبتمبر، وبعد أسبوع تقريباً عاد إليكم القنصل، ومعه خطاب آخر يلح عليكم بالعودة فى أقرب وقت. فرفضتم استلام الجواب المذكور، وأرسلتم جواباً إلى دولة الصدر، وآخر إلى سعادة ناظر الداخلية طلعت بك مظهرا استياءكم من هذه المعاملة، وقبل أن يصل إلى سموكم الرد على ذلك أرسلتم خطاباً آخر إلى جلالة السلطان مكررين الشكوى ومعلنين عزمكم على البقاء بسويسرة حتى نهاية الحالة الحاضرة، التى تتمنون أن يكون ختامها فى مصلحة الدولة

أثناء مجىء أحدنا اسماعيل لبيب بك من الأستانة قابل فى ويانة يوسف صديق باشا، وسأله عن أسباب ذهابكم إلى السويسرة، وصدور أمركم بقطع مرتبه؛ فقال: « تركت الجناب العالى لأنه سائر فى طريق سياسى مضر به وبالبلاد، ولأنه ممتنع عن أن يرد الى الحكومة الالمانية مبلغ مليون وستمائة ألف فرنك الباقى لديه من مبلغ خمسة ملايين فرنك، كان أخذها ليصرفها فى فرنسا وإيطاليا لمشترى الجرائد وبعض النواب ورجال السياسة، ولانه يتخابر الآن مع فرنسا وانكلترا لتحفظا له أملاكه فى مصر والواسطة فى ذلك باغوص نوبار باشا وأغاطون بك الأرمنيين، وأنه كتب جواباً إلى بولو باشا الفرنساوى يفوضه تفويضاً تاماً فى مخابرة الأعداء فيما يختص بمصالحه الشخصية، والمسألة المصرية؛ وأن هذا الجواب محفوظة صورته الفتوغرافية فى نظارة خارجية فرنسا. ولما أخبرنا اسماعيل بك بأقوال يوسف صديق باشا رأينا أن يسافر ليقابل جنابكم العالى، ويتحقق منكم صحة ما ينسبه اليكم الباشا المذكور سافر إلى لوسرن ووجدنا شفيق باشا، فقابلا سموكم معاً، وعرضا عليكم العودة إلى النمسا أو ألمانيا، فاظهرتم عدم الرغبة فى ذلك مطلقا؛ وكانت نتيجة المقابلة أن اعترف سموكم بقبض المبلغ وصرف أغلبه فيما كلفتم به؛ وانكم ستردون الباقى بعد عمل الحساب. أما عن مخابرة الأعداء فنفيتموها، واعترفتم فقط بتكليفكم أغاطون بك بالذهاب إلى مصر لملاحظة أشغالكم الزراعية، وإفادتكم عنها. بعد ذلك سافر إلى لوسرن

فريد بك وعلى الشمسى بك ، وقابلا سموكم أيضاً ، فكان جوابكم لهما كجوابكم لزميليهما ثم أطلعتموهما على صورة الجواب الذى أرسله جنابكم العالى إلى جلالة السلطان وسبق ذكره

« يلاحظ الموقعون على هذا بكل أسف ، أن سمو الخديو لم يحسن عملا فى قبوله التوسط لدى رجال الصحافة والسياسة فى فرنسا وايطاليا ، ووضع نفسه موضعاً لا يتفق مع كرامة سموه وشرف الأمة التى يمثلها جنابه العالى ، كما أنهم يلاحظون أيضا أن سموه محاط بأشخاص من رعايا الدول المعادية ، وله بواسطتهم علاقات مع تلك الحكومات لا نعرف حقيقتها ، ونعرف من هؤلاء الوسطاء المسيو بولو (باشا) الفرنساوى والمسيو كافالينى الطليانى ، ومدام روشبرن الفرنساوية التى تحمل جوازين أحدهما فرنساوى والآخر ارجنتينى

« وقد استدعاها سموه إلى ويانه ثم ارسلها إلى فرنسا بمأمورية كما تدعى ، وهى معرفة أفكار الفرنسيين والانجليز نحوه ، وهل يوجد استعداد لديهم للدخول فى المخابرة معه ، وقد قالت إلى أحدنا الشمسى بك ، إنها قابلت سكرتير سفارة انكلترا بباريس ، فاظهر لها أن الحكومة الانكليزية لا تود مطلقاً الدخول فى مخابرات مع سموه لانها تعده كمية مهملة ، لأنه مجرد عن كل نفوذ حقيق ؛ وإذا كان معه الآن الوطنيون الذين كانوا بالأمس ضده ، فما كان ذلك إلا لأنه سائر في طريقهم ، فاذا أراد الاتفاق معنا انفضوا من حوله . أما رجال السياسة فى فرنسا فقالوا إنهم مستعدون للتوسط بينه وبين الحكومة الانكليزية ، لضمانة أملاكه بعد أن يتنازل عن حقوقه في الخديوية ، وأن يعلن الأسباب التى حملته على ترك ألمانيا ، وتركيا بشرط أن تكون تلك الأسباب مشينة ، وتدل على خيانتهما له ؛ وقالت لغيره أيضا : وإن سموكم طلبتم منها الذهاب الى الاستانة ، وعمل المساعى اللازمة بواسطة من تعرفه هى من الضباط الاتراك للتوصل للذهاب إلى جناق قلعة لزيارة معاقل الدردنيل ، وتقديم تقرير عنها لسموكم »

« وبهذه المناسبة نذكر أن من ضمن ماقاله يوسف باشا إلى أحدنا اسماعيل بك لبيب إنكم قلتم له بأن لديكم معلومات ورسوماً مهمة جداً عن جهات الاناضول تريدون تقديمها إلى ايطاليا إذا دخلت الحرب ضد تركيا

« ورغما من أن اسماعيل بك حذر سموكم من هذه المرأة لما يحيط بها من الشكوك فانها في ثانى يوم حضرت إلى لوسرن ، وتشرفت بمقابلتكم مرات عدة ، وتدعى الآن أنكم ستدعونها قريبا لتقيم بجواركم

لذلك يرى الموقعون على هذا أنه من الواجب عليهم نحو سموكم، ونحو مصر العزيزة أن يلتمسوا من جنابكم العالى ، أولا ـ رد ما يكون باقيا لديكم من نقود ألمانيا فورا . ثانيا ـ قطع كل علاقة مع هؤلاء الأشخاص بولواخوان ومن على شاكلتهم . ثالثا ـ العودة إلى الاستانة أو على الاقل الى إحدى بلاد ألمانيا أو النمسا . رابعاً ـ تنفيذ ما تقرر فى اجتماع لوسرن فى شهر ابريل الماضى ، وتأيد فى اجتماع ويانه فى شهر يونيه ، من وجود لجنة مركزية تمثل الوطنيين بجانب سموكم لتشترك معكم فى كل الأعمال السياسية الخاصة بمصر

هذه هى طلباتنا يامولانا ، نقدمها بكل احترام إلى سموكم ، راجين قبولها لأن فيها دون غيرها تحقيق آمالنا ، وحفظ شرف خديوينا وكرامة أمتنا ، وإننا نعد سموكم بأننا نعمل معكم إذ ذاك بكل إخلاص وصدق كما كنا للآن ، وإلا فواجبنا الوطنى يحتم علينا أن نسلك طريقا آخر ، يكون فيه تحقيق آمالنا ، وسلامة وطننا العزيز

المخلصون لسموكم

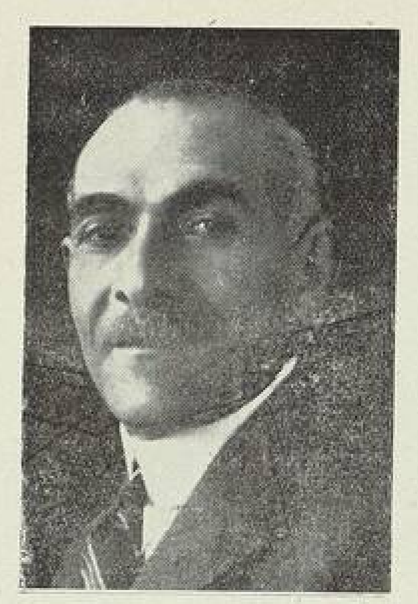
محمد فريد — على الشمسى — اسماعيل لبيب
محمد فهمى — احمد شفيق



محمد فريد بك



على الشمسى بك



الاستاذ محمد فهمى



اسماعيل لبيب بك

وتقرر بيننا أن أرفع أنا هذا الأنذار للجناب الخديوى ، ولكن لما علمنا أن الخديو — رغم معارضة صاحبته لوزانج الفرنسية ـ قد سوى حساب باقى النقود الألمانية مع موسيو بادل ـ الذى انتدبته وزارة الخارجية الألمانية لهذا الغرض — عدلنا عن تقديم الأنذار وانتزعنا امضاءاتنا منه

شؤون مختلفة :

محب باشا فى نظر الالمان : فى يوم ١٩ فبراير قابلت موسيو الكساندر فسألنى عن رأيى فى محب باشا ، وعما إذا كان مخلصاً للخديو ؟ فقلت : « الظاهر أنه مخلص » وأخبرته بما ورد فى كتاب رشدى باشا بقبول النظارة السلطانية فى مصر ، وخروج محب منها ، وأنه يفهم من هـذا الكتاب عدم مشاركته للنظار فى تصرفهم . فقال الكساندر : « إن محباً أرسل الى الأستانة ثم إلى إيطاليا من قبل الانجليز للتجسس على المصريين الذين أبعدوا من مصر ؛ وسأنقل كل ذلك شفهياً للخديو ؛ ولو حضر محب باشا لبرلين ؛ وطلب منى أن أعطى معلوماتى بخصوصه ؛ فلا أقول إلا بمنعه من الاقامة وطرده منها

وفى يوم ٢١ منه سأل البارون اوبنهايم يوسف صديق عن محب ، فأجابه

بأنه يظن أنه مخلص للخديو ، ولو أن المصريين لايرون ذلك ، لاعتقادهم بأنه صنيعة الانجليز

وقد سألني البارون كذلك فأجبته بما أجبت به الكساندر ، وتبين لي أن سبب هذه الأسئلة أن البارون قابله ، وهو معجب بأفكاره ويريد التأكد من إخلاصه

حفلة وداع لهندى كبير وخطبتى فيها : في يوم ٢٢ ابريل دعاني محمد بركة الله افندى الهندى ، وكنت قد تعرفت اليه من قبل عند البارون أوبنهايم ، لتناول الشاى في فندق شاهين باشا بالأستانة . وكانت هذه الحفلة قد أقيمت لوداعه قبل رجوعه إلى الهند للقيام بأعمال اسلامية . وقد حضرها نحو ثلاثين مدعواً من بينهم الدكتور نظمى ، وهو عضو مسلم فى جمعية الاتحاد ، وأسعد باشا الحكيم ، والشيخ الرئيس العجمى . ومن المصريين الدكتور سيد كامل ، والدكتور احمد فؤاد ، وحلمى مسلم وحضر كذلك البارون .

وبعد تناول الشاى ألقى بركة الله خطاباً بالعربية ، شكر فيه الحاضرين على تلبية الدعوة ثم ودعهم بأسلوب لطيف .

وقام بعده أحد الحاضرين فتمنى له سلامة الوصول ، ودعا للمسلمين ، والخليفة السلطان محمد رشاد

ثم أعقبه البارون فقال بالعربية : « إنه هو وإخوانه الألمان مسرورون باتحاد العناصر الاسلامية لتقوى بالاتحاد ، وألمانيا تساعدهم لأن ذلك فى صالحها وصالحهم »

وبعد ذلك دعانى بركة الله لأقول شيئا فقلت : « ماذا أقول بعد ما سمعناه من الخطباء إلا الأعراب عن الغبطة والسرور بهذا الاجتماع ، وإلا أن نتمنى لبركة الله افندى السلامة فى السفر والاقامة ، والنجاح في مهمته ، ثم طلبت اليه أن يهدى تحياتنا لاخواننا الهنود ويقول لهم : « إن الفرصة سانحة للمسلمين ليهبوا من رقادهم ، ويتحدوا قلباً وقالباً ، فيدالله مع الجماعة ، وينبغى أن نلتف جميعاً بحرم الخلافة لتكون لنا وجهة واحدة »

وقد انفضت الحفلة ولم يخطب فيها أحد من الأتراك

الاتحاد العربى : فى يوم ١١ مايو كنت مسافراً من فينا إلى جنيف لأمور عائلية . وقد لقيت البرنس محمد على وشكرى بك سكرتيره . ولما انفردنا قص على البرنس أموراً هامة عن بلاد العرب ، فقال : إنه فى العام الماضى شكلت لجنة سميت بالمؤتمر تحت

رياسة سموه وفيها من الأعضاء : طالب بك من البصرة ، ومندوبون عن الشام ومكة والادريسى وغيرهم . وكان الغرض من المؤتمر السعى إلى توثيق الاتفاق بين أمراء الجزيرة وإنشاء إدارة داخلية خاصة لكل منطقة يحكمها أمير عربى ، وأن تنتخب الدولة حكاما وقضاة يعرفون العربيـة . وأن تدرس اللغة العربيـة فى جميع المدارس بتلك البلاد .

ولكن لما كانت الضغائن بين أمراء العرب شديدة ، فكروا فى انتخاب الخديو للرياسة . ونظراً لما يعلمونه من تردده قر قرارهم على انتخاب البرنس محمد على .

ولما نشبت الحرب توقفت أعمال المؤتمر وقر القرار على توصية العرب بأن لايتمردوا على الدولة ، بل عليهم مساعدتها حتى تنتهى الحرب ، وبعد ذلك ينظر المؤتمر فيما يجب عمله



الأستاذ عبد العزيز الثعالبى

وقدعرفت فيما بعد من الوطنى الكبير الأستاذ عبد العزيز الثعالبى أنه تألفت لجنة عربيةفى باريس لعقدمؤتمرعربى بها ؛ وفى يوم ١٨ يونيوسنة ١٩١٣ افتتح المؤتمر جلسته الأولى فى قاعة الجمعيـة الجغرافية برياسـة السيد عبد الحميد الزهراوى ، وشهده ثلاثة وعشرون مندوباً عن مختلف البلاد العربية . ثم عقدت ثلاث جلسات أخرى وانفض المؤتمر على القرارات الآتية :

١ — إن الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية فيجب أن تنفذ بوجه السرعة .

٢ — من المسلم به أن يكون مضموناً للعرب التمتع بحقوقهم السياسية، وذلك بأن يشتركوا فى الادارة المركزية للمملكة اشتراكا فعليا .

٣ — يجب أن تنشأ فى كل ولاية عربية إدارة مركزية تنظر فى حاجاتها وعاداتها

٤ — كانت ولاية بيروت قدمت مطالبها بلائحة خاصة قبلت يوم ٣١ ينايرسنة

١٩١٣ باجماع الآراء ، وهى قائمة على مبدأين أساسيين وهى توسيع سلطة المجالس العمومية ، وتعيين مستشارين أجانب : فالمؤتمر يطلب تنفيذ هذين الطلبين وتطبيقهما

٥ — اللغة العربية يجب أن تكون معتبرة في مجلس النواب العثمانى ، ويجب أن يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية رسمية فى الولايات العربية

٦ — تكون الخدمة العسكرية محلية فى الولايات العربية ، إلا في الظروف والأحيان التى تدعو الى الاستثناء الأقصى

٧ — يتمنى المؤتمر على الحكومة السنية العثمانية أن تكفل لمتصرفية لبنان وسائل ماليتها

٨ — يقرر المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الأرمن العثمانيين القائمة على أساس اللامركزية ، ويرسل لهم تحياته بواسطة مندوبيهم ، ويحيى العراق

٩ — يجرى تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية

١٠ — وتبلغ هذه القرارات أيضا للحكومات الأوروبية . ويشكر المؤتمر الحكومة الافرنسية شكراً جزيلا لترحابها الكريم بضيوفها

وقرر المؤتمر كذلك قرارات داخلية أخرى هى :

١ — اذا لم تنفذ القرارات التى أقرها هذا المؤتمر ، فالأعضاء المنتخبون فى لجان الأصلاح العربية يمتنعون من قبول أى منصب كان فى الحكومة العثمانية إلا بموافقة خاصة من الجمعيات التى ينتمون اليها .

٢ — تكون هذه القرارات برنامجاً سياسياً للعرب العثمانيين ، ولا يمكن مساعدة أى مرشح في الانتخابات التشريعية إلا إذا تعهد من قبل بتأييد هذا البرنامج وطلب تنفيذه .

٣ — المؤتمر يشكر مهاجرى العرب على وطنيتهم فى مؤازرتهم له .

وقد حمل القرارات الأولى إلى وزير خارجية فرنسا وفد عن المؤتمر برياسة رئيسه فاستقبله الوزير بالترحاب ، وألقى تصريحاً اتضح منه للأعضاء أنه يريد اتخاذ عمل المؤتمر ومساعيه سبباً للتدخل فى شؤون تركيا ، فبادر أحد أعضائه بالرد على ذلك مؤكدا أن البلاد العربية لا تريد إلا تأييد فرنسا لها فى مطالبها الاصلاحية ، مع إخلاصها للدولة ، وتمسكها بالجنسية العثمانية

وقد أرسلت جمعية الاتحاد والترقى مندوبا تركيا وهو مدحت بك شكرى للاتصال بالمؤتمر فى باريس . وقد تم الاتفاق بينه وبين أعضائه على مايأتى

١ — يكون التعليم بالدورتين الابتدائية والثانوية فى جميع البلاد العربيـــة باللغة العربية ، ويكون بالتركية فى الأقسام العالية .

٢ — يكون جميع رؤساء المصالح والموظفين ، ما عدا الولاة ، عارفين اللغة العربية. ويكون تعيين القضاة ، ورؤساء القضاء الذين ينصبون بارادة سنية في العاصمة . أما من عداهم من الموظفين فيعينون من الولاية .

٣ — تترك ادارة الأوقاف الموقوفة للجهات الخيرية المحلية لمجالس الجماعات المختلفة

٤ — تترك الأمور النافعة (الأشغال العامة) للادارة المحلية .

٥ — يخدم المجندون فى المناطق العسكرية القريبة من بلادهم ؛ ويختار الجند الذين تدعو الحاجة الى إرسالهم الى اليمن وعسير بنسبة عادلة من جميع أبناء السلطنة العثمانية .

٦ — مقررات المجالس العمومية تكون نافذة فيما هو من اختصاصها القانونى .

٧ — يكون مبدئياً فى الوزارة ثلاثة من أبناء العرب ، ويعين منهم عدد من المستشارين والمعاونين فى الوزارة ، ويكون منهم اثنان أو ثلاثة فى كل مجلس من مجالس شورى الدولة ، ومحكمة التميز ، والمشيخة الاسلامية ، وبقية المصالح الأخرى ، ويكون منهم أربعة أو خمسة على الأقل فى الدوائر المختلفة من كل وزارة .

٨ — يعين خمسة ولاة على الأقل من العرب ، وعشرة متصرفين ، وينصف الذين لم يرقوا منهم . ويعاملون معاملة زملائهم من موظفى الملكية والحقانيـة والشرعية الترك .

٩ — يعين عدد من العرب فى مجلس الشيوخ بنسبة اثنين من كل ولاية .

١٠ — يستخدم مفتشون اخصائيون من الأجانب فى كل ولاية بنسبة الحاجة وتحدد وظائفهم واختصاصهم بنظام خاص

١١ — تكون المعاملات الرسميـة فى البلاد العربية باللغة العربية على أن ينفذ ذلك تدريجياً .

وقد حمل المندوب العثمانى هذه القرارات إلى الاستانة ومعه أحد أعضاء المؤتمر بعد ذلك أعلنت الحكومة العثمانية عزمها على تنفيذ الاصلاحات ، فاستصدرت بذلك إرادة سلطانية فى ٣ اغسطس سنة ١٩١٣

وقد ارتاح العرب لذلك وعدوه خطوة طيبة في سبيل تحقيق مقاصدهم ولكن هـذه الأصلاحات وقف تنفيذها نظرا لأعلان الحرب ، وماحدث بعد ذلك من الجفاء بين العرب والدولة

وقد أطلعت حضرة صاحب السعادة عزيز على المصرى باشا على هذا الموضوع: فقال:
« عقد هذا المؤتمر وأنا في بنى غازى ، وكنت قد استقلت من الجيش العثمانى اثر انعقاد الصلح مع ايطاليا ، لأداوم على الدفاع عن بنى غازى ، وذلك بناء على رجاء رؤساء العشائر ، غير أنى أتذكر أن نسخة من قراراته وردت إلى مصحوبة بكتاب يحثنى على طلب تنفيذها من الدولة العثمانية وبقية الدول

ولما كان هذا الكتاب قد وصلنى مع أخبار اندحار الجيوش العثمانيـة فى البلقان ، ووصول البلقانيين إلى ضالجة ، فانى أجبت بأنه لا يمكننى تنفيذ هذه القرارات أو التفكير فيها ، فى وقت انهزمت فيه الجيوش العثمانية هزيمة ترجع أسبابها فى اعتقادى للاختلافات الحزبية البرلمانية التى شتتت آراء الجيش مع قوته .

وأرى أن واجب العرب في الوقت الذى هزم فيه الجيش العثمانى أن يهبوا كرجل واحد لدرء هذا الخطر ، فيكسبوا بذلك ما يطلبونه ، مع ارتياح اخوانهم العثمانيين وتقديرهم

عزيز على المصرى باشا

أما الاستفادة من هذه اللحظة الخطيرة أمام العدو المشترك فهى سياسة لا تتفق مع الشهامة الشرقية ، الأخلاق الكريمة الموروثة فى العرب

على أن أكثر هذه القرارات لم يكن مخالفا لرأيى ، وما نفرت منها إلا لظروفها من جهة ولانعقاد المؤتمر فى باريس ، مع ما هو معلوم من ميول فرنسا الاستعمارية فى سوريا ، ولأن المؤتمر قدم قراراته لوزير خارجية فرنسا ، وهذا ما عددته خيانة للجامعة الشرقية

وبسبب موقفى هذا أصبح المرحوم الزهراوى ضدى ، ولهـذا أيضاً قررت انشاء « جمعية العهد » لمنع تلاعب بعض السوريين واللبنانيين مع الدول الاجنبية ، ولذلك كان عمادها الضباط . وكان أول موادها ما يأتى :

١ — الاتراك من ستمائة سنة يقفون فى المخافر الأمامية تجاه الغرب ، فعلى العرب أن يكونوا احتياطيا لامداد هذه المخافر . . . الخ

وقد كنت أمليها على اليوزباشى طه الهاشمى (الفريق طه باشا الهاشمى) فلما فرغت من المواد قال لى : « ولماذا تجعلها سرية ؟ ولو أعلناها لفرح لها الاتراك لأن هذه الجمعية هى أضمن تشكيل للمحافظة على كيان الدولة » . .

سنة ١٩١٦

المصريون يختلفون مع عباس بسبب محاولة انشاء جريدة — عيد الجلوس الخديوى — كيف عشت فى السويسرة بعد انقطاع مرتبى من تركيا — التحقيق مع احمد بك صادق وقضية الأوقاف ضدى — حياد الخديو — مخابرات الخديو مع الانجليز ومناوراته ووساطة ملك البلجيك — تسديد النقود الألمانية والحجز على مبلغ يوسف صديق — بين الخديو ورجال الوطنيين فى السويسرة — العلاقات بين الخديو وحلفائه — القبض على بولو باشا وضبط أوراق الخديو — شؤون مختلفة

المصريون يختلفون مع عباس بسبب محاولة انشاء جريدة :

محاولة انشاء الجريدة : كان رجال الحزب الوطنى الموجودون بأوربا وفى مقدمتهم محمد بك فريد . وكذلك الطلبة المصريون فى سويسرة ، فكروا فى انشاء جريدة تكون لسان حال للمصريين فى أوربا ، وتدافع عن حقوق مصر ومصالحها ، وعقدوا اجتماعاً فى ١١ ديسمبر سنة ١٩١٥ لهذا الغرض ، وقرروا أن يطلبوا من الخديو مساعدتهم على إنشاء هذه الجريدة ، وسبق أن ذكرت فى مذكرات العام الفائت ، أن الخديو أخذ على فريد اعتقاده أن خلاص مصر ، وحفظ حقوقها يكون بواسطة انشاء جريدة

وفى يوم ٧ يناير سنة ١٩١٦ حضر عندى يحيى الدرديرى افندى ومدكور افندى الطالبان ، ليستفهما منى عما إذا كان قد ورد لى بجنيف أوامر بشأن طلب انشاء الجريدة ، فأخبرتهما بأنى ذاهب إلى لوزان لمقابلة الخديو وأجيبهما بعد رجوعى

وفى ٨ يناير أبلغنى الدكتور سيد كامل ، أن سموه لا يقبل أن ينفق مليما واحداً ، لأن طلب المساعدة كان فى صورة تهديد ؛ وقد حدث فى الجلسة التى عقدت لهذا الغرض أن حسين شيرين بك وضع جنابه ويوسف صديق باشا فى كفة

واحدة حيث قال : « ان الخديو يساعد بمبلغ ، ويوسف صديق يساعد بمبلغ آخر » كما أنه قيل في هذا الاجتماع : « إن النقود متوافرة ، ولكنها تصرف فى غير الطريق الشرعى » تلميحاً إلى ما سمعه الطلبة من أن الخديو اشترى لصاحبته مدام لوزانج عقداً من اللؤلؤ بمائة وخمسين ألف فرنك . وأن الخديو يقول : « ان هؤلاء الشبان (بما فيهم فريد والشمسى) أما إنهم معضدون من الألمان ، أو ، لا ، ففى الحالة الأولى يستغنون عن نقودى ويأخذون من الألمان ؛ وفى الحالة الثانية كان يجب أن يطلبوا منى في أدب وخضوع ، لافى صورة تهديد كما حصل »

وكذلك من الأسباب التى يقولها الخديو عن رفضه المساعدة : أنه إذا نجحت فائدة من الجريدة يكون سموه أسيراً للحزب الوطنى، فيفعلون معه كما فعل الاتحاديون مع السلطان عبدالحميد فى تركيا ؛ وهذا علاوة على أنه لايريد أن يعمل مع الطلبة بل مع الرجال الذين اعتاد العمل معهم

وفى يوم ١٣ يناير قابلت الشمسى بك . فأنبأته برفض الخديو للمساعدة وبالأسباب التى بنى عليها الرفض ، فقال: « إن كلام أفندينا إنما هو لمجرد التخاص ؛ وحتى لو كان الالتماس على حسب ما يطلب لوجد حجة أخرى لعدم الدفع » فقلت: « ان إحساسى غير ذلك ، واننا لو طلبنا بخضوع واحترام لأجاب الطلب » وتقرر أن نجتمع عنده فى الغد للبحث فى الموضوع بحضوره هو والاستاذ فهمى ؛ ولكنى لما توجهت وجدت هناك الدرديرى أفندى ، فاستأت لذلك وعجبت . وقد قال لى الشمسى عند دخولى: « إننى كنت أتكلم مع درديرى أفندى فى المسألة » فتحدثت عن الأسباب التى أوجبت رفض الخديو ، فنفى لى ذكر اسم يوسف صديق واستدل على ذلك بأنه لا يعلم عن المشروع شيئاً حتى يقال انه مستعد للمساعدة ، وكذلك نفى التعريض بالخديو في مسألة شراء العقد لصاحبته ، وقال : « ربما قيل هذا خارج الجلسة »

ولما أخبرتهم بأن الخديو لا يريد العمل إلا مع الرجال الذين عملوا معه، لامع الطلبة مع اعتبارهم أعوانه وأولاده ؛ حدثت مشادة بينى وبين الدرديرى ، لأنه أراد أن يفسر كلامى بأن الخديو يحتقر الطلبة ، وهذا مالم أرده ، فاستأت لهذا وهممت بالخروج ، لولا أن هدأنى فهمى والشمسى

وعندئذ تناقشنا فى أن يذهب الشمسى بك لمقابلة الخديو ، نائبا عن الجمعية ليطيب

خاطره وينفى ما علق به من ناحية الطلبة ، فرفض ذلك ، واستحسن انتظار رجوع فريد بك من الآستانة ـ وكان قد سافر اليها ـ ليذهب بنفسه

وهنا قام يحيى الدرديرى وقال : « إذن سأجمع الطلبة وأخبرهم برفض الخديو للمساعدة » فقال الشمسى : « ما رأيك ياباشا ؟ » قلت : « إذا جمعت الجمعية فيشرح لها الاسباب التى ذكرتها ويقول لها : « إن الخديو يقول عن الطلبة انهم أولاده وأعوانه ، ولكنه مستاء من إهانتهم إياه »

وقد خرج الدرديرى غاضبا ، وخرج وراءه الشمسى : ثم عاد فأخبرنى أنه أقنعه أن لا يقدم على شىء قبل أن يطلعه عليه . وهنا عتبت على الشمسى ابقاءه فى موعد حددته وعينت أشخاصه ، فاعتذر بأنه حضر بنفسه ؛ وكنت اعتقد غير ذلك ، وأفهم أن الشمسى أحضره ليسمع منى ما أقوله

وقد خرجت أنا وفهمى فأقنعته بأن يحول دون تشويش الدرديرى ، وإثارته سخط الطلبة فى هذا الوقت العصيب

توسطى بين رجال الحزب الوطنى والخديو : وفى ١٧ يناير استدعيت الدكتور سيد كامل إلى جنيف ، واطلعته على كل ما حدث ، وقلت : « إن الأفضل هو انشاء هذه الجريدة » . فقال : « ان كل سعى يا باشا منك أو منى لدى الخديو لا يجدى ، فيجب حضور فريد أو الشمسى للاعتذار أولا ، والعرض بطريقة محترمة فربما يقبل الخديو » . ثم قال : « وأنا أعمل فى مسألة أخرى وهى انشاء صندوق تعاون لطلبة لوزان بأن يضع كل منهم فرنكا واحداً فى الشهر ، والخديو يدفع مساعدة لهذا الصندوق ومتى وصلنا إلى هذه النقطة ، نلتمس مثل هذا لطلبة جنيف ؛ ومن ثم يمكن انشاء الجريدة دون أن يحتمل الخديو تبعتها ؛ فاذا نجحنا فى ذلك كان خيراً »

وفى يوم ١٨ منه قابلت الشمسى فأخبرنى أنه أقنع الدرديرى بعدم إثارة الطلبة ، وأن ينتظر حتى يعرض التماسا من جديد فى صورة محترمة ، ويزيل ما علق بنفس الخديو .

وقد قال لى الشمسى : « إن طالبا اسمه طاهر قدم من برلين الى جنيف لاستمالة الطلبة المصريين الى فكرة تأليف حزب برياسة الشيخ جاويش فى صالح سعيد حليم وأن رفض الخديو مساعدة الطلبة على اصدار الجريدة ربما مكن لطاهر فى نفوس الطلاب » واتفقنا على اخبار الدكتور سيد كامل لمخاطبة الخديو فى ذلك وكتبت له

وفى يوم ١٩ منه وصل إلى خطاب منه هذا نصه : « وصلنى جوابكم بخصوص مقابلة أخينا على الشمسى بك لسعادتكم ، ورجائه بأن توسطوا فى التماس أن يتفضل الجناب العالى فيجيب بالقبول على ملتمسهم ، فاعتذرتم بعدم امكانكم السفر ، وقلتم له : « إن غاية ما يمكنكم عمله هو أن تكتبوا لى ، وأنا أعرض على الأعتاب هذا الالتماس بالصفة التى أراها »

« ولو أننى على الدوام أتمنى أن أكون قادرا على أى سعى يعود بالنفع على إخواننا المصريين ، إلا أننى آسف غاية الأسف لأننى فى هذه المناسبة لا أستطيع أن أقوم بالسعى الذى تشيرون اليه بأى حال من الأحوال ، لأن الظروف التى سبقت طلب هذا السعى من سعادتكم مباشرة ، لا تساعدنى مطلقا على عرض أى شىء بخصوص هذا الملتمس ، من تلقاء نفسى ، بل ولا عرض أية رسالة شفهية فى هذا الموضوع ، لذلك أرجو سعادتكم أن تعفونى من هذا العرض ، وفى الوقت نفسه أرجو أن تعتقدوا بأننى أعرض على الأعتاب كتابة يريد أن يعرضها على بك الشمسى مباشرة بما يرغب ، إن شاء أن يفعل ذلك »

فارسلت الخطاب مع الشيخ عبد الحميد ندا ليطلع الأستاذ فهمى ، وعلى بك الشمسى عليه

وقد اطلع عليه الأخير أولا فتغيظ ، وقال : « ان هذا إهانة لى » ثم رجع وقال : « ولكن عدم عرض التماس الطلبة بواسطة الدكتور سيد كامل يعد إهانة لهم وحدهم . وعليه سأنبىء الطلبة أن أفندينا يرفض ملتمسهم ، ويكون شفيق باشا هو المسئول عن النتيجة » . ولما قال له الشيخ عبد الحميد : « إن الباشا مستعد لمحادثتك أنت والأستاذ فهمى » أجاب : « وما دخل فهمى فى هذه المسألة ؟ أما أنا فلا أذهب عند الباشا ، وإن كان يريد مقابلتى فيحضر عندى

ولما اطلع الأستاذ فهمى على الرسالة قال : « ان ما فيها لا يشتم منه رائحة الأهانة » واستغرب غضب الشمسى . وقد ظل هذا لا يزورنى عدة أيام ؛ وأخيرا حضر عندى ، واتفقنا على أن نجمع كلمتنا لأزالة ما بنفس الخديو ، وإعادة الطلب ، وأرسلت بذلك رسالة الى الدكتور فجاءنى الرد التالى منه :

« أحيط سعادتكم علماً أن رسالتكم وصلتنى ، ولا أخفى عن سعادتكم أننى

دهشت لقبول فهمى أن ينضم إلى على الشمسى ، ويشترك معه فى مسعى لم يشترك فى الاجتماعات الموجبة له ، وخصوصاً فى اجتماع ١١ ديسمبر الماضى ، على أن فهمى رجل مستقل ، وله حرية واسعة ، يقدر استقلاله فى اختيار الطرق التى يجب أن يسلكها ، ولكن دهشتى كانت أعظم لما رأيت أن سعادتكم أيضاً قبلتم الانضمام مع الأول والثانى لعرض الملتمس المعلوم على أعتاب الجناب العالى . ووجه دهشتى راجع إلى ثلاثة أسباب : الأول — أنكم كنتم خارجين عنهم بالأمس ، وأنتم اليوم تقبلون أن تكونوا معهم فى نفس النقطة التى اعتبروكم فيها من الخوارج . الثانى — أنكم كنتم الواسطة فى سماع مطالب فريد بك ومن معه عقب هذا الاجتماع ، وكنتم الواسطة في تبليغهم نطق الجناب العالى فى هذا الموضوع ، ولم يطرأ مايدعو إلى تغيير صفة هذه الوساطة بقبولكم الانضمام اليوم إلى من كنتم واسطة لهم بالأمس . الثالث — هو أن رفض الجناب العالى كان مبنياً على سببين تعلمونهما ، وأظن أنه ما دام فى نفس سموه أثر للاستياء من العرض الأول فلا يسع سعادتكم أن تنضموا إلى من كانوا سبب هذا الاستياء ؛ ولو أن رغبتكم من هذا الانضمام ظاهرة ، وهى حبكم أن يكون المصريون جميعاً يداً واحدة . أنا أحب أيضاً أن يكون المصريون متحدين ، ولكن المسألة ليست مسألة اتحاد المصريين أو افتراقهم ، إنما هى أن الجناب العالى استاء شديد الاستياء من الطريقة التى طلب بها من سموه دفع نقود إلى محمد بك فريد ومن معه، فانه لم يلاحظ فى هذا الطلب : أولا — الاحترام الواجب لمقام سموه ، حتى أنهم جعلوا يوسف صديق فى مقام الجناب العالى من جهة طلب الاعانة منهما على السواء . ثانياً — إن الطلب جاء فى صيغة تهديد مبنى على واقعة ظهر كذبها وبهتانها . فقبل تجديد السعى للحصول على المال يجب ألا ننسى استياء الجناب العالى ، يجب ألا ننسى ضرورة إزالة ما فى نفس سموه من أثر هذا الاستياء ، وإزالة هذا الأثر لايمكن فى اعتبارى الشخصى أن تكون ، مادام على الشمسى ينكر أنه لم تحصل أية إشارة فى اجتماع ١١ ديسمبر تفيد مساواة يوسف صديق بالجناب العالى ، ولا يمكن خصوصاً أن تكون ما دام فريد بك الذى أشاع بين الطلبة هذه الواقعة المكذوبة لم يقل كلمة من الواجب أن يقولها فى هذا الخصوص . أنتم سمعتم أن على الشمسى قال : «إن فريداً أخطأ فى إشاعة هذه الواقعة المكذوبة » ، وسمعتم منه قوله : «إن الدرديرى يأسف لما حصل منه » ، ولعلكم تسمعون منه اقتناعه بأن مساواة يوسف صديق والجناب العالى حصلت فعلا فى الجلسة بشهادة الشيخ عبد الحميد امام

على الشمسى وخلافه ، إنما هل يكفى أنكم تسمعون ذلك ؟ ألا تكون أول خطوة واجبة - إن كان الشعور بوقوع هذه الأغلاط حقيقياً - أن يكتب مثلا على الشمسى إلى الجناب العالى كتابة صريحة تفيد الاعتذار عن هذه الأغلاط بصفة صريحة والتماس أن يكون سموه راضياً ؟ أظن أن حصول الرضا من الجناب العالى هو الأساس قبل عرض أى شيء على سموه ؛ وأظن أن طلب هذا الرضا لا يمكن أن يكون من قبل سعادتكم ، ولا من قبل فهمى . ولا من قبلى : إنما يكون فقط من قبل فريد وعلى الشمسى اللذين كانا سبب اجتماع ١١ ديسمبر . ومع هذا أعرفكم أن هذا هو رأيى الشخصى ، بدليل أننى استلمت رسالتكم ورددت عليها فى الحال »

وقد أرسلت إليه بالرد يوم ٢٢ يناير وقلت فيه : « إن الذى قلته فى كتاباتك معقول ، فصحيح أن الالتماس كان خالياً من صيغة الاحترام ، وكان يشتم منه رائحة التهديد ، وصحيح أن أفندينا له الحق فى الاستياء ، وصحيح يجب علينا أولا إزالة هذا الاستياء من نفس سموه ، إنما لكونى أمرت بتبليغ الرد على هذا الالتماس فعلى الشمسى رجانى أن أكون واسطة خير في تبليغ ولى النعم أن مسألة يوسف صديق لم تحصل ، وأنه لم يحصل في جلسة الاجتماع القول بأن النقود موجودة ؛ ولكن لاتصرف فى وجهها الشرعى . أما مسألة العقد فالذى قال بها هو فريد ؛ وقد رجانى الشمسى أيضاً أن أسعى في إزالة هذا الاستياء ، والوصول الى تنفيذ المشروع حتى لايفلت الطلبة من يدنا ؛ فاذا كنت أفضيت اليك بهذا الالتماس لتبليغه فذاك لأننى كنت أنتظر أن يأتينى الرد منك بالصفة التى جاءت فى جوابك الأول ، وعلى أثر وصوله أطلعت الشمسى بك عليه ؛ وقد تميز منه غيظاً واعتبره رفضاً ، وقال : « إنه سيبلغه للطلبة وأننى مسئول عن النتائج »وعلى رأى المثل العامى « ماناب المخلص إلا تقطيع هدومه »

« ليس لك الحق في دهشتك منى ومن فهمى ، لأننا نحبذ المشروع ، فأنت تعلم رأيى فيه ، ولا بد أنك علمت أيضاً من فهمى في لوازن رغبته في هذا العمل ؛ إنما لانريد أن نشترك فى التماس الطلبة لأن فهمى قال عند وجوده فى الجلسة التى جمعتنى بعلى الشمسى والدرديرى : « إنه لايضم صوته إلى صوت على بك فى عمل التماس جديد ، لأنه لم يشهد الاجتماع ولم يكن بين المندوبين » إنما الذى نرغب فيه أن يساعد أفندينا فى إنشاء الصحيفة بأية صفة كانت ، إما بأن تتولاه جمعية مصر بلوزان ، أو الدكتور

سيد كامل ومحمد يكن (وكان قد حضر من الاستانة والتحق بالخديو في السويسرة) أو أجنبي بمساعدة المصريين ، حتى لا يقال : «إن أفندينا لم يعمل عملا في صالح مصر ، هذا هو رأيي . وليكن في علمك أنني أعتبر المخاطبة انتهت . فلا أقابل الشمسي ، ولا أقول له شيئاً في هذا الصدد

وفي يوم ٢٣ منه زارني الأستاذ فهمي فقرأت عليه رسالة الدكتور سيد كامل فقال : «إن الذي أفهمه من ذلك أنهم (يعني الخديو) لا يرغبون في الانفاق على جريدة ولهذا لا جدوى من تكرار الطلب بعد الآن » فأخبرته بملخص إجابتي على هذه الرسالة ؛ ومنها يتضح أنني قطعت الكلام في هذا الموضوع .

عيد الجلوس الخديوي : في يوم ٨ يناير سافرت إلى لوزان لحضور الاحتفال الذي عزمت الجمعية المصرية بها على إقامته لمناسبة عيد الجلوس الخديوي ؛ ولقيت في القطار الأستاذ فهمي ، والدكتور زاهر ، والشيخ عبدالحميد ندا ، وتوجهنا إلى فندق لوزان بالاس فاستقبلنا هناك منصور افندي القاضي رئيس الجمعية

وكان المدعوون نحو الثلاثين من مصريين وأتراك وعجم ، وبعض رؤساء جمعيات الطلبة الأجانب في لوزان ، وكان من بينهم أربع سيدات أفرنجيات ؛ وحضر كذلك جلال الدين باشا ، ونشأت باشا ، وثريا بك ، والأخيران من الألبان المنتمين للخديو ، ومكاتب ألماني اسمه موسيو فروم

وقد جلسنا على موائد صغيرة أربعة أربعة ، وتناولنا الشاي ، وبعد ذلك عزفت الموسيقى بالسلام الخديوي فاستقبلناه وقوفاً ؛ ثم عزفت بأدوار شرقية أخرى تخللها خطاب رئيس الجمعية باللغة الفرنسية ، وخلاصته : عدم الاعتراف بالانقلاب الذي حدث في مصر ، وأن السلطان حسين كامل يعتبر غاصباً لمركزه ، وأن الأمة المصرية تنتظر بفروغ صبر طرد الأنجليز من مصر على يد الجيش العثماني ، ورجوع الخديو عباس حلمي الثاني إلى عرش مصر المستقلة تحت سيادة الدولة .

كيف عشت في السويسرة بعد انقطاع مرتبي من تركيا : سبق أن ذكرت في سنة ١٩١٥ ، ما تم في تقرير الدولة مرتبات لرجال الحاشية المقيمين مع الخديو بعد انقطاع مرتباتهم من مصر

وفي يوم ١٠ يناير سنة ١٩١٦ وردت لي رسالة من توفيق بك فهمي الياور

بالاستانة ينبئنى فيها أن الأتراك قرروا قطع نصف مرتبى . وأنه بذل المساعى كتابة وكلاماً لصرفه لى كاملا فلم يفلح ؛ وطلب منى أن أخاطب طلعت باشا فى هذه المسألة ، لأنه الرجل الوحيد الذى تجدى مخاطبته فى الموضوع.

وقد صدر قرار عام يوم ٢٤ يناير بعودة جميع المصريين المقيمين فى أوربا إلى الاستانة وإلا قطعت المرتبات التى تدفع لهم من خزانة الدولة ، وكان الغرض من ذلك اجبارهم على العودة ، والانفضاض من حول عباس ؛ وبذلك يضطر هو إلى العودة ؛ وكنت إذ ذاك لا أستطيع الرجوع لأن وجودى فى بلد محايد ضرورى كى تتسنى لى مراسلة المحامى عنى في قضية الأوقاف ضدى (وسيأتى ذكرها تحت عنوان خاص)

وفي يوم ٢٨ يناير سافرت إلى برن وقابلت سفير الدولة بها ، وهو فؤاد بك سليم المصرى ، الذى عين حديثاً ؛ وكان من تلاميذى فى المدرسة العلية ، وأطلعته على المسألة ، ورجوته أن يطلب لى مهلة شهر أو شهرين حتى تنتهى القضية ؛ فرد قائلا : « ولماذا ياباشا تكلف نفسك الحضور إلى هنا ، وكان يمكنك مخاطبتى تليفونياً أو بالبريد ؟ » فقلت : « اننى جئت لأزورك أولا ثم أعرض عليك هذا الموضوع » . فشكرنى ووعد بارسال برقية بطلبى وودعنى حتى السلم ؛ وقال : انه إنما يعاملنى المعاملة الجدير بسفراء الدولة أن يعاملوا بها رجال الخديو . مما دلنى على أنه غير منضو إلى لواء الصدر فى مناوأة عباس



فؤاد سليم بك

وفى يوم ٣٠ منه سافر عديلى مظهر بك قنصل جنرال الدولة فى فارس سابقاً إلى الاستانة ، فسلمته خطاباً إلى طلعت باشا ألتمس منه صرف مرتبى كاملا مثل زملائى ، لأنى أعتبر نفسى مديراً للأوقاف الخديوية

وفى يوم ٢٧ فبراير وردت لى رسالة من عدلى بأنه خاطب مستشار الخارجية بشأن إعطائى مهلة شهرين ، فوعده أن يخاطب الناظر لعرض المسألة على مجلس النظار .

وفي يوم ٢٨ أبلغنى أن المجلس لم يوافق على طلبى ، وأن الرفض بلغ إلى فؤاد بك سليم ، وأن الأصوب هو التعجيل بالعودة إلى الاستانة

فرددت عليه يوم ٣ مارس قائلا : « إن السفير فى برن لم يخبرنى بمسألة رفض طلبى ، وأن قرار العودة ربما كان لا يشملنى وإلا لأبلغنى ذلك »

هـذا وقد اتفق معى ابراهيم أدهم بك أحد الياوران فى جبوقلى أن يدفع لى مبلغ ثلاثين جنيهاً شهرياً ؛ وأن تستردها عائلته فى مصر من مالى بها . وكذلك توفيق بك فهمى

ابراهيم أدهم بك

وفى يوم ٦ مارس قابلت الدكتور سيد كامل فى لوزان ، فسمعت منه أن الخديو يأخذ على مقابلتى لسفير الدولة فى برن مع أننى أكبر منه مقاماً ، ثم قال : « وأنا أعتقد أن الخديو لا يتأخر عن مساعدتك مالياً إذا قطعت الدولة مرتبك » فقلت : « إن القليل يكفينى مع عائلتى وأنا أقنع بألف فرنك فى الشهر مع مبلغ الستين جنيهاً

الذى استبدله من ابرهيم بك أدهم وتوفيق بك فهمى ، وأنا لا أطلب من سموه شيئاً إلا إذا تأكدت من قطع مرتبى »

وفى يوم ١٤ مارس حضر نور الدين افندى من الاستانة وعلمت منه أن المرتبات ستدفع لمدة شهر آخر ، وأنهم يقولون فى الاستانة : « مابالنا ندفع لرجال الخديو ، مع أننا لانعلم هل سموه محب أوعدو لنا ؟ »

وذكر لى أن سبب قطع نصف مرتبى ، أن عارف باشا قدم بياناً بأسماء حاشية الخديو ، وأمام اسمى كلمة (متقاعد) وأنه من أجل ذلك يصعب إعادة صرفه كاملا

وفى يوم ١٢ ابريل وردت إلى برقية من توفيق بك فى الاستانة بأن الأتراك قطعوا مرتبى لأننى لم أرجع : فاستأت لذلك القرار بعد ماعلموا عذرى فى البقاء بالسويسرة . . .

وقد أرسلت إلى الخديو هذه البرقية ، وقلت له : « إننى ألتجىء إلى سموكم بعد انقطاع مرتبى » . فقرر لى مبلغ ألف فرنك فى الشهر .

وفى يوم ٣ يوليو وردت إلى رسالة من يكن باشا يقول فيها : « حسب ماصدر به النطق الكريم مرسل لأخوتكم طى هذا مبلغ وقدره خمسمائة فرنك » فأخذت المبلغ وأنا فى دهشة لاقتطاع نصف المرتب الذى قرره لى الخديو ، وأخذت أتساءل عن السر فى هذه المعاملة .

وفى يوم ٦ منه قابلت الدكتور سيد كامل ، فأطلعته على هذه الرسالة ، فتأثر جدا وقال : « يخيل إلى أن أقول للخديو : أنا لست فى حاجة إلى مساعدتك إياى وأتركه » فهونت عليه الأمر ونصحت له بالصبر

وقد استطعت أن أعيش مع حرمى وأولادى بمبلغ خمسمائة الفرنك وستين الجنيه المستبدلة مضافاً إلى ذلك مبلغ خمسين جنيهاً سمحت السلطة بترتيبها لحرمى من إيرادها فى مصر

التحقيق مع احمد بك صادق وقضية الاوقاف ضدى : فى يوم ٢٨ فبراير من العام الماضى (ونحن بالنمسا) علمنا أن احمد بك صادق حضر إلى ايطاليا من مصر بعد أن قبض عليه ، وأطلق سراحه ؛ وقد رغب الخديو أن أسافر للإحاطة بما لديه من المعلومات ، فسافرت إلى روما ، وقابلته ، وذكر لى أنه حبس نحو ثلاثة أشهر

قاسى فيها العذاب : خصوصاً أيام حبسه بسجن الاستئناف فى غرفة صغيرة فيها فتحة بالسقف للاضاءة ، وأرضها أسفلت ، وقد استحضر سريراً بالأجرة وكوز ماء للشرب وغسل يديه ووجهه .

وكان سبب حبسه زيارة شيخ العرب حمد أبو سلطان له فى منزله ، وكان الخديو كلف صادق بأن يرسله للأستانة : وحقق معه أولا هارفى باشا ثم فليبيدس ؛ وكانا يطلبان منه أن يعرفهما بمعلوماته عن الخديو ، فلم يخبرهما بشيء .

ولما أرادت السلطة العسكرية إخلاء سبيله ، طلبت النيابة إبقاءه محبوساً على ذمة التحقيق فى الأوقاف .

وكان طلاماس بك ومعه انجليزى آخر من المالية قد فتشا حسابات الأوقاف ، وقدم ابرهيم يوسف افندى رئيس الحسابات بها كشفين : أحدهما بالمبالغ التى صرفها أحمد بك صادق لنفسه لتوصيلها إلى محل لزومها ، والثانى بالمبالغ التى صرفتها أنا (شفيق) بالأمر ، وابتدأ التحقيق معه فى الكشف الأول ، وكان يلوح له أن الغرض هو الوصول إلى معرفة ما إذا كانت هذه المبالغ قد صرفها لنفسه ، أو لغيره ومن هم ، وفى أى شيء ؟

فلما أبرز المستندات على أن البعض تسلمه أشخاص ، والآخر تسلمه الخديو لصرفه بمعرفته ، فى إحسانات أو على المهاجرين بدون إعطاء إيصالات من سموه ، سئل عن هذا الأهمال ، فأجاب بأن العادة من وقت إنشاء الأوقاف الخديوية جرت بهذا ؛ ووجد المحققون فعلا أنه فى إحدى سنوات إدارة خيرى باشا صرف لنفسه ٤٠ ألف جنيه . . .

وقد كان فى إحدى جلسات التحقيق ابراهيم بك نصار المحسوب على السلطان حسين ، لحرض احمد بك قائلا : « حط كله عليه » يعنى الخديو . وقبل أن يبرز احمد بك المستندات ، قال للمحققين : «إن أوجه صرف هذه المبالغ معلومة لرئيس الحسابات لأنه كان يأخذ مذكرة عن كل مبلغ بناء على اشارة شفيق باشا» ، ولكن ابرهيم افندى يوسف أنكر حالفاً بالطلاق ، غير أنه من حسن حظ احمد بك أن رئيس النيابة المحقق وهو « محمد زكى الابراشى » (باشا) فى أثناء تفتيش منزله عثر بين أوراقه على مذكرة بهذه المبالغ ؛ وبعضها بخط ابراهيم افندى المذكور ؛ فثبت للمحققين أن رئيس الحسابات لم يقل الحقيقة

ويقول احمد بك : «أن طلاماس في جانبي (شفيق) وأنه يعرف أنني مدقق» . وقد كنت أود لو عرفت ما حواه كشف المبالغ المدعى بها على لأجيب عنه . وأنا فى أوروبا ، فان المبلغ كله هو ١٨ ألف جنيـه . وقد دل أحمد بك على أوجه صرف أغلبه ، والبعض الآخر دفعته بالأمر من الفوائد التى كانت الأوقاف تتقاضاها من بنك دى روما ، والبنك الشرقى الألمانى ، فى مطلوب البنك الأهلى واللاند بنك عن ديون المرحوم الشيخ على يوسف بضمانتى

وفى يوم ٢٢ يناير سنة ١٩١٦ وردت الى جريدة الأهرام الصـادرة فى يوم ٦ منه ، فقرأت فيها أن الاوقاف السلطانية (الاوقاف الخاصة الخديوية سـابقاً) رفعت دعوى مدنية أمام المحكمة المختلطة على الدائرة الخاصة لسمو الخديو السابق فى شخص الحارس القضائى عليها وهو موسيو جانيه مدير البنك العقارى المصرى ، وضد أحمد شفيق باشا مدير تلك المصلحة السابق ، طالبة الحكم عليهما متضامنين بأن يدفعا مبلغ ٨١٠٦ جنيهات و ٩٦١ مليما قيمة ما سحباه من خزانة تلك المصلحة مدة إدارتهما لها . من ذلك مبلغ ٧٥٨١ جنيها و ٩٦١ مليما سحبت بمقتضى اذون صرف موقع عليها من شفيق باشا لغاية ٢٠ أغسطس سنة ١٩١٤ يوم سفره الى الآستانة ومن ذلك مبلغ ٦٥٠ جنيها سحبها الباشا من بنك دى روما في ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٣ وهو قيمة فوائد أموال الاوقاف الخصوصية المودعة في ذلك البنك .

وفي يوم ٢٧ منه قرأت في الأهرام أن خيرى باشا وحسين محرم باشا كانا متهمين جنائيا : الأول عن مبالغ صرفت من الاوقاف الخديوية . والثانى عن مبالغ من دائرة سيف الدين التى يديرها . وقد حكم ببراءة الاثنين

وفى يوم ١١ ابريل وردت لى رسالة من المحامى عنى محمد بك يوسف ، بأن المنظور أن تحكم المحكمة فى صالحى . وأن هناك فرقاً واضحاً بين قضيتي المدنية ، وقضيتى خيرى وحسين محرم وهما جنحتان .

وسيرى القارىء فيما بعد نتيجة هذه القضية

حياد الخديو : كان الخديو يتخوف كثيرا من مصادرة الانجليز لأملاكه بمصر ، وكان هذا من أهم الأسباب التى دعته الى الخروج من النمسا إلى سويسرة ، ليكون فى بلد محايد . وبعد ما أقام فى جنيف انتقل إلى لوكارنو ، وامتنع عن مقابلة رجال الحزب الوطنى ، وعن مساعدتهم فى إنشاء جريدة كما سبق

وفى يوم ١٢ فبراير نشر الشيخ «على الغاياتى» فى صحيفة «لاتريبون» حديثاً عزاه إلى أحد رجال الحاشية، خلاصته: أن الخديو ترك الاشتغال بالشئون السياسية واعتكف فى لوكارنو بعيداً من رسل أنور باشا، والامبراطور غليوم، ورجال الحزب الوطنى

وفى يوم ١٦ منه اجتمعت فى منزل لبيب معه هو والشمسى وفهمى، وتحادثنا فيما كتبه الغاياتى واتفقنا على أنه ضار بالخديو، وبنا نحن المشتغلين معه؛ وقررنا إرسال خطاب إلى سموه، نلتمس فيه تكذيب هذا الحديث المزعوم

وكنت أعتقد أن هذه الكتابة موعز بها من الخديو نفسه، وقد صرحت بذلك للدكتور سيد كامل بينى وبينه، لأننى كنت قد عرفت أن الخديو يسعى فى الاتفاق مع الانجليز (كما سيأتى فى فصل خاص)

وفى يوم ١٧ حادثنى الدكتور تليفونياً؛ وأخبرنى أنه عرض رسالتنا على الخديو فتكدر، لأن الاخوان بمجرد أن يسمعوا أو يقرأوا شيئاً يعتقدون صحته، ويظنون أنه مارق؛ مع أن سموه بعيد عن مراكز القيل والقال؛ ووجه اللوم إلى الدكتور لأنه عارض من قبل فى استمالة الغاياتى قائلا: «أنه كم مهمل وأنه جاسوس، وها نحن نراه يشتغل ويتحرك. فلماذا لا يطلبه الاخوان، ويسألونه عن الشخص الذى حركه ويكذبونه ويؤنبونه، وهم رجال لهم قيمة وهو ماتعلمون؟ وإن سموه يقول: «طبعاً إن شفيقاً لم يحدثه وجلال الدين وبكى وسيد كامل والشيخ محمد عثمان والبشرى لم يقابلوه، وهؤلاء هم الحاشية؛ فكيف ينسب الغاياتى لأحدهم هذا الحديث؟» وسموه يأسف لأن الاخوان لا يشتغلون ولا يعملون شيئاً، حتى لاستمالة الغاياتى

فقلت له «إن الاخوان لا يريدون أن يعملوا شيئاً قبل أن يعرضوا الأمر على الجناب العالى؛ ولهذا طلبوا منى الكتابة إلى سموه، وما دام يقول بأن أحداً من حاشيته لم يتحادث مع الغاياتى فيمكننا أن نكذب الخبر». قال: «افندينا لم يأمرنى أن أقول لك يا باشا أن تكذب الخبر، إنما قال لى ما سمعته منى» فوعدته بأن أبلغ الاخوان بما عرفته منه (إنما فهمت من فحوى كلامه إن سموه لا يريد أن أكذب مقال الغاياتى، وإلا لأمر صراحة بأن أرسل التكذيب منى)

وفى يوم ١٩ منه قابلت الاخوان الثلاثة، وأخبرتهم بما سمعته من الدكتور سيد كامل، فرأوا أن التكذيب واجب، إما من الخديو أو أحد رجال الحاشية،

ولم يوافقوا على فكرة استحضار الغاياتى لتأنيبه ، ولا لاستمالته ، لعدم ثقتهم بأخلاقه ، وعدم اعترافهم بأهميته

وظهر من حديثهم أنهم يعتقدون أنه مأجور من الخديو نفسه ليكتب ما كتب ، بقصد التقرب للانجليز ؛ وأخيراً اتفقوا على أن أكتب إلى الدكتور سيد كامل بأنهم إنما طلبوا التكذيب لأن الغاياتى يعزو هذا الحديث إلى أحد رجال الحاشية ، وأن التكذيب لا يكون إلا من أحدهم

وفى المساء حضر عندى عبد الله البشرى ليعرف ما تم بينى وبينهم ؛ فأخبرته به وسلمته الرسالة التى كتبناها ، فلم يرد لنا رد بالتكذيب

وفى يوم ٦ مارس دعانا الخديو إلى مقابلته فى لوزان ، وكأنه أراد بذلك أن ينفى ما علق بأذهاننا ، من أنه قرر الابتعاد عن رجال الحزب الوطنى ، ويقنعنا بكذب ما ادعاه الغاياتى !

مخابرات الخديو مع الانجليز ومناوراته ووساطة ملك البلجيك

سفير ألمانيا على علم بالمخابرات : زرت سفير ألمانيا فى يوم ٢٤ يناير فوجدت عنده معلومات فحواها أن الخديو يسعى للمخابرة مع الانجليز ولم : أكن أعلم شيئاً عن ذلك . ولكن فى يوم ٣٠ منه ، قابلت أغاطون بك الأرمنى وهو أحد كبار المزارعين بمصر ومن المتصلين بالخديو ؛ ودار الحديث بيننا عن الشؤون الحاضرة فعلمت منه أن سموه كان قد كلف باغوص نوبار باشا أن يسعى لايجاد التفاهم بين سموه وبين الانجليز ، وأن باغوص لم يقم بذلك نظراً لوجود علاقة بينه وبين السلطان حسين ، ويخشى أن يتهم بأنه يدس له الدسائس ، وأن الخديو مستاء منه من أجل ذلك

وأبدى أغاطون بك رأيه لى ، بأن الأصوب هو اطلاع السلطان حسين على الأمر قبل قيام باغوص بأى عمل ، وعظمته لا يكره سعياً من هذا النوع ، وأن الواجب هو أن يقيم الخديو كما هو الآن فى بلد محايد ، ويمتنع عن الاختلاط برجال الحزب الوطنى حتى تنتهى الحرب . وبعد ذلك يفاتح الانجليز فيما يريد . أما الآن فهم مشغولون بالحرب عن كل شىء آخر

ولما سمعت هذا الكلام تألمت فى نفسى لما علمت بمساعى الخديو ، وفهمت

لماذا خرج للسويسرة ، ولماذا أبى أن يعاون الطلبة ؛ وابتعد عن فريد والشمسى وسواهما ، وأقام فى لوكارنو بعيداً عنهم ؛ ولم يكذب ما كتبه الغاياتى من أنه يقيم على الحياد بعيداً عن رسل الألمان ورسل أنور باشا

وكذلك لم أستبعد أن يكون حبيب لطف الله الذى قابل الخديو فى جنيف ، قد عاد إلى مصر لأجل هذا الغرض ، كما سمعت ذلك من قنصل ألمانيا

وقد قابلت على الشمسى يوم ٣١ منه ، فأخبرته بما فهمته من حديث أغاطون بك فسأل : وما غرض الخديو من ذلك ؟ فأجبته : أنه نصح له باتباع هذه الطريقة . فقال : « لا بأس فهذا ربما كان أفضل فى مثل هذه الظروف المضطربة »

عباس يحدثنى عن مساعيه الخفية : وفى يوم ٢٤ أبريل خلوت بالخديو ففتح لى قلبه ، وحدثنى عن مساعيه الخفية فقال : « نحن يا شفيق اشتغلنا من شهر يناير الماضى فانه لما حضر حبيب بك لطف الله عرض على من قبل المؤتمر العربى فى بلاد سوريا وغيرها أن أكون رئيساً لها ، واستحضر منها بعض الرجال منهم الضابط والتاجر والعين ؛ وقصدوا سفير انكلترا فى برن ، فلما سمع أنهم يطلبون الخديو رئيساً انزعج ، وعلم أن نفوذى بين العرب قوى على الرغم من خلعى ، فتقرر ذهاب هذا الوفد إلى مصر لمفاوضة رجال الانكليز فيها ؟ فسافر ، ولكن يظهر أنه لم يرق فى نظر هؤلاء عمل شىء الآن ، واكتفوا بأخذ معلومات الوفد عن حالة سوريا الحقيقية وقد تمكن حبيب لطف الله من الخروج



حبيب بك لطف الله

والسفر (لأن انجليز مصر فضلوا أن يتكلم فى مشروع الوفد مع حكومة لوندره) ولكونه يعرف ملك اسبانيا فها هو ذا الآن معه فى نزهة ؛ وقد أرسل إلى بواسطة نظارة الخارجية الاسبانية خطاباً على يد السفير فى برن ، فكتبت أطلب منه الحضور إلى هنا ، فوعد ولم يف فعلمت أنه يصعب عليه ذلك » وقد أظهرت لسموه استحسانى

لما قاله، فاستمر قائلا : « ولما راجعنا سفير انجلترا فى برن للوصول إلى حل مرض يناسب مركزى، طلب أن أنزل كتابة عن عرش مصر بين يديه، كأنه يريد أن يضع السكين على رقبتى من الآن ؛ فرفضت، لا لأننى أطمع فى رجوعى إلى عرشى ولو كان النصر حليف الألمان والأتراك ، لأننى لا آمن لهم . أما إذا كان النصر حليف الانجليز فلا أقبل الحماية، لأنى حكمت ثلاثاً وعشرين سنة بدونها فلا أطأطىء رأسى لها ؛ ولكنى أحفظ هذا العرش لابنى ،فانه لم يتقيد إلى الآن بأى نظام (régime) ، فاذا تمكنت من ذلك ، وعرض عليه العرش فهو وشانه فى قبوله أو رفضه

وساطة ملك البلجيك لحفظ حقوقه المادية : « وقد فكرت فى وساطة محب للمتحالفين ، وهو ملك البلجيك على يد سفير بلجيكا سابقاً فى الاستانة ؛ وكنت قابلته ؛ فأرسلت إلى الملك أقول : « اننى أردت أن أسوى حسابى مع انجلترا ، ولكنهم يريدون وضع السكين على عنق » وطلبت منه أن يساعدنى لدى الانجليز ، ولما برح سفير بلجيكا إلى الهافر لم يجد ناظر الخارجية ، ثم قابله فى باريس ، ولكنه خشى أن يكون فى الخطاب شىء يسوء الانجليز ، فلم يرد أن يقدمه قبل التحقق مما فيه ؛ فأرسلت له مذكرة تفصيلية عنه، حتى يعلم الا شىء فيه يستوجب الملاحظة ؛ وهأنذا أنتظر أن يأتى الرد »

وقد فهمت أن اهتمام الانجليز بمسألة عرش سوريا، وتركهم حبيب بك لطف الله يسافر حراً ، ويتحدث فى هذا الموضوع الخطير ، كان مناورة منهم ليطمعوا الخديو فى عرش سوريه، حتى ينالوا غرضاً آخر كانوا يبحثون وراءه ، وهو حمله على التنازل عن عرش مصر .

وقد قلت لسموه : « إنه يحسن ألا يفكر فى أمر التنازل لأنه السلاح الوحيد الذى يملكه الآن فاذا أخذه الانجليز منه لم يعودوا يهتمون به وكذلك يخسر عطف الألمان وحلفائهم ، ولا يعود لمسألته أهمية عندهم حين يصبح فرداً من الأفراد »

فوافق على ذلك وقال : « لقد أخبرتهم أنى لا أتنازل إلا إذا ضمنت مركزاً سياسيا (يعنى عرش البلاد العربية) وإننى هددتهم باستخدام السلاح الدينى » فقلت « لقد وضعت البرغوث فى آذانهم » !

شروط الانجليز : وفى يوم ١٠ مايو أرسل موسيو بارودى مراقب البعثة

المصرية فى سويسرة بأن جهة غير رسمية طلبت منه العمل للتوفيق بين مصلحة الخديو ومصلحة انجلترا ، فأرسلنى سموه لمحادثته .

ولما قابلته أبدى لى أن الوقت مناسب الآن للمخابرات قبل انكسار الألمان، لأنهم إذا انكسروا فى «إيفردون» كما هو المنتظر ، فان الحلفاء لا يهتمون بعدها بالخديو

ولما سألته : ما الذى يحدث الآن لو أن سموه لم يتقرب للحلفاء ؟

فأجابنى بأنه من المنتظر فى هذه الحالة مصادرة أملاك الخديو وأمواله ، بخلاف ما إذا اتفق معهم فانه يأمن عليها ، وتخصص له مرتبات سنوية ؛ وإذا أصاب أملاكه فى تركية والطليان ضرر فان انجلترا تعوضه عنها .

فسألته : هل يعتقد بنجاح هذا المسعى ؟ فأجاب بالايجاب .

فسألته عن الجهة التى كلفته بالمخابرة ، فراوغ وأخيراً قال : « إنه يعمل بصفة شخصية خدمة للخديو ، لأنه مذ كان موظفاً فى مصر كان يعطف عليه »

فأخبرته أن مساعى من هذا النوع فشلت ، لأن السفير الانجليزى فى برن طلب من الخديو أن يتنازل عن عرشه كتابه .

فأجابنى : إن هذا السفير لا يعرف الذوق والمجاملات السياسية فلا عجب إذا فشلت المساعى .

فسألته عن كيفية فتح المخابرات ؟

فقال : «أن يرسل السفير للجناب الخديوى يقول له . « إنه علم أن سموه حضر الى بلد محايد ليتخابر مع حكومة انجلترا ، وأنه يقبل الاعتراف بالانقلاب ، وبسلطة السلطان حسين » فيرد الخديو بأنه قابل لما جاء فى الكتابة المذكورة . وطبعا تبقى هذه المخابرة الكتابية سرية لا يطلع عليها أحد »

فاعترضت على تبادل المخابرات كتابة من الآن ، وسألته : لماذا لا يكون ذلك بعد الحرب ؟ قال : « أخشى أن يفوت وقتها أما الآن فالفرصة مناسبة »

وقد رويت ليكن حديثى مع بارودى فاستعاده ثانية ، وسألنى عن رأيى فيما إذا كان مكلفاً من قبل السفارة بهذه المخابرة ، فقلت : « لا أظن ، وإنما يريد أن يتوسط ليحرز جائزة من الانكليز ، ويكبر فى عيونهم فينال تقدما ، وإنهم ليقبلون كل شىء يعمل بأية واسطة مادام فى صالحهم ؛ والذى يقوله بارودى هو ولا شك فى صالحهم لأنه عند الصلح يجرى ذكر مصر ، فيبرز الانكليز اعتراف الخديو بالانقلاب » قال :

« أما التنازل فانهم لايرغبون أن يكون صريحاً فى الكتابة التى يعطيها أفندينا ، لأن الأتراك لايعترفون بتنازله لأية دولة إلا للدولة العلية صاحبة الشأن » فأمنت على قوله ، ولفت نظره لمسألة هامة ، وهى أن لايحصل كلام بين الخديو وبارودى مباشرة بل يكون بالواسطة ، حتى يتسنى لسموه إذا اقتضى الأمر ذلك ، أن لايعترف بما حصل ويبعد عنه الواسطة ، وقلت له : « إننى لاأرى الوقت مناسباً لطرق الموضوع لأننا غير عارفين بماسيأتى به الغد ، وأن الخديو ببقائه على الحياد كما هو الآن يمسك العصا من طرفيها ؛ وأن مايقوله بارودى من إعطاء مخصصات لسموه ، وتعيين البرنس عبدالمنعم ولياً للعهد يمكن أن يناله بعد الصلح . أما إذا امتدت الحرب لمصر ، وأتيح للأتراك والألمانيين الدخول فى أرضها لما بعد القتال — ولو بقى الانكليز فى جهات أخرى منها — فاننى أرى أن يرجع الخديو حينئذ لعرشه حتى يعلم العالم الاسلامى أن الخلافة تمكنت من قهر أعدائها ؛ وارجعت الخديو لعرشه بعد أن خلعه الانكليز وإنما فى هذه الحالة أظن أن الأتراك يكيدون له فيجبر على أن يتنازل لابنه » .

الأتراك يحاولون استمالة عباس اليهم : وفى يوم ١٥ نوفمبر كنت عند الخديو مع عبدالحميد شديد ، فقال : « إن فؤاد بك سليم زارنى يوم السبت الماضى ، ويزعم أن الانجليز هم المدبرون لما أصاب يكن باشا (وسيأتى تحت عنوان خاص) وغرضهم هو الايقاع بى ، وأن أتضايق من حالتى ، وأجيبهم إلى ما يطلبون وهو التنازل عن الخديوية ويعلمون أنهم لو حصلوا على ذلك تعزز مركزهم فى مصر لأنه ضعيف الآن . وقد رددت لفؤاد بك سليم زيارته أول أمس ، ولما كنا منفردين قال لى : « إن الانجليز يريدون أن يحصلوا من الجناب العالى على هذا التنازل ؛ ويعدونكم أن يضمنوا لكم أملاككم ويعطوكم مخصصات سنوية ، وإذا لم تذعنوا لنصيحتهم جردوكم من أملاككم . وهبهم فعلوا ذلك فالدولة العلية تعامل الرعايا الانكليز عندها بنفس هذه المعاملة ، فتجردهم من أملاكهم وتعوض سموكم منها ، وأرى أن افندينا يصلح سياسته مع الألمان ، فيسهل بعد ذلك كل أمر » . قال سموه : « فأجبته شاكراً له حسن مساعيه لدى الحكومة السويسرية حتى وصل هو وزميلاه سفيرا ألمانيا والنمسا إلى الاعتراف بمركزى الرسمى ، وقلت له : « اننى تأكدت من هذه المساعى بقاء المودة التى كنا عليها فى الصغر » وقد قال لى : انه لماندب لسفارة سويسرا ، ولقى خليل بك ناظر خارجية الدولة العلية كلفه هذا أنه إذا قابلنى يعلمنى أن مقامى محفوظ ، وأن سياسة الدولة لم

تتغير من ناحيتى ، وأنه يستوى عندها أن أقيم فى سويسرا ، أو أرجع إلى الاستانة ، وإذا عدت إليها فانى لا أجد غير الحفاوة اللائقة بى » . ولم يدخل الخديو فى مناقشة مع فؤاد سليم فيما قاله ؛ ولكنه فهم أهمية المتحادثين فى كلاران وفى برن وقال لنا : « ان السفير يقول لى تلميحاً أن أترك المساعى التى أبذلها عند الانكليز لضمانة ملاكى والحصول على مرتبات سنوية ؛ ولعله هو وسفير ألمانيا وسفير النمسا عالمون بهذه المساعى ، ويخافون أن تتوج بالنجاح ، وأن أتنازل للانجليز عن الأريكة ، فيقوى مركزهم ؛ ويضعف مركز الدولة العلية ولهذا يعدوننى بالتعويض والمخصصات » قلت : « وأنا أميل إلى هذا الحل وأقترح أن يكون التعويض من جفالك الدولة الحرة وهى وشأنها فى أملاك الانجليز » . وقد أظهر عباس رغبته فى أن تكون المخصصات ٤٠ ألف جنيه مثل المرتب الذى أعطى لاسماعيل باشا عند تنازله عن أريكة مصر . قلت : « وربما يعطى لأفندينا جفلك آخر فى مقابلة هذه المخصصات »

قال « وبما انك ياشفيق تعرف فؤاد سليم ، فانى مشخصك إليه لأخذ التفصيلات عن اقتراحه ، ولمعرفة ما إذا كان مذ تكلم به مأذوناً من حكومته ، وباتفاق بينها وبين ألمانيا والنمسا ، أو غير ذلك . وبعد المناقشة فى : هل الأصوب أن تكون زيارتى رسمية أو شخصية ، اتفق الرأى على أن تكون رسمية ؛ وأن أسافر غداً إلى برن لهذه الغاية .

وفى المساء جاءنى منه أمر بقيامى فى قطار الساعة العاشرة صباحاً ، وأنه سيلاقينى فى هذا القطار ؛ وقد أخبرنى عند تلاقينا أنه قابل أمس مساء ملحمة باشا ، فعلم منه أن البلجيكى الذى عهد إليه سموه أن يعمل المساعى لدى ملك البلجيك ليتوسط لدى الحكومة الانجليزية ، أنبأه أنه سيسافر غداً إلى باريس لهذه الغاية ؛ وأنه قابل رامبولد سفير انجلترا فى برن ، وسمعه : « يقول إن العمل المختص بالخديو سائر سيراً حسناً ، ولكن يخشى أن يعرقله سموه بأفعاله » قال الخديو : « وحيث أن الأمر كذلك ، فلا يلزم ياشفيق أن تتعمق فى التورط مع الأتراك ، بل تجيب فؤاد سليم عن كل ما تسمعه منه انك ستعرضه على » (ومن ذلك علمت أن الخديو يأمل أن يسوى مسألته مع الانجليز رأساً وأنه يفضل ذلك) قال سموه : « وانى ذاهب إلى برن لمقابلة البلجيكى والتكلم معه قبل سفره ، وهذا فى أثناء وجودك مع فؤاد سليم »

العمل لتحسين العلاقات بين عباس وحلفائه : وقد توجهت للسفارة ، فقابلني فؤاد بك بحفاوة ، ومكثنا نتحادث مدة ثلاث ساعات ونصف ساعة ، بدأتها بأن أعلمته أنني منتدب من قبل الخديو لمقابلته على أثر دعوتي إلى كلاران ، ووقوفي من سموه على ما دار بينهما من الحديث ؛ وان سموه شاكر للمساعي التي بذلها عند الحكومة السويسرية ، ويقول : « انها تدل على استمرار المودة بينهما من أيام المدرسة » فقاطعني فؤاد بك قائلا : « ان ما فعلته هو الواجب » . قلت : « وسموه متشكر للدولة لأنها تفكر في مستقبله بحيث إنها — لا سمح الله — إن لم تنتصر في هذه الحرب ، واستمرت انكلترا في مصر ، وصادرت أملاكه لعدم إذعانه لرغائبها ، ولم تقرر له مخصصات سنوية فان الدولة تعوضه عما يفقده بأملاك رعايا الانكليز في الدولة ، وترتب له مخصصات تكفيه ؛ فقاطعني قائلا : « أما التعويض فقد ذكرته لأني لما كنت في الاستانة ، وشاع الخبر أن الانجليز قد صادروا أملاك الخديو والوالدة والصدر الأعظم ، تبينت أن الحكومة كانت عازمة على مصادرة أملاك الانجليز . وعلى هذا عرضت من تلقاء نفسي على الخديو ما تفعله الدولة إذا صادرت انكلترا أملاكه . أما المرتب السنوي فهذا أيضاً من البديهي ، لأن الدولة لا تترك سموه بعد أن حالفها . وهذا هو رأيي الخصوصي . أما ان كان هناك فتور بين سموه وبين بعض رجال الدولة فهو لا شيء إذا قيس بما كان بين اسماعيل باشا والدولة ، وسموه عند ما يرجع إلى الاستانة يتبوأ المكان اللائق به فضلا عن أنه لا يجد مكاناً يستريح فيه إذا لم تسمح المقادير برجوعه إلى مصر مثل الاستانة التي فيها قصره وأملاكه .

« يود الانجليز أن يرغموه على النزول عن عرشه ، ويمنونه في مقابلة ذلك بألا يمسوا أملاكه ، وأن يرتبوا له مخصصات سنوية ؛ ولكن هذا شيء طفيف بالقياس إلى عرش مصر ؛ ثم إن سموه لا يليق به أن يمد يده إلى أعدائه ، ويتناول منهم مرتباً » قلت : « لا يبعد أن الدولة في مؤتمر الصلح تطالب عدم مس أملاكه وتقرير المرتب » قال : « هذا جائز » قلت : « نعم ان الانجليز يحاولون من مدة طويلة الوصول إلى تنازله ؛ وربما تكون يا فؤاد بك على غير علم بهذه المساعي : فقد ابتدأت ونحن في فينا على يد البرنس جميل طوسون ، إذ وسط يوسف صديق باشا في أن يعرض — إذا نزل الخديو عن العرش — ان انكلترا تحترم أملاكه ، وتخصص له من المرتبات بقدر ما كان لجده اسماعيل باشا ، وأن ولاية العهد تكون لأكبر أنجاله واشترط

البرنس أن يأخذ فى مقابلة وساطته مليوناً من الفرنكات» . فقال فؤاد: ممن ؟ فقلت: من الخديو . قال: « وربما يأخذ من الطرف الثانى شيئاً أيضاً» . قلت: « وإننى لما سمعت من يوسف ذلك أجبته إنها مسألة خطيرة ويلزم إخبار حسين حلمى باشا بها » . هذه هى المرة الأولى وقد رفض الخديو أن يدخل من الباب الذى فتح له . أما المرة الثانية فقد كانت فى عهد سفير انجلترا السابق فى برن ؛ وقد طلب من سموه أن يتنازل كتابة فرفض ، وقلت لسموه : « إن ما يطلبه السفير هو سلاحك والانكليز الذين يخشونك به يريدون نزعه منك ؛ فلو تنازلت عنه أغفلوا شأنك ، ولم يسمعوا كلامك ، وهذه عادتهم فانهم يخضعون لمن هم محتاجون إليه ، ويغضون النظر عمن لا حاجة لهم عنده ، وهكذا حبطت مساعى السفير . والمرة الثالثة كانت على يدى وذكرت له ما عرضه مسيو بارودى ، واقتراحه أن يكتب الخديو ورقة يعترف فيها بالانقلاب الذى تم فى مصر ؛ وقد رفض سموه الكلام فى هذا الموضوع . فمن ذلك يتضح أن الانكليز يسعون كثيراً للاتفاق مع الخديو ؛ وسموه لما كان فى الاستانة وعرض عليه سفير انكلترا فيها السفر إلى إيطاليا ، ورفض الطلب كان يعلم بالمضار التى ستناله أدبياً ومادياً ، فلم يبال بذلك لأن مبدأه من وقت توليته إلى قيام الحرب هو السير مع الخلافة ، ولهذا تضافر معها بغير دافع من أى انسان إلا دافع الغيرة الدينية ، ودون مطلب إلا رجوع الحال فى مصر إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال »

قال فؤاد: « وأنا أيضاً مبدئى أن أرى الدولة العلية قوية ، وأن تكون مصر مستقلة فى داخليتها كما كانت دائماً ؛ وتكون عسكريتها قوية فتساعد الدولة عند الاحتياج فتكون أشبه شىء بالعلاقة بين المجر ودولة النمسا . وهذا رأى رجال الدولة حتى أن طلعت باشا قال لى : « اننا لا نمس الادارة المصرية لأنها خير من إدارتنا » ولكن لا أخفى عنك أن بعض الأتراك يرغبون فى الرجوع بمصر الى مرتبة الولاية التابعة ؛ ولكن ليس هذا رأى رجال الحكومة . وأنا أرى أن أفندينا يجتهد فى تحسين العلاقات بهم . نعم أن فيهم من هو قليل التجارب ؛ ولكن أفندينا يستطيع بما أوتى من الحكمة والقدرة أن يجذبهم اليه » قلت : « وما هى الطريقة ؟ » قال : « ببعض رسائل ودية عند سنوح الفرصة ، أو أن يعهد إلى أن أبلغهم مودته » قلت : « أن الفرصة سانحة الآن فيما أنه حضر لزيارتك ، ولشكرك وشكر الحكومة على

مساعيها فى حادثة يكن ، فحينما تكتب الى ناظر الخارجية تطلب منه بصفة خصوصية أن يكلفك بتحياته ، وإذا كلفت بشيء فاطلب من سموه الحضور عنده لابلاغه الرسالة حتى تكون سابقة ، ورويداً رويداً تتحسن العلائق بينكما ؛ وبالتالى مع الحكومة ورجالها ، وأنا أعاهدك على أننى أساعدك فى هذا ؛ ولا أخفى عنك أننى اجتهدت فى حمله على الرجوع الى بلاد المحالفين له ، وإنما الخديو مستاء ، ولا رغبة له فى الرجوع الى الأستانة ، لأنهم ألقوا فى روعه أن حياته تظل مهددة هناك ، حتى إننا كنا سعينا فى اقناعه بامضاء شهر رمضان فيها عندما كنا فى فينا فلم تنجح للأسف ، وأظن أن صاحبته الفرنسية هى التى تؤثر فى فكره ، وتمنعه أن يذهب الى بلاد المحالفين ، وتجتهد فى ابعاد المصريين عنه ؛ وحكيت له ماقالته لى لوزانج فى فينا : من أن سموه لايريد أن يرى أحداً منا ، وعرضت عليه أن يحسن علاقته بالألمان . قال : « نعم لأن مسألة يكن نمد أحرجتهم فى سويسرا »(١) قلت : « هذا صحيح ولابد أنهم تكدروا من ذلك ، فأرجو أن تدلنى على الطريقة الموصلة الى ازالة هذا الكدر ، كما أننى دللتك على طريقة الوصول الى تحسين العلاقات برجال الدولة » قال : « إننا اذا أفلحنا فى هذا سهل علينا أن نفلح في تحسين العلاقات بألمانيا ، أما النمسا فان كل مانقرره أنا وسفير ألمانيا يوافق عليه سفيرها هنا ، وعلاقتى بسفير ألمانيا على غاية المودة ، فلنبدأ أولا بالطريقة الموصلة الى إصلاح الأمور بين الخديو ورجال الدولة ، واننى سأسير فى هذا الطريق » ثم طلب منى أخيراً أن أكون الواسطة بينه وبين الخديو فى المخاطبات ولا أدعها لأحد آخر ؛ وانتقد الدكتور سيد كامل لأنه يتكلم بلهجة يشمئز منها الأتراك ؛ ثم ودعته وخرجت فقابلت الخديو فى دكان شديد بك(٢) وعرضت عليه خلاصة ماسمعته من السفير ، فلم يعجبه القول بأن الدولة تطلب تخصيص مرتب له فى المؤتمر ، وقال : « حينئذ هى لاتريد تخصيص مرتب لى » ؟ ولما كان هذا القول اقتراحاً منى لفؤاد بك ، فقد حاولت أن أفهمه أن السفير يقول : إن أخذ مرتب من الانجليز عار على سموه لأنهم أعداؤه ، ولا يليق أن يطلب منهم شيئاً » وقد فهم أن مسألة المرتب وضمان أملاك الخديو كانت من بنات أفكار فؤاد بك ، وليس بايعاز من حكومته ، ثم قال لشديد الذى كان حاضراً معنا : « هناك فرق كبير وبون شاسع

(١) سيأتى ذكرها فى فصل خاص
(٢) فى هذا الوقت كان شديد بك قد افتتح محل تجارة فى برن

بين وعد تركى ووعد انجليزى (يعنى أنه لايثق بالوعد الأول) فوافقه شديد على ذلك ،ثم قال: « ولكننا نسير مع فؤاد سليم فنحسن علاقاتنا بالأتراك ونعمل عملنا من الجهة الأخرى ، وعند ما نصل مع هذه الجهة إلى نتيجة نقول لسليم بك : «نحن لانريد أن نعمل أمرا من وراء ظهرك ، فها هى ذى شروط الاتفاق مع الانجليز ! » وذهبنا بعد ذلك الى المحطة حيث كان فى انتظارنا الدكتور سيد كامل ، فسافرنا ولم تتهيأ الفرصة مع وجود الدكتور لسؤال الخديو عن نتيجة مقابلته للبلجيكى ، خصوصا وقد حصل الاتفاق بين سموه وبينى وبين شديد بك بألا نطلع أحدا على أحاديثنا فى مسألة الضمان والمرتب مع الأتراك .

وفي يوم ٢٩ نوفمبر كنت عند الخديو بحضور عارف والدكتور سيد كامل والبرنس ابراهيم حلمى وعبد الحميد شديد والبشرى ، وتناقشنا فى الموقف الحاضر . فقلت : « ان الواجب على أفندينا أن يتخذ خطة واضحة يبين فيها رغائبه واحدة فواحدة ، فنسعى فى تنفيذها ، وأنا مستعد للعمل فيها » . فقال شديد : « وجودنا على الحياد لا يفيد ، بل يضر ؛ ويلزم أننا نلجأ إلى أحد الجانبين » . وقال البشرى : « ان أفندينا له مصالح فى مصر وفى الدولة العلية ، فلننظر إلى أهميتها ، ونضحى بالجهة التى تقل فيها منافعنا ؛ ولو نظرنا إلى أملاك افندينا نجد أن له في مصر ما يساوى ملايين الجنيهات ، وما هو فى الدولة لا يعد شيئاً إذا قيس به (يعنى أنه يرجح فكرة الانضمام لجهة الانجليز) . فقلت : « إن الانجليز لا يرغبون الآن فى موالاة سموه » وجنابه يقول : « إنهم حينما تأتى سيرته يقولون : « نعم إنه يميل الينا الآن لاحتياجه » فيبعدون عنه ، ثم إذا كانت انجلترا هى الغالبة فهى لن تسمح له بالرجوع الى مصر ، وهو لايود أن يعيش فى بلاد مسيحية ، ويفضل طبعاً الاقامة فى الآستانة : فكيف يكون حاله لو انضم الى الانجليز الآن ؟ إنه لا يستطيع العودة اليها » .

وقد تناقش سيد وشديد فيما إذا كانت انجلترا تسمح لسموه أن يبيع أملاكه فى مصر ويأخذ ثمنها . فكان من رأى الثانى أنها لاتسمح خشية أن يستعمل النقود ضدهم فى مصر .

وبعد المناقشة كان رأى الأغلبية يميل الى ترجيح جانب تركيا ، ماعدا عبد الحميد شديد وعبد الله البشرى .

نص المخابرات بين عباس وملك البلجيك : وقد اطلعت فيما بعد على الرسائل

التى تبودلت بين ملك البلجيك والخديو ، بخصوص توسط جلالته لدى الانجليز ، أثبتها هنا لأهميتها :

— ١ —

« مولاى :

أسمح لنفسى إذ أذكر تلك العلاقات الودية التى تشرفت بقيامها بينى وبين جلالتكم أثناء زيارتكم لمصر أنتم وجلالة الملكة ، بأن ألجأ إلى عطف تدخلكم السامى كى تعينونى جلالتكم على ايجاد حل لمشكلتى

ولقد حسبت يا مولاى — بحق ولا ريب — أن المحن الشديدة التى تجتازون مضمارها ببطولة فائقة أنتم ومملكتكم الجديرة بشجاعتكما ووطنيتكما بكل إعجاب ، حسبت أن تلك المحن تزيد جلالتكم ، بما جبلتم عليه من طيبة ، عطفاً على كل بؤس ومصاب . فلما أن لقيت صديق القديم « الكونت دودزيك » وكان بالسويس وزير جلالتكم الممتاز الذى كنت عرفته فى الآستانة ، رأيت أن أرجو منه أن يعرض على جلالتكم رغبتى فى الوصول بفضل عطفكم وتدخلكم إلى تسوية مع انجلترا ، ترضينى وترضى حكومة صاحب الجلالة البريطانية معاً

وسأظل يا مولاى مديناً لجلالتكم بالعرفان كله لتكرمكم باعانتى على إيجاد ذلك الحل الذى سيعرضه على جلالتكم « الكونت دود زيك » إذا تفضلتم جلالتكم فأذنتم له بالعرض واستقبلتموه . ولجلالتكم ، إذا رأت هذا الرأى ، أن تسمح له بأن يقوم عند الضرورة لدى حكومة صاحب الجلالة البريطانية بالمساعى المطلوبة

وإنى لأتمنى من الأعماق أن أرى فى أقرب ما يستطاع ، جهود جلالتكم التى تفوق كل جهد بشرى ، مكللة بالنجاح .

وأرجو ، إذ أعتذر مخلصاً عن إقلاق جلالتكم فى هذه الظروف المؤلمة ، أن تتفضل جلالتكم بقبول عبارات احترامى وإخلاصى

لوزان فى ١٢ مارس سنة ١٩١٦

عباس حلمى »

— ٢ —

« مولاى :

لما تسلمت كتابكم وكتاب « الكونت دود زيك » بادرت بالعمل على السعى لدى الحكومة البريطانية .

وقد وصل إلى الرد الآن . ومنه علمت أن الحكومة الانجليزية مستعدة ـ بناء على تعليمات سر ادوارد جراى ـ لأن تقترح على سموكم تسوية إذا شئتم

وإنى لأذكر بالسرور ذلك الترحاب الجميل الذى لقيتمونى به فى مصر منذ خمس سنين ، وأحفظ من أجله خالص العرفان .

وأرجو من سموكم أن تثقوا دائماً فى أصدق عواطفى نحوكم .

« لابان » فى ٢ يونيه سنة ١٩١٦ البير »

— ٣ —

« مولاى :

سلمنى الكونت دود زيك الرد الرقيق الذى بعثتم به جلالتكم إلى فى الثانى من شهر يونيه .

وإنى لأشكر لجلالتكم ما تفضلتم به نحو طلبى من حسن القبول

وإنى كما أخبرت « الكونت دود زيك » لا أزال فى الحالة التى أملت على طلبى ، ولذلك فانى أنتظر اقتراحات التسوية التى سيبلغها إياى سر ادوارد جراى

ولعلى أستطيع المفاوضة بشأن هذه التسوية مع مندوب من قبل الحكومة البريطانية يكون واقفاً على مجرى الشؤون المصرية ، إذ يساعد هذا كثيراً على الحل المرغوب

فأرجو من جلالتكم التفضل باقتراح هذا الرأى ، وأشكر لجلالتكم هذا التفضل من كل قلبى

وإنى لأبتهل بالدعاء لجلالتكم بالهناء وتحقيق كل الآمال

وأرجو أن تتفضلوا يامولاى بقبول عبارات أخلص الاحترام

لوازن فى ٧ يونيه سنة ١٩١٦ عباس حلمى »

تسديد النقود الالمانية والحجز على مبلغ يوسف صديق : سبق أن ذكرت أن وزارة الخارجية الألمانية أرسلت موسيو بادل (الذى كان بمصر قبل الحرب وله اتصال بعباس وبى) لتسوية حساب النقود الألمانية مع الخديو فى السويسرة

وقد رد عباس ما كان باقياً من هذه المبالغ وأخذ مخالصة من الألمان بها ، رغم معارضة صاحبته مدام لوزانج فى رد هذه المبالغ

عباس يوسف صديق : وقد علم القارىء من مذكرات العام الماضى أن يوسف صديق قد أخذ مبلغ مائة ألف فرنك لنفسه من هذه النقود .

وقد أودع منها فى بنك زوريخ مبلغ خمسة وسبعين ألف فرنك ، فحجز عباس عليها ، ورفع قضيته بمبالغ كانت للخاصة الخديوية عند يوسف ، مما أوغر صدره ، فألف رسالة كلها مطاعن فى سموه ؛ وقصد الى النمسا ليطبعها هناك ، ولكن حكومتها علمت بالأمر فمنعت طبعها

وفى يوم ١٨ فبراير لقيت على الشمسى فأخبرنى أن يوسف حضر من فينا ليشاور محاميه فى الدعوى المقامة ضده ، وأنه سأله : لماذا لا يسلم للخديو فى هذا المبلغ مع أنه من نقود الألمان ؟ فأجاب بأنه يريد أن يجبر عباساً على رد أموالهم التى أخذها ، قال الشمسى : فقلت له : « ولكنى أعرف أنه حاسبهم ودفع الباقى عنده لهم » فأجاب بأن المدفوع ليس هو الكل ، بل ستمائة ألف فرنك فقط ، فأكدت له أن المدفوع أكثر من ذلك ، فقال يوسف : « حينئذ أنا أطلب منه أن يترك لى مبلغ عشرين ألف فرنك باقى مرتبى ، لأنه كان يعطينى نصفه فقط ، ونفقات أنفقتها فى مهام لم آخذ منه بدلها » . فقال الشمسى : « الأصوب أن تذهب لمقابلة سفير ألمانيا فى برن ، وتعطيه تحويلا بالمبلغ وتنتهى المسألة ، وربما صفح عنك الخديو » فقال : « وأنا بعدها ماذا أصنع ؟ وقد قطع الأتراك مرتبى ، لأننى رفضت العودة إلى الآستانة إذ رأيت أننى إذا أجبت طلبهم وعدت فربما قطعوا المرتب بعد شهرين أو ثلاثة وحظروا على الخروج » .

ثم ذكر للشمسى : أن بوليس الخديو أنشط من البوليس السرى فى سويسرة ، فانه ما كاد يطأ أرضها حتى علم من محاميه الثانى أن محاميه الأول الذى اشتراه الخديو ، حادثه تليفونياً وسأله عن سبب حضور يوسف ، ولم يكن قد عرف بعد بحضوره . وكذلك لم يكد يستقر بالفندق حتى حادثه نشأت باشا الالبانى تليفونياً ، وسأله عن مهمته فى السويسرة ؟ فرد عليه بأنه حضر من أجل القضية المقامة ضده من الخديو ، فقال له : « إن المسألة لا تحتاج لقضية ، ويمكن انهاؤها فى دقائق »

وفى يوم ٦ مارس كنت فى لوزان عند الخديو بحضور لبيب وفهمى والشمسى، فأخبرنا أن يوسف أراد التقرب منه ، ووعد بتقديم الرسالة التى ألفها ضد سموه مع كتابة يقول فيها : «انه كتب تلك الرسالة فى فورة غضب ،وأن أعداء الخديو انتهزوا هذه الفرصة فحرضوه على التشهير به » أما المبلغ المحجوز فقال عباس: «اننى قدمت للمحكمة مخالصة من الألمان ، ففقد يوسف حجته ، واقتنع بأنه لا مفر من الاستيلاء على المبلغ ، فسلم سلاحه »

وفى يوم ٢ ابريل علمت من اسماعيل لبيب أن الخديو تنازل ليوسف عن عشرين ألف فرنك ؛ وانتهت بذلك القضيـــة ؛ وانقطعت العلاقات بين عباس ويوسف صديق

بين عباس وبعض الوطنيين :

بينى وبين سموه : ذكرت فيما مر وقوع جفوة بينى وبين الخديو من وقت أن صارحته برأيى فى جلسة الجمعية التى ألفت للنظر في كل ما يهمه ، وتكلمت بشدة فى وجوب توضيح سياسته حتى نعرف اتجاهه ؛ وأننى أقمت فى جنيف وأبلغت من قبله أن أبقى حتى ترد لى أوامر أخرى

وفي يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩١٦ زارنى الدكتور سيد كامل ؛ وأبلغنى أن الخديو قال له يوماً : «إن شفيقاً أوحشنا ، ومضت علينا مدة لم نره فيهـا ، وإن شاء الله سنراه حينما نذهب إلى لوازن » (وكان يقيم فى قصر كلاران مع صاحبته) فأجبته بأن سموه كان قد قال للشيخ عبد الحميد ، إنه سيأمر باستحضارى ولكن هـذا لم يقع للآن .

وفى اليوم التالى علمت من هكسيوس أن الخديو حضر للوزان واجتمع به ، ثم عاد ، فعجبت فى نفسى من أنه لم يرسل إلى كما أرسل لهكسيوس

وفي يوم ٤ مارس زارنى عبدالله البشرى ، وأخبرنى أن عباساً حضر إلى لوزان وسيسافر غداً (أى ليس لديه وقت لمقابلتى !) وأنه أرسل ليأخذ ما لدى من الأخبار ، فأعلمته بما عندى

وفى يوم ٦ مارس ورد لى أمر تليفونى بالحضور إلى لوزان لمقابلة سموه مع لبيب وفهمى والشمسى فلما دخلت عليه رحب بى كثيراً ، فقلت : « يا أفندينا أنت

أوحشتني كثيراً، وهممت بتقبيل يده فأبى ؛ وكان لطيفاً جداً معنا فى هذه المقابلة، وجلس يسامرنا حتى منتصف الليل، وتوالت رسل صاحبته إليه لتناول العشاء حتى ملت، فأكلت بمفردها

وفى يوم ٦ مايو كنا مجتمعين بسموه ؛ واستطرد الحديث إلى المصريين الذين يطلبون إعانات، فتهيج وقال : « كل ساعة « فلوس فلوس » ما بقى على إلا أن أحضر ما عندى من النقود، وأقسمه مثل التركة بيننا ونستريح » فتألمت من ذلك ورددت بشدة قائلا : « ولماذا كنت تنفق على الشيخ محمد عثمان ٢٥٠٠ فرنك ؟ أنا ما كنت راضياً عن ذلك فقال : « اسأل هؤلاء الجالسين الذين التمسوا منى هـذه الاعانة » ثم سكت .

وقد علم القارىء في فصل سابق أن سموه رتب لى ألف فرنك حينما قطع مرتبى من الاستانة ؛ ثم عاد فاقتطع نصفه دون سبب ظاهر، فكتبت إلى يكن باشا أسأل عن سبب هذه المعاملة، فلم أتلق جواباً . ثم قضيت نحو شهرين فى مدن الحمامات وعدت ولم يستدعنى سموه

وفى يوم ٣ سبتمبر أخبرنى الدكتور سيد كامل أن الخديو قال فى ذات يوم : « ان شفيقا غضبان لأننى أعطيه فقط خمسمائة فرنك مع أن سفير النمسا فى برن لا يأخذ أكثر من ذلك ! »

وفى ٩ منه وردت لى رسالة من الشيخ عبدالحميد يقول فيها : « إن الجناب العالى أمره أن يكتب إلى بأن سموه راض عنى، وأنه لم يستدعنى بعد لعدم وجود أعمال الآن ! » . ويطلب منى أن اكتب رسالة بالشكر لسموه على سؤاله عنى، وسروره بعودتى من الحمامات ؛ وقد كتبت هذه الرسالة

وفى يوم ٧ أكتوبر قابلنى شديد بك وسلمنى اشتراك السفر وقد أرسله الخديو إلى للذهاب فى الغد إلى كلاران، مهنئا بالعيد .

ولما دخلت عليه وقف وخطا نحوى باشا وأخذ بيدى قائلا « كل عام وانت بخير يا شفيق باشا » فأجبته : « إن شاء الله نعيد على سموكم فى العيد المقبل بمصر »

وكان مع سموه البرنس عبد المنعم ونجل محمود مختار باشا، والبرنس محمد على (وكان قد خرج من ايطاليا إلى السويسرة وأقام فى جهة منترو)

وفى يوم ٢٠ أكتوبر وردت لى رسالة من الشيخ عبد الحميد يقول فيها : « إن

الخديو بلغه ذهابك الى طبيب العيون ، وأنه أشار بعملية ، وهو يتمنى لك الشفاء،
فأرسلت شاكراً

وفى يوم ١٧ نوفبر قابلت الدكتور سيد كامل وكان الخديو قد بعثنى لحادثة
فؤاد بك سليم فى مهمة تختص بحفظ حقوقه في السويسرة كخديو مصر وبحث فى
مهمتى . فقال لى الدكتور : « إن الخديو يقول : « هناك فرق كبير بين شفيق ويكن
فان الثانى إذا ذهب فى مهمة لايتكلم إلا فى عرباته وخيوله التى يبعث في مصر» ثم
قال : « وإننى أهنئك يا باشا بما استعدت من ثقة أفندينا بك » فضحكت فى نفسى
وقلت : « إن هى إلا مدة قصيرة ، ثم لايلبث أن يسمع منى فكرة حرة حتى يعاوده
الغضب »

الشيخ محمد عثمان والخديو : فى يوم ٦ مايو دعيت إلى الخديو فى نوزان بحضور
يكن وسيد كامل والبشرى، فتحدث معنا فى أن الشيخ محمد عثمان المعاون بالخاصة
طلب العودة إلى مصر ، وقال : إنه يعرف موسيو بارودى وهو مستعد لأن يسهل
له العودة ، ثم أظهر سموه ألمه لأن هذا الرجل خرج على طاعته قبل ذلك ، وذهب
إلى فينا ، وكتب رسالة حشاها بالطعن فيه ، ثم عاد منها فدفع له مبلغ ألفين وخمسمائة
فرنك إعانة له : وبعد ذلك يطلب أن يتركه ويعود إلى مصر .

قلت . « إننى متأكد أن سموكم إذا رخصتم له في العودة لم يوفق لذلك ، ويصبح
وليس له معين » فوافق على قولى ؛ ثم أمر الدكتور سيد كامل بأن يستحضره ، ويقول
له : « إن الخديو يرخص لك فى السفر وسنسوى حساب الفندق الذى تقيم به ، وليس
لك بعده شىء فى ذمتنا »

قلت: « ولكن تبقى مسألة... » فقاطعنى قائلا: « ونعطيه أجرة السفر؟» قلت : نعم
ووافق يكن والدكتور على قولى . فاحتد الخديو وقال : « أنا لا أعرف لكم مذهبا
فلماذا تطلبون منى إعطاءه نقودا مع علمكم أنه غير مخلص ؟ » . ثم قال : « لقد
كان الشيخ احمد الزناتى رجلا مخلصا حقيقة ، ولكنه لم يكن نشيطا مثل الشيخ عثمان
وأنا كنت أستخدم الاثنين مع علمى بما فى كل منهما من المحاسن والعيوب .
وأنكم لتعترفون بعدم إخلاصه، فلماذا ياناس تطلبون منى نقودا ؟ » فسكتنا لما
أيناه من انفعاله

وفى اليوم التالى قابلته وقلت له : « إننى لم أرد أن أرد عليه أمس نظرا لانفعاله
ولكننى أود إبعاد الشيخ بطريقة حسنة . وذلك باعطائه مرتب شهر قائلين له :

« إن افندينا لايمانع مطلقا فى سفرك ، وها هو ذا مبلغ كذا لتنفق منه فى السفر » فيعلم الناس أنه غير مطرود ، وعندئذ يلاقى صعوبات فى عودته إلى مصر ، قال سموه : « نعم يقولون إننا متفقون على تسفيره » فأكملت حدثى قائلا : « أما لو طردناه بالطريقة التى كان يراها الخديو ، فانه يلق صدرا رحبا من أعدائنا » فقال : « ياشيخ حينما يأتى له الأمر بالسفر يعطيه بارودى نفقاته » فأصررت على رأيى

وقد حضر الشيخ في اليوم نفسه فكلمه يكن بحضورى وحضور الدكتور سيد كامل بما تم الاتفاق عليه ، فدهش ، وقال : « إنه بقى له من حسابه القديم خمسمائة فرنك » . فأرجأه يكن إلى غد للنظر فى حسابه . فقال : « أى حساب ؟ كل هذه إحسانات من أفندينا بارك الله فيه . ولكن ماذا أصنع حتى يأتى لى الأذن بالسفر ؟ أنا استأذنت فى اتخاذ الاجراءات ، ولكن لم أصنع شيئا للآن » فرد عليه يكن بأنه ذكرا أنه تكلم فعلا مع بارودى

وقد بات ليلته متكدرا ولم يستطع تناول العشاء .

وفى يوم ١٣ يونيو أخبرنى الدكتور أن الشيخ أرسل يسترحم الخديو ويطلب معونته وهو خالى اليد فى بلد أجنبى ، ووقع رسالته « المخلص الحقيقى » ! (١)

عباس ورجال الحزب الوطنى : ذكرت فيما مضى أن هناك نفوراً بين رجال الحزب الوطنى فى أوربا وبين الخديو من جراء رفضه للمساعدة على إنشاء الجريدة وكذلك لما بدر من اللوم على شرائه العقد لصاحبته .

وفى يوم ١٩ ابريل قابلت الخديو فى فندق لوزان بالاس بحضور الدكتور سيد كامل ، فأنبأته أننى علمت بأن محمد بك فريد الموجود فى فينا أرسل برقية يقول فيها : « إنه عائد قريباً للسويسرة » فتكلم وهو مستاء من فريد ، وذكر أن الشمسى ولبيباً طلبا منه أن يضمنهما فى سلفة ، وأنه بعد أن وسخه المصريون لا يريد أن يتدخل فى مسائلهم ، ثم قال : « ها هو ذا دومر تينو بك الأجنبى الذى كان يعلم كثيرا من أسرارى ، ولا يعرفها أحد سواه لم يبح بشىء منها حتى الآن ؛ ولكن المصريين تكلموا فى حق كثيرا . إنما لم أسمع شيئا عن لبيب ، مثل ماسمعت عن فريد والشمسى . وإذا عاد فريد وكان محتاجا لمعونة مالية مثل زميليه فاننى سأرفض معونته ؛ ولو ساعدت لبيبا دونهما فربما أبى أن يقبل مساعدتى وحده » .

---

(١) وقد بقى مع الخديو

وقد أراد الدكتور أن يدافع عن فريد فقال : « إنه أخطأ حقيقة فى أخذ كلام « حسين شيرين » قضية مسلمة عن مشترى افندينا مجوهرات لمدام لوزانج ، وإخبار الطلبة بذلك لكنه من المخلصين لسموكم » . فقال : « لا ، الغلطة الكبرى هى ذهابه للسفيرين الألمانى والتركى فى فينا وقت وجودنا هناك ، وما قاله لهما بشأن عودتى إلى الاستانة » . فقال الدكتور : ولكن سموكم صفحتم عن الشمسى ، ويستحب الصفح عن فريد فى هذه الظروف الحرجة » فقال عباس : « أنا لست أريد أن أعرض عن مقابلة فريد إذا حضر ، ولكنى أعرف أنه غير مخلص كما تقول ، وهل نسينا ما كان يدور من الكلام فى بيو كدره تحت الشجرة بين فريد وباقى رجال الحزب الوطنى من تهديدى قبل وقوع الاعتداء على ؟ ألم يقل لك لبيب إنه كان يعلم بما سيحصل لى فى الاستانة باتفاق مع السلطة المحلية ؟ » قال سيد : « إن لبيبا كان يسمع من مظهر أنه يريد أن ينتقم من سموكم ، ولكنه ما كان يصدق ، بل كان يقول انه هذر أطفال ، وكان يعلم بعداء الحزب الوطنى لكم قبل الحرب ؛ لكنه انضوى بعد ذلك إلى سموكم » . فقال عباس : « على كل حال أنا لا يمكننى أن أساعد الشمسى وفريدا »

مدام لوزانج تعرف نقطة ضعف عباس فتستغلها : وفى يوم ٢٣ ابريل كنت أحادث الدكتور ، فأبدى لى تألمه مما سمعه من الخديو فى الجلسة الماضية بشأن رجال الحزب الوطنى ؛ وقال : « إن صاحبته هى التى تزين له ذلك ، وقد عرفت مواضع الضعف فيه » واستشهد بما رآه ذات يوم من الخديو وقد جلس يفرز الرسائل الواردة ويفصل منها الجزء الأبيض الخالى من الكتابة فيحتفظ به ، فما كان منها إلا أن أخذت رسالة سهاعنها وصنعت بها كذلك ! وهى الآن تستغل حرصه فتقول له : « ما الذى نفعك به المصريون فتنفق عليهم ؟ » وتحسن له ابعاد رجاله واحدا واحدا اقتصادا للنفقات .

وقد سمعها الدكتور مرة تقول مثل هذا الكلام ، فأخذها عليه فى غيبة الخديو وأفهمها أن رجل الطبقة الوسطى هو الذى يفكر فى مسائل صغيرة كهذه ، ولا يصح أن يفكر الخديو فى مثل هذا وهو ملك ، وقد دعاهم للحضور عنده فى ضيافته .

ولما نقل هذا الكلام للخديو حنق على الدكتور سيد كامل

وفى يوم ١٣ يونيو قابلته فى لوزان ، فعلمت منه أن الخديو غاضب عليه ، لأنه أمره باستدعاء اسماعيل لبيب من « ليزافان » حيث يقيم مع فريد والشمسى ، فوجد أنه إذا استدعاه بمفرده يكدر الآخرين ، وخصوصاً بعد أن تقابل الثلاثة واياه ،

وعلم منهم أن فريداً مستاء لاهمال الخديو له، بعد أن قبل الاشتغال معه في مسائل خطيرة، ومنها المخابرة مع الانجليز، الأمر الذى كان يعتبره فريد وإخوانه خيانة وطنية. ولهذا مر فريد والشمسى بلوزان ولم يقابلا سموه: واحتج فريد بأن قدمه تؤلمه، وهو يلبس «شبشباً» !.

أما عباس فقد أراد باستدعاء لبيب وحده إغاظتهما نظراً لذلك، فاستحسن الدكتور أن يدارى الأمور، ويؤجل حضور لبيب على حدة فلم يفلح. وأخيراً أبلغ فريد تليفونياً تحيات الخديو، وأن الأحسن تأجيل المقابلة حتى تشفى قدمه، وأن يحضر لبيب وحده. وبذلك لم يشعر فريد بشىء. ولكن الخديو غضب على سيد كامل غضباً شديداً لما علم بذلك.

وفى يوم ٦ يوليو قابلته، فأخبرنى أن فريداً ولبيباً والشمسى قابلوا الخديو، وتفاهم معهم على السير فى مخابرة الانجليز، ولكنهم طلبوا قبل موافقتهم على ذلك أن يعطى كلا منهم مرتب سنة مقدما بواقع أربعمائة فرنك فى الشهر، لأن الأتراك إذا علموا باشتراكهم قطعوا المرتب الذى يعطونه لفريد ولبيب.

أماعباس فأراد أن يعطيهم شهرا شهرا، واعتبر أن شرطهم معناه عدم الثقة به، فلم يقبلوا.

وأبلغنى الدكتور أنهم قالوا: «هانحن أولاء نرى أمامنا كيف يعامل شفيقاً وسيد كامل وهما من رجاله المخلصين!».

العلاقات بين الخديو وحلفائه:

فتور العلاقات بين عباس والنمسا: فى يوم ٦ مارس أخبرنى الخديو أنه كتب الى حكومة النمسا بأن والدته مريضة بالأستانة؛ وأنه يريد إرسال أحد أبنائه لرؤيتها ولكنه يخشى أن يحجزه الأتراك في الأستانة، ولذلك يطلب المعونة احتياطا لهذا.

فجاءه الرد منها بأنهامستعدة لمساعدته فيما يمكن، بدليل أنها منعت يوسف صديق من طبع كتابه ضده (الذى سبق ذكره) وكذلك منعت محبا من مبارحة البلاد النمسوية بعد مجيئه اليها، لما علمت أنه غير مخلص لسموه. ولكن مسألة المخابرة مع الحكومة العثمانية فى عدم حجز ابنه يعد تدخلا فى الشؤون الداخلية لتركيا.

ومن ذلك علم الخديو بتغير النمسويين من ناحيته: فأرسل دعوة الى الكونت دى تورن قنصل النمسا في جنيف، فلبى الدعوة يوم ١٨ مارس، ورحب به سموه

كثيراً ، وذكره الأيام التى قضوهامعا فى الترزيانوم ،وأنه لازال يحفظ مودته القديمة، وبهذه الصفة يتحدث معه . ثم أخذ يشرح سياسته مع الانجليز ، وكيف دافع عن مصالح مصر ، وقاسى المتاعب الجمة ، وكيف حالف الاتراك والألمان ، ثم شكا سوء معاملة الأتراك إياه بما أجبره على مبارحة الاستانة . وكيف بعد هذا أهمله الألمان ولم يسمح امبراطورهم بمقابلته ؛ ثم شكا من حكومة النمسا نفسها لأنها قد خصصت لمراقبته حينما كان بويانه اثنين من رجال البوليس السرى يتعقبانه ، حتى اضطر أن يشكو لنظارة الخارجية ؛ وعندئذ اعتذر له رئيس البوليس . وقال سموه في النهاية : « إنه ينتظر انتهاء الحرب ، فيتنازل عن عرشه ، ويطلب من الانجليز تخصيص مرتب له ، ويستريح من هذا العناء »

سحابة تنقشع وفى يوم ٢٣ منه بلغنى من الكونت نقلا عن موسيو أرفاى النمسوى ـ وكان فى خدمة عباس ـ أن الخديو تشاور معه فى أن يذهب لبودابست ليرى القناطر التى أقامها النمسويون على نهر الطونة بعد فتح الصرب ، وأن صاحبته عارضت فى ذلك ، فقال لها : إنها تنتظر فى السويسرة حتى يعود سموه

وقد استغربت في نفسى أن يكون ذلك عزم الخديو حقيقة ، وفهمت أنها ربما كانت مناورة منه ، لاذاعة هذه الرغبة عنه فى بلاد النمسا وألمانيا ، حتى يعلموا أنه لم يتحول عن صداقتهم

عودة اهتمام الألمان به وقد علمت ألمانيا فعلا بذلك العزم ، فأرسل مسيو ياجو ناظر الخارجية بواسطة سكرتيره يطلب مسيو أرفاى للحضور إلى برلين ، وفى رسالة استدعائه ما يشير إلى أن السياسة الألمانية نحو الخديو أصبحت طيبة ، فلم يستحسن سموه استدعاء أرفاى مباشرة بغير اذنه ، وأجاب مستدعيا السكرتير إلى زوريخ لمقابلته ، على أن تكون نفقاته من جانب سموه

وفى يوم ١٣ ابريل علمت من الكونت بأن مسيو ياجو أرسل برقية للخديو فحواها أن الامبراطور مستعد لمقابلته ؛ ويدعوه الناظر إلى برلين ، ولكن سموه يتمنع ؛ وربما أدى هذا إلى قطع الحبل بينه وبين محالفيه ، وقال لى كذلك : إن أرفاى أبلغه أن الخديو يسوف ويتريث فى السفر إلى المجر ، بعدأن كان يريدأن يسافرسريعا

وعند ذلك تأكدت أنها كانت مناورات فقط كما فهمت ذلك من قبل

وفى يوم ١٨ ابريل زارنى على الشمسى ويوسف صديق ، فعلمت من الأول أن

ألمانياً له علاقة معه (وربما كان ياقوبى وهو جاسوس لألمانيا فى السويسرة) أخبره بأن المسيو فيزندوق الذى يشتغل بالمسائل الشرقية فى نظارة الخارجية ببرلين حضر إلى مونتروه عند والده، ويحب أن يجتمع بالشمسى ويدعوه إلى الشاى، فذهب الشمسى أول أمس وقابله ومعه الألمانى (ياقوبى) وتحادثوا فى مسائل مصر والخديو، فقال فيزندوق: «إن الحملة العثمانية ستزحف على مصر فى الخريف القادم، لأن ألمانيا لا تتمكن من قهر انجلترا إلا فى مصر. وأن تأخيرها فى هذه السنة كان لضيق الوقت عن تجهيزها والاستعداد لها كما يجب، وأن ألمانيا لا تحب أن تفشل مرة ثانية صوناً لشرفها العسكرى وسمعتها الحربية، وهى لا تترك الاتراك يفعلون ما يريدون فى مصر، وتريد أن تحافظ على عهودها بأن ترجع الحالة إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال. أما الخديو فنحن نعلم أنه حانق علينا كما أنه حانق على الاتراك، ولا باعث لتذمره لأننا لم نمسسه بضرر، وإذا لم نساعده عند الأتراك فليس معنى هذا أننا تركناه بل إننا لا نريد أن نغضبهم، لتدخلنا فى مسألة يعتبرونها داخلية»

فأجابه الشمسى: بأن سفير ألمانيا هو الذى تدخل بين الخديو والصدر، وبدلا من أن تقول يا مسيو فيزندوق: إن الواجب على الخديو أن يصلح هو بنفسه سياسته معه، يجب أن تعرف أن الشقاق الحاصل بينهما سببه كرسى الخديوية، وسعيد حليم يريد أن يختلسه من الخديو الشرعى، وليس من صالح ألمانيا ذلك، بل من صالحها أن ترضى الخديو، لأنه إذا استرسل فى كدره، فربما انقلب وأدار دفته نحو الأنكليز. وقد كنا فى وقت ما سمعنا أقوالا عنه كثيرة، وشككنا فى سياسته، ولكننا استقصينا فلم نجده قد مال إلى جهة الأنكليز كما أشيع عنه، فاذا حصل هذا الميل كان سببه انه لا يلقى معاملة حسنة منكم ومن الأتراك، بخلاف معاملة المتحالفين لمن عاهدوهم، وها هو ذا ملك الجبل الأسود كاد أن يعقد الصلح مع النمسا، أى يخون الحلفاء ومع هذا رحبت فرنسا به وأكرمته، وأثنى عليه ناظر خارجيــة الروسيا ثناء مستطابا. والخديو محبوب من الأمة المصرية، ولو ذهبت الحملة وعلمت الأمة بانفصال سموه من الأتراك والألمان قامت فى طريقها صعوبات كثيرة، بخلاف ما إذا كانت الأمة تعلم أنه لم يزل حليفا لهم. وعلى هذا نرى من مصلحتكم أن توفقوا أنتم معشر الألمان بين الصدر وبين سموه، وتزيلوا الشقاق. فاقتنع فيزندويق بذلك ووعد أن يسعى فى هذا الطريق. فقال الشمسى له : « إنه من المحتمل إذا تحسنت العلاقات بين الصدر والخديو أن سموه يمضى شهر رمضان فى الآستانة

« ومن حسن السياسة بين المتحالفين أن يزيلوا كل خلاف يقع بين رجالهم »
قال الشمسى : « وقد أردت أن أحتاط حتى لا أقطع على خط الرجعة ، فقلت له : هذا يامسيو فيزندوق وفق فكرى الخصوصى ، وانى لست مأمورا من سموه بشىء ما »
قال : « نعم نحن نتكلم بيننا بصفة خصوصية ، ولا نحب أن يعلم عباس ولا سعيد حليم بسعينا ، وعند الشروع في التكلم لايخطر على فكر أحدهما أنها مسألة محضرة مدبرة بل إنه عمل فى صالح الطرفين ، إنما يلزم أن يكون هـذا السعى بالتأنى كما يقول الأتراك : « ياواش ياواش » . فأجابه الشمسى : « نعم . ولكن نريد أن ينتهى قبل دخول رمضان ، حتى تتيسر للخديو تمضية هذا الشهر فى الأستانة ، وإذا رفض فنكتفى بدخوله النمسا ، ولو أن هناك مانعا وهو حسين حلمى باشا السفير ، الذى قال : « انه إذا قابل الخديو فلا يصافحه » ، وكان سموه قد وعده بعدم الخروج من النمسا ، فوقفه حرج إذا عاد . قال فيزندونق : « إنما يجب ألا يدخل مع حاشيته المريبة » أعنى يوسف ومحبا ، فأجابه الشمسى بأن الأول خرج من خدمة سموه ، والثانى محجوز فى فينا قال : « إننا نحن الألمان كنا أردنا أن نبعدهما ، ولكن حسين حلمى هو الذى تولاهما بكفالته » ثم سأل الشمسى عن اشاعة سمعها ، وهى أن يوسف يريد الذهاب إلى إيطاليا فقال الشمسى : « إذا سافر يوسف حقيقة إلى إيطاليا يكون هذا سببا وجيها لتخلص الألمان من حسين حلمى » . ثم تحدثا عن يكن باشا فأظهر فيزندونق أن الألمان لايرغبون فيه إذا رجع الخديو إلى الأستانة أو الى فينا . قال الشمسى : « أما أنت ياباشا فان الألمان يقولون : إنك حقيقة الرجل الصادق المخلص ، ويأسفون لعدم وجودك على الدوام إلى جانب الخديو » وقال فيزندونق : أما صاحبة الخديو فقد اتضح لنا أنها لاتتدخل فى السياسة ، ولهذا يرجح أن مصاحبتها إياه إلى فينا لاتصادف صعوبة ، ولو أن وجود فرنسية فى النمسا أو فى ألمانيا غير مباح »

البريد الخديوى والصدر وسفير النمسا : وفى يوم ١٩ ابريل استدعانى محمد يكن إلى لوزان لمقابلة الخديو فى فندق بالاس ، وهناك قابلت الدكتور سيد كامل ، فأسر إلى أن نظارة الخارجية التركية منعت السفارة فى صوفيا أن تؤشر على جواز سفر نور الدين « حامل البريد الخديوى » وأنه ينتظر الآن فى عاصمة بلغاريا ؛ وأن الخديو يريد إرسال برقية إلى ناظر الخارجية التركية يستفهم فيها عن سبب هـذه الأجراءات ، ضد رجل من رجاله يحمل رسائله الخاصة

وقد حضر نسختين : إحداهما فيها سؤال عما إذا كان هـذا المنع شخصياً انور الدين ، أو أنه شامل لـكل شخص من قبل الخديو . والثانية فيها استفهام فقط عن الأسباب ، فاستحسنت الأخيرة ، لأن الأولى قد يجاب عليها جواباً يؤذى الخديو ويكشف النيات المستورة

ولما قابلت سموه وكان الدكتور حاضراً ـ عرض عليه الصورتين ـ فقرأهما ، وقال له : « أنا لم أقل لك أن تـكتب هكذا ، وينبغى أن تـكتب البرقية ببساطة » ثم أخذ يملى عليه وهو يكتب ، ولـكنه توقف عند ما أراد الخديو أن يملى عليه جملة شديدة وابتدأ يناقشه . أما أنا فتظاهرت بأنى لا أعرف شيئاً عن الموضوع ، وصمت يكن مثلى ، فبدا الغيظ على وجه الخديو ، وفهم أننا نحن الثلاثة متفقون على معارضتـه فقال : « أنا لا أفهم لماذا لاتريدون أن أرسل برقية شديدة لرجال الدولة أمام عمل كهذا ، فالمصريون كانوا دائما يدفعوننى إلى اعتراض كل إهانة من الانـكليز ولـكنهم يطلبون منى الآن ألا أفتح فمى مع الأتراك . والآن لا فرق بين خديو وموظف ، فـكل يعمل حسب رأيه . والسيد كامل يناقشنى ولا ينفذ أوامرى . إننى سأعمل وحدى » ثم تركنا وقام منفعلا .

وفي يوم ٢١ منه قابلت سموه ، فشكا لى من الدكتور ، وأنه يريد أنه ينفذ رأيه وأنه يعارض أفـكاره . ثم كرر انتقاده لسكوتى أنا ويكن ، فاعتذرت بأننى لم أكن أعلم شيئاً عن الموضوع ، لأن سموه لم يطلعنى عليه . وفى اليوم التالى كان هادئا فـكلفنى أن أكتب الرسالة مع يكن باشا ، فحضرنا عدة صور ليختار إحداها ، وقد أخبرنى أنه لقى فى برن مسيوتوشيف (صاحبه وسفير البلغار فى فينا وفى السويسرة) فابلغه سلام الملك ، وكلفه أن يستعلم من سموه عما يطلبه منه من المساعدات ، فأجابه شاكراً ، وقال سموه : « اننى فوجئت بالحرب وأنا مريض ومصاب بثلاثة جروح وبعيد عن بلدى وعن أهلى وجيشى ، فما كنت مستعداً لعمل الاحتياطات مثلما حصل من ملك البلغار ، ولهذا خسرت كثيراً ، والأتراك يطمعون فى ، والالمان تركونى ، فأنا لا أطلب من جلالة الملك إلا أن يدافع عنى كلما عرضت سيرتى أمامه ، وطعن أعدائى فى » وتـكلم سموه بعدها فى مسـألة منع الأتراك انور الدين افندى من دخول الاستـانة ، فأشار السفير بارسال البرقية ورجا أن تخلو مما يثير النزاع ووعد سموه أنه بمجرد رجوعه إلى فينا يفضى إلى سفير ألمانيا باستياء سموه ، ويطلب

منه أن ينصح للأتراك بالكف عن سياسة الوخز، فقلت: «نعم النصيحة» ثم أخرج سموه من جيبه الصور التي كنت حضرتها مع بكن، واتفقنا على إرسال إحداها بعد تعديل طفيف، وهي تتضمن الاستفهام عن أسباب منع نور الدين من نقل بريد الخديو، وطلب إصدار الأوامر بالكف عن منعه.

وفي يوم ٢٣ منه قابلت في الصباح الدكتور أمستر مع الخديو، فأظهر سموه استياءه مما قاله ماكيو (الذي كان سفيرا للنمسا في روما والآن بنظارة الخارجية) لأمستر لما طلب منه توصيل بريد الخديو بواسطة حامل بريد الخارجية النمسوية، فانه أجابه معتذرا بأن بريده يعتبر خاصا، فقال الخديو: «ماكيو هـذا الذي ساعدني وأنا جالس على عرشي مساعدة ما كان واحد من نظاري ليقوم بها، لما أرادت امرأتي الثانية بعد انفصالها أن تشتغل بالتمثيل[1] وتمكن هو وقنصل جنرال النمسا مسيو زميتيني أن يحولا دون ذلك بمساعيهما لدى الحكومة، وها هو ذا يقول الآن: «إن البريد الذي باسمي خاص، ولابد من استئذان سفير الدولة في نقله» مع انني قابلت امبراطور النمسا مراراً بدون وساطة. هذا ولا شك تغيير في سياسة خارجية النمسا، فكأنها تعتبرني فرداً ليست له صفة، وهذا الرفض نضيفه إلى ما قالته النمسا لما طلبت منها أن تضمن لي رجوع ابني الذي كنت أريد إشخاصه إلى الاستانة، وقد رفض غليوم كذلك مقابلتي، وها أنت ذا يا دكتور امستر حينما أرسلتك في شهر سبتمبر الماضي إلى برلين قابلك ناظر الخارجية أربع مرات في ظرف ثمانية أيام، واهتم برسالتي التي حملتك إياها، إنما اعتذر بأن هناك سببين لعدم مقابلة الامبراطور لي: الأول — خشية غضب الأتراك. والثاني — أن جلالته في مدة الحرب لم يقابل أمراء. ولقد عرفت بضعف مركزي في فينا من احتكاكي بسفير ألمانيا، فانه كان دائماً يقول لي: «اصطبر!» ولما ضيقت عليه الخناق، وأردت أن أنفذ إلى الحقيقة، قال لي بأنه يرى شخصياً أن أفضل الطرق لتمكين مركزي هو الذهاب إلى الاستانة، والاتفاق مع رجال حكومة الدولة، ثم قابلت سفير الدولة بعد ذلك فأخبرني بأنه فريداً زاره وقال له: انه طلب مني الرجوع إلى دار السفارة، وانه أي (السفير) شخصياً ينصح لي بذلك، فعلمت ان الاتفاق قائم بين السفيرين لارغامي

---

(١) يعني بها الكونتيس توريك

على السفر إلى الأستانة ، ولو أنهما يدعيان أن ما يقوله كل منهما هو رأيه الشخصى . عند ذلك جئت إلى هنا ، وحصلت من الأتراك الوخزة الأولى ، فأرسلتك يا أمستر إلى برلين ، وسويت المسألة . فاليوم حصلت الوخزة الثانية بمنع نور الدين افندى من العودة إلى الأستانة ، وقد أرسلت برقية لناظر الخارجية التركية أستفهم منه عن السبب — وقرأ عليه صورة البرقية — فاذا جاء الرد بما يسوء ، فى نيتى أن أسافر إلى برن ، وأجمع سفيرى ألمانيا والنمسا ، وأعلن لهما انفصالى عن المتحالفين معى لسوء المعاملة ؛ وأكون حراً فى أعمالى مع أى جهة ومع أية دولة ، وأنا حتى الآن لم أخاطب الأنجليز إلا فى أعمال خاصتى . فقلت : « يا أفندينا الأتراك لا يرسلون رداً جارحا يسوءك لأن هذا ليس من مصلحتهم »

وفى يوم ٥ مايو طلبت تليفونيا لمقابلة الخديو . ولما لقيته قال لى : « إننى أرسلت أطلبك لمسألة هامة ، وهى أن جلال الدين باشا أخبرنا أن سفير الدولة كلمه تليفونيا من برن بأنه تسلم برقية من الأستانة ، فحواها اننى إذا طلبت شيئاً فلأخاطب فيه الصدارة ، وهذا ردا على البرقية التى أرسلتها إلى خليل بك بشأن نور الدين فأنا أفكر فى أن نطلب من جلال الدين تدوين هذه الأشارة التليفونية كما وقعت ثم نكتب إلى الصدر بما معناه : إننا لما منع نور الدين بأمر من الخارجية كتبنا إلى الناظر الذى أصدر أمر المنع (لأنه من حقوقنا أن نخاطب حتى الولاة) فى ذلك منعا لأقلاق خاطر الصدر فى مسألة تافهة . أما الآن وقد وردت لنا الأشارة المذكورة فنحن بكل ارتياح نكتب إلى الصدر ، فقلت : « هذا حسن يا أفندينا ، خصوصا وأن سموكم كنتم تبحثون عن وسيلة للمخابرة الرسمية مع الصدارة ، كما كان الحال قبل الانقلاب ، فالأتراك الآن قد أوجدوا لنا الوسيلة » قال : « ونرسل برقية نطلب فيها أن يرخص لأحد موظفينا فى الأستانة بالحضور إلينا لتسلم الخطاب إلى الصدارة » قلت : « إذن ربما قالوا : إنه يكفى توصيل المظروف إلى سفارة الدولة فى برن » قال : « صحيح ! وخصوصاً أن الرجل الوحيد الذى أعتمد عليه هناك هو ابراهيم بك أدهم ، ولكن هل يمكنه أن يتكلم مع الصدر ؟ لأننى أريد ممن يحمل هذا الخطاب أن يتكلم فى مسألة سيد كامل (الذى يدعون عليه أنه خطب بين المصريين لما كان فى الأستانة ضد الدولة) وفى مسألة البشرى (ويقال إن الأتراك حكموا عليه لسفره من الضلمان إلى مصر ، وتركه تعليمات لموظفى التفتيش مقتضاها أنهم

إذا نزل الأعداء فى الأناضول فلا يقاومونهم ، وإذا طلبت الحكومة التركية هناك إخلاء الجبهة لايصغون لها) ويستصدر قراراً بأنهما بريئان مما نسب اليهما بحيث يتيسر استخدامهما فى حمل البريد بدلا من نور الدين » فقلت : « إن ابراهيم أدهم لايصلح » قال: « وكنت فكرت فى إرسال جلال الدين، ولكن بعد أن سمعت من أولادى ما يقولونه لهم (يعنى جلال الدين وحرمه) لايمكن أن أعتمد عليه ، فأنه بلغنى أنهما يقولان لعبدالمنعم : كيف أنك ولى العهد ووالدك لا يشترى لك سيارة ؟ هأنت ذا ستبلغ رشدك فتطلب حقوقك وهكذا من الكلام المثير . . . فغرضهما أن يثيرا أولادى على ، ومن ثم لا أعتمد على جلال الدين » وقد فهمت أن الخديو يفكر في إرسالى ، فقلت : « إن أرسلت تركياً أو مصرياً لا يفيد ؛ وقد تصادفه عراقيل ، أو يسمع كلاما من الصدر جارحاً فى حقكم ويمكن منع خروجه ، فأنا أرى أن خير وسيلة هى استخدام أجنبى . أين مسيو رامبير مثلا » قال : « الأتراك أخرجوه فلا يقبل أن يذهب الآن الى الأستانة » قلت : « ترسل الدكتور امستر باعتباره سكرتيراً المانيا لسموكم ، فالصدر لايجسر على أن يفوه بكلمة أمامه تجرحكم ، وبذلك تحفظ كرامتكم من جهة ، ومن جهة أخرى يستطيع أن يتكلم بكل ما تريدونه دون مبالاة ، ولا يتأتى منع خروجه من الأستانة » فقال : « النهاية أنت ويكن وسيد كامل تجتمعون بجلال الدين ، وتكتبون الرد أما الشخص فبعدها نفكر فيه »

وفى اليوم التالى أخبرنى أنه زار ملحمه باشا ، وسأله رأيه فى مسألة الأشارة التليفونية التى وردت من برن . فأشار عليه أن يرسل خطاباً إلى الصدر لايذكر فيه هذه الأشارة . وإنما يستفسر عن سبب منع نورالدين ، ويسأله تسهيل رجوعه إلى الأستانة ، ويومىء إلى برقيته السابقة إلى نظارة الخارجية قائلا : « إنه قصد بها مراجعة الصدر إذا اقتضى الحال » قال سموه : « ولكنى لم أوافق على السكوت عن إشارة برن » ولهذا تقرر أن نكتب إلى الصدر نعلمه بأرسال برقية الخارجية لمجرد الأستفسار أولا ، ثم الالتجاء الى الصدارة .

وفى يوم ٨ مايو كتبنا الرد ، وهو يتلخص في أن نورالدين افندى الذى يحمل بريد الخديو أبرق بأنه محجوز فى صوفيا ، فخاطب سموه ناظر الخارجية الذى أصدر أمر المنع ، يطلب الترخيص له فى السفر ، وأنه علم من السفارة فى برن أن فخامة

الصدر يود أن تكون المخاطبة معه رأسا ، ولما أبداه بخاتمه من الصداقة لعائلة سمو الخديو ، يرجو سموه ألا يصادف الموظفون الخديويون ما يعوقهم ، حتى يتسنى له الاتصال بعائلته على الدوام ؛ وأن الدكتور امستر السكرتير الخاص هو الذى سيسلم هذه الرسالة

وقد سمح بعد ذلك لنور الدين بالسفر ، وقال الصدر لامستر : « أن الخديو يمكنه أن يرسل بريده بواسطة سفارات الدولة ، وأنه سيرسل أوامر بذلك »

وحتى يوم ٢٠ نوفمبر لم تكن هذه الأوامر قد وردت ، فكلفنى الخديو أن أقابل فؤاد بك سليم مستفسرا ، فعلمت أنه لم تصل إليه أوامر بهذا الخصوص ؛ ولكنه مستعد لقبول البريد وتوصيله بمعرفته ، وأنه يعمل دائما للوفاق بين الجميع

وفاة امبراطور النمسا : وفى يوم ٢٢ نوفمبر توفى امبراطور النمسا فرانسو جوزيف فقرر الخديو أن يذهب مع جلال الدين وموسيو ارفاى لتعزية سفير النمسا فى برن. وكنا نريد أن ينتهز سموه هذه الفرصة فيسافر إلى فينا للتعزية ؛ وبذلك يستأنف العلاقات الأولى ، ولكنه أبى

وفي يوم ١٥ ديسمبر أخبرنى ارفاى أن موسيو جلنك مرسدس قنصل جنرال النمسا سابقا في نيس ، وأحد معارف الخديو يريد أن يحادثنى ، فتوجهت إلى فندق ناسيونال بجنيف الذى ينزل به

المساعى للتقريب بين الخديو وحلفائه : وقد علمت منه أولا أنه رفع تقريرا إلى الامبراطور غليوم لاستمالة جلالته إلى الخديو ، وتقريراً آخر إلى مسيو بوريان ناظر خارجية النمسا بواسطة واحد من معارفه فى الخارجية ، قبل أن توسط في توصيل ما يكتبه ويرسله إليه . وبعد أن أطلع الخديو على التقريرين أرسلهما ، فلم يأت الرد له عن الأول ولا الثانى . إنما جاء له فى المدة الأخيرة أحد رجال البوليس السرى النمسوى فى مهمة لا يعرف بها أحد ، حتى سفارة النمسا فى برن وقال له : « إنه مأمور بأن يبلغه وصول تقريره لمسيو بوريان وردا عليه يقول : « ان سياسة الخديو غير واضحة وأنها تسير بين ما بين والحكومة النمسوية من أجل هذا غير واثقة من سموه » ثم ترك هذا الرجل مسيو مرسدس دون أن يعلم باسمه . قال مرسدس : « وقد صرحت للخديو عند زيارتى سموه منذ أسبوع في الهوتيل ناسيونال أنه ما دام على سياسته هذه العوجاء ، فلا تكون العاقبة خيرا له ؛ ومن الواجب أن يتبع خطة واحدة ، ويعلن أنه لم يزل فى جانب حلفائه إذا أراد أن تسمع

له كلمة عندهم » قال : « ولعل كلامى هذا أغضبه ، ويحتمل أنه لا يريد رؤيتى بعد الآن » فأجبته بأن الخديو يسمع الحقائق ، ولو كانت مرة ، وقصصت عليه ما دار بينى وبينه من المشادات التى كنت أظن بعدها أنه لا يريدنى مرة أخرى ، ولكنه طلبنى وعهد إلى بأعمال ، وحسبما أرى أنه يستسلم للغضب ساعة ثم يعود إلى السكينة ، ويقدر الكلام حق قدره بعد أن يهدأ باله

قال مرسدس : « إن حفلة تتويج امبراطور النمسا ستكون فى آخر ديسمبر فهل يرسل من ينوب عنه إليها؟ » قلت : « هذه فرصة سانحة الآن ، فاذا أراد اصلاح أمره مع حلفائه ، فما عليه إلا أن يذهب بنفسه لحضور هذه الحفلة »

ثم أخبرت مرسدس بأن الحالة النفسية فى باريس ولوندره وبطروجراد وروما رديئة ، فان الأهالى تحس بالضعف أمام ألمانيا وحلفائها ، وقد ظهر الآن من يجهر فى مجالسهم النيابية بتحبيذ الصلح ، وانى اطلعت الخديو على بعض كتابات فى جورنال دو جنيف تدل على هذا الضعف ، وأن سموه وافقنى على ذلك ، ولهذا قلت له : « إن الفرصة سانحة الآن لاصلاح سياستنا مع رجال الدولة والألمان »

وعرفت مرسدس أيضاً بأنى حسنت هذه الفكرة لجلال الدين باشا وشديد بك وسيد كامل ، وهم المحيطون بالخديو ، وأنى مستعد لأداء أية خدمة فى هذا الشأن . وأظن أن أنور باشا يساعدنى على أن يطمئن سموه على أملاكه بتعويضه عنها إذا صادرها الانجليز ، وباعطائه مخصصات شهرية له وللحاشية

النمسا تعترف بخديوية عباس : وفى يوم ٣١ ديسمبر زارنى ارفاى فى منزلى وأخبرنى أن سفير النمسا فى برن وردت له رسالة من نظارة الخارجية النمسوية بأن يكتب إلى الخديو ، وينبئه بأن الكونت زيمتيني معتمدها السابق فى مصر قد عين سفيرا لها فى صوفيا ، وبهذا تعترف النمسا بخديوية عباس حتى الآن ، إذ أنها تعتبر الكونت معينا لديه ، حتى يوم ترقيته إلى منصب سفير صوفيا . فسر الخديو بذلك وعده علامة على تحسن موقفه فى النمسا

القبض على يكن باشا وضبط أوراق الخديو : فى يوم ٢٤ اكتوبر قصدت زيارة محمد باشا يكن بناء على ميعاد سابق ، ولكنى وجدت بالمنزل حركة غير عادية ، وتبينت أن البوليس السرى السويسرى فاجأهم ، وضبط الأوراق التى عثر بها لديهم

وقد رجتنى السيدة حرمه أن أبادر بابلاغ الخديو تليفونيا ، فأبلغت الخبر ، وعلمت أنه نما إلى سموه قبل ذلك ، من أمينه هانم اسماعيل القاطنة بنفس المنزل فى طبقة أخرى


محمد يكن باشا

وقد فزعت لهذا التفتيش ، واعتقدت أن الخديو هو المقصود به ، وأن ذلك من دسائس انجلترا لسموه ومعاكساتها

وفي الصباح زرت مدام يكن باشا فعلمت أن زوجها مقبوض عليه ، وأنها أرسلت له فراشا وطعاما؛ وكانت في نهاية التأثر ؛ فعرضت عليها أن أبقى معها لتأدية ما تريده من الخدمات فقبلت شاكرة

ثم طلبت أن تزور المحامي الذي تولى حضور التحقيق مع زوجها ، ومنه عرفنا أن الأوراق المضبوطة تدل على أن يكن باشا استخدم وسائل شتى للحصول على معلومات لصالح مصر والخديو ، ولكن هذه المعلومات تعدت الحدود السويسرية ، وهذا يخالف قانون سويسره الصادر في أغسطس سنة ١٩١٤ فالعمل الذي قام به الباشا ليس ماسا بالشرف ، ولكنه مخالف للقانون ، ولذلك سيطلب من قاضي التحقيق أن يفرج عنه بكفالة .

وفي يوم ٢٦ صاحبت السيدة إلى مقر القاضي فقابلها على انفراد ، ولما خرجت أخبرتني أنه قابلها بمنتهى اللاطف ، وكرر لها ما سمعته من المحامي ، وأذن لها برؤية زوجها ؛ وأنها علمت من تلميحاته أن سفير انجلترا في برن ضد قرينها ، فأخذت رأيه في مقابلة السفير ، فلم يشر عليها بشيء ، ولكن يكن أشار عليها باستشارة الخديو

وقد تمكنت من رؤيته من بعيد عند فتح الباب لقرينته ، فحييته وحياني

وفي اليوم التالي قابلت الخديو ، فعلمت منه أنه عقد اجتماعاً حضره محامي يكن ومحام آخر اسمه « جينان » وجلال الدين وعبدالحميد شديد ، والدكتور سيد كامل وتقرر إرسال مذكرة الى رئيس حكومة سويسرة ، بأن الخديو منذ قدومه وهو يلاقي حفاوة كبيرة به ، ولكن الحادث الأخير كدر خاطره ، و، وهو يطلب إرجاع الأوراق المضبوطة لأنها أوراقه الخصوصية .

وقال الخديو : « ان جينان علم بأن اسمك (شفيق) عند النائب العمومي لمناسبة

مسألة تتعلق بكونتس انجليزية كانت معك فى البنسيون» . فقلت : «لعلها (لودرس)» قال : «نعم ، وربما كانت جاسوسة قبض عليها وأنك ستدعى للشهادة ، وعلى كل حال إذا كانت لديك أوراق من البارون اوبنهايم أو من غيره ، فخير أن تحفظها فى مكان مجهول » . فأجبت : إن أوراقى الخصوصية مودعة فى صندوق فى بنك فدرال والأصوب مع ذلك أن أودعها عند الكونت دوتورن، فوافق . وأودعتها عنده .

وبعد ذلك أسى سموه على بكن لتهاونه في رد هذه الأوراق اليه ، فرأيت أنه ليس من اللائق الطعن فى رجل سجين الآن من أجل أوراق الخديو . فقال : « ان أعداءه كانوا يريدون الايقاع بيكن ، ولكن ما كان يخطر لهم على بال ، أنهم سيحصلون على أوراق مهمة بهذه الخطورة » ، وعلمت أن الأوراق المضبوطة خاصة بمسألة المشروع الألمانى بفصل فرنسا عن انجلترا .

وفى يوم ٢٨ توجهت ، بناء على طلب الخديو ، لمقابلة مسيو بارودى لمعرفة رأيه ومعلوماته عن الحادث

فسألنى عما إذا كنت أعلم ما حصل ليكن باشا ، فأجبته بالايجاب ، فقال : « إن فى هذا إهانة له وللخديو ، وسموه الآن قد أضاع نفسه بين الانكليز والفرنسيين والألمان والأتراك ، فليس له صديق من الدول » . فسألته عن سبب حبس بكن ، فقال : « انه أوفد لفرنسا بعض السويسريين لأخذ أخبار منها وتوصيلها إلى الألمانيين ، وقد ضبط اثنان منهم » . قلت : « الحمد لله ، أنا بعيد عن كل ذلك ، حتى أن الخديو الذى كان ينقدنى ألف فرنك شهرياً قطع نصفها» . فسألنى « هل قطع المرتب بتاتاً ؟ » قلت : « انه لا يزال يعطينى خمسمائة فرنك من وقت لآخر » . قال : « انه اتضح من أوراق قضية سموه مع يوسف أنه أعطاك من نقود الألمان عشرة آلاف فرنك ، وعند ما أتسلم نسخة من هذه الأوراق أطلعك على ذلك ، وهذا كل ما قيل عنك يا شفيق » . فعرفت من ذلك أن اسمى لا تعلق به تهمة .

قال بارودى : «والحكومة السويسرية لا تنظر للخديو بالعين التى كانت تنظر له بها ، لأن سلوكه غير حميد ، وأنا أعرف من مخبر سرى أنه حينما يأتى لجنيف يذهب إلى بيت فى حارة نوشاتل ، لا يليق بملك أن يذهب إليه في مثل هذا الوقت؟ ثم إنه شترى لصاحبته قرطاً من اللؤلؤ الأسود بخمسمائة الف فرنك

وفي يوم ٢٩ سألني الدكتور سيد كامل بالتليفون من قصر كلاران عما فعلته فقلت له كلما حصل ، ونقلت له ما سمعته من بارودى إلا مسألة العشرة الآلاف فرنك وعلمت منه أن المذكرة عملت ، ووقع عليها الخديو ، وقدمت إلى رئيس الحكومة بالسويسرة بواسطة جلال الدين باشا

السويسرة تعترف بخديوية عباس : وفي يوم ٣٠ منه حضر عندى الكونت دوتورن وطلب مني أن أخبر الخديو تليفونياً في قصر كلاران

أولا : أن أرفاى كان قد سأل سفير النمسا عما حصل من المساعى فى مسألة يكن باشا ، فجاء الرد الآن بأن سفير الدولة ذهب إلى نظارة الخارجية السويسرية واجتهد فى رد أوراق الخديو لمن يعينه سموه من أتباعه ، وطالب بحفظ امتيازاته لخديو مصر ، وأن السفيرين الألمانى والنمسوى أيدا زميلهما

ثانياً : جاءت برقية بأن يكن باشا نقل إلى برن

وفى يوم ٣ نوفمبر علمت أن أرفاى فتش كذلك ، وقبض عليه جملة ساعات ، ثم أطلق سراحه ؛ وكذلك فتش مقر الدكتور سيد كامل وعبد الله البشرى .

وفى ٦ أخبرنى الدكتور تليفونياً أن يكن باشا أفرج عنه اليوم ، فأرسلت له بطاقة بالتهنئة .

وقد زرته فى يوم ٩ فعلمت أن الأوراق سلمت إليه ، ولكن افتقد بعضها فوجده ناقصاً وهو من الأوراق المهمة ، وبينما هو يفرز الأوراق جاءه طلب بالتليفون من كلاران ، وكلف الحضور بعد ثلاث ساعات ، ومعه الأوراق التى تخص الخديو بعد استخلاص أوراقه الخاصة ، وكانت تملأ حقيبتين فقال لى : « انظر هل معقول أن أفرز كل هذه الأوراق في ثلاث ساعات ؟ » ثم أخذها جميعها وذهب .

وفى يوم ١٠ نوفمبر توجه الخديو إلى برن فزاره فيها مسيو دينان Dunan وكيل إدارة الأشغال الخارجية السويسرية ، وأعلمه بأن حكومته تعترف به ، وليس لها الحق فى مس أوراقه ، واعتذر مما حصل من ضبط هذه الأوراق عند يكن

وفى يوم ١٥ نوفمبر أوفد جلال الدين باشا إلى برن ، فزار سفيرى ألمانيا والنمسا حاملا إليهما شكر الخديو على تعضيدهما مساعى سفير الدولة لدى الحكومة السويسرية . فسأل السفير الألمانى الباشا عما إذا كان بين الأوراق المضبوطة عند يكن باشا أوراق مهمة ؟ وأنه يخشى أن يكون قد اطلع عليها الأعداء ، واستغرب لأن

أوراق الخديو لم يكن عليها ، ولا على غلافاتها علامة تدل على انها له ، ولو كانت عليها علامة لمنعت البوليس فى حال ضبط الأوراق أن يطلع عليها

وزار الباشا مسيو دينان ، وقال له إنه قد مضت عشرة أيام ، ولم ترد الأوراق كما كان قد وعد ، فأجاب بأن الأوامر صدرت إلى النائب العمومى ، وانتهى الأمر من الخارجية ، وطلب منه أن يتوجه إلى النائب العمومى ؛ فلما قابله أجاب بأن زميله الذى عنده المسألة غائب فى زوريخ ، وأن رد الأوراق يتم فى آخر الأسبوع القادم ونفى دينان أن يكون الايعاز بهذه المسألة صادراً من سفارة أجنبية ، وسأل عما إذا كان يكن لم يزل مقيماً في لوزان ؟ وقد جرى البحث فى معنى سؤاله أمام يكن صباح ١٦ ، وكان من رأى الخديو أن سؤال دينان له معنى يدل على أن وجود الباشا غير مرضى عنه ، ليس فى لوزان فقط بل فى السويسرة

وفى يوم ٢٠ قابلت الخديو ، فعلمت منه أن محامى يكن قابل النائب العمومى الذى بيده قضيته ، فعلم منه أنه هو الذى أخرجه من الحبس مؤقتاً بدون أمر ادارى وأن القضية لم تحفظ للآن . فقال سموه : إنه على ذلك يشتبه فى هذا النائب لأنه لا معنى لأن مجلس الاتحاد السويسرى يأمر بالحفظ وهو يراوغ فى المسألة ؛ فأجبته بأن الدول المتحالفة كانت تنتظر من ألمانيا والنمسا والدولة عدم التداخل فى الأمر لأنها غاضبة من الخديو الذى تركها ، وكانت تنتظر أن السويسرة تمد يدها للمساس به . ولكن لما فشلت عند انتصار هذه الدول الثلاث لسموه ، وكان هذا الفشل مزرياً بها لأن السويسرة اعترفت بشخصية الخديو وامتيازاته ، أرادت أن تضغط على الحكومة عسى أن يصدر الحكم على يكن ، فتدارى فشلها . قال سموه : « كل ذلك جائز »

وفي يوم ٢١ منه سافر الخديو إلى برن لمقابلة سفير الدولة ، وأرسل الدكتور سيد كامل إلى سان جال لمقابلة محام شهير اسمه (فورر) ليطلعه على ما سمعناه من محامى يكن ، ويعهد اليه فى مباشرة القضية عند مجلس الاتحاد السويسرى لحفظها ورد الأوراق .

وقد زرت فى هذا اليوم فؤاد بك سليم ، فسألنى عن رد الأوراق المضبوطة فأخبرته بما سمعناه من المحامى نقلا عن النائب العمومى ، فوعد أن يتكلم مع الخارجية السويسرية .

وسالته تليفونيا بعد ذلك عن نتيجة المحادثة . فأخبرني أن الخارجية أحالته على النائب العمومي ، وذكر لي أنه يظن أنهم ينوون اختلاق قضية أخرى ضد يكن . ومن المحتمل أن الانجليز ضبطوا رسائل واردة من الاستانة أو من النمسا أو من المانيا ، لأنهم يأخذون من البوسته السويسرية الفرنسية بعض المظاريف التى ترد لمن يشتبهون فيهم ، ويرسلونها الى المراقب فى انجلترا فيطلع عليها ؛ ثم يردها للبوسته السويسرية وعلى الظرف بالانجليزية خاتم المراقب ؛ وأنه رأى « مظروفا » من هذا القبيل للحكومة السويسرية فى برن . وربما ضبطت خطابات اعتمد عليها الانجليز فى دفع الحكومة السويسرية الى اقامة الدعوى ثانية ضد يكن

وفى المساء علمنا من يكن أن النائب العمومى قال : « إن المجلس لم يصدر له أمراً بحفظ القضية لا كتابة ولا شفويا ، وأن القضية لم تحفظ للآن ، والقاضى منكب على درسها ومطالعتها . وأنه سيقدم قراره له فى آخر هذا الأسبوع » . فاستغرب الخديو ما سمع

وفي يوم ٢٢ منه قابلت يكن بمنزله ، وعلمت منه أن الأسئلة التى طرحها عليه عليه القاضى كانت تدور حول المسائل المالية ، سواء كانت مختصة باتفاق الخديو مع المانيا على مشروع بولو ، أو بأحواله الشخصية ، حتى إنه سئل عن المبلغ الباقى لسموه فى البنك بناء على ايصال وجد بين الأوراق المضبوطة ، فأجاب إنها ليست فقط ثمانمائة ألف فرنك أو مليونا بل إنها كانت أكثر من ذلك ، وكان منها عملة ذهبية نقلت فى صناديق بالسكة الحديدية السويسرية إلى جهات متعددة ، ولما سئل : وكيف وصلت للخديو هذه المبالغ ؟ أجاب : إن على القاضى أن يوجه هذا السؤال لسموه . فتغيظ القاضى وضرب بيده على المنضدة .

قال : « وانى كنت فى بعض الأحيان أجيب القاضى على مسائل من تلقاء نفسى آخذاً على عاتقى المسئولية ، دون الخديو . وبعد كل هذا يعنفنى سموه ، ولا أسمع منه كلمة تلطيف ، فضلا عن أنه يقول لزوجتى : « ولماذا خرجتم من ايطاليا ؟ » فأجابته لو أردنا لكنا ظللنا فى بلادنا . ثم إنه وزوجته قد كسر قلبها لأن الخديو يقول : « إن السبب فيما حصل امرأة فرنسية ساقطة اسمها لويز يجوندى صديقة يكن » وقال سيد كامل لنا : إنه سمع هذا الكلام من سموه . فهل يليق أن يحكى ذلك لامرأتى ؟ » أما زوجة يكن فقد قالت : « إنها مستاءة جداً مما سمعته ليس عن غيرة منها ، لأنها

لا تصدق الاشاعة ، إنما لكون الخديو يصدقها ؛ وأنها قالت مرة لزوجها لما رأت سوء العاقبة من انغماسه كثيراً فى مسائل سموه : إن عليه أن يختار أحد أمرين : إما هى وإما الخديو ، فأجابها بأنه يختار جانب الخديو »

وكان يكن متهيجاً لما سمعه من المحامى من تأخير حفظ القضية ، وعدم صدور أوامر للنائب العمومى بهذا الصدد : وقد خاطبت شديداً تليفونيا ورجوته أن يتصل بخليل بك الملحق العسكرى فى سفارة الدولة ، ويخبره بما سمعه يكن من المحامى ، حتى اذا وصل سمو الخديو الى السفارة مع جلال الدين يعلمه به ، حتى يتكلم سموه مع السفير .

وتكلمت مع يكن وزوجته في ضرورة تحرير ثبت بحاشية الخديو ، وعمل المساعى لدى الحكومة السويسرية لكى تعترف بعدم مسهم بضر ، وقلت: « كيف أخدم الخديو ، وعقلى مشغول بما يمكن أن يصيبنى من جراء ذلك ؟ »

معرفة سارق الأوراق : وفي يوم ٢٥ منه كنت مع الخديو بحضور سيد كامل والبشرى فقال : « إن موسيو جينان المحامى عثر على جاسوس فرنسى اسمه هوتيه وكان قد علم أنه حصل على بعض أوراق الخديو بواسطة مدام ريفيه خادمة يكن ، فهدده موسيو جينان بالقبض عليه ومحاكمته وسجنه اذا لم يبح له بالحقيقة ، فقص عليه جلية الأمر ، وقال: « إنه تعرف الى خادمة يكن بواسطة خادمة عائلة يهودية كانت فى لوزان بالاس هوتيل اسمها سيجلمان (ومن أصدقاء يكن وزوجته) فذهب الجاسوس مرتين الى الفندق ، وصعد من سلم الخدم ، وقابل مدام ريفيه ، وأغراها بسرقة الأوراق ، وفى مرة ثانية أخذ منها خمسة خطابات واحداً من المركيز أدا التليانى ، والثانى من كافالينى وشيئاً باللغة العربية » ولما وقف المحامى على هذه المعلومات قصد ليلا الى منزل يكن ، وقابل مدام ريفيه ، وهددها مواجها اياها بهذه المعلومات ، فأشفقت من إقامة الدعوى وسجنها ، واعترفت بكل ما قاله الجاسوس . ولما قال لها المحامى: « وكيف تفعلين ذلك مع انك مغمورة باحسانات سادتك؟ » أجابت: بأنها تحب يكن باشا ومدام يكن ، ولا تريد لها سوءاً ؛ ولكنها فعلت مافعلته انتقاما من الخديو » ثم أخرج سمو الخديو من جيبه ورقة بخط الخادمة وإمضائها بكل ما اعترفت به . وفى صباح اليوم التالى أبلغت الخادمة تليفونيا من القنصلية الفرنسية بأن زوجها قد جرح فى الحرب ؛ وحضر الى ليون فى حالة سيئة ، ويطلب أن تسافر

فى الحال لرؤيته . وبناء على أمر عباس لم يظهر يكن ولا زوجته أنهما على علم بمقابلة المحامى واعترافها له ، بل أعطاها يكن أجرة السفر ، واستأذنت ، وأخذت جميع مالها وسافرت . قال الخديو : « هذا دليل على أن قنصلية فرنسا كانت على علم تام بهذه المسألة ، فأرادت أن تتق وقوع الضرر للخادمة ، فهيأت لها هذه الحجة لاخراجها من من السويسرة » ثم قال : « واننى كلما وقع نظرى على يكن بعد اعتراف خادمته كنت أحس أن مراجلى تغلى ، وأهم بأن أضربه ، لأننى أحس الضرر العظيم الذى حاق بى وسيحيق من جراء هذه المسألة ، فان المخابرات التى كانت دائرة مع الانجليز قد انقطعت تماما ، وملحمه يقول : « إنه لا يمكن أن نبتدىء فيها مرة أخرى إلا بعد جملة أشهر حتى تهدأ الأفكار ، وتنسى المسألة » وفكر سموه أن يستدعى يكن ، ويبين له هذه الأمور جميعا ، ويعلمه بمقدار الضرر الذى ألحقه به ، ويقول له : « إنه لا يريد أن يرى وجهه مرة أخرى » . فلم أوافق أنا والبشرى على ذلك ، وقلنا : « يكفى ألا تعتمد عليه فى شىء » فقال : « ياقوم عندكم عادة وهى « ماعلهشى » مع أن ملحمه كان يقول لى مرارا : « ابتعد عن يكن ، وابعد حاشيتك عنك لأنها تضرك » .

فقال البشرى : « وما هى الحاشية المقصودة ؟ » فتجاهل الخديو هذا السؤال .

تهديد عباس ليكن : وفى المساء حضر يكن الى كلاران وخلا بعباس ، ويظهر من كلام سموه لنا بعد خروجه أنه قال له : « يا يكن باشا إذا كنت تعلم بأسرارى فأنا أيضاً مطلع على أسرارك » يعنى أنه هدده . وبعد ذلك تكلمنا فيما يلزم اجراؤه من الاحتياط حتى لا يقع الباشا فى يد القضاء مرة ثانية ، إذ أن القضية لم تحفظ ، وأن التحقيقات قائمة على قدم وساق ، ويمكن إدانته ، فتقرر أن يسافر إلى النمسا ، وأن يعطينى جواز السفر لأؤشر عليه من قنصلية الدولة . وقد ظهر على وجه الباشا الخوف من العاقبة وقال : « انه يفضل أن يهرب الى النمسا ، ولو تعرضت أملاكه لما تتعرض له فى مصر ، على أن يسجن مرة ثانية » . وقد أفهمه الخديو أن الضرر الذى عاد ويعود على سموه من سرقة أوراقه لا يقدر ، وشاهدت على محيا يكن أنه يعترف بهذا ، وأنه آسف لما جرى ؛ ولو أنه لم يبح بشىء . وقال : « إننى فى البعد أو فى القرب خادم أفندينا المخلص » .

عباس يحصل على اعتراف منه : وفى أول ديسمبر كلف الخديو الدكتور سيد

كامل أن يحصل من يكن على اعتراف بأنه هو الذى رغب فى السفر الى النمسا وأنه عالم بمقدار الضرر الذى أصاب الخديو بسببه .

وكان يريد أن أحصل أنا على هذا الاعتراف ، فلاحظت لسموه ، أننى إذا طلبت ذلك فان يكن ربما يظن أننى أريد أن أحل فى مركزه ، فيتأثر ويمتنع .

واتفق الرأى على أن أمهد فقط للدكتور سيد كامل بأن أقابل يكن ، وأحدثه برضاء الخديو عنه في القرب والبعد ، وأسفه لما حصل فيطمئن ، وقد تم ذلك وأخذ الدكتور الاعتراف المطلوب .

بحث فى امتيازات رجال الحاشية بسويسرا : وفي يوم ٣ ديسمبر زرت فؤاد بك سليم ، وتحادثنا في مسألة يكن ، فسألنى عما إذا كانت أوراق الخديو ردت ، فقلت : « لم ترد » قال : « عجباً ! ان حكومة السويسرة لا يعرف الانسان لها رأساً من قدم » ثم قال : « بلغنى أن البحث جار فيما إذا كانت امتيازات الخديو تغطى يكن باشا وإلى أى درجة . ولكن كان الواجب أولا أن يردوا الأوراق الى سموه ؛ ثم ينظروا فى مسألة يكن » . فانتهزت هذه الفرصة وقلت : « ان مسألة سريان الامتيازات على حاشية الخديو مهمة جداً ، فأنا مثلا أحضر للسفارة مرسلا من قبل الخديو ، ولا بد أن الأنجليز عالمون بحركاتى وسكناتى . فمن أين أعلم أنهم لا يكيدون لى كيداً كما حصل ليكن ؟ نعم إننى لا أخشى ما يفعلونه ، ولكن يكون من وراء ذلك ضجة غير مستحسنة » قال : « هذا صحيح ، وأنا فى بادىء المسألة قلت لجلال الدين باشا : إن الواجب أن يرسل الخديو ثبتاً برجال حاشيته ، حتى لا يلحقهم ضرر ولا يمسوا بسوء ، وما عليه إلا إعلان هذا الثبت للحكومة المحلية ، ويرسل إلى نسخة منه . وأنا أبعث بها إلى مجلس الاتحاد »

استرداد بعض الأوراق المضبوطة : وفى يوم ٩ منه قابلنى فى محطة لوزان الدكتور سيد كامل ، فعرفنى بأن الخديو تسلم ١٤ ورقة تخصه من الأوراق المضبوطة منها إيصال بالمبالغ التى ردها سموه لألمانيا ، وإيصال بخمسين ألف فرنك بأمضاء يوسف باشا سديق . وهذه الأوراق هى التى اتضح من فحواها أنها تتعلق بشخص الخديو أو التى عليها علامته . أما الأوراق الباقية فلم تزل فى يد رجال السلطة القضائية وربما توصلنا إلى سحب الأوراق الباقية ، وسيجتمعون يوم الأربعاء الآتى لهذا الغرض ، وبناء على الأمر طلب منى أن أخبر فؤاد بك سليم بذلك وأبلغه أن الطلب لدى الأدارة .

وفي يوم ١٢ منه قابلني الدكتور سيد كامل ، وأخبرني أن المحامي فورر يرى أنه يلزم فصل مسألة يكن عن مسألة عباس ، ويكفي أخذ الأوراق الصادرة والواردة باسم سموه ، أو عليها علامته ؛ وقال أن نيسي محامي يكن اعترض على تسليم الأوراق الأربع عشرة للخديو رأساً ، وأنه يقول : « أن القضية قضية افندينا ويكن معاً » وإذا اقتضى الحال فان هـذا المحامي لايعترف بامتيازات الخديو ، فاذا لم ينج يكن من المحاكمة فانه يكون مضطراً إلى زج الخديو فيها (وهذا التهديد مقصود به أن يتحرك سموه ويلح على مجلس الاتحاد بوساطة سفراء الدولة العلية والنمسا وألمانيا لأصدار الأذن بحفظ القضيـة)

ولم يستطع الخديو ان يحصل بعد ذلك إلا على الاوراق التى تسلمها

شئون مختلفة

رأى الخديو فى غورست و كتشنر : فى يوم ٦ مارس كنت عند الخديو مع لبيب وفهمي والشمسى ، ودار الكلام عن مصر وإدارتها السالفة ، فقال سموه : « إن مدة كتشنر لم تكن مفيدة للمصريين ، ومسألة الخمسة الأفدنة فشلت ، لأن السير أرنست كاسل ، والأنكليز أصحاب الأموال فى البنك الزراعى وقفوا ضد كتشنر فيها ، فاضطر أن يطلب من محمد باشا سعيد إعطاء امتياز للبنك المذكور وهو غبن فاحش ومسألة توزيع الأطيان فى بيله وغيرها فشلت أيضاً ، لأن الفلاحين تركوا الأراضى المذكورة ؛ وأما غورست فهو الذى عمل حقيقة لمنفعة مصر ، ولو أن الحزب الوطني ومنـه هذا « اسماعيل بك لبيب » كان يدعى بأننى سلمت البلد للأنجليز ، فغورست أعطى مصر مجالس المديريات ، ولـكن نحن المصريين لم نعرف أن نستفيد منها كثيراً لأن المديرين استبدوا ، ولو أنه فى الغربية كانت توجد معارضة من بعض الأعضاء ، ومع ذلك فان مجالس المديريات قد أفادت البلاد ، ورقت التعليم وكان غورست بألحاحنا يريد أن يتـدرج بمصر شيئاً فشيئاً إلى المجالس النيابيـة رغم معارضة الانجليز الذين كانوا يقولون عنه: إنه ضعيف الأرادة

« ولـكن الامر الذى كسر قلبه هو إخفاقه فى مسألة امتداد أجل الامتياز لشركة القنال ، فأنه لما جاء مصر علم أن المستشار المالى تصرف فى الاحتياطى الخاص بصندوق الدين تصرفا سيئاً ، واشترى من أسهم الترنسفال وغيرها ، فأفاد الانجليز وأصاب مصر بخسارة تربى على مليون جنيه ، بينما هى فى حاجة إلى المال للمشروعات

الجديدة ؛ وقد طلب الانجليز منه أن يعقد قرضاً لتنفيذها ، فأبى ذلك ، قائلا : « كيف يدير كرومر هذه البلاد خمساً وعشرين سنة بدون قرض ، وأنا أبتدىء عهدى بالاقتراض ؟ » .

« ولهذا فكر فى الحصول على المال اللازم من مد أجل الامتياز ، فلما لم ينجح تأثر وفترت همته » .

الخديو وملك أسبانيا : فى يوم ٢٣ إبريل كنت مع الخديو ، فأخبرنى أنه لعدم اطمئنانه الى الألمان والأتراك فكر فى أن يضع عائلته فى الاستانة في كفالة سفارة أسبانيا بها ، فطلب من شقيقه البرنس محمد على أن يكتب الى ملك أسبانيا بذلك ، نظرا للعلاقة الودية بينهما ، وقد أرسل البرنس رسالة بهذا الخصوص الى الملك عن طريق سفيره فى برن .

وفى يوم ٣١ مايو أخبرنى أنه يريد أن يرسل جوابا الى ملك أسبانيا ليشكره أولا — على الرد التلغرافي اللطيف الذى ورد الى سموه عند ما هنأ جلالته بعيده فى ١٧ مايو — وثانيا — لأن جلالته أجاب الطلب الذى خاطبه فيه البرنس محمد على باشا بناء على اقتراح الخديو ، فابرق الى سفيره فى الاستانة برعاية عائلة سموه (الوالدة والحرم والبرنسيسات) وقد ذهب السفير الى بيك وأعلم الوالدة بأنه « تحت أوامرها فيما تطلبه » وهى أرسلت على يديه شكرها للملك ، وكتبت للخديو بارتياحها الى المساعى التى حصلت ، وكلفته أن يشكر الملك من قبلها ، وأنها تطلب من جلالته أن يساعدنا فى مثل تلك الأوقات الصعبة . قال الخديو : « ولما كان سفير اسبانيا فى السويسرة سيحضر لمقابلتى بعد يومين ، وربما حمل الى أيضا شيئا من قبل جلالته ، فاذا علمنا بشىء آخر ضمنـاه الى الخطاب » وأمرنى سموه أن أضع المسودة بذلك .

وفي أول يونيو حررت الرسالة المطلوبة ومما جاء بها :

« إنى لا يمكننى أن أعبر عن مقدار شكرى لجلالتكم ، نظرا للعطف الذى تبدونه نحوى فى هذه الظروف الحرجة ، وإنى متأثر من الاحساسات الشريفة التى ظهرت فى ردكم على برقيتى بتهنئتكم ، وأنا شاكر كذلك للأوامر التى أرسلتموها الى سفيركم بالاستانة لرعاية عائلتى بها .

« وإن والدتى التى أبلغها سفيركم فى الاستانة أوامركم الطيبة تشترك معى فى إبلاغ جلالتكم تشكراتها ».

وقد وافق سموه على هذه الرسالة وأرسلها .

غرق كتشنر : فى يوم ٩ يونيو قرأت فى الصحف أن اللورد كتشنر غرق هو وأركان حربه ، وكانوا على بارجة حربية ذاهبة إلى روسيا ، فصادفه توربيد ألمانى وأغرقه .

ولما علمت بالخبر الذى اهتزت له انجلترا ، واهتز له الحلفاء ، بادرت بارسال برقية إلى عباس ، وأنا أعلم أنه سيرحب بالخبر .

محادثة البرنس محمد على مع مكسويل عند اعلان الحرب : في يوم أول نوفمبر سافرت إلى مونتروه وزرت البرنس محمد على باشا ، فوجدت عنده عبد الله البشرى ، ودار الحديث على مصر وسياسة الانجليز بها ، فقال البرنس : « إن التاريخ الذى يكتبه المقطم عن الحرب يزعم أن السلطة الانجليزية طلبت منى الابتعاد عن مصر ، وهذا كذب ، فانه لما رجع ونجت باشا ومكسويل وسسل وجراهام الى مصر عقب اعلان الحرب خف الثانى لزيارتى ، وسألنى عن فكرى ، فقلت: « إن المصريين لايمكنهم الدخول في هذه الحرب ، وعليكم أن تأخذوا أنتم الحيطة للمحافظة على مصر ، لأن ذلك فى صالحكم ، ولأن مصر لم تدخل الحرب مع الدولة العلية لما ثار البلقان عليها ، ومن رأيي أنكم تطلبون رجوع الخديو من الاستانة ويبقى في سرايه تحت مراقبتكم » . فقال مكسويل : « ولكن لو حضر الخديو فانه لايسكت ، بل يلعب بذيله مهما نبالغ فى الاحتياط ، وهو عدو لنا » . فقال البرنس : « أنا أرى أن الفرصة سانحة للانجليز لاعلان استقلال مصر وبهذه الوسيلة يمكنكم أن تجهزوا جيشا من المصريين للدفاع عن استقلال بلادهم



الجنرال سير جون مكسويل

وتتفقوا معنا على أن تتركوا مصر بعد مدة تحددونها، فان صنعتم ذلك تكتسبوا ثقة المصريين، وغيرهم فى البلاد العربية » — وقد ظهر لى أن كلامى لم يعجبه — وأخبرته أيضا أننى مع اعترافى بأن اللورد سسل رجل لطيف، ومن أسرة شريفة ولكنه ليس أهلا لمنصب مستشار مالى، فانه فى الظروف الصعبة التى نحن فيها ما كان يجب عليه أن يجبر الفلاح المسكين على دفع الأموال، بل كان يعطيه ميعادا كافيا للدفع بحيث لا يجبره على بيع أوانيه وماشيته وكل ما يمتلكه. وقد قام الجنرال من عندى غير راض عن محادثته معى، فان إجاباته ما كانت تشف عن ارتياح، بل عن تغيظ بخلاف ماوجدته عندما تحادثت مع ونجت باشا فى نفس الموضوع، فقد كانت أجوبته بكل احترام وأدب، وقد أجاب عن رجوع الخديو بأنه كان فى الصالح، إلا أن الحكومة الانجليزية قد ترى أسبابا لمنع رجوعه الآن »

وقال البرنس : « إن رأيه الذى أبداه عن استقلال مصر قد استحسنه ووافق عليه ماكلريث المستشار القضائى وماكدونالد وكيل الاشغال — أما سسل وجراهام وشتهام فكانوا ضده »

أوراق الخديو فى رودس : كان الخديو قد أمر باستحضار بعض أوراقه من مصر على الباخرة طاشيوز، فقبض على الباخرة فى رودس ووضعت تحت الرقابة

وفى يوم ١٠ نوفمبر كلفنى أن أحضر خطاباً ليرسله الى ملك ايطاليا، فكتبته وعرضته عليه (مضمونه أن سموه بلغه أنهم يسعون لضبط أوراقه الموجودة فى رودس داخل باخرة له، وتحت ملاحظة حكومة ايطاليا المحلية فى هذه الجزيرة، وأن سموه مع علمه بمشاغل الملك ونفاسة أوقاته يجسر على أن يلتمس من جلالته أن يصدر أوامره القاطعة بعدم مس هذه الاشياء، وهذا رجاء حفيد اسماعيل)

وفى يوم ٢٥ وردت برقية من ملك إيطاليا بعنوان « صاحب السمو الخديو عباس باشا » قال فيها : « إنه تسلم خطاب سموه وفى الحال أرسل أوامره بما يطلبه » ، ففرح الخديو وفرحنا نحن أيضاً، وقررنا أن نكتم هذه المسألة حتى لا تصل إلى آذان الانكليز، لانهم طبعاً لا يرغبون فى اعتراف ملك إيطاليا بخديوية عباس، فضلا عن استيائهم من عدم إجابة السلطة الطليانية فى رودس طلبهم من وضع يدهم على الأوراق ؛ وقد أخذ سموه البرقية وركب السيارة وذهب بها إلى ملحمة وأراها له ثم رجع فكتب الرد بالشكر الجزيل على عناية الملك.

كتبخانة عمارة قولة : فى يوم ٢٥ نوفمبر طلب منى الخديو أن أحضر رسالة إلى ملك البلغار بأن كتبخانة عمارة قولة معرضة لنيران العدو ، ونلتمس من جلالته أن يأمر بوضعها فى مكان أمين حتى نهاية الحرب .

العلماء والانقلاب : مما سمعته من البرنس محمد على باشا فى زيارتى له : انه فى أوائل الحرب كانت قد حصلت حركة بين العلماء ظهر منها أنها ضد الاحتلال ، وفى جانب الخديو ، فأوفده رئيس النظار حسين باشا رشدى إلى شيخهم الشيخ سليم البشرى[1] لتسكين هواجسهم ، قائلا لهم : « ان هذه الحركة لا تفيد لان المصريين لا يملكون سلاحا ، ولا ذخائر للمدافعة عن أنفسهم وعن بلادهم ؛ والاصوب أن يكون الهدوء رائدهم » وقد حصل ذلك .

---

(١) صور ج ٢ ق ١ ص ٢٨٠

سنة ١٩١٧

فشل المخابرات مع الانجليز ومحاولتى التوفيق بين الخديو والاتراك — الاحتفال ببلوغ عبد المنعم سن الرشد — البرنس عبد المنعم وولاية العهد — سفرى الى الاستانة — عودة الخديو الى الاستانة — كيف تلقى الخديو خبر وفاة السلطان حسين وتولية السلطان فؤاد — بينى وبين عباس — بين الخديو وولى عهده

فشل المخابرات مع الانجليز ومحاولتى التوفيق بين الخديو والاتراك :

انتدابى للتفاهم مع الاتراك : فى يوم ٢ يناير اجتمعت بعبدالحميد شديد، وتحادثنا فى الحالة الحاضرة، فقلت له : « إن الوقت مناسب للسعى عند الاتراك والألمان، وتحسين سياستنا معهم، وإلا فأننا نخرج « من المولد بلا حمص » على رأى المثل العامى، وأن الخديو أمامه الباب المفتوح من ناحية أنور باشا المعروف بصداقته له؛ فلماذا لا يلج هذا الباب ؟ »

فقال شديد : « إننى أميل جداً لاتخاذ خطة معينة ، والانضمام إلى إحدى الهيئتين : إما الأتراك وإما الأنكليز ، فذلك أولى من وقوفنا الآن موقف المتحير » ثم سألنى عما إذا كنت أقبل السفر إلى الأستانة للتفاهم مع الاتراك ؟ فقلت له : « كان الأولى بذلك جلال الدين باشا » فأجابنى بأنه رفض خشية حجزه فى الأستانة ، قلت : « وهل هذا السؤال من عندك ، أم أن الخديو هو الموعز به ؟ » فضحك وقال: « هو يرغب ، ولكنه يخاف عليك من الأنجليز » فقلت له : « إننى على استعداد لما يأمر به ، لانى أريد خيره ، وهو ولى نعمتى ، ومن قبله والده ، وإن كنت أتوقع الضرر من جانب الأنجليز فى أموالى بمصر ، إلا أننى مستعد للتضحية ، فأنا « محروق » أول مرة ، وقيامى بهذه المهمة لن يزيد هذا الاحتراق ، وأن لسموه أصدقاء مثل ملك بلغاريا ومثل الدوق دومكلمبورج ، وغيرهما من الألمان والنمسويين . فلماذا لا ينتفع بصداقتهم؟» قال شديد : « على أن أعرض للخديو هذا الموضوع » ثم أبدى لى رأياً فحواه : أننا نطلب أولا من الأتراك تنفيذ مشروع الحملة على مصر ، فأذا لم

يجيبونا إلى ذلك طلبنا منهم ضمانات مالية إذا صادر الأنجليز أملاك الخديو في مصر وافترقنا على ذلك.

سعى الخديو لدى الأنجليز ومناوراته : وبعد يومين اثنين من هذا الحديث قابلت موسيو بارودى، فسألنى عما يعمله الخديو الآن، فأخبرته أننى لا أعلم شيئاً، فقص على : أن سموه قد فاتح الأنجليز للاتفاق معهم، وتسوية موقفه على يد معتمد البلجيك فى فينا سابقاً فعينوا «اللورد أكتون» المقيم مع معتمد انجلترا فى برن للتفاهم وإياه، وقد اتفقا على أن ينزل عن حقه فى الخديوية فى مقابلة تخصيص مبلغ ٢٥ ألف جنيه سنوياً له، ورفع الحجز عن أملاكه فى مصر، وضمان أملاكه فى تركيا، ومساعدته فى مسألة وقف والدته ليكون له نصيب فيه.

وبعد هذا ذهب الخديو، وقابل فؤاد بك سليم سفير الدولة، وأخبره بما يعرضه عليه الانجليز، وطلب منه معرفة رأى الدولة، وهل تضمن له مثلما يضمن له الآخرون.

ثم قال لى : «والخديو كما هى عادته لم يحفظ سر أعماله هذه، بل أذاعها، فانتشر الخبر فى جنيف ولوزان وغيرهما، وأخذ يوسف صديق وأمثاله يذيعونه، فغضب الأنجليز لذلك، وعزموا على إهمال الموضوع؛ ويسرنى ياباشا أنك لا تعلم بما حصل وإلالو أنك تدخلت لنالك انتقاد». فأخبرته أن الخديو يعمل برأيه، ولا يطلعنا إلا على الظواهر. قال : «ومن الأسف أن أعماله هذه ستؤدى به إلى الخسارة، لأن الانجليز في استطاعتهم أن يوعزوا إلى البنك العقارى في مصر بعرض أملاكه للبيع سداداً لديونه، فتباع بأبخس الأثمان، دون أن يعمل الانجليز شيئاً ظاهراً يؤخذ عليهم».

ولما أخبرنى بارودى بذلك، وكنت أعلم أنه متصل بالانجليز ليقوم باطلاعهم على كل ما يعلمه من أخبار الخديو والمصريين، تذكرت أن عباساً قال لي في العام الماضى : «أنا سأعمل مع الانجليز، واذا انتهيت إلى شيء أعرضه على الأتراك وأطلب منهم بيان ما يعملون هم لصالحى». وقدرت في نفسى خطورة هذه الخطة، وأنها لعب بالنار؛ وقد تصل بنا إلى سوء التفاهم مع الفريقين.

مقابلتي لفؤاد بك سليم : وفي يوم ١٤ يناير اجتمعت بفؤاد بك سليم سفير الدولة فى برن ، وتحادثنا في عدة شئون تتناول الحرب ، وأعمال الانجليز الحربية فى شبه جزيرة سينا ، وما كان يقال عن المخابرات الدائرة عن الصلح . . . الخ . ثم تدرجنا في الحديث إلى الخديو فسألته عما إذا كان هناك تحسن فى علاقات سموه برجال الدولة ؟ فأجابنى بأنه لم يتلق شيئاً من الاستانة بخصوصه ، ثم قال لى : « إنه حصلت مسألة ولو أنها بسيطة إلا أنها غير لطيفة ، ذلك أننى طلبت بناء على رغبة الخديو خادماً من الاستانة ، ومعه بعض الأمتعة الخديوية ، فرخص له فى السفر إلى فينا فقط ، ولا يزال محجوزاً هناك » .

وفهمت أنه يريد أن يبرهن بذلك على سوء العلاقات ، فقلت له : « وما ذا نعمل للوصول إلى غرضنا من حسن التفاهم ؟ فأجابنى : بالسعى لدى الألمان . ولكن لاحظت أن الأتراك لا يرغبون في ذلك . قال : « كان على الخديو أن ينتهز فرصة وجوده فى فينا ، ويقابل امبراطور ألمانيا مباشرة » . فأخبرته بفشل الخديو فى محاولة هـذا عدة مرات ، فأجابنى بأنه لو شهد حفلة جنازة الامبراطور النمسوى لنجح ، وتحسنت علاقته بالامبراطور . فأجبته أن الخديو احتج بعدم وجود كسوة رسمية لديه لأنها في الأستانة .

ثم أبدى لى انتقاده لرجال الحزب الوطنى ، وخطتهم التى وسعت هوة الاختلاف بما كانوا يشيعونه عن مطامع الأتراك فى مصر .

مقابلة شديد بك : وفى اليوم التالى قابلت عبدالحميد بك شديد ، فأخبرته بكل ما دار بينى وبين بارودى والسفير ، فاستغرب تصرفات الخديو ، ولا سيما عرضه على سفير الدولة مخابراته مع الانجليز ، واستبعد ذلك . وأخيرا انتهينا إلى إرسال برقية إلى الخديو فى زوريخ (وكان قد انتقل اليها) نطلب مقابلته لمسألة هامة وقد جاءنا الرد بالتوجه إلى « تريتيه » ، وكان شديد أخبرنى أنه أبلغ سموه استعدادى لكل عمل ، فاستحسن ذلك ولم يبد رأيا ، وقال لى شديد : « إنه ربما فاتحك فى هذه المسألة » .

مقابلة الخديو : وفى يوم ١٧ ذهبت للمقابلة ، فعرضت على سموه ما قاله لى بارودى : فقال : « هاهم أولاء منذ شهرين يشيعون أن الاتفاق بينى وبين الانجليز

قد تم : ولكن الواقع غير ذلك » ثم أبدى استغرابه لمسألة وقف والدته ، فقال : « انه لا يعلم شيئاً عن هذا الوقف الذى قيل إنه عمل منذ شهور » وأبدى دهشته من قول سفير الدولة : انه لم ترد اليه مخابرات بخصوص الخديو فى الاستانة فقلت : « ربما علموا بمخابرة الانجليز فامتنعوا عن الحديث معنا » . وأخيرا ودعت سموه دون الاتفاق على قرار معين .

مقابلة البرنس محمد على وانتقاده شقيقه : ومررت بعد ذلك بالبرنس محمد على باشا ، فدار الحديث بيننا فى الشئون الحاضرة ، فانتقد الخديو قائلا : « كل الناس تعلم بمخابرته مع الانجليز مع انه يفهم أن أحداً لا يعرف سره ، وأنه لا يوجد من هو أحذق منه ، فيريد أن يلعب بالأنجليز وبالأتراك وهذا مستحيل . وواسطته هو ملحمة باشا المعروف بميله للفرنسيين والانجليز » . وقال : « إن فؤاد بك سليم كلف شديد بك أن ينصح للخديو بترك سويسرا الفرنسية ، ولكن هاهو ذا لايزال فيها » ! ثم أخبرنى أن النمسويين مستاءون كذلك لعدم حضور الخديو جنازة امبراطورهم حتى إن سموه لقى الأمير « مترنيخ » وكان زميلا له فى التريزيانوم ، فأراد أن يعتذر له بأنه لم تكن معه كسوة رسمية ، فرد عليه الأمير قائلا : « لا تحادثنى كما تحادث رجال السياسة ، فأنا أعلم أنه لو كانت عندك كسوة ما ذهبت ! » وعندئذ صمت الخديو .

مقابلتى مع قنصل النمسا : وفى يوم ١٩ منه اجتمعت بالكونت دى تورن وأفهمته أننى أخشى أن يكون الخديو في مخابرات مع الانجليز ليتفق وإياهم ، مع أنه يعهد الى من وقت لآخر في مساع عند سفير الدولة لتحسين العلاقات . فاذا سمع السفير بذلك فانه يعتبرنى غشاشاً أو غبياً وكلاهما لا أرضاه لنفسى ، واننى أفضل الاستقالة على ذلك ، لولا أن انفصالى قد يجعله يرمى بنفسه فى أحضان الانجليز . وقد فكر الكونت ثم قال : « هذا صحيح ولذا فلا يحسن انفصالك الآن »

مقابلتى مع پارودى مرة أخرى : وفى يوم ٢٠ منه اجتمعت بموسيو پارودى فأخبرته أنى سأقابل الخديو قريباً ، فهل أطلعه على ما علمته منه ، فقال لى : « إننى قابلت أمس « فردريك » خادم الخديو ، وكلفته أن يعرض على أعتابه تهنئتى له بالمخابرة الحاصلة بينه وبين الانجليز ! » وأبدى لى أسفه على اذاعة رجال الحاشية الخبر مما عطل سير المخابرات . وقال : « ولماذا لا تكون أنت ياشفيق باشا واسطة

هذه المخابرات الهامة بدل توبني بك[1] وملحمة ؟ نحن نعلم أن هؤلاء السوريين غير مخلصين ، ثم حادثته في مسألة وقف الوالدة فقال : « إنه لم يتأكد منه بعد » ، وأخذ يبالغ لى في منزلته الشخصية عند الانجليز !

من الذى أذاع سر المحادثات ؟ وفي يوم ٢٤ قابلت الخديو فأبلغته مادار بيني وبين پارودى ، فنفى لى أن رجال الحاشية هم الذين أذاعوا سر المحادثات لأن أحداً منهم لايعرف ذلك . وأن أعداءه المتصلين بالانجليز مثل يوسف صديق ومحب باشا ربما كانوا هم الذين أذاعوا ذاك. وبعد خروجى من عنده جلست مع شديد ، فتحادثنا في هذه المناورات التى يقوم بها دون فائدة ، وبالة استقراره على حالة ، ثم فكرنا فى مسألة اقامته بعد الحرب ، وهل ستكون فى الاستانة أم غيرها ، وكذلك فى مسألة ولى العهد ، وهل يشمله التنازل الذى يقرره الخديو ؟

وقد قابلت پارودى يوم ٢٩ منه فسألته عن هاتين المسألتين ، فلم أجد لديه معلومات عنهما ؛ وأخبرته بأن إذاعة سر المحادثات لم تكن من ناحية الخديو ، فاقتنع بذلك

مناورات الخديو بين الأتراك والأنجليز : وفى هذا اليوم قابلت الخديو وعلمت أنه سيغادر « تريتيه » بعد أيام قلائل ، وكلفنى أن أخبر فؤاد بك سليم بهذا وألا أترك الاتصال به ، وقد أفهمنى أنه يقصد بذلك إثارة الاهتمام عند الانجليز بموضوعه ، لأنهم إذا علموا بقطع صلاتنا مع رجال تركيا فانهم لايهتمون بنا ! . وقد قمت بهذه المهمة يوم ٥ فبراير

استقالة البرنس سعيد حليم من الصدارة : وبينما كنت عند السفير جاءته برقية من الاستانة تنبئه بسقوط نظارة سعيد حليم ، وتشكيل النظارة الجديدة برياسة طلعت باشا ، مع الداخلية والمالية ، التى كان بها عباس حليم ، شقيق الصدر السابق ، فخرجت بعدها وأخبرت شديد بك بالتغيير الذى حصل ، فسر به كثيراً ؛ وقد أبلغنا الخديو تليفونياً فى فندق « أسبلا ناد » فى « لوكارنو » ، فأظهر فرط سروره وكلفنى أن أقابل فؤاد بك سليم مرة أخرى ؛ وأشكره من لدن جنابه على إخبارى قالنبأ ؛ وأفهمه أنه سيرسل برقية بالتهنئة بمجرد إعلانه رسمياً من قبل الدولة كالمعتاد قبل الحرب .

---

(١) أحد كبار السوريين وكان له اتصال ومعرفة سابقة بالخديو

وقد قابلت فؤاد بك، وأبلغته ما كلفت؛ فقال لى: «إن نظارة الخارجية أبلغتنى الخبر ولم تزد على ذلك».

وفى يوم ٧ منه اجتمعت بالخديو وشديد بك، ودار الكلام حول التغيير الذى حدث فى النظارة، فقال: «إن البرنس سعيد سيقوى مركزه عند الأنجليز بهذه الاستقالة، وربما رشحوه لعرش مصر». فكان رأينا غير رأيه فى هذه النقطة.

ودارت المناقشة فى إرسال تهنئة من سموه، فكان رأيى فيها انتهاز الفرصة للتفاهم، وعدم انتظار الأعلان رسمياً من جانب تركيا. ولكن تقرر أخيراً ـ على غير رغبة منى ـ أن أذهب إلى فؤاد بك، وأن أطلب منه إرسال برقية «شفرة» للخارجية العثمانية بأن الخديو بعث يستفهم من القبو كتخدائيـة، عما إذا كانت أعلنت بالتغيير رسمياً كالمعتاد؛ وأن غرضه هو القيام بالواجب فى تهنئة الصدر الجديد وربما أوفد سموه مندوباً لهذا الغرض

ولما قابلت السفير لم يستحسن إرسال برقية؛ وأشار بأرسال التهنئة مباشرة، وبدون تأخير، لأنه مضت ثلاثة أيام الآن من وقت حضور البرقية؛ ثم إذا ورد إلى الخديو أن القبوكتخدائية أعلنت يرسل برقية أخرى، أو يرسل مندوباً خاصاً «مثلك ياباشا». قلت: «ولكن إذا أوفدنى الخديو فيجب ألا يشيع ذلك عند الأنجليز حتى لاينتقموا منى في أملاكى بمصر». فقال: «إذا تم ذلك فأنا أطلب من قنصل الدولة تحرير جواز السفر بنفسه، ولا يخبر أحداً بسفرك».

ولما رجعت إلى الخديو حاولت إقناعه بعدم التشبث بالرسميات، وانتهاز الفرصة السانحة، وأخيراً تقرر أن نطلب من فؤاد بك أن يكتب فى تقريره الذى يرسله إلى الآستانة أنه اخبرنى بالتغيير، وكلفنى إبلاغ الخديو، فيكون ذلك شبه إعلان رسمى. وقد حصل ذلك وأبدى لى الخديو تخوفه من انتقام الأنجليز منى إذا سافرت، فأظهرت له استعدادى لذلك، ولكن قلت: «يجب أن نحتاط، وأن نتق شر بارودى، فأدعى أننى ذاهب إلى بادن للاستحمام».

إرسال التهنئة: وبعد ذلك حررت صورتين للتهنئة، إحداهما مطولة والأخرى رسمية قصيرة، فاستحسن سموه الثانية وأرسلناها يوم ٢٧ فبراير.

وقد وردت برقية الرد في يوم ١٧ منه في لهجة لطيفة باسمه، باعتباره «خديويا لمصر».

جس النبض لدى رجال تركيا: عندئذ فكر الخديو فى الشروع فى مخابرات مع

الصدر الجديد لتحديد مركزه ، وقد أراد أن يجس النبض للتأكد من نجاح المخابرات قبل البدء فيها . وكان قد سبق أن طلب من الاستانة حضور خادم فحجز فى النمسا وبقى بها ؛ فعزم على أن يكون طلب الترخيص لهذا الخادم أول مايجس به النبض ؛ وأمرنى في يوم ١٧ أن أحرر خطابا لطلعت باشا بذلك فى صيغة غيرصريحة ، لأن الطلب تافه ، وقال لى : « اذا وجدنا أن لدى الصدر نية طيبة من ناحيتنا ، فاننا نرسلك يا شفيق للاستانة »

وفى يوم ٢٨ مارس كنت مع الخديو أنا وشديد بك والدكتور سيد كامل ، فعلمت أن رد الصدر قد وصل إليه منذ أيام ، وأنه رد طيب . وفيه وعد بالتسهيلات اللازمة لكل تابعى الخديو فى ذهابهم لسويسرا وإيابهم منها ، وكذلك أبدى اهتماما بمخابراته ، ووعد بالرد عليها ، بقدر ما يمكن من السرعة

وقد أظهر لنا الخديو سروره من هذا الرد ، وتقرر ايفاد مندوب الى الاستانة للمخابرة مع الصدر فى المسائل المعلقة ، وطلب منا أن نفكر فى وضع نقط لهذه المخابرة ، وفى الخطة التى يتبعها المندوب .

تحضير مذكرة للمخابرات : وفى يوم ٢٩ منه اجتمعنا ووضعنا المذكرة الآتية :

أولا . انضمام الخديو للدولة ، كان مبنيا على (١) تعلقه بالخلافة والغيرة الاسلامية (٢) الولاء للمتبوع بصفته تابعا سياسيا . (٣) الأمل فى أن تكون لمصر حالة سياسية أسعد مما كانت عليه

ثانيا : أسباب خروج سموه من الاستانة : (١) معاكسات سعيد حليم (٢) استرجاع الجملة (٣) شعور سموه بعدم استشارته فى شىء يختص بها

ثالثا : أسباب خروجه من فينا : (١) تعيين بوليس سرى لمراقبة سموه كأنه عدو لامحالف . (٢) انقطاع أمله فى تحسن الحالة بينه وبين الاستانة بسبب ما تقدم (٣) عدم قبول امبراطور المانيا مقابلته (٤) طعن سفير المانيا بفينا فى الشرقيين ما عدا الأتراك (٥) الحاحه على سموه بالرجوع الى الاستانه للسعى فى تحسين العلاقات .

رابعا : أسباب عدم تحسين العلاقات فى سويسرا : — (١) استمرار معاكسات الصدر (٢) عدم الترخيص لرجال الخديو بالدخول فى الاستانة والخروج منها (٣) قطع مرتبات رجال حاشيته لأنهم لم يرجعوا الى بلاد الدولة ، بينما المصريون المنتمون للصدر يستمرون فى قبض مرتباتهم .

خامسا : أمل الانكليز فى التقرب من سموه لما علموه من سوء التفاهم بينه وبين

رجال الدولة ، والألمان واجتهادهم فى فصله عنهم فلم ينجحوا ، بدليل أنه لم يصدر من سموه أى فعل أو قول على أوغير على يدل على اتفاقه مع الانكليز ، ولو كانت المسألة متعلقة بالحالة الخصوصية لسموه فقط لانتهت منذ زمن

سادسا : تغيير النظارة العثمانية أحيا الأمل فى تحسين العلاقات مع الدولة وجواب الصدر خير مشجع لهذا التقارب .

هذا عن الماضى

أما المستقبل فأولا : تحقيق الأمل باسعاد الحالة فى مصر متوقف على قيام حملة أو احتمال نجاح مساع سياسية ، وعلى هذا يحب الخديو أن يعرف : (١) اذا كانت هناك نية لتجريد حملة ، واذا كانت الدولة مهتمة باتخاذ وسائلها ، وما هو الموعد الذى الذى تقوم فيه ؟ (٢) ان كانت هناك نية فهو مستعد للرجوع الى الاستانة عند الزحف (٣) طلب تعضيده مادياً وأدبياً للمحافظة على مظاهر الخديوية الى حين عقد الصلح ، فهل الدولة مستعدة لتقديم اعتماد مالى يصرف فيما يتعلق بالأمور العامة ، أو بالانفاق على الحاشية ، أو لاعانة المصريين المحتاجين فى الخارج (٤) ان لم تكن هناك نية فى ارسال حملة فالخديو يتساءل اذا كان تعضيد الدولة وحلفائها فى مؤتمر الصلح يضمن الوصول الى نتيجة حسنة لمصر ولشخصه ، ويتساءل فى هذه الحالة عن الضمانات الحالية الممكنة لتحقيق هذا الأمل فى مؤتمر الصلح (٥) فان لم توجد هذه الضمانات من الآن فهلا يكون من المصلحة أن تجيز الدولة لسموه اجازة غير رسمية الاتفاق مع الانجليز على تسوية مركزه المالى بالنسبة لحالته الشخصية فى المستقبل ؟

ثانيا : سموه يتساءل عما اذا كانت الدولة تحب أن تنتفع بأى خدمة يقوم بها لصلحتها فى الخارج ، فانه يكون سعيداً عند استطاعته القيام بهذه الخدمة فى الحال أو الاستقبال . لأن الأسباب التى استوجبت انضمامه الى الحكومة العثمانية ما زالت قائمة ، ويضاف اليها نيته عند عدم النجاح فى المسألة المصرية ان يعيش فى بيئة اسلامية ؛ ويصرح من الآن بأنه لايتفق مع الانكليز على أى ترتيب سياسى فيما يتعلق بمسألة مصر يكون من شأنه الاضرار بمصلحة الدولة .

فلما اطلع الخديو على ذلك طلب إلغاء الفقرة الأخيرة ، ثم قال : « إنه لا لزوم للكلام فى الماضى ، بل تكون المذكرة عن المستقبل فقط . أما اذا جاء السؤال من رجال الدولة عن أسباب خروجه من الاستانه ومن فينا وعدم رجوعه ، فعندها يمكن الاجابة بالتفصيلات الموضحة »

وقد سألته عما إذا كان المندوب يومئ الى كلام فؤاد سليم فى أمر التعويض الذى يرجى أن يحصل الخديو عليه من الدولة ، فى حالة إضرار الانكليز بسموه في أملاكه وتخصيص مرتب سنوى له؛ فأجاب: نعم إذا كانت المخابرة تقضى بهذا الايماء. ثم أملى على آراءه ، لوضعها فى قالب مقبول ، وإضافة ماتراه لازماً . وهى

(١) الجناب الخديوى لم يغير خطته ، وما كان ينتظر ما حصل له (٢) بعزل الصدر سعيد حليم يأمل فى تحسين الحالة ، وإزالة سوء التفاهم ، خصوصاً وأنه يتذكر ما قاله له طلعت باشا ، فى زيارته لسموه ، مع خليل بك قبل مغادرته الآستانة ، وتأكيده أنه لا ينطوى على شعور غير شعور المودة من نحوه ، ووعد فخامته هو وأنور الذى كان معه ، مما جعل الخديو يتحقق الآن من نجاح مسألته ، ولهذا أوفدنى (شفيق) للسلام والشكر .

ثم أشار بأن يضاف على أسباب خروجه من فينا ، معاكسة حسين حلمى باشا السفير لسموه بواسطة «حاشيته» (محب ويوسف صديق) وقال : «وإذا حصل السؤال عن طلباتى فيكون الجواب : (١) إعطائى الحقوق الممنوحة لى » . يعنى البريد ، والتلغراف الشفرة .

وهنا بدر اعتراض منى ومن الدكتور سيد كامل ، لأن الحرب لاتسمح باستعمال الشفرة ، ولكنه غضب من هذه الملاحظة (٢) «معاملة رجال القبوكتخدائية ، كما كانوا يعاملون سابقاً ، لأن القبوكتخدائية لم تعلن عند تغيير النظارة الأخيرة» قال سموه : «ثم إن المندوب يسأل الصدر عن رأيه فى المسألة المصرية ، ونتيجتها ؛ وإن لم يكن هناك نية فى إرسال حملة فهل تنوى الدولة عمل شىء آخر ؟ وإذا كان هذا لايعلم في أى وقت فهل يبقى سموه بدون مساعدة مالية ؟

وإن سئل المندوب عن رجوع سموه يجيب بأنه إذا تحقق حسن نية رجال الدولة نحوه ، فانه يرجع الى الآستانة للاقامة فى بيته فى شهر سبتمبر»

ثم قال : «ومن سبتمبر نؤجل الميعاد الى اكتوبر ، ثم نسافر إلى بلغاريا ، ونمكث لغاية نوفمبر ، ومن يعلم ماذا يحصل لغاية هذا التاريخ ؟ »

وقد اجتمعت بالدكتور ، ووضعنا المذكرة على حسب الفكرة التى أملاها علينا الخديو ، وقدمناها له ؛ وبعد أن قرأها قال بابقائها لاعادة النظر فيها وتعديل ما يراه وأمر بسفرى إلى برن لمقابلة فؤاد بك سليم

السفر الى برن : وفى ٣٠ مارس سافرت إلى برن وقابلت فؤاد سليم ، وأبلغته سلام الخديو وشكره على حسن مسعاه ، وأن سموه ربما أوفد مندوباً إلى طلعت فأجابنى فؤاد بك « ولكن سموه عزم من مدة على هذا ولم ينفذه » قلت : « لأنه كان ينتظر الرد على جواب أرسله الى الصدر » وقد وصل

مذكرة جديدة : وفى يوم ٩ ابريل قابلت عباساً ، وتفاهمنا مرة أخرى على مهمة المندوب . فقر الرأى على أن أترك المذكرة التى كنا قد أعددناها سابقاً ، ونكتفى بما يأتى :

أولا : بعد التحية يبدأ المندوب بأن يقول لطلعت باشا . « إنه لما رآه الخديو من حسن قبولكم لكتاب سموه ، وأمركم باجابة مافيه من الطلبات أوفدنى لفخامتكم للاعراب عن شكره وامتنانه ، وأمرنى أن أقدم لكم خطابا أحمله »

ثانيا : عندما تأتى مناسبة فى أثناء الحديث يلمح المندوب الى زيارة طلعت وخليل بك قبل ترك سموه الأستانة ، ويذكر تأكيدات فخامته لسموه ، من أنه لا يوجد شىء عند رجال الحكومة العثمانية ضده ، وخطاب الصدر دليل قاطع على تأييد هذا الكلام ، لذلك يتفاءل الخديو خيراً من وجود طلعت باشا فى كرسى الصدارة .

ثالثاً : إن سأل فخامته عن اشاعة شاعت باتفاق بين سموه والانجليز يرد المندوب بأنه : حقيقة أراد الانجليز انتهاز فرصة الفتور الذى كان ملحوظاً بين سموه ورجال الدولة لاستمالته اليهم ؛ ولكن لما تغيرت النظارة تبدلت الحال بعناية فخامة الصدر ، ويقول المندوب : « ولو أننى لم أكن على الدوام ملازماً الجناب الخديوى إلا أننى أعلم جيداً أنه لم يتفق مع الانكليز على شىء ، وإلا فأنه كان يعلمنى قبل سفرى » (أى أنه لاينفى ذلك بصفة رسمية)

رابعاً : واذا سأل طلعت عما اذا كان الخديو يريد أن يتفاهم معهم ، يقول المندوب : « إنه إن تكلم فلا يكون موضوع الكلام إلا فى المسائل الشخصية لا السياسية ، فهى التى تهم معيشته فى المستقبل ، لأن ثروته كلها فى مصر وهى محجوزة ويتمنى ألا يحصل له على الأقل ضرر فى المسائل المالية »

خامساً : وان سئل عن آراء سموه يكن الجواب : أن سموه يريد أن يعرف موقع المسألة المصرية فى الحركة العسكرية والسياسية . فان كان الرد أن المسألة منظورة والحكومة عازمة على عمل شىء فيظهر المندوب الاستحسان ، واذا كان الرد بأنها غير منظورة فيجيب بالاسف

سادساً : وإن سئل عن طلبات سموه يجيب بأن لامطلب له إلا أن تعامله الحكومة بالحقوق المخولة لمقام الخديوية ، معاملة ودية ، لامعاملة عدائية ، لأن الاعداء يعاملون الملوك الذين عزلوا معاملة لائقة بهم ، وهم يعيشون بينهم بالعز والاكرام.

مع أن سموه طلب من الحكومة نقل موظف فى المحروسة (الدكتور صبحى) إلى خدمة الدولة المحتاجة إلى أطباء ، وعمله فى المحروسة لا يستدعى وجوده فيها . فبعد قبوله ارجعته الحكومة إلى المحروسة خلافاً لرغبة الخديو ؛ ويرجو المندوب من الصدر إجراء مايلزم لحفظ مقام الخديوية . فان قال الصدر : «ها نحن أولاء نعامله الآن كما يجب» ، فالمندوب يستفهم فى هذه الحالة عما إذا كان فى نية الحكومة معاملته مادياً فان دخل الصدر في الموضوع المادى فعندها يقول المندوب : « إنه يرجو أن يعامل رجاله فى المرتبات كما يعامل المصريون الذين أظهروا عداوة له » (أى المنتمين للصدر السابق) وفى حالة القبول من الصدر يقول المندوب : «ان سموه مستعد لأن يشترك مع الحكومة فى وضع قاعدة لمساعدة المصريين على وجه العموم» .

سابعاً : إذ قال الصدر برجوع الخديو الى الأستانة ، يجيب المندوب أنه مستعد للرجوع ؛ وإنما يفكر في صوالحه فى مصر وفى إيطاليا (حيث توجد أوراقه فى باخرة طاشيوز برودس) فهل توجد طريقة لتأمين هذه المصالح لو رجع إلى الاستانة ؟

فان قال بوجود طريقة ، يستعلم عنها المندوب ويطلب أن يعرضها على الخديو.

وقد سألت سموه عن المبلغ الذى يطلب تقريره من الدولة ، فأجابنى بأن خمسة وعشرين ألف فرنك سويسرى شهرياً تكفى

الاحتفال ببلوغ عبد المنعم سن الرشد : فى يوم ١٧ فبراير كنت عند الخديو فى لوزان ، فعرض على رأيه فى تحرير خطاب للبرنس عبد المنعم ولى عهده ، يهنئه فيه ببلوغ سن الرشد يوم ٢٠ منه ، ويسلم اليه فى الاحتفال بهذه الذكرى ، وطلب منى تحريره مع الدكتور سيد كامل

وقد أعددنا مشروع هذا الخطاب ، وبعد تحوير وتبديل منا ومن الخديو صار كما يأتى :

« فى مثل هذا اليوم من ثمانى عشرة سنة خلت ، احتفلت مصر بمولدك ، فبالأمس أتممت حياة القاصر ، واليوم بدأت حياة البالغ الراشد، وأنت اليوم

وغدا ـ كما كنت بالأمس ـ محل رعايتي وشفقتي الأبوية ، فهنيئاً لك بما أنعم الله علينا من بلوغ هذا اليوم ، وبارك الله لك في عمرك ، ووفقك في جميع أعمالك .

« وقد كنت أود أن نحتفل بك اليوم بلادنا المصرية العزيزة ، كما احتفلت بيوم عيد ميلادك ، ولكن الحوادث الحاضرة التي مازالت منذ عامين ونصف عام ، تحدث الانقلابات المنوعة في كيان الممالك المتعددة ، ومراكز الملوك والأمراء قد أصابتنا بشيء من انقلاباتها — أرجو أن يكون وقتيا — وعلى أي حال فآمل ألا يمتد أثره إلى المساس بحقك الثابت المشروع ، الذي لا أدخر وسعاً في تأييده والله المسئول أن يوفقنا إلى مافيه الخير والفلاح »

وفي يوم ١٩ أرسلنا الدعوة لحضور الاحتفال ؛ وقدر عدد من سيحضرونه بستة عشر وهم :

الخديو وولداه وشقيقه ، وشكري بك سكرتيره ، والبرنس ابرهيم حلمي ، ومحمد طاهر بك نجل البرنسيس أمينة هانم اسماعيل ، وجلال الدين باشا ، وتويني بك ، ومحمد باشا يكن ، وعبدالحميد بك شديد ، والدكتور سيد كامل ، وعبدالله البشري ، ونور الدين افندي ، ومنصور القاضي ، وصاحب المذكرات

وقد عرضت على سموه أخذ صورة تذكارية للحفلة وصورة أخرى لأفراد العائلة فوافق على ذلك

وطلب مني أن أفهم البرنس بأنه سيهدي إليه قطعة من الجواهر التي ورثها من عائلته لتكون تذكاراً لبلوغه سن الرشد ، وبما أن مجوهراته في زوريخ فانه عند رجوعه إليها سيختار هذه القطعة ويرسلها لدولته ، وأن سموه يأسف لعدم وجود السجلات الخاصة بأمواله حتى يراجعها .

وقد نقلت ذلك للبرنس فقال : « هذه أمور نصفها بعد الحرب ، ولا حاجة بي اليوم للنقود . أما أنا فأفكر في مسألة أخرى ؛ وهي أنني أطلب من معتمد انجلترا أن يتوسط في استحضار نقود لي من أموالي الخاصة ، وأقول له صراحة : « إنني أريد أن أقرض أبي ما يحتاجه منها الآن بحيث يرده لي بعد انتهاء الحرب العظمى »

فأبديت له تشككي في نجاح هذه الفكرة ، لأني أعتقد أن الانجليز سيرفضونها

وقد أرسلني الخديو لدعوة شقيقه الذي قرأت عليه صورة خطاب الخديو لولي عهده ، فأعجبه

وفي يوم ٢٠ فبراير كانت الحفلة، فدخلنا فى الساعة الواحدة الى المائدة، وجلس الخديو، وأمامه شقيقه. وعلى يمينه ولى العهد، وعلى يساره البرنس ابراهيم حلمى، وعلى يمين البرنس محمد على جلس البرنس عبدالقادر، وعلى يساره محمد بك طاهر، ثم باقى المدعوين، وكان مرسوماً على قائمة الأطعمة العلم العثمانى

وبعد تناول الطعام أمرنى الخديو أن أتلو الخطاب الموجه منه لولى عهده فتلوته بلهجة مؤثرة، فسالت دموع البرنس عبدالمنعم، ونهض فقبل يد والده مظهراً حنانه عليه.

ثم سلمت الخطاب للخديو فسلمه لابنه الذى تناوله شاكراً

وقد وقف البرنس محمد على، وأراد أن يقول شيئاً، ولكن التأثر أخذ منه كل مأخذ، فقال: «إن المصيبة التى أصابت الأسرة هى غضب من الله، فيلزم علينا أن نطلب منه المغفرة»، وكرر هذا القول بألفاظ متقطعة بين البكاء والدموع.

وكنت معتزما أن أهنىء البرنس بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن الحاشية، ولكن لما رأيت هذا الجو امتنعت، ووقف البشرى وطلب قراءة الفاتحة ليوفقنا الله للخير.

وبذلك انتهت الحفلة، وكان لها أثر جميل فى تقريب هوة الخلاف بين الخديو وولى عهده.

وبعد تناول القهوة ذهبنا إلى حديقة الفندق، وجاء المصور فالتقط صورة لنا مجتمعين، ثم صورة أخرى لأفراد الأسرة الخديوية.

وقد جلس الخديو مع نجليه وبنتيه وجلال الدين باشا فى معزل عنا جلسة عائلية، وكنا نشاهد سموه بين حين وآخر يقبل أبناءه واحداً بعد الآخر فى تأثر شديد.

وفى يوم ٢١ منه اجتمعت بالخديو والبرنس عبد المنعم، فقلت لسموه: «إن دولة البرنس أبدى لى الرغبة فى عمل رد على خطاب الجناب العالى» فقال: «لا بأس وهأنت ذا موجود يا شفيق فانظر مايريد كتابته واعمل باشارته»

وفى اليوم التالى استدعانى وكلفنى بكتابة الرد على أن يحتوى على عبارة فحواها: أنه بعد بلوغه سن الرشد سيبقى كما كان قبل ذلك خاضعاً لوالده. ثم سألنى عن أية النقط التى تهم والده، فأجبته بانه ربما تكون النقطة الخاصة بتوثيق رابطة المحبة بين أفراد الأسرة الخديوية. فقال: «حينئذ نضمها للنقطة الأولى». وعاد فسألنى عما إذا كان يرسل العنوان باسم «سمو الخديو المعظم» ـ لأن والده لايزال



صورة الاحتفال ببلوغ سمو البرنس محمد عبد المنعم سن الرشد

الجالسون : يرى فى الوسط سمو الخديو عباس حلمى الثانى وعن يمينه سمو البرنس محمد عبد المنعم المحتفل به وسعادة محمد طاهر بك وعن يساره سمو البرنس محمد على والبرنس محمد ابراهيم حلمى والبرنس محمد عبد القادر

الواقفون : منا ليمين . الأستاذ منصور القاضى والدكتور سيد كامل واحمد شكرى يكن بك ونور الدين أفندى وعبد الحميد شديد بك وتوبنى بك وجلال الدين باشا ومحمد يكن باشا واحمد شفيق باشا وعبد الله أفندى البشرى

فى نظره للا ن خديويا ، ولا جناح عليه إذا اعترف له بهذه الصفة، قلت : «حقيقة إنه هو الخديو ، لأنه لا يـ جد الآن فى مصر خديو آخر ، بل الموجود لقبه « سلطان » ولكن لابأس أن نصدر الخطاب باسم « مولاى ووالدى العزيز » - حفظه الله .

وفى يوم ٢٥ منه قابلنا الخديو وعرضنا عليه مشروع الرد ، فلاحظ أن به جملة تحرج مركز البرنس ، وهى وعده بأنه سيجرى على الخطة التى جرى عليها أجداده واقترح حذفها .

وهذا نص الرد فى صيغته الأخيرة

« مولاى ووالدى العزيز - حفظه الله -

« تناولت بيد التعظيم والاجلال كتاب سموكم الذى اقتضت إرادتكم أن تشرفونى به ، لمناسبة إتمامى السنة الثامنة عشرة من عمرى ، ودخولى فى أول يوم من أيام حياتى البالغة الراشدة . ومن تلاوته أخذ منى التأثر كل مأخذ لما أشار إليه من الحوادث الماضية والحاضرة . وإنى تلقاء ماتفضلتم به من التبريكات وعالى الاحساسات لا يسعنى إلا انتهاز الفرصة ، وأن ألتمس قبول تشكراتى الصادرة من قلب أساسه الحب والولاء ، لما شملتمونى وما زلتم تغمروننى به من الرعاية والشفقة الأبوية ، والسهر على توفير أسباب تعليمى . مد الله فى حياة سموكم ، ووفقنى إلى ما فيه بقاء رضاكم ، وعسانى أسعد بأثبات مايكنه ضميرى من الاعتراف بالجميل على ماتبذلونه من الوسع فى صالحى ؛ وآمل استمرار هذه المساعدة الثمينة ، لأننى اليوم كما كنت فى الأمس ولدكم الخاضع المحتاج لمعونتكم ، ولأنكم مصدر وجودى ومرجع الفضل فيما ينالنى من خير . والله أسأل أن يجعل لنا من الأيام القادمة خير حال . أما العمل بالصدق والأخلاص للوطن العزيز ، وتوثيق رابطة المحبة بين أفراد أسرتنا العلوية فهو المبدأ القويم الذى يجب علينا جميعاً اتباعه »

البرنس عبد المنعم وولاية العهد : فى يوم ١٧ فبراير كنت بلوزان ودار الحديث مع الخديو عن نجله البرنس محمد عبد المنعم ، فأخبرنى أنه قابل المعتمد الانجليزى ، وطلب منه أن يعلم حكومته بأنه يلتمس منها ألا تهضم حقوقه الشرعية ، وأن تأذن له باتمام دروسه فى انجلترا ، فأجابه المعتمد بأن انجلترا لا تظلم أحداً ، وما على الخديو إلا أن يتنازل لك ولعائلتك ، ووعده بأن يتخابر مع حكومته فى طلبه .

ثم قال عباس : « ومن رأيى أنه بعد بلوغه سن الرشد يذهب إلى المعتمد ويطالب بحقه الشرعى فى ولاية العهد » .

وفى يوم ٢٠ فبراير كان البرنس قد بلغ رشده . وفى هذا اليوم اجتمعت بالخديو وولى عهده ، فقال سموه : « إننا نريد أن نفكر فى كتابة خطاب لملك الانجليز من البرنس يقول فيه : « إنه ترك مصر وسافر الى الآستانة ، ثم باغتته الحرب فذهب الى السويسرة للتعلم ؛ وأنه نظراً لاعلان جلالته يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ أنه يبقى أسرة محمد على على رأس الحكومة المصرية ، فالبرنس الذى هو فى الصميم من الأسرة يأتى اليوم ، وقد بلغ رشده ، ليطالب بحقه الشرعى فى ولاية العهد » .

وفى يوم ٢٢ منه استدعانى البرنس تليفونياً ، وعرض لى رأيه فى الرساله ، وتركنى لكتابتها ، وبعد إتمامها عرضتها عليه فرأى تخفيف بعض التعبيرات فيها ، فوافقته على ملاحظته ، وأجريت التعديلات التى طلبها .

وفى يوم ٢٥ قابلنا الخديو وعرضنا عليه مشروع الرسالة بحضور ملحمة باشا ، فلاحظ أنه ذكر فى الرسالة ما يفيد أن التغيير الذى حدث فى مصر ، وإبقاء عائلة محمد على ، هو من افضال ملك الانجليز ، بينما هذا حق ثابت للأسرة بمعاهدة دولية ، وأن الغرض الذى يرمى اليه الخطاب غير واضح ، فأجاب الخديو : بأنه هو الذى أشار بالنقطة الأولى ، أما الثانية فوافق عليها . وقد أخذ ملحمة يحضر « مسودة » سريعة ، ولكن الخديو ونجله وجدا فيها خضوعاً زائداً لملك انجلترا ، وتقرر أن يعمل مشروع وسط بين المشروعين ، ووكل إلى ذلك ، فأتممته وعرضته على الخديو يوم ٢٦ منه فوافق عليه ، وكذلك أطلعت عليه البرنس محمد على فنال استحسانه .

وفى يوم ١٩ مارس قابلت البرنس عبد المنعم ، وسلمته مشروع الرسالة ، فأخذ يحرره بخطه ، وها هى ذى ترجمته فى صورته الأخيرة :

« حيث أنى بلغت سن الرشد فى ٢٠ فبراير الماضى ، رأيت أن أول واجب على أن أقدم جليل احترامى لجلالتكم . وبعد ذلك ألتمس من عطفكم التوسط فى مسألة تخصنى شخصياً .

« على إثر التعدى على حياة والدى فى الاستانة يوم ٢٥ يوليو سنة ١٩١٤ اضطررت أن أذهب إليه ، ثم عدت إلى السويسرة فى شهر ديسمبر من السنة نفسها لأتمم دراستى .

« وبقيت مشتغلا بالدراسة منتظرا يوم بلوغى الرشد لألتجىء إلى عدل جلالتكم ملتمساً الاعتراف بالحق الذى يخوله لى انتسابى لأكبر ولد مباشر لعائلة محمد على معترفا بأنى سأحافظ على هذا اللقب بالسلوك الحسن .

« وإنى على يقين من أن جلالتكم وحكومتكم العادلة ، ستنظران بعطف وتدافعان عن شخص ذهب ضحية بريئة للحوادث .

وانتظارا لرد مطمئن أتشرف بأن أكون . . . الخ »

وفي يوم ٢٧ منه قابلت البرنس ، فسألته عما إذا كان قد سلم الخطاب الموجه للملك إلى السفير ، فأجابنى بالايجاب ، وأن المقابلة كانت لطيفة ، ولم يزد شيئاً على ذلك .

ولكنى لقيت الخديو فى اليوم التالى ، فأخبرنى أن مندوبا من قبل معتمد الانجليز قابل البرنس ليخبره برده عليه بخصوص المساعى الأولى التى بذلها للاحتفاظ بحقه ، وهذا الرد يتلخص فى أنه قد سقط حقه فى الوراثة بخلع والده وأن انجلترا عينت خلفا له هو السلطان حسين حافظة لنفسها الحق في انتخاب الخلف ، وقد سعى بعض البرنسات للحصول على مركز ولاية العهد ، كما سعى السلطان حسين ليحتفظ به لابنه البرنس كمال الدين ، ولكن كل المساعى حبطت لأن انجلترا لاتنوى الآن أن تنظر فى المسألة ، وعندما يحين الوقت تنتخب خلفاً للسلطان ، وربما كان للبرنس عبد المنعم نصيب فيه .

وأن سموه بعد ذلك أمر نجله بأن يتوجه للسفير ويقول له : « إنه كان يفضل أخذ الاجابة منه رأساً بدون واسطة ، وأن يسلمه بعد ذلك الخطاب الذى أعده لملك انجلترا ويرجوه فى إرساله » .

ولما سلمه للمعتمد أطلعه عليه بصفة غير رسمية ، فنصحه بتغييرات فيما يختص بالمطالبة بحقوقه . وكذلك أشار عليه بحذف ما يختص بمسألة الوراثة .

وقد فهمنا من ذلك أن انجلترا تكره مطالبتها بحق ما ، وترى أن يكون فى الالتماس ، ما يشعر أنها صاحبة الحق فى إعطائه أو منعه .

وعلى هذا أمر عباس أن نضع صورة أخرى مخففة ، فوضعناها ، ولكن بقى فيها تلميح لمسألة الوراثة .

وفى يوم ٨ إبريل علمت من عبد الله شديد بك أن السفير الانجليزى لاحظ على الرسالة الجديدة عند اطلاعه عليها ، أن الاشارة لمسألة الوراثة باقية ، مع أن الحكومة الانجليزية قد أجابت عنها فى الرد الشفوى .

وقد اجتمعنا فى اليوم التالى : الخديو وولى العهد وشديد وأنا ، فأبدى البرنس تذمره من مقابلة السفير له فى المرة الثانية ، لأنه لما قدم الرسالة أراد الخروج فطلب منه البقاء حتى يطلع عليها ؛ وبعد قراءتها ردها له بدون استئذان ، قائلا : « هذه الرسالة لا تخرج فى معناها عن الأولى فلا يمكن أن أقبلها » . وكان دولته عازما على عدم العودة له ، ولكنا تمكنا من اقناعه بالاستمرار فى خطته ، وكان من رأيه أن يكتب خطابا لبالفور ، ويرسل معه صورة الخطابين ، ويعرفه أن السفير هو السبب فى التأخير ، وكذلك فكر الخديو فى توسيط كريمة الدوق أوف كونوت فى ايصال الخطاب رأساً إلى الملك . ولكن بعد المناقشة تقرر أن تكتب مرة ثالثة بحيث لا يكون فيها تلميح لمسألة الوراثة ، ولا طلب الذهاب إلى انجلترا للدراسة .

وبعد عمل المشروع الثالث للرسالة قرر الخديو أن يعرضه شديد بك على ملحمة باشا ، وأن يسافر البرنس إلى برن بعد ذلك لتسليمها ؛ ولكن هذه المخابرات لم تسفر عن نتيجة .

سفرى الى الآستانة للتفاهم مع الأتراك :

الاستعداد للسفر : أخذت فى الاستعداد للسفر واستخراج الجواز ، وبعد أن أشرت عليه من قنصلية النمسا توجهت فى يوم ١٧ ابريل الى فؤاد بك سليم ليوصى لى بحرية المرور من بلغاريا والنمسا ، مع الترخيص باعفائى من الكورنتينة فى حدود النمسا

وفى يوم ١٩ عقدنا جلسة (الخديو وشديد بك ونور الدين وأنا) وتلقيت تعليماته النهائية ، ورسالة منه الى الصدر بايفادى اليه ، لاحاطته علماً بمسائل هامة ، ورسالة أخرى الى الوالدة للسؤال عن صحتها ، ورسالة باسم ابراهيم بك أدهم فيها بعض أوامر تختص بأشغال جبوقلى ، ووضعت جميعاً فى ظرف كبير ختم عليه بالجمع الأحمر (التاج الخديوى) . وكذلك أخذت رسالة لموسيو بوركار سفير السويسرة فى فينا وآخر لموسيو أمستر ، وورقة فيها تعليمات لى مدة وجودى فى فينا بمقابلة الدكتور كاوتسكى ، وزيارة بوركار والدكتور أمستر . ووضعت جميع الأوراق التى أحملها بما فيها الظرف الأول فى ظرف أكبر

وفى المساء ورد لى جواز السفر مع إذن بحرية المرور من النمسا والبلغار ، وخبر

من فؤاد بك سليم بأنه أرسل الى الآستانة برقية بسفرى لتعطى التنبهات على الحدود العثمانية بمرورى

عقبات : وفي ٢٠ منه سافرت من زرويخ الى فينا ومعى نور الدين افندى . وفي الطريق قابلت الكونت دى تورن بمحطة سان جال ، فأخبرته بسفرى الى الاستانة، وفى بوكس «حدود السويسرة النمسوية» ، رجع نور الدين افندى ، واستأنفت سيرى الى «فلدكرش» ، وبالرغم من التوصيات التى أحملها فان إحدى حقائبى فتشت وأخذ الضابط الظرف الكبير الذى به الأوراق، ثم سألنى عما به ، فأخبرته بأنها رسائل من الخديو الى الصدر فقال لى : «ولكن ليس على الظرف ما يفيد أنه رسمى ، ولهذا فسنحفظه ونرسله بمعرفتنا الى سفارة النمسا فى الآستانة فتتسلمه منها هناك» ولم أتمكن من اقناعه بترك الظرف لى

وفى المساء وصل القطار الى « انسبروك » فنزلت فى فندق التيرول لتمضية الليل وفي الصباح قام القطار الى فينا ، فوصل في المساء : وكان بانتظارى الدكتور أمستر وزوجته ، فذهبنا الى فندق امبريال ، فلم نجد به أماكن خالية فاضطررنا للمبيت فى فندق آخر

وفى صباح ٢٢ أرسلت برقية باسم نورالدين فيها إشارة إلى حجز الظرف دون التصريح بذلك خوفا من أن يمنعها المراقب

وقد توجهت الى قنصلية الدولة ، وأشر القنصل على جواز السفر، وأعطانى توصية بالاذن لى بالسفر لأقدمها للبوليس ، وعلمت منه أنه تلق تعليمات من الآستانة بالتسهيلات لكل أتباع الخديو

وفى يوم ٢٣ منه وردت لى برقية من شديد بك يأمرنى فيها الخديو ببذل المساعى لدى ناظر خارجية النمسا لاسترداد الظرف الذى حجز فى حدود السويسرة . فذهبت فى اليوم التالى مع الدكتور أمستر إلى مدير أحد الأقلام فى نظارة الخارجية المختص بمثل هذه المسألة ، ورجوناه أن يعرض على ناظر الخارجية الموضوع فأجابنا بأنه سيبحث عن الظرف ، واذا وصل إليه فان الصدر سيزور فينا قريبا فيسلم إليه ، فقلت له : « انه مكتوب له فى رسالة أننى أنا الذى سأسلمه له ، فلا يليق أن يسلمه شخص آخر » . وأخيراً تبين لى أنه غير راغب في انهاء المسألة ، فبادرت في اليوم التالى بكتابة رسالة إلى ناظر الخارجية نفسه ، وسلمتها لهذا المدير لتوصيلها

إليه، فورد الرد لى فى يوم ٢٦ منه بأن الناظر أمر بالبحث عن الظرف وتسليمه لى

ولكن مضى يومان ولم يأت خبر عن المسألة، وعلمت أن الصدر سيحضر قريباً، فذهبت لنظارة الخارجية، وألححت فى مقابلة الناظر، وعندئذ وعدنى المدير السابق الذكر بسرعة البحث. وفي المساء ورد لى فعلا إخطار بأن أذهب غدا صباحاً لتسلم الأوراق، ولما تسلمتها وجدت أن المراقبة فتحت الظرف الكبير واطلعت على مايحويه، ولكنها لم تفتح الظرف الداخلى الذى يحوى رسائل الصدر والوالدة وابراهيم بك أدهم ولا الخطاب الخاص بسفير السويسرة. وقد ارسلت رسالة شكر الى ناظر الخارجية على اهتمامه، وبرقية للخديو بالحصول على الأوراق

حضور الصدر الى فينا ومقابلته: وفى يوم ٣٠ ابريل حضر الصدر إلى فينا وقد قابلته في أول مايو بفندق امبريال، فسلمته الرسالة الخاصة به، وحادثته بما كلفت وبعد قراءة الرسالة، قال لى: «انه يشكر الجناب العالى لما يبديه من الاحساسات الطيبة نحوه» ثم فاجأنى قائلا: «لماذا لايحضر الخديو إلى الأستانة ثم يرجع للسويسرة؟» فأجبته: «إن أوقاتكم هنا ثمينة فان استحسنتم نرجىء الكلام فى هذا الموضوع إلى أن تصلوا للاستانة» فقال: «وهل ستسافر أنت إليها؟» فأجبت بالايجاب. فقال: «هذا حسن» واستأذنت وخرجت.

استئناف السفر: وفى ٢ مايو سافرت إلى الاستانة فى القطار الذى سافر به الصدر، وكنت قد كتبت تقريرا للخديو بكل ما عملته حتى اليوم، فسلمته عند قيام القطار إلى امستر لتوصيله

وفى يوم ٣ وصل القطار إلى بلغراد ثم إلى صوفيا، وبينما كنت جالساً وحدى على نهاية العربة إذا بيد تلمس كتفى من الخلف، فالتفت فاذا به الصدر ينادينى: «ياشفيق باشا» فوقفت وقلت: «أمان افندم» ولكنه استمر فى سيره ونزل فى صوفيا

العقبات فى حدود الدولة: وقد وصل القطار فى يوم ٤ منه إلى «اوزون كوبرى» فركب البوليس العثمانى ورجال الجمرك للتفتيش على جوازات السفر والمتاع، ولما جاء عندى المفتش الخاص بالجوازات سألنى بعد الاطلاع على جواز سفرى: هل أنت مصرى؟ فأجبته نعم، فسألنى عما إذا كان لدى ترخيص خاص بالدخول، قلت: «إن السفارة العثمانية في برن أرسلت برقية بطلب انفاذ الأوامر إلى

الحدود بمرورى ، فقال : «إن الأوامر لم تصل إليه» . وتركنى على أن يستعلم ، وإذا لم يجد أوامر فلا بد من نزولى بالمحطة التالية .

وعند وصول القطار اليها جاء اثنان من الجندرمة ، وطلبا منى النزول ، فنزلت وقادنى أحدهما إلى غرفة فى فندق بها سرير لنوم أحد رجال الجمرك ، وبعد أن تركت متاعى بها قصدت دائرة البرق ، وبعثت برقية للصدر في صوفيا ، وأخرى لأنور باشا فى الاستانة . وانتظرت حتى المساء فلم يأت الرد من كليهما

وفي يوم ٥ عزمت على السفر إلى صوفيا لمقابلة الصدر اذا كان هناك ، فوصلتها فى صباح اليوم التالى ، وقابلت فتحى بك سفير الدولة بها ، فعلمت منه أن الصدر أرسل الأوامر بمرورى ، ومع هذا فقد أشر هو بالأذن لى ، فشكرته ، وقلت له «انى سأستريح هنا ثلاثة أيام ولا سيما وعندى أمر بمقابلة ملك البلغار لشكره على إعطاء الأوامر بحفظ المكتبة التى فى العمارة الخيرية في قوله بمكان بعيد عن هدف السفن الحربية ، وبمقابلة رئيس الحكومة البلغارية لمسألة تختص بهذا الشأن أيضا»

عدم الثقة بالخديو فى بلغاريا : وقد حاولت فى يوم ٧ مايو إلى ١٠ منه أن أقابل الملك أو رئيس الحكومة فوجدت إعراضا عن مقابلتى ، فهمت منه أن الثقة بالخديو هنا أصبحت مزعزعة بالاضافة لما حدث لى فى الحدود

الوصول للاستانة : ولما لم أتمكن من المقابلة سافرت يوم ١١ منه ، فوصلت «أوزون كوبرى» مرة ثانية ، وسألت بها عن ورود أوامر فأخبرت بوصولها وقابلت المفتش المختص فسمح لى بالمرور

ووصل القطار الى الآستانة فى الساعة الرابعة ، فوجدت الشيخ عبدالعزيز جاويش فسلم على ، وسألنى عن حالة الخديو ، فأجبته بأنها طيبة

مقابلة الوالدة : وقد ذهبت تواً إلى بيك ، ولما رآنى الأغوات رحبوا بى كثيراً واستفهموا عن صحة الخديو ، ثم أرسلت السلام للوالدة ولخديجة خانم افندى أخت الخديو ، ولفتحية خانم وشوكت خانم كريمتيه ، وكانت البرنسيسات الثلاث عند دولة الوالدة نظراً لاعتلال صحتها

حيلة : وقد فكرت لمناسبة مرض الوالدة ، أن أكتب للخديو مجسما المرض لعل ذلك يعجل بسفر سموه إلى الآستانة ، فيتحقق طلب الصدر بمجيئه ، وتتحسن العلاقات كما نود ، ونفذت هذه الفكرة فى اليوم التالى

وقابلت أدهم بك لابلاغه الأوامر المختصة به . وكذلك قابلت الوالدة فى نفس اليوم والبرنسيسات الثلاث ، وكنت في حالة تأثر شديد عندرؤيتهن بعد غياب عامين فسالت الدموع من عينى ، لولا أن نبهتنى الوالدة ، إلى أن هذا التأثر يسىء الى صحتها وهى مريضة

مقابلة البرنس ابراهيم حلمى : وفى يوم ١٥ منه قابلت البرنس ابراهيم حلمى فأخبرته بما دار بين الخديو والصدر من المخابرات، وإرسالى بمهمة لازالة سوء التفاهم وبمقابلتى طلعت باشا فى فينا، وطلبه زيارة الخديو للاستانة ثم العودة إلى السويسرة ، وهنا أخذ يذكر لى الفرق بين الحالة الآن ، والحالة أيام سعيد حليم ، وكيف كان هذا ينتهز كل فرصة للطعن في الخديو ، والاشاعة بأنه باع نفسه للانجليز

فكاهة : وذكر لى كذلك أن نفوذ الصدر السابق قد تلاشى ، وانفض أنصاره من حوله . ثم قص على كيف أخذت أولا نظارة الخارجية من سعيد حليم ، ثم كيف أخذت منه الصدارة . فأما الأولى فقد جاءه ناظر العدلية يوما ، وسأله فى حديث عادى إن كان خليل بك رئيس مجلس النواب يمكنه إدارة نظارة الخارجية ، فأجاب ولم لا ..؟ وعند اجتماع مجلس النظار أخبر أن نظارة الخارجية أعطيت لخليل بك حسب موافقته ، وذكر له النظار محادثة ناظر العدلية معه بشأن تولى خليل بك

قال سعيد حليم : « ولكنى ما كنت أعلم أن فى النية أخذ هذه النظارة منى ! » وأخيراً لم يسعه إلا التوقيع على الدكريتو ، ولكنه تأثر كثيراً من هذه الحادثة . وقبل أن يعتزل الصدارة أحس بقرب خروجه منها فأرسل شقيقه إلى السلطان ليقول له : « إن المملكة لا يمكن أن يديرها أولاد رعاع » بالتلميح إلى أنور وطلعت ؛ ولابد أنهما علما بذلك فحنقا عليه كما اشتد حنقهما بمناسبة رسالة انتقد فيها مبادىء الاتحاديين الخاصة بالمرأة .

قال البرنس : « وعلمت من مظهر بك (وكان له اتصال بالصدر) أن الذى توجه لسعيد حليم ، وطلب منه استقالته هو جاويد بك (ناظر المالية الحالى) فان عديلى كان فى منزل سعيد حليم في وقت هذه الزيارة ، وأن خادم سموه حضر وقال : « إن سيده بعد خروج جاويد من عنده كان متهيجاً »

عند أنور باشا : وفى يوم ١٦ مايو قصدت منزل أنور باشا في « قورى جشمه » وقابلته ، وأبلغته سلام الخديو الذى أوفدنى بمهمة لدى الصدر ، وأفهمته بما دار بين

سموه وطلعت باشا من المخابرات البرقية والرسائل ، وأنه لما وجد حسن قبول من الصدر أوفدنى لأزالة سوء التفاهم بين الطرفين . وما كان يحصل ذلك لو كان سعيد حليم على كرسى الصدارة ، فقال أنور : «إننى أشكر الخديو على سلامه ، وأرى أنه فعل حسنا . نعم إن الأشاعات هنا كثيرة عن اتفاقه مع الأنكليز : فملأوا آذان السلطان تنفيراً لجلالته منه ؛ حتى لقد أرادوا أن يصلوا إلى الانتقام من سموه انتقاماً شديداً ، ولله الحمد لم يفلحوا فى قصدهم، فزيارة جنابه العالى تزيل الشبهة التى ألصقوها به .

« والخديو لم يتغير مركزه عندنا ، وله أن يستمر على الأقامة في سويسرا إنما إذا زارنا فأنه يقوى مركزه . وعندما تحصل المناقشة فى مؤتمر الصلح يكون من واجبنا تعضيده ؛ ويكون قد اكتسب الحق فى ذلك ؛ وفضلا عن أننا لا نتأخر فى القيام بالواجب أيضاً بالنسبة للنفقات التى تلزمه شخصياً أو تلزم رجاله وسرايه . فاذا أمر بعشرة آلاف جنيه شهرياً أو خمسة عشر ألفاً فأننا ننفذ أمره »

فقلت : «حينئذ لاننوى الحكومة إرسال حملة على مصر» قال : «إذا أمكننا عمل صلح انفرادى مع الروسيا، فوقتها نأخذ من جهة القوقاز جنوداً، وتقوم الحملة ؛ وإلا فأننا اتفقنا مع الألمان ألا يعقد الصلح مع الأنجليز إلا إذ استرددنا حقوقنا التى سلبوها، ومن ضمنها حقوقنا على مصر »

قلت : « إن الخديو لو أعطيت له الدنيا وما فيها ما كان يتصور أنه يضع قدمه فى الاستانه ما دام سعيد حليم فى الصدارة . أما الآن فان ضميره مرتاح بعد التغيير الأخير . إنما سموه يخشى من انتقام الانجليز منه فى أملاكه بمصر اذا غادر سويسرا وجاء الى الاستانه ، والخديو ضحى بتاجه فى محبة الخلافة والتعلق بها : ولكنه يريد أن يحافظ على أملاكه لمعيشته فى المستقبل . فمن يضمن له ألا يقع الضرر المحذور ؟ »

فبعد تأمل قال : «الخديو له الحق أن يفكر فى ذلك ، إنما أقدر أن أقول لك : « إن الحكومة السنية تضمن له تعويض كل ضرر يتأتى له »

فشكرته على إحساساته .

ثم قال : «ان الحكومة مستعدة لذلك ، وإذا لم نكن نحن في مناصبنا فالحكومة باقية على كل حال»

وهنا ودعته على أن أرجع إليه لتلقى أوامره قبل سفرى إلى سويسرا .

عند طلعت باشا ثم خرجت من عنده، وقابلت طلعت باشا فى الصدارة فقال :
« إن من مقتضى جواب الجناب الخديوى أنك ستبلغنى أموراً هامة فما هى » ؟ فقلت:
« إن سيدى تلقى خبر القاء أمور الصدارة لعهدة فخامتكم بكل سرور، فانه يعلم بحميتكم ووطنيتكم، وإنه لا هم لكم إلا خدمة البلاد، والسعى وراء سياسة التوفيق» . فقال : هذا هو واجبنا »

قلت : « لهذا أوفدنى مولاى لازالة سوء التفاهم الحاصل بينه وبين رجال الدولة» فأجاب « ان الاشاعات هنا كثيرة من أن سموه عقد اتفاقاً بينه وبين الانجليز بالنسبة لشخصه ولابنه ، وأنهم ضمنوا له أملاكه فى مصر ، وتعيين أربعين ألف جنيه سنويا لنفقاته ، وملأوا آذان السلطان بهذه الاشاعات ، فأرى لتكذيبها أنه يحسن مجيئه لتمضية شهر الصيام فى الاستانة ، ثم يرجع إلى سويسرا » فأجبته « بأنى لا أخفى عليه أن الانجليز لما علموا بخروج الخديو من الاستانة غاضباً مما كان يراه من سياسة الصدر السابق انتهزوا فرصة إقامته فى بسويسرا للتقرب منه وحاولوا فعلا أن يستميلوه اليهم ، وقالوا : انهم يضمنون له أملاكه فى مصر وفى الاستانة ، ويرفعون الحراسة عنها ، ويقررون له مخصصات سنوية . ولكن الخديو لم يعقد اتفاقا بل كان يسمع ذلك من اذن فيخرج من الأخرى ، لأنه كان يريد بذلك اكتساب الوقت ، ويقول : «إن دوام الحال من المحال » وبالفعل حصل التغيير الأخير فى النظارة

« فهو الآن مستريح البال بوجودكم على هذا الكرسى

« وأن الجناب العالى لولم تكن تنغيصات البرنس سعيد لما خرج من الاستانة ، فانه يود أن يكون فى سرايه محفوفا بعائلته وحاشيته، ولكنه ما كان يأمن على حياته » ، قال : «نعم ان التنغيصات كانت بين عضوين من عائلة واحدة ، ولكن رجال الحكومة لم يكن لهم دخل في ذلك»

قلت : «صحيح ، والخديو يتذكر زيارتكم الأخيرة له مع خليل بك ، وقولكم له : « ان رجال الحكومة لا يضمرون نحوه شيئا » وطلبكم منه زيارة الصدر السابق ، وكان يظن أن هذه الزيارة تصلح الأمور ،إلا أن سعيد حليم لم يقابله مقابلة مرضية ، ولهذا ترك الاستانة

«أما الآن فانه آمن بوجود فخامتكم فى الصدارة وإنما يخشى لو حضر للاستانة

من انتقام الانجليز منه في أملاكه بمصر ». فقال: « وهل انتقموا من سعيد حليم؟ ». قلت: « لا إنما مركز الاثنين ليس واحداً، وبما أن الخديو مدين للبنك العقارى فما على الانجليز إلا أن يطلبوا من البنك توقيع الحجز على أملاك سموه وطرحها في المزاد، فتباع بالغبن وتؤخذ في مقابلة الدين المطلوب منه، مع أنها تساوى كثيراً ويكون هذا العمل شرعيا ». فقال: « أنا لا أظن أن الانجليز يفعلون ذلك، ولو فعلوا حقيقة لفعلنا نحن أيضا فى أملاكهم عندنا مثل هذا ونعوض الخديو عن كل ما يخسره، فضلا عن اننا نسهل لسموه معيشته بتقديم المـــال الذى يلزمه، وقد أعلم أنه يخشى على حياته فانا أعطى له « كلمة شرف » أن حياته لن تمس بضرر، وانى أصحبه برجالى، وأضمن له حرية السفر من الاستانة وقت مايريد للرجوع الى سويسرا ».

قلت: « هذا طيب، والذى يطلبه سموه أن تعامله الحكومة معاملة محب لا معاملة عدو، كما يليق بمركزه، وهو مستعد للقيام بأية خدمة تطلبها منه الحكومة ».

فقال: « لاشك اننا لانتأخر في الاعتراف لسموه بكل حقوقه، فنحتفل به كما يجب للخديو » فدعوت لفخامته بالنجاح في مشروعاته والتوفيق فى أعماله وطلبت منه أن يأذن لي بالمقابلة قبل سفرى فأجاب طلبي، وقمت من عنده منشرح الصدر.

مقابلة ناظر العدلية: وفى ١٧ منه قابلت خليل بك ناظر العدلية الجديد « الحقانية » وبلغته سلام الخديو فابدى شكره ثم أوجزت له بيان مهمتى فقال: إنه قرأ جواب الجناب العالى إلى الصدر وكرر لى مسألة الاشاعات فأكدت له أن سموه لم يعقد عقداً مع الانجليز على الرغم من المساعى التى تقدموا بها، ولما علم بما قاله لى الصدر عن حضور الخديو إلى الاستانة قال: أن لاخوف على

خليل بك ناظر العدلية

سموه من التنغيصات السابقة . فان المنغص صار بعيداً عن الحكومة ، وإن الوكلاء الحاليين محبون لسموه .

أذناب الصدر : وقابلت صفا بك صاحب جريدة العدل ، وهو مصرى ومحب للخديو ، فعرفني أن أذناب الصدر السابق انزووا ولم يبق منهم صاحب نفوذ إلا الشيخ عبد العزيز جاويش والدكتور احمد فؤاد ، وأن احمد بك صادق والشيخ محمد عثمان يجتمعان ويترددان على الأخير .

وعرفني بأن احمد فؤاد وشى به لما كتبه في جريدته العدل نقلا عن الجرائد التركية من أن الخديو عمل عملية فى لسانه فأخرج قطعة من رصاص أصابته ، وبقيت تحت لحم اللسان ، وقال العدل : « وهى الاصابة التى حصلت للخديو من المؤامرة التى دبرت لاغتياله » فادعى فؤاد أن كلمة المؤامرة يؤخذ منها أن مظهر الذى اعتدى على حياة سموه له شركاء . (والدكتور احمد فؤاد كان من ضمن المشتبه فيهم وشريكا لمظهر) مع أن الحكومة قالت : « إنها حادثة فردية » فكأن العدل بكتابته يكذب قول الحكومة ، وعلى ذلك مثل صفا بك أمام المجلس الحربى ، وصدر الأمر باغلاق جريدته ولكن لم يحكم عليه لأنه أتى بشواهد تفيد أن كلمة مؤامرة تحتمل معنى جماعة ومعنى فرد ، واستدل على ذلك بالعنوان وبالبلاغ الذى صدر بخصوص الاعتداء الذى حصل فى مصر ضد السلطان حسين ، وكتبت الجرائد أنها مؤامرة مع أن الفاعل كان واحداً .

والحكومة قطعت عن العدل المرتب الشهرى مدة ، ولكن بعد الجهد تمكن من إعادته .

مقابلة أخرى لأنور باشا : وفى يوم ٢٣ مايو قابلت أنور باشا فى منزله ، وعرضت عليه خلاصة تحريرية لمحادثتى معه ومع الصدر ، فقال : « إن خلاصة الصدر ينقصها شىء ، فان طلعت باشا قال لك : « إنه يحترم حقوق الخديوية » فقلت : « نعم لقد نسيت أن أدونها فى الخلاصة » .

قلت له : « وهل تسمح لى بأن أدون الخلاصتين فى صورة برقية مختصرة ، او رسلهما بامضائى الى الخديو بشفرة الحربية الى الملحق العسكرى بسفارة برن لتوصيلها بمعرفته؟ » قال : نعم . قلت : « وهل اذا حضر الخديو الى الاستانة تنوى الحكومة أن توعز الى المصريين بتقديم احتراماتهم له ؟ فان وجود حزبين واحد لسموه وواحد

للبرنس سعيد شيء غير حسن! » قال: « نوعز لهم بذلك ، فضلاً عن أن سعيد حليم ليس له الآن أى شأن ، وعلاوة على هذا سنكل الأمر في ترتيب المعاشات للمصريين الى الجناب الخديوى بدلا من اجراء التحقيق عنها بواسطة نظارة الداخلية » . قلت: « هذا حسن » . وأخيراً طلبت منه بموجب مذكرة ارسال برقية الى الملحق العسكرى في فينا لاجراء ما يلزم لدى السلطة العسكرية النمسوية لسفرى الى سويسرة بغير حجز فى كورنتينه ، وأن يرسل أمراً الى المحطة بحفظ سرير لى يوم سفرى فكتب مذكرة بصدد هاتين المسألتين لاعطائها الى مرافقه ، فشكرته وخرجت .

الحصول على ورقة رسمية : زرت بعدها الصدر وأطلعته على خلاصة محادثتى معه فقط ، فأخذ القلم وأصلح وأضاف عليها وسلمها الى ، فأخذتها وأنا فى غاية السرور لأنها صارت ورقة رسمية فيها كل الضمانات ، ولو أن فخامته لم يوقع عليها بامضائه .

وطلبت منه بمذكرة ، أن يأمر بتسهيل مبادلة بريد الخديو بين برن وفينا فوعد بأعطاء الأوامر .

واستفهمت منه عما اذا كان سيعطينى رد الجواب الذى أرسله له الخديو بواسطتى فأمر بأن احضر عنده يوم الاثنين المقبل ، أى قبل سفرى بيوم لآخذه .

وبعد رجوعى وردت اشارة تليفونية من أنور باشا بأن تكون الخلاصة التى ترسل للخديو خاصة بمحادثتى مع الصدر فقط ، وقد أعددت صورة هذه البرقية وتوجهت الى منزله يوم ٢٤ منه ولما لم أجده تركتها لمرافقه .

خطاب طلعت للخديو : وفى يوم ٢٨ منه قابلت الصدر ، فأخذت منه الرد على خطاب الخديو ، وفيه يقول: « إنه قابلنى ودار الكلام بيننا على المسائل المهمة ، وإننى سأعرض على سموه كل ما حصل من الحديث ، وإن فخامته رفع الى السلطان هذه الشئون فتلقاها بارتياح وسرور » . وبعد أن قرأه سلمه لى ، وقد استأذنته فى وضعه مع خطاب من دولة الوالدة في ظرف واحد وختمه من المراقبة ، لئلا يفتح فأجاب هذا الطلب .

السفر من الاستانة : وفي يوم ٢٩ منه سافرت من الاستانة فوصلت إلى فينا يوم ٣١ منه ونزلت فى فندق أمبريال .

عقبات : وقد وجدت فى طريق من العقبات مثلما لقيته فى المرة الأولى من جراء تأخير الأوامر ، فسلمت الأوراق التى أحملها إلى سفارة الدولة في فينا لتوصيلها

الى الجناب العالى فى زوريخ ، وقد وعد السفير باتخاذ الاجراءات اللازمة لسرعة سفرى بدون كورنتينه

مفاجأة بمقابلة الخديو : ولم أتمكن من متابعة السير إلا يوم ٨ يونيو فسافرت مساء إلى « انسبروك » وبعدها الى « فلدكرش » على حدود النمسا ومنها إلى « بوكس ». وفيها انتظرت حضور القطار الذى سأركبه إلى زوريخ ، فلما حضر توجهت الى المركبة ؛ واذا بنور الدين افندى يتلقانى ، ولما دخلت معه إلى « الديوان الخاص بى » وجدت الخديو واقفا فقال لى : « الحمد لله على السلامة » فقبلت يده وجلست معه وكان يبدو على وجهه السرور . فقال : « إننى لم أكن أعتقد أنك تصل إلى الاستانة ، حتى إنه لما وصلت برقيتك كنت بين مصدق ومكذب » .

قلت لسموه : « إننى بمعونة الله تعالى نجحت فى مهمتى نجاحا عظيما ، وحصلت على ضمانات وافية ، فى ورقة شبه رسمية لأن الصدر اطلع عليها وأضاف بخطه بعض ملاحظات فى خلاصة حديثى معه » .

وعند ماسمع الخديو ذلك ـ وكنا جالسين ـ وقف نصف وقفة وفتح ذراعيه وضمهما على ذراعى فى ابتهاج وسرور ، دليلا على امتنانه واعترافه بحسن صنيعى .

العودة إلى زوريخ : وبعد ذلك واصلنا السفر إلى زوريخ فبلغناها يوم ١٠ يونيو . وهناك استعلمت من سفارة الدولة فى برن عن وصول الأوراق ، فاذا بالسفير متغيب ، وفى اليوم التالى تسلمتها من السفارة ، وكان الخديو ينتظرنى ، فاطلع على خطاب الصدر ، وعلى الخلاصتين وتعديلات طلعت باشا ، فاطمأن . وقد أمر نور الدين افندي بترجمتها إلى اللغة الفرنسية .

السعى لموافقة النمسا وألمانيا على المخابرات : وفى يوم ١٢ استحضرنا الدكتور سيد كامل ، وأمره سموه بتنظيم المعلومات المبعثرة فى الأوراق ، ووضع كل منها تحت عنوان خاص . ثم فكرنا فيما يجب عمله بعد ذلك ، فاقترحت أن نسعى لموافقة النمسا وألمانيا على نتيجة هذه المخابرات لتأكيدها ؛ وبعد المناقشة اتفقنا على استحضار الدكتور امستر ، وتكليفه إيصال صورة من هذه المخابرات للنمسا وألمانيا ، وكذلك تحضير الترتيبات لديهما فيما يختص بمرور الخديو عند سفره للاستانة .

وقد قابلت سفير الدولة وسفير النمسا لتسهيل حضور الدكتور امستر ، ولكن بعد البحث علمنا أن حضوره يتعذر ، وعلمت أن الخديو سيرسل رجلا ألمانياً يثق به للقيام بهذا العمل ، ولم يصرح سموه باسم هذا الرجل .

تردد الخديو : وكان المنتظر بعد عودتى من الاستانة ناجحاً في مهمتى أن ينتهز الخديو هذه الفرصة ويبادر بالسفر اليها ، ولكن سموه ظل يتردد ويماطل وأراد أن يأمر جلال الدين مرة أخرى بالسفر فرفض ، فاستدعى عارف باشا من الاستانة .

وفى يوم ١١ يوليو جمعنا أنا والبرنس ابراهيم حلمى ، واجتمعنا مرتين ، وانضم الينا فى الثانية عبد الحميد شديد ، وتكلمنا في موضوع مهمتى في الاستانة ، فكان من رأى البرنس أن يتخذ الخديو خطة الانحياز إلى الاتراك ومحالفيهم أو الانكليز وحلفائهم ، وإذا اختار الجهة الأولى فينبغى الأسراع في تنفيذها ، وقد رجح هذه الجهة .

عندئذ أخرج سموه من محفظته صورة رسالة وردت له من الانجليز ، وفيها الشروط النهائية ، وقال : « إن بلفور رئيس الوزارة الانجليزية أرسل برقية يقول بضرورة اعتراف الخديو بسلطنة عمه البرنس حسين وإلا فلا ، وآخر موعد لقبول الشروط كما هى أو رفضها هو يوم السبت القادم ، ثم قرأ الشروط وفيها أن الخديو ينزل عن حقوقه فى عرش مصر ، وألا يطالب بشىء لولى عهده ، وأن الحكومة الانجليزية هى التى تنظر في مصلحته ، وأن يعترف بالحالة الحاضرة في مصر وبسلطنة عمه حسين ، وبألا يعود إلى البلاد . وفي مقابلة ذلك تخصص الحكومة المصرية له ألفى جنيه شهرياً مدة حياته ، وترفع الحراسة عن أملاكه ، وتصرف له مايزيد من إيراداتها (بعد وفاء قسط البنك) ولا تمانع فى قبض ما قد يخصه فى إيراد ما يمكن أن تتركه والدته أو أى إنسان آخر ، وأن يقف أملاكه لصالح أولاده .

وكان عباس يرى أنها شروط مجحفة بقدره ، خصوصا اعترافه بسلطنة عمه التى سلبها منه فضلا عن أنه ينوى محاسبته على أخذه فضيات وخيولا وعربات ليست للخديوية بل ورثها من والده . ولهذا فهو يفكر فى إرسال مذكرة إلى الأنجليز مؤداها أنه لا يقبل الحط من كرامته (بالاعتراف بسلطنة عمه) قال: « وإنه يرجح طرف الأتراك لو تساوت الشروط حيث لا يكون هناك حطة فى قدره فضلا عن إقامته فى بيئة إسلامية ، وإنما من جهة أخرى يرى أن المبلغ الذى سيخصص له من مصر محقق ، بينما الذى ستخصصه الدولة لا يمكن الاعتماد عليه ، حيث يقف أحد أعضاء مجلس النواب. ويقول بكثرة المبلغ : أو تأتى نظارة غير الحالية وترفض استمرار المخصصات التى تقررت بواسطة هيئة سابقة — ومن جهة أخرى فأنه يخشى

من تطاول بعض المأمورين عليه ، أو أنهم ينغصونه في معيشته . فكان رأينا جميعاً أن نطلب من ألمانيا ضمانة الشروط التى تعرضها الدولة؛ فقال الخديو: « إنه فكر فى أن يطلب من المحامى فورر أن يتكلم مع مسيو هوفمان الذى كان مديراً للأمور الخارجية فى سويسرا ، لتحصل بواسطته المخابرة مع سفير ألمانيا على هذه الضمانة وإن لم يقبل هوفمان فأنه يطلب حضور موسيو رشتهوفن (وكان عضوا بصندوق الدين والآن عضو فى البرلمان وصاحب نفوذ) ويكلفه بهذه المأمورية ، وانه سبق أن تقابل معه فى سويسرا ، وطلب منه التوسط ، فلما رجع الى برلين وتخابر مع ناظر الخارجية أرسل يقول: إن ألمانيا تكتفى بأرسال ولى عهده وادخاله فى مدرسة حربية ، ويعامل كمعاملة الأمراء ويأخذ نيشاناً ، وأشار بأنه يكفى أهلها ميل الخديو »

عند ذلك حصلت مناقشة فيما إذا كان البرنس عبدالمنعم يقبل السفر ، وكنت على علم باتجاه أفكار دولته من محادثاتى معه فقلت : لا ، لأنه يرجح جانب الانجليز وشديد قال أيضاً بذلك ، ولكنّ بتحفظ ، فقال عارف باشا : « نضعه في القطار غصباً عنه ونرسله » فضحكنا !

قال سموه: « اذا سافرت وحدى دون أولادى فان الأتراك يقولون: إنى تركت ولى العهد باتفاق بيننا على أن يسعى لدى الانجليز » فأجبناه بأنه عند وصوله للأستانة يعد رجال الدولة بضم نجله اليهم .

قال : وان الانجليز وقتها يرخصون ليوسف باشا صديق في دخول بلاد فرنسا ويتفقون معه على أن يقدم تقريراً فى حقى يدعى فيه بأنى قمت بأعمال عدائية ضد الانجليز ، وبذلك يحكمون على بحرمانى من أملاكى . قلت : « اذا حصل ذلك فان الدولة تعوض سموكم من أملاك الانجليز فى بلادها »

وقال : « إنى أفضل أن تكون أملاكى فى تركيا لأننى أكون حراً فى استثمارها وتأتى بريع أكثر . أما أملاكى فى مصر فاننى لا أراها بعد الآن والذى سيديرها يرسل لى خطابات فقط ويقول: لقد بعنا المحصول بكذا ، وعملنا كيت وكيت بدون أن يكون لى أقل سلطان على أعماله وآرائه

« ثم إنه يمكننى أن « أنشىء وقفاً » باختيارى أعطى من ريعه لمن أشاء ولأية جهة أريدها ، وليس محتما على أن أعطى إيراده لأولادى، لأنهم حينما يعلمون بذلك لايسألون عنى ، ولايبعد أن يسعوا فى الحجر على كأننى مسرف

ثم أخذ يشكو من معاملة الأتراك ، فقال: « إننى أرسلت برقية الى الصدر لمناسبة شهر رمضان بتهنئة السلطان بواسطته وبتهنئته أيضاً ، ولم يرد الرد للآن ، فقال البرنس ابراهيم : « إن مترجم الصدارة وهو أسعد بك من رجال سعيد حليم ، ولا يبعد أنه لم يعرضه ، على الصدر » فقال سموه : « هذا محتمل ، وسأرسل بتهنئة العيد »

وفى المساء اجتمعت بعباس وشديد، فدارت المناقشة مرة ثالثة في الموضوع، وشرح الأخير نظريته وهى : ماذا يكون الحال اذا حصل اتفاق مع الأتراك وصدق عليه من الألمان ، ثم سقطت الحكومتان. فهل نضمن أنه فى حالة عدم قيام الدولة بدفع المخصصات أن تقوم ألمانيا بدفعها ؟ واعتراضات أخرى ترجح كفة شروط الانجليز لأنها أكثر ضماناً . فقلت : « أما من جهة المال فان شروط الانجليز أضمن ، وما على أفندينا إلا قبولها خصوصاً وأن ميعاد التوقيع عليها قريب جداً ، مع أن المساعى التى سنجريها عند الألمان والأتراك تقتضى وقتاً طويلا ؛ ولكن ماذا يفعل الخديو بعد الحرب؟ فالأتراك لا يرضون باقامته فى بلادهم » قال شديد: « وربما حكموا عليه بتهمة انضمامه للأعداء » ثم قال: « إنما بعد سنتين أو ثلاث يجوز أن الحكومة التى تكون فى الأستانة وقتها ترخص فى الاقامة » قلت: «اذا كان أفندينا يرتاح لما يطلبه الانجليز وهو أدرى منا بصالحه فما عليه إلا القبول » فأجاب سموه بأنه لا يرى الاتفاق معهم من الجهة المالية فى صالحه ، لأن ألفى جنيه لا تكفيه ولا تكفى نفقات أولاده التى يقدرها بمائة وخمسين جنيهاً شهرياً لكل منهم ، ولو أضاف إليها ألفين أخرى من ريع أملاكه .

وأن شرط وقف الأطيان لذريته يغل يديه ، ولا يمكنه من عمل خيرات مثل إنشاء مساجد فى الجهات الخالية منها أو تعمير المندثر، وهذا الشرط يشجع الأولاد على أن يطلبوا موته في القريب العاجل . فضلا عن أن الاتفاق لا يذكر شيئاً بشأن ما يمتلكه فى شركتى الأزبكية والبيان فون ، فماذا يحصل لها ياترى بعد الاتفاق ؟ ثم شرط استيلائى على ريع ماقد تتركه الوالدة أو غيرها يثير اللغط حول سمعتى، فيزعم الناس أننى أنا الذى طلبت ذلك وهو دليل على رغبة فى موت دولتها .

وأخيراً قال : « لولا ما أتوقعه من التنغيصات عند وجودى في بلاد الدولة وما أراه من وجود أناس ضدنا لقبلت فى الحال شروط طلعت باشا »

وقال عارف: «إنه يظن بأن ذلك آخر كلام من رجال الدولة مع سموه، ومع ذلك يمكن أن نطلب منهم توفير الراحة لأفندينا في كل شيء» فاتفق الرأى على أن جنابه يحضر مذكرة ليأخذها الباشا، ويتوجه بها لطلعت، ويعرضها عليه ويقول له: «إن الأوامر التي كانت أعطيت لشفيق هي الكلام إجمالياً، وبما أننا وجدنا حسن قبول فنريد أن نتفاهم على التفاصيل، ومن جهة أخرى نبحث مع ألمانيا حتى نصل إلى ما نريد.

وكان الدكتور سيد كامل الذى لم يحضر اجتماعاتنا يعتقد بأن الخديو لن يذهب إلى الاستانة، ويعتقد أن كل مايفعله هو مناورات تاجر يريد أن يربح من أية جهة تعطيه أكثر من غيرها، حتى إن طلب سموه الحصول على ردود برقية من الاستانة على بعض المسائل مثل مسألة نور الدين هى سياسة دقيقة، الغرض منها أن يفهم الأنكليز أن الأتراك يهتمون به، وبذلك يضمن اهتمام الأنجليز به.

وفى ١٢ اجتمعنا عباس والبرنس ابراهيم وعارف وشديد وأنا، وقال سموه: «إن هذا الاجتماع يمكن أن نسميه عائلياً لأن البرنس من العائلة وأنتم من المخلصين لى»

وقد تناقشنا فى الموضوع فأخذ رأى البرنس فيما إذا كانت شروط الأنجليز مما يمكن قبوله. فقال: لا. وسألنى بعدها عن رأيى فتوقفت برهة وقلت: «إنها من الجهة الأدبية غير موافقة»

قال لأنى بقبولى هذه الشروط أكون عملت عملا يناقض الخطة التى اتبعتها مدة الاثنتين والعشرين سنة التى حكمتها.

قلت: «أما من الجهة المادية»، فقاطعنى سموه قائلا: «وهى أيضاً رديئة» فتكلم شديد شارحاً ماجاء فى الشروط، وقال: «إن المصريين حينما يقرأونها يقولون إن الخديو أجبر على قبولها نظراً لما حصل له من الضيق» فرددت عليه بأنهم سيعلمون أن الدولة عرضت عليه كلما يلزمه. وأخيراً تقرر كتابة مذكرة، فأخذ عارف باشا القلم ووضع رءوس المسائل.

وقد سافر الخديو بعد الظهر لمقابلة المحامى فورر فى سن جال للتكلم معه فى انتداب الموسيو هوفمان ليتولى المخابرات مع ألمانيا.

وفي ١٣ اجتمعنا فى فندق دولدر (فوق زوريخ) الخديو والبرنس وأنا، وعند المناقشـــة ابتدرنا سموه قائلا: «كيف يثق الأنسان بكلام الأتراك وهم كل يوم

يخلقون لنا الصعوبات ، فيكن أراد التأشير على جواز للسفر إلى الاستانة ، فقال قنصل الدولة فى زوريخ: « إنه توجد أوامر من مقتضاها عدم التأشير لرجال الحاشية إلا بعد الاستئذان » وكذلك حصل مع الشيخ عبدالحميد ، فكيف نتحمل كل هذه الاهانات ؟ إن الأحسن حينئذ أن نتحمل إهانة الأنجليز مرة واحدة ، ثم نستريح ولكننا مع الأتراك سنظل دائماً على ذلك الحال »

فأجابه البرنس بأنها أصول تقررت لاتباعها مع جميع المصريين بقرار وزارى فهى عامة .

وقد تكلمت أنا أمام سموه بالتليفون مع فؤادبك سليم فقال: « إن الأوامر صدرت منذ سنة ونصف تقريباً بألا يؤشر على جوازات سفر المصريين إلا إذا جاءت الموافقة من الاستانة ، فالذي قاله قنصل جنرال زوريخ من أنها خاصة بحاشية أفندينا غير صحيح »

ولما سمعت من الخديو انتقاده المر ظننت أنه غير فكره من حيث الاتفاق مع الأتراك فقلت له : « إن أفندينا يفعل ما يريحه ، وإذا كان متخوفاً من الأتراك فليتفق مع الأنجليز » . وكنت اعتقدت أنه تعرض لبعض المؤثرات من أمس لليوم ، فاحتج بمسألة يكن للتخلص من مشروع الاتفاق مع الأتراك حتى قال فى أثناء الكلام: « هاهو عملنا أمس ذهب بدون فائدة » قلت : « وهل الذى غير فكر أفندينا هو جواز سفر يكن؟ » فأجاب إنها مسألة مهمة

إلا أنه فى النهاية أمرنى بأن أطلب من عارف صورة المشروع ، وقرأناه وأضاف عليه أيضا نقطة تتعلق بحريته فى انتقاء مستخدميه، وأمر عارف بترجمته للفرنسية : وبعد أن خرج البرنس أمرنى وشديد بك بأن نبق معه للتفكير فى الرد الذى ينوى عمله فى صدد الاتفاق مع الأنجليز، فسألت زميلى عما يقصده؟ فقال : يعنى رفض الاتفاق ، وبعد الظهر اجتمعت به وبشديد، وتكلمنا فى الموضوع وكان يبدو على وجهه القلق وبما قاله : إنه يفضل كثيرا الاتفاق مع الأتراك إلا أنه لايأمن لوعودهم . وأخيرا قرر الاجتماع لآخر مرة فى المساء عند البرنس ابراهيم لاتخاذ قرار حاسم .

وقد سأله شديد عما قاله فورر فى مسألة توسط هوفمان، فقال: « إنه سيتكلم مع الاخير ولكن فى حذر، ولا يمكن أن يأتى الجواب إلا بعد ٨ أيام ، لأن هوفمان لدغ من الألمان مرة فلا يريد أن يلدغ مرتين ، لهذا يحتاج فورر أن يسوسه رويداً

رويداً ، ثم اجتمعنا فى المساء ، وتكلمنا فى الموضوع ، وكان سموه متردداً وكرر سؤاله لماذا لم يرد طلعت على برقيتى ؟ لماذا لم يرد على خطابى الذى أرسلته لأبراهيم بك أدهم وفيه تعليمات بأرسال برقية بشأن المحروسة ؟ فلا برقية وردت لى ولا أعلم إن كان خطابى وصل أو لم يصل . ولماذا لم يحضر حامد العشى المحجوز بفينا — مع أن عارف باشا طلب له الأذن من طلعت قبل سفره من الاستانة ، فأجاب بأن يقدم حامد الطلب كالمعتاد؟ فأجبناه بأن الخطاب ربما لم يصل ، أو أنه وصل ولكن البرقية التى يحتمل أن يكون أرسلها أدهم بك لم ترخص بها السلطة . أما حامد فلأن الأجراءات تستلزم مدة طويلة ، ومسألة رد الصدر على تهنئة رمضان فلعل أسعد بك قال لفخامته بعدم وجود سوابق ، قال سموه : فكيف أثق بالأتراك مادامت الصعوبات قائمة هنا وهناك ؟ ومن يضمن لنا أنهم لم يشعروا بالموجدة لأننا تأخرنا عن السفر للآن؟ فقال البرنس : إن برقية أفندينا له كانت قبل سفر دولته ولما قابله عارف باشا لم يظهر الصدر غضباً ، بل قال إذا حضر الخديو فيكون ذلك من صالحه وكلفه تقديم احترامانه . قال سموه : إذا كانوا متأثرين فربما يتأخرون عن قبول طلباتنا . قلت : لا أظن لأنها فى مجموعها لا تخرج عما يفكرون فيه بل فيها أشياء تثبت أن أفندينا مخلص لهم ، وإذا كان فيها نقطة واحدة تحتمل القبول أو الرد فهى تصديق ألمانيا ، والشروط كلها في صالحنا . قال سموه : إنك تقول حينئذ بقبولها قلت: أنا أقول ماأراه ، ولكن أرجو أفندينا ألا يتأثر بكلامى — والذى أعلمه أن سموكم لاتتأثرون بكلام إنسان فأن فى ذلك مسئولية — فقال: لا لاتخف ، وأخيرا قال: « ولكن مارأيكم فى الشىء المستعجل ، وهو الرد الذى لابد أن أعطيه غدا على شروط الأنجليز ؟ فأن المشهور عنى أنى أماطل ، وأنى أتنحى بسبب شىء طفيف ، وهل أرفض الشروط؟» فقلنا بأننا لانرفضها صراحة . وأخيرا اتفق الرأى على أن يتوجه شديد بك إلى السفارة الأنجليزية فى برن ، وينبئهم أن الخديو درس الشروط فوجدها صعبة عليه خصوصاً الاعتراف بسلطنة عمه ، وأنتم تقولون ألا تعديل فيها . فاذا كان لايمكنكم عمل شىء ، فسموه بدلا من كتابة جواب كما قال — سابقاً — يوفد مندوباً إلى انجلترا لأتمام المساعى هناك تخفيفاً لوطأة الشروط . وفي هذا الوقت يسافر عارف باشا فى أقرب فرصة إلى الاستانة ، ويعرض الشروط التى سنتفق عليها مع الأتراك ، وفى ظرف أسبوعين يتمكن من إرسال برقية نفهم منها هل الحكومة قبلتها

أولا . وفى حالة القبـــول نرفض شروط الأنجليز .

وفى هـذا الاجتماع علمت أن الأنجليز عرضوا شروطاً فى أول مرة فبدلها الخديو ، فقبلوا بعض التعديل ، ومن التعديلات أن يستمر مرتب ألفى الجنيه طول حياته لا لانتهاء الدين ، وأنهم سينظرون في إعطاء مخصصات لأولاده (ولكن لم تدرج فى الشروط) وأضافوا اعتراف سموه بسلطنة عمه ، وبأعطائه الباقى من ريع مايمكن أن يؤول إليه بالأرث أو غيره ، وحبس الوقف على أولاده ، مع أنه كان يحب أن يخصص شيئا للخيرات .

وفى ١٤ يوليو قابلت البرنس ابراهيم حلمى وعارف باشا فأظهر دولته ارتياحه لما سمعه منى ليلة أمس فى أثناء المناقشة ، وقال لعارف: « جزى الله شفيق خيراً » ثم قال: « يظهر لى أن هناك أناساً منهم شديد بك يشتغلون لصالح الأنجليز » قلت : وطبعاً منهم لوزانج . قال إنى قرأت الاتفاق الذى كان وضعه سموه والاتفاق الذى أرسله الآن الأنجليز والفرق بينهما كبير ، وأن الاتفاقين فى مجموعهما مضران ، وأن الخلافة والعالم الأسلامى والأوروبى يلومونه على مايصنع من هذا القبيل ويلومه الأنجليز فى الباطن ، وأنا إذا وقع سموه هذا الاتفاق فانى أقول له : « إن شاء الله يكون خيراً والسلام عليكم ، وأدعه لشأنه »

فأخبرت دولته بمناقشاتى العديدة مع سموه خشية لوم اللائمين على فى مصر أن يحسبوا أننى لم أقم بواجباتى نحوه ، وأنا أكبر الحاشية وأخبرته أيضاً بأنه أخفى عنى مخابراته مع الأنكليز ولم يعلمنى بورود الشروط منـــذ ثلاثة أسابيع إلا فى حضوره أخيرا .

وقد جاء النبأ بالتليفون من شديد أن اللورد اكتون لما علم باعتراض الخديو على شرط الاعتراف بسلطنة عمه ، وأنه إذا لم يقبل اللورد المخابرة مع انكلترا فى هذه النقطة فان سموه يرسل مندوباً من قبله إلى انكلترا .

أجاب بأنه سيبرق إلى انكلترا فى هذا المعنى ، ولكن ليعلم سموه أن لاشأن للورد الآن بالمسألة ، ولا داعى إلى إرسال تلفونات له ولا طلب مقابلاته بعد الآن .

قال عارف: « إن الخديو أخبره بأن جلال الدين باشا كلمه تليفونياً قائلا: إنه تحقق من وجود مندوبين فى سويسرا من المتحاربين للاتفاق على عمل الصلح . والمظنون أن الصلح يتم بعد ثلاثة أشهر فقال : إذا حصل ذلك فأنا لم أزل خديويا . وسأل

الباشا مدام نوزانج عن رأيها فقالت: إنها لا ترفض الأقامة فى الأستانة ، إلا أنها تخشى على حياة أفندينا !

مذكرة للصدر يحملها عارف باشا : وقد قرأ عارف باشا علينا المذكرة التى ستقدم للصدر بمعرفته، وبعد تعديل وإضافة أقرها عباس ، وهى تبتدىء بمقدمة يقول فيها : « إنه تلقى نتيجة مخابرات شفيق باشا بالرضى والشكران والافتخار ، وأنه كان كلف جلال الدين باشا أن يسافر إلى الآستانة لتقديم هذه المذكرة التى هى عبارة عن مقترحات لفخامته مع بعض إضافات وتمنيات ، ولكن لما رفض جلال الدين باشا السفر اضطر سموه أن يكلف عارف باشا هذه المهمة ، وهذا هو العذر فى تأخير الأجابة على المقترحات المذكورة . ومضمونها :

أولا : أن الحكومة العثمانية تعطى سموه المخصصات التى كان يتناولها من مصر طول مدة الحرب (يعنى مائة ألف جنيـــه مصرى سنوياً) وفى مؤتمر الصلح إذا كانت مصر ـ لاسمح الله ـ لا ترجع إلى حالتها الأصلية ، فالدولة تطلب من انجلترا أن تخصص لسموه أربعين ألف جنيه مصرى من الخزانة المصرية ، وفى حالة عدم النجاح تتعهد الدولة بدفع ألفى جنيه مصرى شهريا لسموه مادام حياً

ثانياً : الضمانات على حرية إقامتـه وخروجه إلى البلاد المتحالفة مع الدولة أو الدول المتحايدة والتأمين على حياته وإعطائه الاعتبارات الرسمية للخديوية فقد تلقاها سموه بالامتنان .

ثالثاً : أنه عند سفره إلى الآستانة ، إذا رفض البرنس عبد المنعم اتباع الخطة التى يتخذها والده فان سموه يطلب من الدولة ، فى أثناء الصلح . أن يكون ولى العهد هو البرنس عبد القادر

رابعاً : لما كان الاتفاق الذى حصل فى أوائل الحرب مع الخديو حصل باتحاد مع الدولة ودولة ألمانيا فيطلب سموه تصديق الثانية على هذه الشروط .

ثم يلى ذلك طلبات ثانوية منها دفع ديونه لغاية سفره من سويسرا (للمحامين والأطباء وغيرهم) وأن يرسل إلى سموه جواب من الحربية بأن المحروسة لا يصح استعمالها فلا تأخذها الحربية كما كانت عازمة على ذلك ، وألا يفاتح سمـوه فى مسألة زواج بنتيه لابنى السلطان . لأنه بلغه أن هناك محاولات من هذا النوع تبذل لدى حرمه فى الآستانة .

وقد سافر الباشا يوم ١٨ يوليو حاملا هذه المقترحات .

رد صريح من طلعت تعززه رسالة من أنور : وبعد هذا التاريخ لم يعد لدينا أعمال هامة فذهبت أنا لآخذ حمامات والتريض مع العائلة إلى أن كان يوم ٢٢ أغسطس فحادثنى عبد الله شديد تليفونياً وأخبرنى بحضور عارف باشا وطلب منى الحضور إلى جنيف يوم ٢٣ منه . ولما اجتمعنا قال الخديو : « إن طلعت باشا يتبع معنا خطة صريحة لاغموض فيها بعكس ماعرف عن الأتراك من المماطلات ، فقد أرسل لى جواباً يقول فيه : إنه يقبل كيت وكيت ويرفض نقطاً معينة وهى الخاصة بضمان ألمانيا فلا يقبل التدخل في الشئون الداخلية للدولة . وكذلك نقطة تخصيص مبلغ من المال شهرى في حالة عدم نجاح الدولة في استرجاع مصر ، فأن هذا الكلام يثير الانتقادات ضد الصدارة الحالية فما دامت غير واثقة من نجاحها فلماذا تبق فى مقاعدها . ومع أنى أحمد له هذه الصراحة إلا أننى أستدل من رده على أنه ليس بالرجل الذى يعرف الحل المناسب للمعضلات فأن نابليون قال بحذف كلمة مستحيل من القاموس » ثم قال سموه : أنا معترف بصعوبة مركز الصدر فى قبول النقطتين ، ولكن النقطة المالية يمكنه أن يجد لها حلا (وكان شديد اقترح أن يضمن البنك العثمانى الألفى جنيه شهرياً فوجده سموه حلا موافقاً) .

ثم قال : « وحينئذ ماذا استفدنا من الاتفاق مع الترك على هذه الصورة ؟ خصوصاً وأنهم لم يجيبونى على أى طلب من طلباتى حتى مسألة المحروسة ؟ أما الاتفاق مع الانكليز فأنه يضمن لى معيشة المستقبل ؛ فماذا ينفع أن الأتراك يعطوننى مخصصاتى مدة الحرب وبعدها لايضمنون لى شيئاً ؟ فهل فى مدة الحرب سأقتصد من المخصصات مبلغاً يكفينى لمعيشتى طول حياتى ؟ » .

قلت : « حقيقة ما كنت أتصور أن الأتراك يرفضون إجابة طلب أفندينا بتخصيص ألفى جنيه من خزانة الدولة بعد الحرب ، ولكن يظهر أن هناك صعوبات وعارف باشا كررها لنا وهى (أولا) أن الاتفاق على أمر مجهول العاقبة فى المستقبل لاقيمة له (ثانياً) أن كل اتفاق مالى يلزم عرضه على مجلس النواب ولا يمكن طلعت أن يقول للمجلس : « فيما إذا لم تتمكن الدولة من إرجاع مصر لحالتها الأصلية » فان أعضاء مجلس النواب يثورون على الحكومة ويقولون لها ولماذا دخلت الحرب ؟ . فما علينا إذن إلا أن نطلب من ألمانيا أن تكون هى الضامنة لهذا المبلغ » وأخيراً

طلبت قراءة خطاب الصدر ، فلما تلاه عارف وجدناه يقول : « إن المخصصات الخديوية تصرف شهرياً بصفة منتظمة ، (ولم يحدد مدة الدفع إلى نهاية الحرب) عندها استراح عباس نوعا ، وقد جاء فى الرد أنه تلقى خطاب سموه بالتعظيم ، وانه علم برغائب جنابه العالى التى أرسلها على يد عارف باشا وأنه جدد البحث مع زملائه فيها ويعرض أنه كما أجاب شفيق باشا بهذه الرغائب فأن الحكومة العثمانية ترى أنه من الطبيعى أن يكون لسموه الحرية التامة فى الأقامة بالاستانة والسفر منها إلى البلاد المحالفة أو المحايدة ، وأنها تصرف له المخصصات الخديوية شهرياً بانتظام وأن شئون المصريين ورجال سموه يرجع الأمر فيها إلى جنابه العالى ، وبالاختصار كل ما جاء فى مذكرة سموه ماعدا النقطتين المذكورتين ، فان الحكومة لاتجد طريقة لتطبيقهما . وأنه يلتمس تعريفه برقياً عند تشريف ركابه للاستانة .

وقد أرسل أنور باشا أيضاً خطاباً آخر لطيفاً يقول فيه : إنه متفق مع الصدر فى كل ماجاء فى جواب فخامته وأنه يرى الفائدة لسموه فى عودته إلى الآستانة ولا يلتمس من جنابه العالى إلا ثقته برجال الدولة » .

وعارف قال : « إن مجلس الوكلاء بحث فى رغائب الجناب العالى فى جلستين يوم الثلاثاء ويوم الأحد وأن الصدر هو الذى كتب بخطه الجواب على رغائب سموه وأمضاه باعتباره صدرا أعظم وناظرا للداخلية ، وقال فخامته لما سئل عن عدم التصريح ليكن بأخذ جواز سفره إنه لا يعرف الباشا من هو ، وعلى أى حال فانه صدر قرار وزارى بعدم التصريح بالذهاب لسويسره ، ولا بالأياب منها ، ويكن لم يطلب تصريحاً بالحضور إلى الآستانة باعتباره موظفاً خديوياً » .

شديد يزين للخديو جانب الانكليز وهو يرجح جانب الأتراك : وفى صباح ٢٥ أغسطس وجدت الخديو يتناقش مع شديد بك فى الموضوع والبك يقول : مادام الصدر لم يضمن لأفندينا المخصصات بعد الحرب ، وإن الطلبات التى أجاب عليها الآن ربما لا تكون لها قيمة فيما إذا تغير الصدر حينئذ لا فائدة من الاتفاق مع الأتراك بخلاف الاتفاق مع الأنجليز فان كل شىء فيه مضمون . وقد دهشت لما سمعت عباسا يجيب على هذه الملحوظات بقوة مفندا لها ومحبذا الاتفاق مع الاتراك ومع هذا قال « إن الباب مفتوح أمامى . فيمكن الاتفاق مع الانكليز كما يمكننى الانتهاء مع الدولة ، وإننى بعد كل تدبر أرى المنفعة فى الاتفاق مع الدولة

فانه يبقى لى صفة الخديوية، ويحافظ على موقفى السياسى ويضمن لى المعيشة بالراحة فى بلاد إسلامية وبين أهلى وحاشيتى؛ وأظن فى وقت الصلح لا ترفض إنجلترا تخصيص ألفى جنيه شهرياً لى.

وعلى ذلك تقرر أن يمهد للسفر وأن يكون بعد عيد الأضحى مباشرة — أى في أوائل أكتوبر — وتقرر أن نحضر مذكرة بالمسائل اللازم تنفيذها قبل وصول الخديو إلى الأستانة مثل إبعاد الدكتور أحمد فؤاد الذى يعمل الآن فى إدارة الأمن العام بتركيا فان الصدر قال: إننا بعد تجربة أربع سنوات لا نجد لهذا الشخص أهمية مطلقاً وإننا نبعده عن الأستانة إلى أى محل يريده أفندينا

وحصل الكلام بعد ذلك فى أن تنفيذ هذه المسائل يستلزم رجلا خلاف عارف باشا ولمح الخديو مرارا إلى بدون ذكر اسمى؛ ولكنى تظاهرت بأنى لا أفهم مايريده لأنه لا يمكننى أن أترك عائلتى وهى الآن فى معالجة من مرض.

ترتيبات السفر: عندئذ قرر أن يذهب يكن باشا باعتباره رئيساً للتشريفات الخديوية، مع عارف باشا، وأن تصدر إرادة خديوية لرمزى باشا طاهر بتعيينه سرياورا؛ ويقسم العمل إلى ثلاثة أقسام: عسكرى يشتغل به رمزى باشا والثانى يختص بجيبوقلى ويقوم به ابراهيم بك أدهم وثالث ملكى ويقوم به عارف باشا ويكن باشا يراقب. ويرجع الأخيران بعد تمام عملهما إلى سويسرة للالتحاق بالركاب الخديوى، ورمزى باشا وتوفيق بك فهمى الياور يحضران إلى فينا للالتحاق بنا أيضاً.

وقد كتبت مذكرة تتضمن (١) إرسال المال لدفع المطلوبات (٣٠٠ ألف فرنك) (٢) إرسال أوامر من الباب العالى لسفير الدولة في برن بالاستعداد للسفر مع الحاشية بصفة رسمية وبأخبار حكومة سويسرة بهذا السفر وبطلب إعطائها الأوامر فى صدد ذلك للحدود السويسرية، مع مخابرة دولتى ألمانيا والنمسا باعطاء الأوامر لسفيرهما بزيارة الخديو قبل سفره (٣) الحكومة العثمانية تتفق مع النمسا والبلغار على الترتيبات اللازمة للمرور بأرضيهما ولزيارة الأمبراطور والملك وابلاغ سموه بالترتيبات المذكورة قبل قيامه (٤) إذا كان للحكومة ملحوظات على هاتين الزيارتين فتبلغها لسموه تلغرافيا (٥) تعطى الأوامر لتسهيل سفر رمزى طاهر باشا وتوفيق بك فهمى إلى فينا مع عارف باشا لانتظار وصول الخديو إليها والالتحاق بحاشيته

(٦) طلب شفره لسموه لاستعمالها عند الحاجة مع البـاب العالى كالمعتاد من قبل، وتسلم ليكن باشا لاحضارها معه للسويسرة عند رجوعه من الآستانة (٧) المخصصات الخديوية ومرتبات الحاشية والقبوكتخدائية والمحروسة تصرف من النظارة المختصة لرئاسة الديوان الخديوى عند حضور سموه لتوزيعها بمعرفتـه حسب الأمر. (٨) تنفيذ وعد الصدر بابعاد أحمد فؤاد قبل سفره (٩) الترتيبات التى ستعمل للمحافظة على حياته من قبل إدارة الأمن العام أثناء وجوده بالاستانة تكون بالاتحاد مع من يخصصه سموه لذلك (١٠) الاستئذان من الصدر لمقابلة رئيس التشريفات ومدير الأمن العام وقومندانية مركز الاستانه – إذا لزم – لعمل الترتيبات والاحتياطات اللازمة لحضوره واستقباله على المحطة لزيارة السلطان.

والأوامر العسكرية تقضى بأن عارف باشا يقدم لناظر الحربية خطاباً من أفندينا رداً على جوابه وفيه يعلم سموه بأنه عين رمزى طاهر باشا سرياوراً ويعرفهما ببعضهما ورمزى باشا يطلب من أنور باشا صدور الأمر للبحرية باصلاح المحروسة والزورق البخاري الكبير واحضار ما يلزم لهما من الأدوات. وبأن يمد خزان وابور الكهرباء فى جبوقلى بالزيت ويصرف الأشياء اللازمة لمطابخ جبوقلى وسراى بك حسب وعد الناظر.

ولما علم شديد بأن من ضمن الطلبات ارسال ٣٠٠ الف فرنك لدفع المطلوبات قال: ان المبلغ لا يكفى. فرد عليه سموه قائلا: لا يا شديد بك. يكفى يكفى لان البنك له ٢٠٠ الف و ٢٠ الف للمحامين و ٣٠ الف للمشتريات اللازمة لبك وجبوقلى — ويبقى ٥٠ الفا. ففهمت من ذلك أن السلفة التى عقدها مع البنك هى مائتا ألف فقط، ولما خلوت بشديد عرفت الحقيقة وهى أن السلفة تعطى على أقساط شهرية ولهذا يقول الخديو: إنه بقى له لآخر الشهر مبلغ كذا. وعلمت أن السلفـة عملت من شهرين وعلى هذا فان الذى سيدفع للبنك ليس ٢٠٠ ألف فرنك بل المبلغ الذى سحب منه فى مدة الشهرين الماضيين والشهر الآتى أى لغاية السفر.

ومما سمعته من عارف أن أنور باشا يقول: إن الخديو عندنا الان – وفيما بعد — خديو، ومن الدين علينا له أن نقوم بمعيشته لآخر حياته وأن الألوف الجنيه التى يطلبها سموه قليـلة بالنسبة له. وإن كل ما يلزم لمطابخ بك وجبوقلى نعطيها من الحربيـة بالأثمان التى نعطى بها سراى السلطان وأعضاء العائلة الملكية، يعنى بأثمان قليلة جداً فمثلا أقة السكر بثمانية قروش بدلا من مائة وعشرين قرشاً

وفى يوم ٢٧ أغسطس أرسل الخديو برقية للاستانة بعزمه على السفر، وارسال عارف باشا ويكن باشا لعمل الاستعدادات اللازمة

اختيار بعض المصريين لمرافقة الخديو بالآستانة : وفي يوم ٧ سبتمبر اجتمعت أنا وشديد بك والدكتور سيد كامل عند الخديو ، وتحادثنا في الأشخاص الذين سيستصحبهم للاستانة غير الحاشية الرسمية؛ فسردنا أسماء المصريين فى جنيف ولوزان وزوريخ : ثم نظرنا فى حالة كل منهم؛ وقررنا بادئ الامر عدم أخذ الطلبة، ولا الذين جاهروا بالعداوة مثل محمد فريد بك ، وتقرر أن كل واحد منا (أى شديد وسيد كامل وأنا) يبلغ بعض المنتخبين بسفر الجناب العالى ؛ وأنهم إذا أرادوا التماس سفرهم فى معيته فاننا نبلغ التماسهم . وكان في الكشف ٣٤ اسما ، فانتخب منهم ١٤ هم اسماعيل لبيب ، على الشمسى ، احمد بك فريد (ورئى تعيينه تشريفاتيا خديويا) والدكتور زاهر ، والاستاذ فهمى (وتقرر تعيينه فى جنيف لمراقبة الصحافة وما يكتب فيها بخصوصنا نظير راتب نرسله له) والاثنان الأولان يخبرهما شديد بك والدكتور سيد كامل ، والثلاثة الآخرون أخبرهم أنا؛ وأن أكلف الأستاذ فهمى بأن يستطلع رغبة كل من عثمان افندى الديب ومدكور وصفر (إذا كانوا أمضوا الامتحان) أما الشيخ عبدالحميد فانى أستفهم من البرنس ابراهيم حلمى عما إذا كان يريده عنده لغاية رجوعه إلى الآستانة فيبقى ، ويأتى معه ؛ وإلا فنأخـــذه فى المعية ؛ واستجلاب مصرى اسمه صالح يستخدمه الانجليز فى سويسرة للاستفادة من ذكائه واقتداره فى مصلحتنا بالآستانة ، وآخر اسمه نجيب ندخله فى مدرسة الطب بالاستانة ليختلط بالطلبة المصريين ويعرف نواياهم . وكذلك تقرر أن يرافقنا منصور أفندى القاضى



احمد فريد بك

الذى كان يصدر جريدة النيل بلوزان ، وهو رئيس الجمعية المصرية وجمعية الرابطة الاسلامية ؛ وقد عين رئيسا للحسابات بالخاصة (١)

عودة الخديو للاستانة : وافق رجال الحكومة التركية على جميع الترتيبات التى اقترحها الخديو للسفر ، وزادوا فى التسهيلات أن وضعوا سفير الدولة فى سويسرة تحت تصرفه لتسهيل كل ماقد يعترضه من العقبات ؛ وصرح طلعت باشا بأن للخديو أن يستصحب من يشاء (إشارة لصاحبته) وعندئذ أخذنا فى الاستعدادات النهائية فأشرت فى يوم أول اكتوبر على جوازات السفر من قنصلية الدولة وقنصلية النمسا لى وللمسافرين معنا ، وبينهم ثلاثة من السويسريين : أحدهم بوظيفة سكرتير ، والثانى مهندس معمارى ، والثالث مهندس حدائق ؛ وتقرر أن يكون السفر لزوريخ يوم ٤ اكتوبر . وفى هذا اليوم ودعت حريمى وأولادى وغادرت جنيف ظهراً

السفر : وفى يوم ٥ اكتوبر كان جميع المسافرين فى محطة زوريخ . فركبنا القطار الخصوصى ، وهو مركب من عربتين للنوم وعربة متاع . وكان على المحطة للوداع دولة البرنس محمد على ، وسكرتيره ، ونجلا الخديو البرنسان عبد المنعم وعبدالقادر ، وسفير الدولة ، ومندوب من الحكومة السويسرية ، ونشأت باشا الألبانى وأخوه ثريا بك ، وعبد الله البشرى (الذى رجا الخديو أن يتأخر شهراً ليطمئن على أحوال عائلته فى مصر بعد وفاة والده) ورشيد بك أحد الأتراك ممن لهم علاقة قديمة بالخديو ، وهو من « جماعة تركيا الفتاة » وكان مدة الحرب يقيم فى جنيف وشديد بك . وركب معنا بعض المودعين إلى الحدود السويسرية . ولم يفتش متاعا عند هذه الحدود . وفى محطة « فلدكرش » النمساوية أضيفت للقطار عربة طعام . وتناولنا الغداء الفاخر على حساب الدولة التركية كبقية نفقاتنا فى السفر .

الوصول إلى فينا : وفى صباح يوم ٦ وصلنا إلى فينا فوجدنا فى استقبالنا ضابطا ورجلا ملكيا ، والدكتور امستر ، ورجال السفارة العثمانية بدون السفير حسين حلمى باشا ، الذى أرسل سيارته ليركب فيها الخديو ، فقصدنا فندق امبريال .

زيارة امبراطور النمسا : وبعد الاستراحة قدم السفير للزيارة ، ثم ركب مع سموه إلى قصر الامبراطور الذى يبعد عن فينا قليلا لاجابة دعوته للغداء .

---

(١) وقد بقى بالاستانة حتى الهدنة فعاد إلى السويسرة

وبعد العودة علمت أن سموه جلس على يمين الامبراطورة، وجلس الامبراطور على يسارها، وان الامبراطور سأله: هل تأتيه أخبار من مصر؟ فلم يقو على إجابته بأن الأخبار منقطعة بينه وبينها، وأجاب «نعم»!

حادث مكدر: ثم غادرنا فينا فى المساء، وما كاد القطار يبرحها حتى وقعت حادثة مكدرة ذلك أن إحدى نوافذه أصيبت بمقذوف نارى كسر زجاجها، ولما وصل إلى مدينة صوفيا قدم سكرتير الملك، وأبدى لسموه الأسف على غيابه عن المدينة، وكذلك استقبله سفير الدولة ورجال السفارة.

ومن بليجراد كانت قد أضيفت عربة حربية بها ضابط ألمانى، وقوة معه بالاستعدادات التامة للمحافظة على القطار.

وفى يوم ٨ وصلنا الى لولى بوغاز، فوجدنا مفتش الحدود العثمانية واصف بك وزميله فى انتظارنا، لمرافقتنا الى الآستانة. وركبا هما واثنان من الجند معنا.

الوصول إلى الآستانة: وكان القطار قد تأخر عن ميعاده فى بلاد البلقان نظرا لسقوط قاطرة على الخط فانتظرنا ساعتين حتى أخلى الطريق؛ ولكن عوض المسافة في بلاد البلغار وجزء في أراضى الدولة بحيث بلغنا الآستانة فى الميعاد المضروب وهو الساعة الثانية بعد الظهر؛ وقد كان فى بعض المحطات الكبيرة بضعة عساكر لتأدية السلام.

وكان فى انتظارنا على محطة سركه جى رئيس المرافقين، والأمين الأول لجلالة السلطان، ومستشار الصدر بالنيابة عن الصدر، ومستشار الحربية بالنيابة عن أنور باشا، ومدحت شكرى كاتم أسرار جمعية الاتحاد والترقى بالنيابة عنها، وفصيلة من الجند ومعها الموسيقى التى عزفت عند وصولنا، ثم ضباط المحروسة وعلى رأسهم الميرالاى ابرهيم أدهم بك، وانضم اليهم توفيق بك القائم مقام المرافق الذى كان قد حضر الى فينا مع السرياور رمزى طاهر باشا، وفصيلة من بحرية المحروسة، ثم بعض المحبين، ومن بينهم عزت باشا زوج فائقه هانم افندى.

ونزل الخديو من القطار، فسلم على المندوبين أولا؛ ثم استعرض فصيلة المعسكر الشاهانية، وأثنى على قائدها؛ ثم سلم على باقى الحاضرين في المحطة الا عزت باشا فانه أشار اليه بيده من بعيد، فتأثر، ولما رآنى شكا لى من هذه المعاملة، وقال: انه لا يعلم السبب لهذا الأغضاء.

مقابلة السلطان : ثم ركب الخديو سيارته ومعه مندوبو السلطان ورمزى طاهر باشا ؛ وركبت أنا وعارف ويكن فى سيارة أخرى تابعة للحربية : وتوجهنا إلى سراى يلدز ، وقابل السلطان محمد رشاد[1] منفرداً : ثم رجعنا إلى بيك بدون المندوبين .

الخديو يستخف بجلالته : ولما عاد الخديو أبدى لنا استخفافه بالسلطان الذى حادثه فى تغيير « بوابة » سراى ضولمه باغجه .

وكذلك علم من جلالته أن امبراطور ألمانيا طلب أن يرى السلطان عبدالحميد ؛ فبهذه المناسبة قال : « إنه يحب شقيقه وإنه يراعيه ولا يريد ضرره » فقال الخديو : « كان كلامه مثل الصغير الذى يحس بذنب ، فيبتدىء بتبرئة ساحته قبل أن يسأل عنه ! »

ومما دار الحديث فيه مسألة ثورة الشريف حسين في مكة : ولما أراد الخديو أن يقول : « ربما كان للشريف عذر » نفى السلطان ذلك بشدة .

زيارة الصدر للخديو : وفى يوم ٩ منه زار الخديو الصدر فى منزله ، فأخبره بأن امبراطور ألمانيا سيحضر لزيارة السلطان ، وأن سموه سيدعى للمأدبة التى ستقام لجلالته ، ولمح بأن سيكون من بين المدعوين البرنس سعيد حليم ، وسأل سموه عما إذا كان سيخاطب البرنس؟ فأجابه بأنه لا يود الحديث فى الشخصيات ، وأظهر عدم استعداده لمخاطبته قائلا : « إن المائدة كبيرة فليس هناك ما يدعو للتقرب » .

وروى لى سموه أيضا أن الصدر قال له : إن وجوده الآن فى الاستانة معهم سيفيد الحكومة العثمانية من خبرته ومعلوماته ، فأجابه بأنه مستعد لأية خدمة عامة وإنما لا يحب أن يتدخل فى مسائل شخصية

قال الخديو : « ولو ضممنا ماقاله السلطان عن الشريف ، وماقا له الصدر تبين ان الاتراك سيطلبون منى أن أساعدهم فى المسألة العربية ، وقد رأيت من الصدر صراحة عجيبة »

زيارة ولى العهد : وبعد الظهر زار الخديو الأمير وحيد الدين ولى عهد السلطنة العثمانية

وفى يوم ١٠ زار شيخ الاسلام فى مركز المشيخة ، وبعد الظهر زار الأمير

---

(١) صورج ٢ ق ٢ ص ١٨٣

عبـد المجيـد في جاملجـة : وهو الأمير الذى يأتى بعـد ولى العهـد وبينه وبين الخديو مودة خصوصية الحفاوة بالخديو : وقد لاحظت من



الأمير وحيد الدين

يوم حضورنا إلى الاستانة أن المحبين هرعوا إلى بيك للسـلام ؛ وفي هذا اليوم حضر الصدر ورد الزيارة لسموه ؛ وفى أثناء الحديث عرضت مسائل شخصية ، فتنحى الصدر عن الدخول فى الموضوع بناء على ما رآه من رغبة الخديو وكان سموه يريد أن يوفدنى له كانى ذاهب من تلقاء نفسى لزيارة خصوصية ولأعلمه بارتياحه لما رآه من الحفاوة ، وأضيف إلى ذلك تحذير الصدر من الدخول في مسائل سموه الشخصية ، ولكن بعد زيارة اليوم والحديث الذى حصل كلفنى أن أبلغه بأنه يقدر سياسته التى يلتزم فيها اجتناب الحديث فى المسائل الشخصية حق قدرها ، وروى لى أنه عرف من الصدر رغبته في ارجاع الاتراك المخالفين للاتحاديين إلى الأستانة بأية وسيلة كانت ، والغرض من ذلك ألا يسمع لهم صوت معارض عند المناقشة في الصلح ، ولهذا لما كلمه سموه فى دخول نشأت باشا الأستانة : قال « إنه لا يرى مانعا من ذلك » وحضر أنور باشا وشيخ الأسلام للزيارة

أسف الأمبراطور على الحادث المكدر : وفى هذا اليوم ورد من سفير النمسا خطاب يقول فيه بورود برقية من سكرتير امبراطور النمسا يعرب فيها عن أسف جلالته والملكة لحادث كسر الشباك بديوان سموه في القطار المخصوص ، وأنه تحقق بأن ولدين صغيرين كانا يقذفان الحجارة على القطار عمرهما ٧ و ٨ سنوات .

وقد أرسلنى سموه الى سفير النمسا لأعرب له عن شكره لاهتمام الأمبراطور والأمبراطورة بارسال البرقية ، وأن أرجو رفع هذا الشكر لجلالتهما ؛ ثم لمحت فى كلامى الى انتظار الخديو لزيارة التراجمة حتى يحضر هو ويؤدى الزيارة للسفراء

فأفهمنى أن الحكومة العثمانية أظهرت رغبتها فى عدم استخدام التراجمة فى الأعمال الرسمية ، لأنها عادة قديمة كانت متبعة عند وجود الامتيازات ، فألغيت بألغائها. وقد حضر ناظر الخارجية فى بيك ، فكلمه عارف باشا فيما يلزم اجراؤه ، فقال : «انه سيخاطب سفير النمسا وهو أقدم السفراء ويفيدنا بما يتقرر .

عباس وامبراطور ألمانيا بالاستانة : فى يوم ١٤ أكتوبر وردت مكاتبة من الصدارة بها دعوة للجناب الخديوى للحضور الى محطة سركة جى يوم ١٥ منه فى الساعة الحادية عشرة ليكون مع جلالة السلطان فى استقبال امبراطور ألمانيا ؛ وفى هذا اليوم أخذ سموه معه رمزى باشا طاهر وتوفيق بك فهمى الى المحطة ، وكانوا جميعاً يرتدون كساوى التشريفات الكبرى ، وكان الترتيب كما يأتى : السلطان وولى العهد وباقى الأمراء، وبعدهم الصدر، ثم الخديو، ثم شيخ الأسلام والوزراء .

وقد لاحظ سموه فى تأثر أن يكون ترتيبه بعد الأمراء ، فكأنهم رجعوا إلى ترتيب صدارة سعيد باشا الاخير الذى كان يصمم على أن يكون ترتيبه قبل سموه وتساءل عما إذا كان هذا قد حدث عفوا؛ ولكنه استدرك بأن الصدر أخذ موقفه بشكل يدل على أنه يعرف هذا الترتيب من قبل . فقلت : « لعله عمل ذلك ليرى الامبراطور أن مقامه أعلى من مقام الخديو » فقال عارف : « ومن جهة أخرى يفهمونه أن مسألة مصر داخلية » ، وشاركه الخديو فى الرأى . ثم قال :

« ولما سلم الأمبراطور على من كان قبلى سلم على وحادثنى بالألمانية قائلا : « لقد مرت مدة طويلة لم نتقابل فيها ، وابيض شعر رأسينا .فأجبته : « إننى وإن كنت لم أحظ بمشاهدة جلالتكم فأننى رأيت أولادكم عندى فى مصر » فقال : « أنا آسف لما فاتنى من زيارتها، وأولادى كان حظهم أوفر برؤيتها » . يعنى أن الامبراطور عنى به أكثر من الآخرين .

وقد جمعنى سموه مع عارف وقال : « إن الأتراك لم يعلمونى هل المطلوب منى زيارة الأمبراطور ؟ مع أن ذلك من الواجب على ؛ ثم يلزم أن أعرف من الآن موقفى فى المأدبة التى ستقام »

وتقرر ذهاب عارف باشا إلى دائرة التشريفات للاستعلام ، بينما الخديو ونور الدين يمران على سفارة العجم، وعلى بعض النظار الذين حضروا للزيارة، لترك بطاقات لهم .

وكان رد التشريفات : انه حددت الساعة السادسة إلا ربعاً لزيارة الخديو للأمبراطور ، فتعجبنا لأهمال التشريفات إلى هذا الحد؛ فلو لم نسأل ما ذهب الخديو ، وعد ذلك منه تقصيرا .

أما ما يختص بترتيب سموه فأخبرنا أن أمين السلطان وممدوح بك التشريفاتى وواحداً من الحربية سيجتمعون فى السراى للاتفاق على هذه المراسم ، فتقرر مقابلة ممدوح بك ولفت نظره إلى ترتيب الخديو على المائدة ، ولفت نظر الصدر كذلك ولمعرفة ما تقرر .

وقد ذهب عارف إلى سفارة العجم فقابل الخديو وأخبره بما عمله ، ثم عادا فلبس كسوته العسكرية حسب أمر التشريفات ، وذهب مع توفيق بك إلى يلديز فى الميعادالمحدد ، فوجدالصدر والوكلاء يلبسون « الردنجوت » فقال له الخديو :« إننى لم أكن أعلم بالزيارة إلا بعد ان أرسلت للتشريفات مستفهما ؛ وهاهم أولاء قد ألبسونى الكسوة العسكرية ، وأنتم جميعا بالردنجوت ، مع أننى كنت قبلها لابساً مثلكم ! »فأجابه طلعت : « ولكنك عسكرى »

وكان الترتيب : أن يبتدىء ولى العهد بالزيارة ، ثم الخديو ، ثم النظار ، وبين كل زيارة وأخرى ربع ساعة . فلما خرج ولى العهد نودى على الخديو فدخل . ومكث مع الأمبراطور عشرين دقيقة ، ولولا أن الضابط نبه جلالته إلى فوات الوقت لاستمر فى محادثته

رأى الامبراطور فى الانجليز والاتراك : وقد انحى الأمبراطور إنحاء شديداً على الانجليز ، وانتقد الملك انتقاداً مرآ ، واعتبره عديم القيمة . قال : « وإننى عالم بما نالك أنت منهم » ثم أضاف : « وماذا تقول فى صاحبك الذى ذهب مع همشير (اسم الوابور الحربى) ـ وأشار بأصبعه ـ فى مقر البحار ؟ فذهب كتشنر حيث لا يرجع» ثم قال : — أى الأمبراطور — «إنه محب للاسلام ، وأنه من تاريخ زيارته الأولى عزم على مساعدته ، والمسلمون عندهم القرآن ، وهو قانون عظيم جدا لو اتبعوا مافيه لأفلحوا . ولكن بكل أسف أرى أنهم يهملون قواعده . فكيف يترك الأتراك أراضيهم بدون زرع ؟ أما أنت فاننى أعرف بأنك مزارع كبير واشتغلت كثيرا بالفلاحة» فأجابه الخديو نعم « أنا فلاح » قال : «ويلزم أن يشكل الأتراك إدارة

طية ، فيقيموا العدل فى المحاكم ، ويستغلوا أراضيهم ، وينظموا ماليتهم ، ويخلعوا عنهم رداء الكسل حتى تتوفر الثقة الأوربية بهم .

قال الخديو : « ومن ذلك علمت أن زيارة الأمبراطور ليست زيارة ودية ، بل زيارة عمل، وأساسها الكلام مع الاتراك فى مسألة إلغاء الامتيازات، فكأنه سيقول لهم : «إنكم تطلبون هذا الالغاء ، ولكن ماذا فعلتم لاجتذاب ثقة أوروبة نحوكم ؟ » ثم يفهمهم أن المانيا ضمنتهم فى مبالغ كثيرة فماذا صنعوا لتحسين ماليتهم حتى يمكنهم فيما بعد سداد الاقساط ؟ »

أما أنا فاعتقدت أن الغاية من هذه الزيارة هى التدخل فى شئون الدولة الداخلية بحجة الاصلاح ، وتعيين ألمانيين فى الادارات .

وقال الخديو : « إنه وجد الامبراطور موفور الصحة ، ولا يظهر عليه التعب ولا القلق، بخلاف امبراطور النمسا الذى هو شاب لطيف الخلقة ، إلا أنه يظهر عليه الاجهاد »

وقد سأل عارف عما اذا كان الأمبراطور قال شيئاً بخصوص الحرب ، أو انه قال على العموم : « إن النصر فى جانبه » فأجاب سموه بأن الأمبراطور لم يفاتحه فى مسألة مصر على الاطلاق . وذلك طبعا لأن الاتراك أفهموه أنها مسألة داخلية ولكن الحقيقة أنها مسألة دولية .

ومن المحتمل أن سموه لمح لجلالتــه بأنه اعتماداً على ما أظهره طلعت باشا من حسن السياسة معه قبل الرجوع للاستانة ؛ ولكنه لم يصرح لنا تماما بذلك بل لمح تلميحاً خفيفاً .

قلت: « ياحبذا لو دعا الامبراطور افندينا لزيارته، ورافقه فى الجهات العسكرية فانه يتمكن من الكلام الطويل معه في مسائلنا » فقال: « نعم يكون حسنا »

وفى يوم ١٧ منه ذهب عارف ويكن إلى التشريفات للاستفهام عن مكان سمو الخديو فى المأدبة الرسمية التى ستقام فى السراى للامبراطور . ولما حضرا علمنا أن السلطان سيجلس فى الصدر، وعلى يمينه الامبراطور، وأمامهما ولى العهد ومجيد افندى وعلى يمين الامبراطور حقى باشا سفير الدولة فى برلين ، ومن بعده ناظر خارجية المانيا ، وبجانبه سمو الخديو . وفى المساء وردت دعوة رسمية لحضور المأدبة

عباس يشكو من معاملة ناظر الخارجية الالمانية : وقد سافر الامبراطور مساء



امبراطور المانيا خارجا من سراي يلدز

يوم ١٨ منه وكان الخديو بين المودعين لجلالته على المحطة ، ولما عاد من وداعه وجدته ممتعضاً من ناظر خارجية المانيا لأنه لم يتحادث معه فى شأن ما من الشئون السياسية ، مع كثرة التقارير التى أرسلها له بواسطة موسيو پادل ، وموسيو لندمان (تاجر الاقطان بمصر) والبارون رشتهوفن

ولكنه كان مسرورا من حفاوة الامبراطور به لأنه عند الانصراف من المائدة تحادث معه فى أنه مضى وقت طويل ولم يتقابلا ، وختم كلامه معه بقوله : « ولا تطول مدة البعاد كما سبق »

ولكن هذه الحالة من ناظر الخارجية الالمانية جعلت الخديو يتخوف من أن يكون هناك اتفاق بين الاتراك والالمان على هضم الامتيازات المصرية بعد الحرب

مرتبات المصريين : كان من ضمن الاتفاقات بيننا وبين الصدر وأنور قبل عودة الخديو أن تصرف الدولة مرتبات المصريين الذين يرافقون الخديو ، وقد كلفنى وضع ميزانية بهذه المرتبات ، وكذلك وضعنا ميزانية للمخصصات الخديوية والجبوقلى والمحروسة .

وفى يوم ٢١ اكتوبر قابلت أنور باشا ، وطلبت منه أن يأمر بارسال جميع المخصصات والمرتبات إلى البنك الذى يختاره ، ليتولى الديوان الخديوى توزيعها بمعرفته وسألته عن الاجراءات الواجب اتباعها ، وهل ترسل الكشوف للصدارة أو للحربية مباشرة ؟

فقال : « أما المخصصات فأمرها معلوم ، والمرتبات التى كانت تصرف من قبل سيستمر صرفها . وأما مرتبات من حضر مع الجناب الخديوى فترسل ونحن نأمر بصرف الجميع » فشكرته وخرجت .

وقد أمر الخديو أن أعطى أنا وظيفة ناظر الديوان الخديوى ، وعارف رئيس الديوان التركى ، ويكن باشا رئيس التشريفات[1] وقرر مرتبا لكل منا قدره ١٧٥ جنيها تركيا ، وكان قد عزم على جعله ١٤٢ جنيها فقط ؛ فأبنت له أن هذا المبلغ لا يكفى وأنه يحسن أن يكون ١٥٠ جنيها فرفعه هو إلى ١٧٥ جنيها وسوانى بالرئيسين الآخرين وقد بلغت الزيادة فى المرتبات الجديدة ٢٣٥ جنيها تركيا ؛ لأن مرتباتنا نحن وإن كانت قد قطعت عند وجودنا بالسويسرة إلا أنها كانت محسوبة ضمن المرتبات القديمة . وقد رفعت لسمو الخديو الثبت الآتى :

---

(١) وكان قد عاد للاتصال بالخديو بعد ماعلمه القارىء سنة ١٩١٦

الديوان الخديوى مقارنة بين المبالغ التى تقررت الآن والمبالغ التى كانت تصرف

	الآن		قبلا	
	قرش	جنيه	قرش	جنيه
أحمد شفيق	٠٠	١٧٥	٠٠	٠٠
عارف باشا	٠٠	١٧٥	٤٥	١٤٢
يكن باشا	٠٠	١٧٥	٠٠	٠٠
رمزى باشا	٠٠	١٧٥	٤٥	١٤٢
ابراهيم أدهم بك	٧٦	٥٨	٧٦	٥٨
توفيق بك	١٩	٥١	١٩	٥١
الحاج محمد افندى	١٠	١٦	١٠	١٦
احمد فريد بك	٠٠	٦٥	٠٠	٠٠
منصور افندى القاضى	٠٠	٤٠	٠٠	٠٠
مأمون نجيب	٠٠	٢٠	٠٠	٠٠
ميشيل دهان	٠٠	٢٠	٠٠	٠٠
نور الدين افندى	٠٠	٤٠	٠٠	٠٠
احسان افندى	٠٠	٠٠	٧٨	٢٢
المجموع	٠٥	٦١١	٧٣	٢٣٣
ما كان يصرف قبلا	٧٣	٢٣٣		
الزيادة	٣٢	٣٧٧		
تنزيل نقص فى القبوكتخدائية	٥٠	١٤١		
الزيادة الحقيقية	٨٢	٢٣٥	فى الشهر	

القبوكتخدائية	الآن	قبلا
جلال الدين باشا	٠٠	١٥٠
عبد العزيز افندى	٠٠	٢٠
عبد السلام افندى	٢٠	٦½
وصفى افندى	١٤	١٤
عمر عادل افندى	١٥	٠٠
	٤٩	١٩٠½

	قرش	جنيه
مجموع ما كان يصرف	٥٠	١٩٠
الذى سيصرف الآن	٠٠	٤٩
النقص	٥٠	١٤١

وذكرت في نهايته ملاحظة وهى « إن استصوب أفندينا يقال في الجواب : إن هذا الثبت يحتوى أسماء المأمورين في الديوان الخديوى وفى القبوكتخدائية (الان) حتى يكون الباب مفتوحا لتعيين طبيب أو خلافه، وقد أضيف فيما بعد اسم الدكتور امستر السكرتير بمرتب ٧٥ جنيهاً

إهداء نياشين من الخديو : رغب الخديو في أن يستخدم حقه في إعطاء النياشين إظهاراً لسلطته بين المصريين ولدى الأتراك كذلك بعد أن عاد إلى الاستانة ممتعاً بجميع حقوقه ؛ وقد طلب منى أن أكتب إلى الصدارة بطلب بعض النياشين طبقاً للامتيازات الخديوية ، فلاحظ عارف باشا أنه ربما اعترضت الحكومة على ذلك ، وطلبت معرفة أسماء من سيمنحون هذه النيشانات ، فأجاب : هذه ليست للأجانب بل نقول : إننا سنوزعها على رجال المعية . وحرر الطلب فعلا ومعه ثبت بعدد النياشين من كل نوع .

وقد ورد الرد بالموافقة ومعه النياشين فوزعها سموه كالآتى

البرنس عبد المنعم	:	المجيدى الأول
عارف باشا رئيس الديوان التركى	:	العثمانى الثانى
رمزى باشا طاهر السرياور	:	المجيدى الثانى
عبد الحميد بك شديد	:	« «
ابراهيم بك أدهم ميرالاى	:	العثمانى الثالث
توفيق فهمى بك قائمقام	:	المجيدى «
احمد نور الدين افندى معاون	:	العثمانى «
حسين وصفى كاتب بالقبوكتخدائية	:	المجيدى الرابع
الحاج محمد افندى ضابط أركان حرب	:	العثمانى «
منصور افندى القاضى	:	المجيدى «
الدكتور سيد كامل	:	« «
إسلام قبودان	:	المجيدى الخامس

كيف تلقى الخديو خبر وفاة السلطان حسين وتولية السلطان فؤاد: في يوم ١٢ اكتوبر وردت لنا الأخبار بوفاة السلطان حسين كامل، وتعيين السلطان فؤاد، فقال الخديو: « أنا مسرور بما حدث. أولا لأن أولادى يعرفون الآن أن انجلترا لا تعاضدهم ولا تفكر فيهم، وثانياً لأن البرنس فؤاد غير محبوب من المصريين لأنهم يعلمون ميله للأيطاليين » ثم استطرد في أحاديث من هذا القبيل.

وقد وردت من شديد برقية بأن الذى خلف السلطان حسيناً هو نجله البرنس كمال الدين. وذلك أنه عرض عليه العرش فرفضه، ولهذا عين البرنس فؤاد.

بينى وبين عباس: كان اسماعيل حق باشا « مدير اللوازم » في نظارة الحربية قد وعد بشراء احراج (الجفلك) الجديد الذى يملكه الخديو بمقدار مائتى ألف جنيه، فسر بهذه الصفقة، ولكن المدير عاد فرأى أن الحرج لا يساوى هذا المبلغ وعرض مائة ألف فقط، فغضب الخديو لذلك. وفى أثناء مناقشات فى الموضوع يوم ٢٢ اكتوبر أبديت رأيى بأنه إذا حصلنا على مبلغ ١٥٠ ألف جنيه فاننا نقبل خصوصاً وأن اسماعيل حق صرح بأن هذه الأحراج ستباع للفقراء بالاستانة بأثمان رخيصة؛ واقترح أن ينوه بأن ذلك بناء على رغبة الخديو لينال من الشعب الرضاء والدعاء؛ وعندئذ ثار الخديو وفاه بكلام عددته جارحاً لى لأن فحواه أننا نفرط فى ماله، ولكن ما يخصنا نحن نتشدد فيه. وقد تألمت لهذا الكلام لأنه دليل على أنه يعتقد أننا نخدمه لأجل النقود وليس لاخلاصنا له؛ وفهمت أنه سيستمر على جرح إحساسى كما كان فى سويسرة، وأنا مراراً كنت أنوى الانفصال عنه، ولكنى كنت بعد التدبر أعود فأقول: « إنه معذور لما هو فيه من الضيق المالى » فأصبر على قوله في بعض الأوقات: « كل ساعة يلزمنا طبيخ يلزمنا فلوس، أنا أصرف عليهم بدون ثمرة! لماذا أعطيهم نقوداً هل أنا مجبر على ذلك؟ » وهكذا من الكلام المؤلم للنفوس.

ولكن بعد رجوعه إلى الاستانة وبعد أن صارت معيشته مضمونة، والحكومة العثمانية هى التى تصرف مرتبات حاشيته فلا يصح أن يجرح إحساس الصغير قبل الكبير. فبعد أن ترددت دقيقة فيما أفعله دفعنى إحساسى إلى القيام من حضرته بدون استئذان، وبحالة غضب أمام ماهر افندى المحامى وابراهيم بك أدهم، ونزلت إلى غرفتى، فأخذت القلم وأصابعى ترتجف، وكتبت ورقة طلبت فيها منه إقالتى

ورجوته أن يقبلها ومما دونته فيها « إننى ماأبديت رأيى فى مسألة الحرج إلا حفظاً لشرف سموه ومنفعته الشخصية، وما كنت أتوقع أن يعنفنى أمام رجل غريب، لهذا أرفع استقالتى وأرجو قبولها » ودعوت له فى ختامها بالتوفيق فى جميع أعماله .

ولم أذهب لتناول الطعام فى الغداء بحجة الصداع ، ولا لتشييعه للزورق البخارى عند مبارحته لبيك ، وقد حضر لمقابلتى مظهر بك فكنت أكلمه بصعوبة حتى كان ينقطع الكلام مدة ، فى خلالها أفكر فيما حصل ، فيشق على الأمر ، وأقول بنفسى : «ماهذه المعاملة بعد أن خدمته الخدمة الصادقة ، فهلا يحترم سنى ، وهلا يقدر إخلاصى؟»

أما عريضة الاستقالة فبعد أن كتبتها سلمتها للحاج محمد افندى أحد الضباط لتوصيلها إلى ابراهيم بك أدهم ، وكتبت له كلمة أقول فيها : « إنه بالنظر للاهانة التى رأيتها أمامه من أفندينا فأنى رفعت استقالتى فى العريضة التى أرسلها مع الحاج محمد افندى » ورجوته أن يقدمها .

وقد أدرك يكن باشا كدرى، فألح على أن أعرفه بما جرى ، فأخبرته بأنى سمعت ماأكره من أفندينا لأجل إبداء رأيي في مبيع الحرج ، ولم أعلمه بالتفصيلات ، ولا بالاستقالة .

ويوم ٢٣ قابلت يكن باشا مساء وكان قد حضر إلى بيك من جبوقلى بناء على استدعاء الخديو له ، فأخبرنى أنه رافقه فى زيارة القصر ومحلات الكهرباء والمطبخ وغير ذلك ؛ وفى أثنائها كلمه في مسألتى ، وادعى أننى أردت أن أؤثر عليه فى زيادة المرتبات ، قال يكن : « ولكنى قلت له : إن الباشا لعله بأحوال المعيشة رغب فى عرضها على الأعتاب، ولا أظن أنه أراد إجبار أفندينا على شىء » فقال : « إنما لما سألنى شفيق عن مرتبه ، وأجبته بأنه مثل باقى الرؤساء لم يقل شيئاً فوضع الرقم أمام اسمه بدون ملاحظة منه » وتكلم كثيراً حول نقطة واحدة أنه لايقبل أن يؤثر عليه شخص ما؛ ثم قال : « وأنا بقولى لشفيق: إننى فى الوقت الحاضر لايمكننى أن أفرط فى مبلغ ٥٠ ألف جنيه من ثمن الحرج، وقولى : هل تتنازلون أنتم عن جزء من مرتباتكم؟ لاأقصد إهانة ، بل أريد أن أقول : إن الوقت لايسمح بذلك »

قال «يكن : وعرفنى سموه برفع استقالتك ولكن ياباشا كيف تركتنا ؟» قلت له : «إن الخديو تعود أن يقول عنا : أننا أشخاص لايهمنا إلا الطعام او النقود، وكنت

أسمع ذلك في سويسرة وأتكدر منه كثيراً ، وهممت أن أرفع استقالتى جملة مرات، إنما كنت أرجع لأننى أقول فى نفسى: إنه فى ضيق وفى بلاد أجنبية وخالى اليد وأعصابه متهيجة سواء من خلو يده أو من الأحوال السياسية ، ولكن الآن رجع إلى مركزه واطمأن على معيشته وعلى منصبه الرسمى ، فلا يصح أن يكرر ما كان يقوله ، ولا يليق به أن يلقى الكلام بدون حساب . وسموه مخطىء إذا كان يظن أننا نخدمه لأجل المال ، فهو تحت أقدامى ، ولو كنت ممن يعبدون المال لكانت ثروتى كبيرة، ولكنى مخلص ومحاط بمخلصين،فأنت الذى تنفق على عائلتك فى الشهر ثلثمائة جنيه أظنك ماجئت طامعاً فى المرتب الذى قرره لك ، ولهذا لاأطيق الآن وهو فى مركزه القوى أن يمس إحساساتنا بكلام جارح، وإذا كنت أضحى بمركزى صوناً لشعورى فأننى فى الوقت نفسه أدافع عن أشخاصكم أنتم ،وإننى بصفتى رئيساً يجب على أن أفعل ذلك، وإلا فلوتركت هذه الفرصة دون أن أعرف الخديو بأننا لسنا عبيداً بل أناساً يحافظون على كرامتهم، فماذا كنتم تفعلون أنتم ؟ فالذى فعلته هو درس لسموه ليعاملنا المعاملة الطيبة، ويترك عادة التقريع والتكدير بدون حق وخصوصاً أمام أشخاص ليسوا منا » فلما سمع منى يكن باشا كل ذلك قال :« ياباشا لك كل الحق » ثم رجانى أن لاأروى عنه شيئا بخصوص هذه المسألة، لأنه لم يكلف من قبل الخديو بأمر ما، وإنما رغب فقط أن يعلمنى سراً بما حصل من الحديث .

وفى ٢٤ منه جاءنى رمزى طاهر باشا وعارف باشا وقالا :«إن أفندينا أخبرهما باستقالتى » وطلبا منى أن أستردها لأنه يقول إن مبدأه ألا يرفض استقالة من يطلبها . فلهذا حضرا للرجاء بأن أكلفهما استرداد الاستقالة من الجنـــاب العالى فأجبتهما بأن هذا لايكون،لأننى أكون قد اعترفت بخطأ منى ، مع أننى أنا المجروح وأنا المهان .

فقال رمزى طاهر: « إن الكلام الذى حصل من أفندينا ليس فيه مايدعو لتشبثك» فقلت وأنا غاضب مما سمعته :« إذا كنت ياباشا لاتعتبر هذا الكلام جارحا فلا يليق أن تكون رئيساً: وأنا كنت أقبل هذا الكلام لو كان قد حصل بينى وبينه أو بوجود أحد أقرانى ، ولكن أمام أجنبى لاأقبله » فرد على قائلا: « إن أفندينا لايعتبر ماهر افندى أجنبيا» قلت :« ولكن أنا لاأعتبره كعارف باشا ورمزى باشا » فقالا: « إنه

لايليق أن تترك سموه وهو خارج بلاده ولو كنا فى بلدنا لتغير الموقف، فأجبتهما بأنى ما كنت أفعل ذلك لو كان سموه فى سويسرة ؛ ولكن الآن وهو فى بر السلامة محاط بعائلته وحاشيته ، ومقيم فى بيته ، ومعترف بخديويته من الحكومة العثمانية ومطمئن على معيشته ، لا مانع من استقالتى من خدمته.

قال عارف : « وما الذى يقوله الناس ورجال الحكومة ؟ » أجبته: اننى اتفق مع أفندينا على أن تكون استقالتى مبنية على أننى ذاهب إلى السويسرة قياماً بواجبى الوطنى للمدافعة عن حقوق مصر . قال : « ولكن سموه لا يكتم الحقيقة » . قلت : « هو حينئذ وشأنه . وإننى لا أريد أن أسمع من أفندينا أننى أعبد الدرهم ، ولو كنت كذلك لأحرزت ثروة كبيرة مدة وجودى في المناصب العالية ، أو لعملت على تنفيذ الوعود التى كانت تعطى لى بتولى إحدى النظارات قبل الحرب ولأخذ أموال طائلة؛ فليُفهم أفندينا أننا نحن قبلنا العمل لا لأخذ المرتبات بل لأخلاصنا له وللسير معه على مبادئنا »

ولما كثر الألحاح، قال عارف باشا : «إن الظاهر على وجه أفندينا الأسف» قلت: «حينئذ أرفع لأعتابه بأننى علمت بأسفه ، ولهذا أسترجع استقالتى» قال : «إنه لا يقصد ذلك » قلت : «حينئذ أكتب العريضة بأننى علمت أن أفندينا ما كان يقصد اهانتى» قال : « هو لم يكلفنا أن نقول ذلك » قلت : «وأنا لا يمكننى أن أكلفكما رد استقالتى بدون سبب »

وقد قال عارف باشا : « إن أفندينا تأثر من استقالتك وهذا يكفى » يعنى ان الذى حصل يكفى ليعلم مقدار كدرى (أى أنه لا يفعل ذلك مرة أخرى)

وفي هذا اليوم حضر يكن باشا وقال : « إن افندينا قال له : إن عارف باشا ورمزى طاهر باشا لم يتمكنا من اقناعى فاذهب أنت لأقناعه »

فقال: «أنا وشفيق نعرف كيف نتفاهم» ولهذا حضر الى فرويت له ماحصل من المناقشة بينى وبين الرئيسين واخذت عليهما أنهما لم ينتهزا فرصة فتحى لهما الباب لولوجه وانتهاء المسألة فأننى لكونى علمت منك ان افندينا قال لك : إنه لا يقصد اهانتى، اردت أن يقولا لى ذلك حين استفهمت منهما عما إذا كان سموه يقصد تعنيفى ؟ فلم يفهما غرضى ولم يجاوبانى، ولو اجابا لانتهت المسألة .

قال يكن : « امس قلت : انني سمعت هذا الكلام من افندينا ولكنى ما كنت

مكلفاً أن أبلغه ؛ أما الآن ففى وسعى أن أكرر لك فى ذلك ،قلت : «حينئذ أكتب لأفندينا أقول أننى سمعت منك ذلك ولهذا أسترد استقالتى » قال : وهو كذلك ، ووعدته بارسال الجواب غداً ، وقد أعلمتنى هذه الحادثة مكانتى عند جميع من بالسراى حيث حضروا من أغوات وموظفين للسؤال عنى ظناً منهم أننى مريض حتى أن الوالدة أرسلت فسألت عنى كذلك ؛ ولم أخبر أحداً بالواقع إلا الماس آغا فى المساء. فلما علم بالتفصيلات وافقنى على ما فعلت وقال : « الى متى هذه المعاملة السيئة ؟ »

وفي ٢٥ منه حررت العريضة الآتية وأرسلتها مع عارف باشا :

« سيدى ومولاى :

جاءنى حضرات الرؤساء أمس فعلمت من صاحب السعادة يكن باشا أن الجناب العالى ما كان يقصد تعنيفى ولا تكديرى ، مما استوجب رفع استقالتى ، فاطمأن قلبى وهدأ روعى — ولهذا أستردها راجيا أن يتحقق مولاى بأن إخلاصى لعرشه ولذاته الكريمة لا يقدر بمال والله المسؤول أن يوفقنى لخدمة جنابه الفخيم وإرضائه » .

وقد أفهمنى عارف باشا أن مسألتى انتهت فقلت : نعم ، وكان يمكنكم أن تنهوها أمس ،فاننى فتحت لكم بابا لكنكم ما ولجتموه عند ما سألتكم عما اذا كان الخديو أراد من كلامه إهانتى أولا ؟ فلو كنتم أجبتمونى بالنفى لانتهى الأمر ؛ ولما علمت من يكن باشا أن الواقع هو هذا قبلت سحب استقالتى .

وقد عرفت اليوم من ابراهيم بك أدهم أن رمزى طاهر باشا قال له أمس : انه لم يرنى منفعلا بهذه الدرجة مطلقاً ، فأخبرته بما سبق أن قلته له : بأنه لا يصلح للرئاسة إذا كان لا يفهم إن كلام الخديو كان جارحاً أولا .

وقال البك أيضاً أنه لما تسلم عريضتى المحتوية على رفع الاستقالة لم يقدمها فى فى اليوم نفسه ، وبعد أن تردد فى عرضها ـ ولعلمه بالاهانة التى حصلت أمامه ـ قال في نفسه : « إن الواجب عليه تقديمها حتى يتجنب أفندينا كسر الخواطر » فعرضها عليه فى الساعة العاشرة مساء فسأله عن وقت تسلمه لها وعلم أنه كان أخرها عنده فلم يفاتحه فى شىء ؛ انما يظهر انه قال شيئاً عن ذلك لرمزى طاهر باشا فقال الباشا لابراهيم بك : « اذهب عند شفيق وهدئه ، ولكن أدهم بك تنحى

عن التدخل ، فلما قرأ عريضة سحب الاستقالة قبل إرسالها مع عارف باشا أعجب بها خصوصاً قولى : «إن إخلاصى لا يقدر بمال » .

وفى يوم ٢٦ منه قابلت عباساً عند حضورى الى بيك فقال : « أهلا يا شفيق باشا » وطلع الى السلاملك ، وبعد أن حضر الرؤساء تكلم معهم فى الكتابة التى أرفقتها باسترداد استقالتى ؛ ثم حضر الى يكن باشا وكان فى الغرفة عارف باشا وحاول أن يظهر لى أن ماقاله لى أول أمس ليس هو أن الخديو لم يقصد تكديرى بل ان الكلام الذى أسمعنيه ليس فيه شيء من التكدير ولا التعنيف ، فقلت : ان الذى سمعته أن سموه ما كان يقصد تكديرى ، فقال عارف : « ان هذا معناه إذن أن أفندينا يقول : إنه آسف لما حصل » قلت : لا ، ولا أقصد أن يقول لى سموه إنه آسف ، قال يكن : فأفندينا يقول يجب تغيير هذه العبارة وهى « لا يقصد » حيث تدل على الأسف ،فتقول أن ليس فى كلامه شيء من التكدير ، قلت : حينئذ اعترف بأن غضبى لم يكن فى محله وانى غير محق فيه . قال يكن : إن الغرض ايجاد كلمة غير (لا يقصد) قلت : فليأمر أفندينا بالكلمة التى يريدها

ففهمت أن يكن باشا رأى مؤاخذة من الخديو عما قاله لى أول أمس وأراد أن يتنحى عنه .

ولما طلبنا للمائدة صعدت مع الاخوان فقال : « تفضلوا . تعال ياشفيق باشا » وفى أثناء الطعام وجه لى الكلام فى مسائل عاديه فزال ما كان بيننا من سوء التفاهم ولم يطلب منى تغيير جوابى .

وفى يوم ٢٨ منه جاءنى ماهر افندى فأخبرته بما حصل من استقالتى وأسبابها وطلبت أن لا يبوح بشيء من ذلك لأحد ، وفهمت منه انه لم يحس بامتعاضى ولم يفهم ما حصل من الكلام باللغة العربية .

واليوم علمت من يكن باشا أن عباساً سأله عن الكلام الذى دار بيننا لما أمره بمحادثتى فأجابه بأنه قال لى : « إن الجناب العالى ما كان يقصد تعنيفى » فقال سموه : ولكن من هذه الكلمة (لايقصد) يستدل القارىء أننى أبديت أسفى لما قلته ، فرد الباشا بأن شفيق باشا يقول : انه لا يريد أن يمس كرامة سموكم واذا رغبتم فى ابدال كلمة (لايقصد) فما على سموه إلا أن يختار ما يريده ، فقال عارف باشا : بل إن شفيقاً مصر عليها ، فرد عليه يكن بالنفى ، وعندئذ قال الخديو : « لندع هذه المسألة الآن » ولذلك لم يفاتحنى عند مقابلته كما سبق

بين الخديو وولى عهده : فى يوم ٣٠ ديسمبرسنة ١٩١٧ أرسل عباس فى طلبى وكذلك أرسل لعارف باشا ، ولما اجتمعنا عنده في الآستانة أخبرنا أنه وردت له بالأمس من نجله ولى العهد رسالة باللغة الفرنسية تتضمن أنه طلب منذ شهر يوليو الماضى من سفارة انجلترا فى برن أن تتصل بالدائرة الخاصة فى مصر وتطلب منها إرسال مبلغ شهرى له من الأموال التى يستحقها هو شخصياً وقد ورد له الآن ما طلبه . ولهذا فانه يرجو والده فى أن يأمر شديد بك الذى كان قد عين من قبل الخديو للبقاء معه فى فريبورج بصفته ناظر الخاصة الخديوية بألا ينفق عليه مع إبقائه في خدمته . وإبقاء شقيقه كذلك ، إذا لم ير سموه مانعاً وأنه لا يزال الابن الخاضع المطيع . ثم أبدى أسفه على أن الحالة اقتضت فعل ما فعله .

وعرض علينا رسالة أخرى من شديد تفيد ما تقدم

وقد كان سموه متألماً من أن شديداً لم يخبره بهذه الاجراءات التى اتخذها نجله فى حينها .

وقد أرسل سموه بعد المداولة معنا رسالة الى الصدر يخبره فيها بالموضوع اتباعا لسياسة التفاهم التى انتهينا اليها أخيراً .

سنة ١٩١٨

احتفال هام بعيد الجلوس الخديوى — معلومات وأسرار عن الحالة فى طرابلس بين الخديو ورجال الحزب الوطنى — محاكمة بولو واعدامه — رحلة للسويسرة كلها متاعب وآلام — شئون مختلفة :

———

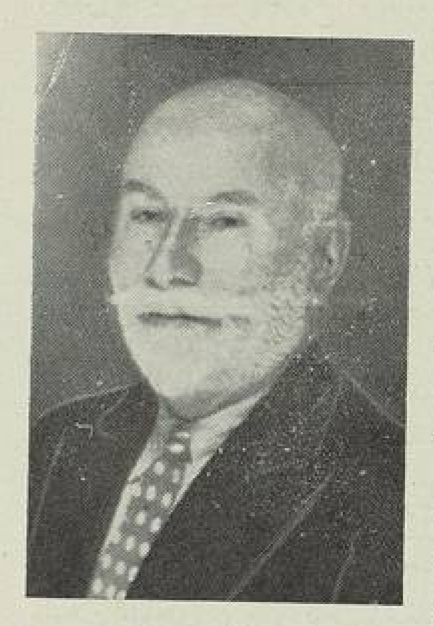
احتفال هام بعيد الجلوس الخديوى : عزمنا ـ بعد موافقة الخديو ـ على الاحتفال بعيد جلوسه بالاستانة ، للفت الأنظار إليه ، وإظهار شخصيته فى العاصمة التركية ، وقد كان يرغب فى هذا الاحتفال ولكن خشية من فشله لم يرد أن يتدخل فيه بشكل ظاهر ، فأعطانى فى أول يوم من يناير مبلغ مائة جنيه بصفة سرية ، للانفاق منها على هذا الاحتفال ، وتقرر أن يقام فى فندق بيرا بالاس .

وفى ٣ منه حضر البرنس ابرهيم حلمى ومحمد عزت باشا ، وقابلا سموه . وقالا له : « إن حالة الجيش التركى في فلسطين سيئة جدا » ـ وكان قصدهما من ذلك أن نعدل عن الاحتفال الذى لم يكونا موافقين عليه ـ وبعد خروجهما أبدى لى الخديو عدم استراحته لرأيهما ، فقلت له : « إن صغار المصريين هنا يبدون شعوراً وحماسة أكثر من كبرائهم » فقال : « نعم وكلما نزلت إلى الطبقة الدنيا تجد الأحساس أعظم » . . .

وقضيت من يوم ٤ منه إلى يوم ٧ فى إعداد الخطب التى ستلقى فى الاحتفال ، ووضع البرنامج ، وأسماء المدعوين من مصريين وأتراك وفرس وأفغان وهنود وسوريين وغيرهم ، مع أعضاء اللجنة وكان سكرتيرها فريد افندى صدقى ، وقد استعد لالقاء خطب عبدالحميد افندى رفعت ومنصور افندى القاضى ومأمون أفندى نجيب الذى حضر معنا من السويسرة . . وغيرهم .

وقد أرسلت أوراق الدعوة موقعة باسم السكرتير .

موقف جمال باشا من الاحتفال : وفى يوم ٧ أرسل مدير البوليس إليه لمقابلته وفهمنا أن هناك نية لعرقلة الاحتفال ، وتكدر الخديو لذلك . ولما قابله سأله هل الخـــديو سيحضر الاحتفال حتى يقوم البوليس بعمل الترتيبات اللازمة ؟. ولما علم منه بعـدم ذهاب سموه أرسل الخبر تليفونياً إلى نظارة الداخليـة ، فجاءه الرد بأرسال فريد افندى لمقابلة جمال باشا ناظر الداخلية بالنيابة عن طلعت باشا الذى كان متغيباً ، ولما مثل بين يديه ، انتقد أولا : وضع السلام الخديوى فى البرنامج مادام سموه لن يحضر في الحفـلة ، وأمره بألا يعزف إلا السلام الشاهانى ، والناس قيام ثانيا : توقيعه على بطاقة الدعوة باسمه ، مع أنه غير أهل لدعوة الصدر ، وشيخ الأسلام والوكلاء والسفراء . ثالثاً : أنه اكتفى بمخابرة البوليس مع أن الواجب أن يطلب مندوباً عن الداخلية ، للاشتراك مع لجنة الاحتفال فى وضع البرنامج . رابعاً : لاحظ على كلمة (الجلوس على الأريكة الخديوية) التى وردت فى الدعوة قائلا : « إن هناك تعييناً وليس جلوساً » .



فريد أفندى صدق

وكذلك انتقد الهتاف « افنـدمز » بالنسبة للخديو قائلا : « هـذه كلمة لاتقال إلا للسلطان ، فليس لدينا غيره نقول له : « افندمز » فرد عليه فريد بلطف قائلا : « إننا نحن المصريين لانستعمل كلمة « خـديو » بل نقول « أفندينا » وها هو ذا المستشار (وأشار إلى مستشار الداخلية) يقول لدولتكم أفندمز « فهل أنتم فى منزلة السلطان ؟ » .

وأخيراً سأله فريد عما إذا كان هناك ما يدعو لعدم الاحتفال ، أو يأذن له بالذهاب ، لأن الوقت قد حان لحضـــور المدعوين ! فأجابه جمال باشا : « كنت تستحق المحاكمة على المخالفات التى ارتكبتها ، ولـكن لأنى شاهدت فيك الذكاء والصراحة أكتفى بتأنيبك ، ثم التفت إلى المستشار وقال : « إذا سمع الآن الخديو

بملاحظاتى هذه فأنه سيقول : « إننى أناوئه » فأجابه فريد بأنه يستحق التأنيب الذى سمعه وأكثر منه لاعتماده على البوليس فقط ، وعدم اخبار الداخلية . ثم رخص له جمال باشا بالخروج ، وإقامة الاحتفال . وبعد خروجه عاد إليه فأخبره أن صورة الخديو ستوضع في صدر الاحتفال بين علمين أحدهما تركى والآخر مصرى . فقال له جمال باشا : « لايوجد علم مصرى ، فضع علماً تركياً مكانه ومزقه » ! ولما علم الخديو بما دار بين جمال باشا وفريد افندى لم يتأثر ، بل أعطى لجمال الحق في انتقاداته ، ولا سيما فى مسألة العلم ومسألة السلام الخديوى

إنابة الخديو لى فى حضور الحفلة : وقد أنابنى عنه فى حضور الاحتفال فذهبت ومعى عارف باشا ، واحمد بك فريد ، وقد كان الأول متردداً فى الذهاب ، ولا سيما عندما أرسل البوليس لفريد افندى ولم يكن قد عاد بعد ، وحضر من المدعوين أكثر من مائة . ولما وصلنا قابلتنا لجنة الاحتفال ، وأجلستنا فى المكان المعد لنا .

اعتذار البرنس ابرهيم حلمى عن رياستها : تولى يوسف ضيا باشا الرياسة بعد أن اعتذر عنها البرنس ابرهيم حلمى ، وجلس الأعضاء عن يمينه ويساره ؛ وافتتحت بالسلام الشاهانى ، ونحن وقوف ، وصعد على المسرح رجل يسمى سليمان مع خمسة أشخاص وأنشد السلام الخديوى بصوت جميل ، فاستعيد مرات ؛ ثم رحب الرئيس بالمدعوين وشكرهم على اجابة الدعوة . وألقيت الخطب والقصائد بين التصفيق الحاد ، وقد اقترح فريد أفندى تذكاراً لهذا اليوم أن يقام احتفال خيرى يصرف دخله لأبناء الشهداء فى الحرب .

كلمتى بالنيابة عن الخديو : وبعد ذلك وقفت وقلت : « باسم الجناب الخديوى أشكر حضرات أعضاء اللجنة التى أقامت الاحتفال لمناسبة ارتقاء سموه الأريكة المصرية ، وأشكر الخطباء والشعراء على احساساتهم الشريفة نحوه ، واننى سأرفع اقتراح اللجنة باقامة احتفال خيرى إلى جنابه العالى ؛ ولا أشك فى أن سموه يقبل بكل سرور جعل الاحتفال تحت رعايته ؛ وندعو الله عز وجل أن يحفظ لنا دولتنا العلية ، وينصر جيوشها على أعدائها ، وأن يوفقها لاسترداد حقوقها وحقوقنا فنهنىء بعضنا بعضا ، ونرجع للأوطان ، ونتمتع بمشاهدة الأهل والاخوان وما ذلك على الله بعزيز » .

انشاد السلام الخديوى . وبعد انتهاء كلمتى أنشد السلام الشاهانى ختاما للحفلة ، ولكن الكثيرين طلبوا انشاد السلام الخديوى من سليمان وجماعته ، فصعد على المسرح ، وأنشده بين التصفيق الشديد .

كثرة المهنئين للخديو : ولقد غصت سراى يلك بالمهنئين ، فجاء البرنسان ابراهيم حلمى وعلى فاضل وعزت باشا ، وأرسلت البرنسيس فاطمة هانم ووالدة البرنس عمر طوسون مندوبين للتهنئة ، ونور أفندى قاضى مصر ، ورفعت باشا سفير الدولة فى باريس سابقا ، واحمد بك صادق ، وحمد الله باشا ، من كبار الموظفين سابقا فى المحاكم المصرية وعدد من المدنيين والمكيين ، وجموع كبيرة من المصريين في قطارين خاصين من قطارات الترام ، ومن بينهم أعضاء لجنة الاحتفال ؛ فقابل سموه جميع من حضروا إلا صلاح الدين مظهر وشقيقه حسن مظهر ، وهما اخوان لمظهر الذى تعدى على الخديو في سنة ١٩١٤ ، فبكيا ، وقالا إنهم بريئان مما حصل من أخيهما ، فوعد سموه بمقابلتهما بعد أيام (١)

وكذلك حضر مقبل يكن مندوباً عن ناظر الحربية للتهنئة والاعتذار عن عدم إمكان الحضور بنفسه نظراً لكثرة أعماله ، فسر سموه بهذه العناية ؛ وجاء كذلك ، نظام السلطنة ، السفير العجمى فوق العادة مع سفير العجم الأصلى ، وأرسل سفير ألمانيا تهنئة بصفتة الشخصية عنه وعن قرينته وكذلك الدكتور « پروفر » رئيس قلم الاستخبارات الألمانية فى الآستانة



عبد المجيد أفندى

ووردت عدة برقيات من الآستانة وسويسرة والنمسا ، بينها تهنئة من الجمعية الخيرية الاسلامية التركية بالآستانة وبرقية من الطلبة بجنيف . ومن البرقيات اللطيفة التى سر بها الخديو برقية من ولى عهد السلطنة الثانى عبدالمجيد افندى وكان بينه وبين سموه صداقة شخصية ، وقد أمرنى بتسليمها لعارف باشا ليكتب ردا ودياً مناسباً .

(١) وقد حصل

وكذلك برقيتان من كريمته عطيه هانم افندى وزوجها جلال الدين باشا والذى سره منها إعلانها الاستعداد للرجوع للاستانة إذا رغب الخديو ذلك ، وكانا من قبل ممتنعين عن الحضور من سويسرة ، ولم يقبلا مرافقتنا عند السفر منها .

وبعد انتهاء ورود التهانى عهد إلى الخديو في الرد على المهنئين ، والذهاب لمركز الجمعية الخيرية التركية وشكرها على التهنئة التى بعثت بها . وكذلك الذهاب إلى أنور باشا وشكره على إرسال مندوب خاص ، ولما لم أجده فى المنزل تركت بطاقة لأحد مرافقيه .

وبمناسبة هذا العيد أنعم الخديو على ضباط المحروسة بنياشين مختلفة ، وعلى أحمد فريد بك التشريفاتى الأول بالمجيدى الثالث ، وعلى نور الدين بالرتبة الثانية .

لجنة الاحتفال فى دار الآثار العسكرية : وفى يوم ٢٠ دعا مختار باشا مدير دار الآثار العسكرية والسينما ، لجنة الاحتفال مع كبار المصريين لزيارة الآثار المذكورة ولزيارة السينما ، وقد عرض علينا فيها صورة الاحتفال بعيد الجلوس مع مناظر لزيارة امبراطور ألمانيا ، ثم ألقى خطابا مدح فيه الخديو كثيراً على تعلقه بمقام الخلافة ، وعدم عودته إلى مصر ليكون آلة بيد الأنجليز ، وتكلم عن أهمية موقع مصر وضرورة إخراج الأنجليز منها وإرجاعها لما كانت عليه قبل دخولهم فيها وإعادة الخديو إلى أريكته .

وبعد عودتنا قابلت عباساً وكان معه البرنس ابرهيم حلمى ، فعرضت عليه ماحدث فى دار الآثار وفى السينما ، وما سمعناه من مختار باشا ، وقلت: « إن الباشا كان جريئاً جداً في خطبته وصريحاً فى ثنائه ومدحه » ، وكنت أشير بهذا إلى التردد والضعف الذى أبداه البرنس عند ماتنحى عن رئاسة لجنة الاحتفال .

حفلة لمواساة عائلات الشهداء في القنال : وفى يوم ٢٦ فبراير قر الرأى على تنفيذ اقتراح فريد افندى صدقى بشأن مواساة عائلات شهداء القنال ، فافتتح الخديو قائمة الاكتتاب بمبلغ عشرين جنيها عن نفسه ، ومثلها عن الوالدة ، ومثلها عن كل من كريمتيه . وقد اشتركت بمبلغ خمسة عشر جنيهاً ، وبلغ الاكتتاب بعد يومين ثلثمائة جنيه .

وتقرر توجهى مع حمد الله باشا والشيخ عبد العزيز جاويش إلى السراى فى

يوم ١٦ مارس ومعنا رقعة دعوة للسلطان ، مطبوعة بحروف مذهبة ، كما هي العادة حسبما قيل لنا ومختومة من الجناب الخديوى بما أن الاحتفال تحت رعايته ، ولكن سموه تردد فى كتابة الدعوة ، أو الختم عليها إن كانت مطبوعة . كما أنه تردد فى طلب أوركستر السراى ، وفضل أن لا نعمل شيئاً « غير معتاد » إذ يجوز انه فى أمثال هذه الحفلات لايعطى الأركستر . فلما استفهمنا من صادق بك تشريفاتى الصدارة أكد لى هو والشيخ عبد العزيز جاويش بأن « الأركستر » أرسل إلى حفلات متعددة ، وما علينا ـ نحن رؤساء الديوان الخديوى ـ إلا أن نكتب خطاباً إلى رئيس الحجاب بطلبه؛ وبعد العرض على سموه أذن بالكتابة ، فحررت باعتبارى ناظر الديوان طلباً بنيته على التماس لجنة الاحتفال ، وأضفت على ذلك « كما هو المعتاد فى أمثال هذه الحفلات » ومن جهه أخرى توجه عارف باشا ، وقابل مرتضى بك الكاتب الثانى فى المابين ، وباحثه فى صيغة ورقة الدعوة للسلطان ، ثم حضر وأخبرنا بأنه لاتوجد طريقة رسمية لتقديم الدعوة ، وأملانى كتابة بالتركية لطبعها بحروف ذهبيـــة وتقديمها بواسطة حمد الله باشا والشيخ جاويش ، وأنه لالزوم لتوجهى معهما ، وأضاف قائلا « وأن ذلك مايرغبه الجناب العالى » ، ولما علمت بهذه التفصيلات عرفت فريد افندى صدقى بها لطبع تذكرة السلطان وإحضارها فلم يلبث أن خاطبنى تليفونياً بما فحواه أن جمال باشا ناظر الداخلية بالنيابة لم يستحسن « تصديع » السلطان بمثل ذلك ، وسألنى رأيى فيما يلزم عمله ، فقلت ماعلى الباشا والشيخ إلا أن يتوجها لدعوة مولانا السلطان شفهيا بواسطة رئيس الحجاب

ولما كنا فى الغداء سأل عباس عما تم فلخصنا له ماحصل فقال لى : إنه لايعلم بكتابة الجواب بطلب « الأركستر » وأظهر أنه لايتذكر أنه وافق عليه وقال إذا حصل مالايرضى فانى أقول إن هذا العمل حدث بغير إذنى وأضاف على ذلك : « أرأيت ياشفيق أن الأركستر لايعطى فى احتفالات مثل احتفالنا ؟ وإذا أمر السلطان بأعطائه فما هو إلا لخاطرى وعلى سبيل الاستثناء » وانتهى الأمر بان توجه حمد الله باشا والشيخ جاويش ، وتحدثا إلى رئيس الحجاب ، وعادا شاكرين لما لقياه من الحفاوة مع الوعد بهبة سلطانية .

وفى يوم ١٧ منه توجهت للمابين ، وقابلت توفيق بك رئيس الحجاب ، ورجوته فى أن يرفع شكر الجناب العالى ، ولجنة الاحتفال ، والمصريين جميعاً لمولانا السلطان على إرسال الأركستر .

وفي يوم ٧ ابريل ألصقت على الجدران إعلانات عن الحفلة فى تياترو « بتى شان » على أن يكون يوم للرجال ، وآخر للسيدات : وكذلك طبعنا برنامج الحفلة بالتركية والفرنسية مصدراً بصورة الخديو ، فكان ذلك كله دعاية عظيمة له

تخوف الخديو من الفشل : وعلى الرغم من هذا كان عباس يخشى أن يفشل الاحتفال من جراء الدسائس التى كان يتوقعها من رؤساء المعية الآخرين الذين كانوا ينقمون على إقامتى الحفلة ، وقد كتبت جريدة « ألتى » تلاحظ أن لجنة الاحتفال اختارت أرمنياً للتمثيل ، فكان سموه يتوقع التصفير فى أثنائه لوحضرها ، فامتنع عن الحضور وأناب عنه البرنس الأمير ابراهيم حلمى . أما الصدر فانه لما علم أن سموه لا يحضر أرسل فى « بنواره » اثنين من مرافقيه ؛ وكذلك لم يحضر من النظار إلا جاويد بك ؛ واعتذر سفير النمسا بأنه أسلف وعداً بالحضور في فندق بيرا بالاس للجمعية الخيرية النمساوية وكذلك الكثيرون من ذوى المناصب العالية . ومن المحتمل أن السفير لما سأل يكن باشا عن يوم الاحتفال وعرفه جعل احتفاله أيضاً في اليوم المذكور حتى لايحضر اجتماعنا بهذه الحجة لما بينه وبين الخديو من سوء التفاهم .

أما سفير ألمانيا وزوجته فقد حضرا ؛ وكذلك عبد المجيد افندى ولى عهد السلطنة الثانى ، وجلست معه في مقصورته مدة ، فأعرب عن حبه للخديو ، وتمنياته لرجوعه إلى عرشه ؛ وفى هذه الحالة يزور سموه في مصر . وكذلك حضر خالد باشا الداماد نجل المرحوم درويش باشا ، وقال لى : « انه من المحبين للجناب العالى الخديوى » .

تنحى البرنس ابراهيم حلمى ونيابتى عن الخديو : ولما قرر سموه إنابة البرنس ابراهيم حلمى اتخذنا ما يلزم لارسال الزورق البخارى إلى ميركون لاحضاره إلى بيك حيث يستقل مركبة الوالدة إلى التياترو ، إلا أنه خاطبنا بواسطة حرمه يقول : « إنه لما رجع مع أفندينا أمس الى سرايه أصيب بزكام ، فهو طريح الفراش لا يقوى على النزول » فاستغربت هذا التنحى فى هذه المرة ، كما أنه تنحى في المرة السابقة لما دعى لرآسة الاحتفال بعيد الجلوس . وأظن هذا التصرف مراعاة لخاطر البرنس سعيد حليم من جهة ، وحتى لا يصل الى علم الانجليز خبر يكدرهم منه . عنى أنه يريد أن يحفظ خط الرجعة ؛ فلما علم الخديو بذلك أمرنى أن أنوب عنه

فتوجهت الى التياترو ووصلت قبل الساعة الثانية ، فوجدت أعضاء اللجنة ورئيسها حمد الله باشا امين يستقبلون الزائرين ، وآنسات يبعن بعض الأشياء الصغيرة ، فجلست فى المقصورة التى كانت معدة الخديو ، ومعى يكن باشا ، واحمد بك فريد ، وابتدأت الحفلة بعزف الموسيقى للسلام الشاهانى ، فوقف الجميع على الأقدام ، ثم قامت فرقة تركية بتمثيل رواية تمثيلا متقنا ؛ ثم ألقيت قصيدة فى رثاء شهداء القتال للشيخ سليمان ناجى العمرى السورى وفيها أبيات جميلة عن مصر والخديو ورجوعه لعرشه ؛ وقد حازت قبولا وتصفيقاً من العرب خصوصاً والأعيان وأعضاء مجلس المبعوثان التركى ؛ وهذا الشيخ أعمى فألقاها عن ظهر قلبه

وحضرت بعده مدام ليڤى برنارد متبرعة ، ووقعت على البيانو قطعتين أظهرت فيهما مهارتها ؛ فأهدينا اليها طاقة من الزهور وهى على المسرح ؛ ثم أنشد الشيخ سليمان سلام الخديو «يازمان الهنا الخ..» وبعده قطعة من رواية «روميو وجوليت» ولقى الشيخ سليمان استحساناً عظيما .

وبعدها جاءت موسيقى دار الآثار العسكرية وهى مرتدية ملابس الموسيقيين القديمة بالعمم والقفاطين والأحزمة ، ولقد نجحت الحفلة نجاحا عظيما حتى أن الخديو أسف على عدم حضورها لما بلغته أنباء نجاحها الباهر .



احمد افندى فريد

معلومات وأسرار عن الحالة فى طرابلس :

في يوم ٢٢ يناير زارنى فى سراى بيك رجل مصرى اسمه « احمد افندى فريد » حضر من طرابلس الغرب على غواصة ألمانية بصحبة نورى باشا شقيق أنور باشا ورفع لى عريضة لتقديمهـــا إلى الجناب الخديوى فسألته عن دواعى وجوده في طرابلس ، وعلمت منه بأنه فى أوائل الحرب تشكلت جمعية سرية المؤسس لها هو على بك اسماعيل واسماعيل افندى

حسن من ضباط الحرس سابقاً ومن محمود بك عزمى الذى كان موظفاً بقولة



الميرالاى على اسماعيل بك



محمد عبد الخالق مدكور باشا

وعبد الخالق باشا مدكور سر تجار مصر ، وعلى باشا حلمى عضو الدومين سابقاً . وجبريل بك من مشايخ العربان ، والاثنان الأولان كانا يجتمعان بالشيخ الطيب السنوسى فى منزله بالسيدة زينب (وكنت أنا علمت ممن حضر الى الآستانه من رجال المعية الذين وصلوا من مصر قبل دخول الدولة فى الحرب باجتماع الضابطين المذكورين بالشيخ الطيب وحلف اليمين لديه على العمل ضد الاحتلال بتدبير ثورة فى الداخل ومساعدة السنوسيين ضد الانجليز) ودخل فريد افندى فى هذه المحالفة وقر الرأى على إرساله الى السنوسى بمهمة وقام من عزبة جبريل بك فى كفرالدوار ومعه أحد البدو مزوداً بخطاب من اسماعيل افندى حسن الى نورى باشا ؛ فلما قابل السنوسى وعلم منه أن قوة السنوسيين والأتراك غير كافية للهجوم على مصر ضد ٦٠ ألفاً من الانجليز بعث الى اسماعيل حسن خطاباً يحذر المصريين فيه من سوء العاقبة ، إذ اعتمدوا على قوة السنوسيين فى إحداث ثورة بمصر ؛ فلما وصل هذا الخطاب الى جبريل بك رده الى نورى باشا فتغيظ من فريد افندى وظن أنه جاسوس انجليزى وليس موفداً من قبل اسماعيل حسن ، وحبسه مدة حتى أرسل

يستعلم من مصر عن الحقيقة ، فورد الخبر بأنه ليس جاسوساً ؛ وعند ذلك أخرجه من السجن ، وعاتبه قائلا : «ولو أن قوتنا ليست كافية حقيقة ، إلا أنه ما كان ينبغى أن تخبر المصريين بها ، لئلا تضعف عزيمتهم ، وتقل شجاعتهم ، وتنحل عرى رابطتهم» . وبعد ذلك اشترك مع نورى فى جملة أعمال ، حتى وثق به جداً وأحضره معه للآستانة

ومن كلام فريد افندى لى علمت أن طرابلس منقسمة الى جملة مناطق فمنها منطقة نفوذ السيد احمد الشريف وهو ميال (على قوله) الى الانجليز باطناً والى العثمانيين ظاهراً ؛ ومنطقة نفوذ السيد الأدريسى وهو ميال الى الايطاليين وموال للسيد احمد الشريف فى الباطن ؛ ومنطقة نفوذ رمضان السواحلى وهو من الأتراك ؛ ومحل وجود نورى ميناء مصراطة التى تأتى اليها الغواصات ؛ ولو أن شقيق أنور يعلم بموالاة الشريف للانجليز إلا أنه (على رواية فريد) لايجاهر بذلك لكى لايحمله على الانضمام علناً لأعداء الدولة ، فتسقط حجة الأتراك فى أمر الجهاد الدينى الذى أعلنه الخليفة ، ولم يعمل به أحد ، غير السنوسين فى الظاهر . والدولة ترسل النقود والهدايا الى السيد احمد الشريف ، وآخر هدية كانت منذ شهر حيث أعطته ٥٠ ألف جنيه ذهباً ، ومثلها ورقاً . وكذلك علمت أن سر الاتفاق بين الشريف والأدريسى هو أنه إذا انتصر الأتراك يشفع الأول للثانى ، واذا انتصر الانجليز يشفع الثانى للأول ؛ وأن الواقعة التى نشبت بين السنوسين في سيوه ، وبين الانجليز هى مظاهرة فقط ليظهر الشريف للأتراك أنه ذهب لمقاتلة أعدائهم ولكنه اضطر الى التقهقر أمام قوتهم فيثبت بذلك ولاءه للأتراك . والحقيقة أن هذه الواقعة وبالأحرى المظاهرة تم تدبيرها بين الانجليز والشريف بحيث لم يقتل ولم يؤسر من رجال الأخير أحد ، وكان فريد افندى حاضرا ، كما أنه كان موجودا فى الواحات الداخلة مع الشريف ، عندما طرد الانجليز السنوسيين منها .

ولما علمت بأهمية معلوماته طلبت اليه أن يرجع الى بيك يوم الخميس القادم ٢٤ يناير .

وفى هذا اليوم قدم الخديو وتباحثنا نحن الثلاثة في جلستين وأمر سموه أن يكتب فريد افندى تقريرا مفصلا بجميع الحوادث فى مصر وفى طرابلس وأمرنى أن أذهب الى أحد رجال قلم الاستخبارات الألمانية ، لأعرفه بوجود فريد افندى وبأهمية معلوماته لابلاغها لقلم المخابرات الألمانية فتوجهت يوم ٢٥ برفعة احمد بك فريد اليه ، وعرفته بملخص ماسمعته من فريد افندى وبأننى سبق أن اشتغلت بأمر

الخديو مع البارون أوبنهايم فى تحضير عمل يقوم به المصريون ضد الانجليز فى مصر من جهة حدود طرابلس الغرب ، وإرسال أسلحة وديناميت وأشخاص مصريين كانوا يتعلمون فى المدرعة « جوبن » صنع قنابل الديناميت . ولكن بكل أسف أن أنور باشا قال : « إن هذا من شأن الحربية » فلم نتمكن من تنفيذ مشروعنا . فقال رجل الاستخبارات ان الأتراك وحدهم لايمكنهم عمل شىء ، ولكن نحن الألمان بواسطة غواصاتنا ، يمكننا نقل مايلزم من الأدوات والأسلحة والنقود وإرسالها الى داخل مصر لتمكين المصريين من الانتقاض على المحتلين فتعلم الدنيا بأجمعها أنهم لايرغبون فيهم ، بل يريدون الاستقلال ؛ وبذلك يدحضون ادعاء الانجليز والثورة تساعد مندوبى الدولة وحلفائها على طلب إخلاء مصر ، وعلى كل حال أنه قدعرف من كلامى أن الخديو له رجال يعملون في مصر ضد الاحتلال ، وأن نفوذه موجود فيها .

وفي يوم ٢٦ منه حضر الألمانى ، واختلى بالخديو مدة ساعة ونصف ، وبعدها قابلت سموه وقلت : أن من صالح افندينا إرسال أحد رجاله الى طرابلس ليكون واسطة اتصال بيننا وبين رجالنا فى مصر ويدرس الحالة فى طرابلس من جهة إمكان عمل شىء بالاتفاق مع الألمان والأتراك وبهذه الطريقة يعلم مخالفونا أن نفوذنا لم يزل باقياً . ويقدرون قيمتنا حق قدرها . وقد راقه هذا الاقتراح ، إلا أنه لم يجد أمام نظره إلا مأمون افندى نجيب فقلت . « إنه شاب طائش لايعتمد عليه » فأبدى عدم اعتماده على عبد الله افندى البشرى ، حيث لايثق باخلاصه الثقة المطلوبة ، ولا بمحمد بك فريد لأنه قوال وليس بالفعال ، وقال عن احمد بك فريد إنه يخشى ألا يكون حسن التصرف. فقلت :ويا أفنديناإذا سمحت فاننى أذهب بنفسى ، وأضحى بحياتى لصالح بلدى » قال « نعم ياشفيق أنت لست كغيرك ، فان إخلاصك ثابت ، ولكن عندما يبحثون عنك ولايجدونك هنا ولافى أوروبا والانجليز لهم جواسيس فى كل محل ، يعلمون بوجودك فى طرابلس »

وقدظهر لى من ذلك أنه لايريد ارسال أحد المستخدمين ولا الضباط المعلومين للانجليز خشية الانتقام منه ، لأنهم يعلمون وقتها أنه هو الذى أرسل هذا الشخص الى طرابلس ؛وهو يرجح احمد بك فريد على الآخرين لأنه غير معلوم عند الانجليز انتسابه للخديو مثلا .

وفى ٢٧ منه بناء على أمر الخديو توجه احمد فريد بك ، مع احمد فريد أفندى

الى رجل الاستخبارات الألمانى فشرح له الأخير الحالة فى طرابلس الغرب وسياسة السيد احمد الشريف والادريسى والسواحلى ، فكان من رأيه التوفيق بين الشريف والسواحلى حتى يتيسر جمع جيش عظيم ليقوم بعمل مفيد ، وفى حالة تعذر التوفيق تستدعى الحكومة العثمانية الشريف الى الأستانة وفي غيابه تنضم القبائل التى تحت نفوذه الى قبائل السواحلى وتسير الحملة على مصر لأن رؤساء قبائل الشريف على رواية فريد افندى يعلمون بنياته الخفية ، وغير راضين عنه إلا أنهم ملتفون حوله للمنفعة التى تأتيهم منه .

فأفهمت احمد فريد بك عند رجوعه من هـــذه المهمة باقتراحى إرسال أحد رجال الخديو لطرابلس للمخابرة مع رجالنا فى مصر وبأنى قدمت نفسى لهذه الخدمة . فأجابنى بأنه هو أيضاً فكر فى أن يذهب للعمل هناك .

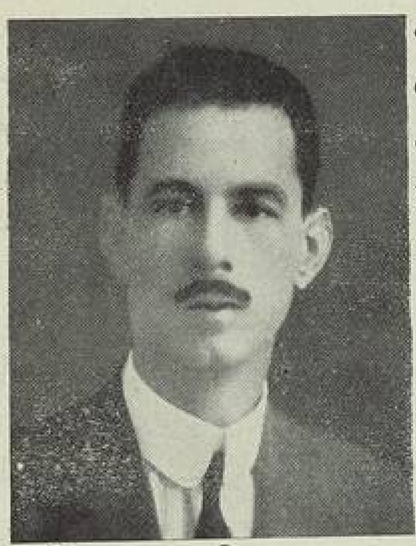
وقد عرضت على الخديو هذه المعلومات فلم يوافق على اقتراح الألمانى لأن السنوسى لايقبل السفر .

مندوب عثمانى في طرابلس للاصلاح بين زعمائها : وفي ٣١ يناير حضر إلى بك يوسف شتوان بك رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية فى الآستانة وقابل الخديو : وأعلمه : بأنه سيسافر إلى برلين لمقابلة الصدر هناك ومنها يتوجه إلى بنى غازى فى مهمة لأن الأحوال في طرابلس ليست على ما يرام وقد أرسل الخديو أحمد فريد بك إلى الألمانى ليعلمه بسفر شتوان بك لبرلين وبمهمته في طرابلس ، وليسأل هل السفارة الألمانية تعلم ذلك ؟ ولما رجع أفهمنا أنه لا يعرف شيئاً عن هذا الموضوع فأمره الخديو بأن يعود إليه ويرجوه ألا يذيع سفر شتوان بك ، وألا يعلم أحدا بأن الخبر منقول عنا ، وقد عاد لنا فقال : إنه روى الخبر للسفير فاستغرب وقال : « كيف تتصرف تركيا وحدها دون ألمانيا ودون الخديو؟» وأرسل الخبر « بالشيفرة » إلى دولته .

وأخيراً علمنا من فريد أفندى أن مهمة شتوان بك هى اصلاح ذات البين بين الشريف والسواحلى ، وأنه أخذ معه هدايا فاخرة للزعيمين :

مشروع القيام بحركات حربية على حدود مصر الغربية: وفى يوم ٣ فبراير علمنا منه كذلك أن نورى باشا سيسافر إلى برلين ومعه « محمود أفندى لبيب الضابط » والأستاذ عبد الرحمن عزام ، المصريان ، ويطلب من ألمانيا « الغواصة الكبيرة دوتش لاند » للخدمة بين پولا وطرابلس مع الغواصات الصغيرة التى تشتغل الآن .

وذلك لنقل مهمات حربية استعدادا لاحداث ثورة فى مصر ، حيث علم أن الانجليز أخذوا من المصريين جنوداً ومؤنا أرسلوها إلى الجهة الغربية ، وكذلك أخذت فرنسا من تونس . ولذلك يرى نورى باشا مناوشة الفرنسيين على حدود تونس والانجليز على حدود مصر ، وإذا لم ينجح في كلتا الجهتين فهو على الأقل يضطر الدولتين لسحب جزء من جنودهما في الميدان الغربى .



الأستاذ عبد الرحمن عزام

الخديو يقترح احتلال سيوه : وفى يوم ٩ منه قابل الخديو سفير ألمانيا في السفارة وتحادث معه فى ف. شئون طرابلس ، وما يريد نورى باشا عمله ، ومهمة شتوان بك ثم أبدى أنه يفضل استبدال الأمير دومكلنمبورج الألمانى بالمندوب الألمانى الموجود بطرابلس لأن الأمير يستطيع مع بعض المصريين تشكيل قوة مصرية بقيادة ضباط مصريين يمكنها بسهولة احتلال سيوه .

وقد ظهر لسموه أن السفير يجهل وجود مندوب ألمانى فى طرابلس ، وأنه يرى ألا ضرورة للقيام بحركات في هذه الجهة ، بل يكتفى فيها بالدفاع . وقد استنتج الخديو من ذلك أن الألمان لا يهتمون الآن بمصر فعاد متألماً .

ترقية الضباط المصريين بطرابلس : وفى يوم ١٦ علمت من الخديو أن أنور باشا أمر بترقية جميع الضباط المصريين بالجيش التركى بطرابلس إلى رتب أعلى من من رتبهم ، وصرف جميع مرتباتهم حسب الترقية الأخيرة ، وأمرنى سموه بمقابلة أنور وشكره على مافعل . وبعد ذلك أهمل المشروع الذى كان يهم به الخديو.

بين الخديو ورجال الحزب الوطنى :

عباس يقرب الشيخ جاويش : بعد وصولنا من السويسرة إلى الآستانة كان الشيخ عبد العزيز جاويش قد حضر لسراى بيك مسلما ، ولكن الخديو لم

يهتم به ، نظراً لما كان يعلمه عنه من العمل ضده والانتماء للصدر سعيد حليم ، ولكن توترت العلاقات أخيراً بين الخديو ومحمد بك فريد ، فرأى أن يقرب إليه الشيخ جاويش ، فأوعز إلى أحد رجال الحاشية بأن يفهم أحمد بك صادق ، انه إذا أقنع الشيخ جاويش بالحضور إلى بيك ، فان الخديو يسر منه . وبناء على هذا بذل صادق بك جهده فى اقناع الشيخ بالحضور إلى السراى ، وفى ٢ فبراير حضرا معا وقابلا الخديو طويلا ، وتحادثوا فى موضوعات كثيرة .



الشيخ عبد العزيز جاويش

وقد علمت أن الشيخ أنحى على الأتراك فى حضرة الخديو قائلا : « ان كبارهم يأمرون ، ولكن صغارهم يعرقلون التنفيذ وإنه خدم الدولة كثيراً ولم ينل أية فائدة لشخصه » .

ثم ذكر بعد ذلك أنه عقد فى برلين مؤتمراً من المصريين ، ودعا إليه محمد بك فريد رئيس الحزب وتصالحا ، وعملا معاً ؛ وأنه من وقت رجوع الخديو يرى أنه آن أوان العمل فى المسألة المصرية باشرافه . فأجابه سموه بأنه مستعد للعمل .

وفى يوم ٥ فبراير توجهت بناء على الأمر لمنزل الشيخ لزيارته ، ولما لم أجده تركت له خبرا بدعوته لتناول الطعام غداً معى فى فندق بيرا بالاس .

وقد حضر فى الميعاد فأخبرته بارتياح الخديو لزيارته ، والمعلومات التى أعطاها لسموه ، وأن الوقت لم يسمح ببحث الموضوعات التى عرضها ، ولهذا يدعوه الخديو لمقابلته .

مؤتمر الحزب فى برلين : وقد علمت منه تفصيلات عن المؤتمر الذى عقده فى برلين . وذلك أنه أرسل برقية لفريد بك رئيس الحزب ، فلما التقيا سلم عليه فريد سلاماً غير ودى ، فانتهز هذه الفرصة وقال له : « إنه يريد أن يعلم سبب هذه الجفوة » فرد فريد : بأن السبب هو أنك لم تتبع خطة الحزب الوطنى . فقال له الشيخ : « وإنك

تتهمني في مسألتين : الأولى . أنني معضد لارتقاء البرنس سعيد على الأريكة المصرية ولكنك لايمكنك أن تقوم بأثبات ذلك » ثم أقسم الشيخ بأنه لم يفاتح البرنس مطلقاً في مسألة كهذه ، وأن زيارته له في بعض الأحيان هي لصلة قديمة بينهما ، وعرفني الشيخ أنه في مدة صدارة البرنس كان يسعى في تعيين بعض المصريين في إدارة الحكومة العثمانية ، وأشار إلى مصطفى باشا ماهر ، وأن عماد الدين كان قد كتب ترتيباً بأسماء المرشحين للمناصب في الدولة . وقال الشيخ لفريد بك : « والمسألة الثانية أنك تدعي بأنني من المحبذين لضم مصر لتركيا كأنها ولاية من ولاياتها مع أنني توجهت معك إلى طلعت باشا ، وسمعنا منه أنه لم يبحث في إدخال تغيير على حالة مصر ، وأن ادارتها أحسن من ادارة الدولة ، فلا معنى لأن تتداخل في شئونها وفضلا عن ذلك فأني أنا المصري الوحيد الذي حصل على كتابة بأن الدولة لاتنوي أن تغير شيئاً في حالة مصر بل تردها إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال » فشكرته على مسعاه الحميد . وأردت أن يفصح لي عن هذه الكتابة ، فقال : « إنه كتب لأحد رجال الحكومة ، يستعلم عن نيتها نحو مصر ، فأجابه بما سبق التنويه عنه » وأضاف على كلامه مايفيد أنها ليست كتابة رسمية .

ومن كلام الشيخ : أنه عندما ذهب في المرة الأخيرة إلى برلين رجاه اثنان من النظار العثمانيين ألا يحمل على فريد .

وقد تخلص من هذا الكلام بأنه دعا فريد بك إلى الأعراض عن الوشايات ، وأن يشتغل المصريون جميعاً على خطة واحدة ، ثم أظهر التذمر من بعض أفعاله ، وأن الشبان تركوه ، والتفوا حوله هو فقلت : « إنني ألوم فريد بك على مسألتين : الأولى الحقد ، والثانية الاهتمام بالشخصيات أكثر من العموميات » ، وضربت له مثلا بما جرى بينه وبين الخديو من التنافس والشقاق ، ثم قلت : « ولكن لما رجع سموه إلى الأستانة كان يجب عليه أن ينسى الحقد والشخصيات ، ولا يتكلم فيما فات ولكنه مع الأسف الشديد كتب في مجموعة الحزب الوطني التي يصدرها في استكهولم ، أن دخول الخديو في مسألة بولو باشا التي هي في صالح الألمان ، يبعد الحزب الوطني عن سموه » .

فقال : إنه لم يطلع على ما كتبه فريد في هذا الشأن ، لأنه بالفرنسية وعابه قائلا : « إن جميع الملوك لهم هفوات ، وهفوات الخديو أقل من أمثاله ، والحزب

الوطنى لم ينتقد سموه فى جريدته من أجل الشخصيات بل العموميات » .

قلت : « إن جنابه العالى لم يخل من الغلط والمؤاخذة ، إنما أقدر أن أقول : إنه في مدة ولايته وهى ٢٢ سنة ، ما كان يوماً يعمل ضد صالح الوطن ، فاذا قيل : إنه كان فى مدة غورست سائراً على وفاق مع الأنجليز ، أجيب على ذلك بأنه كان يسعى فى هذا الوقت إلى توسيع امتيازات مجلس شورى القوانين ، وعلى كل حال إن اختياره الاقامة فى الاستانة بجانب الخلافة رغم تهديد الأنجليز ، وإضاعته لعرشه ، كل هذا كاف لنسيان مافات » فوافق وقال : « انه قد أزف الوقت ، فما عندنا إلا فترة من الآن إلى اكتوبر الآتى الذى أرى أن يتم فيه الصلح ، فيجب علينا أن نستعد أثناء هذه الفترة للعمل » . قلت : « إن الخديو ، عند ماقرأ فى جرائد الاستانة أن مؤتمر البلاد الأسلامية فى شرق أفريقيا قرر استقلال مصر والجزائر وتونس ومراكش أرسلنى سموه إلى الصدر لأقول : « إنه لايعلم شيئاً عن هذا المؤتمر » . فطلعت باشا أجابنى بصراحته المعلومة أن الحكومة السنية هى التى أوفدت المندوبين من مصريين وهنود إلى استكهولم لهذه الغاية » فقال الشيخ : « نعم هذا هو برنامج الصدر » وأخبرنى أنه وجد مرة في القطار بألمانيا مع الجنرال زكى باشا ، الذى كان قائداً على حملة مصر قبل جمال باشا والآن هو المندوب العسكرى فى مؤتمر الصلح واستطرد الكلام إلى مسألة مصر واستقلالها ، فقال الجنرال : « إن القطر المصرى لما كان مستقلا أفاد الدولة العثمانية فى حروب عدة فخير لنا نحن الأتراك أن نراه مستقلا » قلت : « ولكن بكل أسف لانرى حراكاً للألمان نحو مسألتنا مع أنهم ما كانوا ليستمروا فى هذه الحرب لو اعتنوا بالحملة المصرية وضربوا الأنجليز فى مصر فكانت انجلترا تخضع للصلح من زمن مديد » قال : « قلت أنا ذلك في وقتها فبدلا من إرسال الجيوش الجرارة إلى القفقاس وفى كل الجهات كان الأولى العناية بالحملة المصرية لكن المسئولية فى ذلك على قيصر ألمانيا وولى عهده فأنهما من المتسببين فى تأخير الحملة لدواع حربية كان يقتضيها الدفاع عن النمسا وبروسيا الشمالية » .

قلت : « على كل حال ينبغى علينا نحن المصريين أن نهتم بشئوننا » . قال : « ولذلك سأسافر لألمانيا بعد أسبوعين أو ثلاثة » فقلت : « عليك أيها الأستاذ أن توحد كلمة المصريين » ثم أخبرته بعزمى على السفر أنا أيضاً إلى سويسرة . فقال : « ياحبذا لو سافرت معك لأننى أرغب أن أقضى بضعة أيام بها » قلت : « يكون هذا من حظى

وهناك نبذل جهدنا في اجتذاب المصريين إلى الوحدة حتى نكون كتلة واحدة خصوصاً وأن من بينهم بعض العقلاء الذين هم بكل أسف مشتتون فى آرائهم السياسية فلو أرشدناهم إلى الطريق المستقيم فذلك خير ، لأن الألمان يزعمون أننا كمية مهملة أولا : لأن المصريين فى مصر لايحركون ساكنا ولا يثورون على الحكومة المحلية مع أنهم معذورون حيث لاتوجد أسلحة بين أيديهم وليس لهم سند يركنون إليه وثانياً : لأنهم ينظرون إلى انقسامنا فيضحكون منا » فقال: « لو سافرنا نبذل جهدنا فيما هو لازم » ثم أثنى على فؤاد بك سليم قائلا: « إنه اشتغل جيداً فى المدة الأخيرة » .

ثم قال: « أما مايدعيه الألمان من أن المصريين لم يصنعوا شيئاً فى هذه الحروب فأننى فى خطبة ألقيتها فى برلين باللغة الأنجليزية وترجمتها إلى العربية ستصدر فى العالم الأسلامى ، أظهرت الخدمات الجليلة التى قام بها أبناء النيل حتى فى وقت ضغط الأنجليز عليهم فأنهم أبوا الدخول فى الحرب ، مع أنه كان يمكن تجنيد مليون عسكرى منهم »

وفى أثناء تناول الطعام مر علينا جمال باشا فسلم على الشيخ : ولما خرج من غرفة المائدة وقف أمام مائدتنا ، وكلمه بالعربية بأنه إذا أراد مقابلته فيكون ذلك فى النظارة بعد الظهر .

ولما عدت ورويت للخديو حديثى مع الشيخ جاويش قال : « ربما يكون طلعت باشا الصدر هو الذى أوحى له بالتقرب منا » .

وفى صباح ١١ قابل الخديو الشيخ جاويش فدعاه لتناول الغداء معنا . وقد أخبرنى الخديو عما يظنه من أسباب ميل الشيخ عبد العزيز لجانبه فى الأيام الأخيرة . وأن غرضه من ذلك هو أن يجعل لنفسه شأناً ، وأنه عرض على سموه فكرة جمع المصريين في برلين المنقسمين أحزاباً وشيعاً وتوحيدهم جميعا ، وبهذا تكون له الكلمة العليا عليهم وعلى فريد بك أيضاً ، وطلب من سموه الموافقة على هذه الفكرة حتى يجمع المصريين المقيمين بالأستانة أولا ويخبرهم بأنه متفق مع جنابه على هذا العمل ، وأن سموه قد وافق على طلبه ، وأخيراً طلب من الخديو ألا تكون بينه وبينه واسطة بل يتلق الأوامر هو رأساً .

وكذلك حادثة الخديو فى مخاوفه من إهمال الألمان للمسألة المصرية واعتبارهم إياها مسألة تركية بحتة ، فأجاب الشيخ بأن هذا هو الواقع ، فتحقق سموه ما كان يظنه من قبل ويتخوفه من هذا القبيل .

الشقاق بين زعماء الحزب الوطنى : وفى يوم ١٤ أخبرنى الخديو أن الشيخ جاويش بعد أن اجتمع بسموه فى المرة الأخيرة جمع المصريين المقيمين بالاستانة وكان واقفاً مع احمد بك صادق لأيهامهم أنه يعمل برضى الخديو ، لأن صادق بك رجل سموه ، وأخبرهم أنه اتفق معه على تشكيل هيئات تمثل الأحزاب فى مصر ، وأنه هو سيتكلم بالنيابة عن جميع هذه الأحزاب للدفاع عن صالح البلاد ، فانبرى له أحد الحاضرين وواجهه بأنه إنما يقصد من ذلك مناوأة محمد بك فريد والظهور عليه ، وامتنعوا عن مرافقتـــه قائلين : « إنهم لايظنون أن الخديو يوافق على هذا البرنامج . . . »

قال سموه : « والشيخ لم يحسن السياسة لأنه اشتبك مع الدكتور أحمد فؤاد فوقع بينهما جدال شديد » .

وقد كنت أعلم أن عباساً يسره وقوع هذا الشقاق بين رجال الحزب الوطنى فعنـدما أخبرنى بذلك قلت : « هاهى ذى نفحات سياستك ظهرت . فأنت الآن أوقعت الشقاق بين جاويش وفريد وفؤاد » فأظهر سروره ، وضحك كثيراً ، وربت على كتفى مرات . ثم أخبرنى كذلك أن الشقاق قد وقع بين المصريين المقيمين هنا وبين احمد بك صادق ، لأنه كان معضداً لسياسة الشيخ جاويش ، وأراد إفهامهم أن الخديو موافق على هذه السياسة ، لينفضوا من حول فريد فحنقوا عليه لذلك .

غضب الخديو على الشيخ جاويش : وقد ظلت العلاقات حسنة بين الخـديو والشيخ جاويش ، حتى علم سموه يوم أول ابريل أنه ذهب مع شكيب أرسلان إلى البرنس سعيد حليم ، وطلبا منه أن ينتهز أول فرصة ، ويستوضح الحكومة فى مجلس الأعيان عن سياستها نحو احتلال الانجليز لمصر .

وقد أخبرنا الخديو بما علمه وهو محتد ، قائلا : « كيف يطلب هؤلاء الناس من سعيد حليم ذلك ، مع إظهارهم لنا الأخلاص والولاء ؟ ولا يزال إذن حزب الصدر موجوداً يعمل لصالحه ضدنا » .

ومن هذا الوقت غضب الخديو على الشيخ جاويش وانقطعت العلاقات بينهما

محاكمة بولو واعدامه : فى يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩١٧ تقرر أن يكلف ثريا بك من قبل الخديو بأحضار يوسف صديق إلى الاستانة ، خوفا من أنه بعد سفر عباس إليها يستدعى إلى باريس ، ليشهد على بولو باشا فى القضية التى أقيمت عليه

ويفشى الأسرار التى يعرفها فى مسألة المبالغ التى صرفت من ألمانيا .

وعلى ذكر هـذه المسألة أقول : إننا قرأنا بعض ما كتب في الجرائد الفرنسية فقال عباس : « إن يوسف أفشى ما كان يعلمه من إرسال المبالغ من بنك درزدن إلى بنك زوريخ » فاقترح شديد أن يطلب سموه من مدير البنك بأن يرجع الشيكات إلى برلين ، أو يضعها فى ظرف ، ويختم عليه بالشمع الأحمر ، حتى لا يتسنى لأحد أن يلتقط صورها برشوة تعطى لمستخدم البنك . قال سموه : « ولا يعرف أحد كيف تصرفت أنا في هذه المبالغ لأنها سلمت من يدى لأيدى آخرين مباشرة فالمعلومات المنشورة فى الجرائد مأخوذة من تقرير يوسف باشا الذى يحتوى ١٨ صحيفة ، وقرأه على الشمسى بك ، والخوف من أنه بعد سفرنا إلى الاستانة يأخذونه لفرنسا ، ويواجهونه بموسيو بولو ، ليصلوا إلى اعترافات منه تجرحنا لأنه إلى الآن لم يقل شيئاً ضدنا ، أما كافالينى فانه فى أمان بأيطاليا ؛ وكانت السلطة العسكرية الفرنسية ستقبض عليه فى الحدود ، ولكن الأيطاليين توسطوا له وهكذا تخلص ، وأظن أنه لا يمكن إكراهه على دخول فرنسا وأنى سبق أن أوصيته كثيراً ، وحذرته من إفشاء السر فلا خوف علينا من جهته » .

قلت لسموه : « إنه من المحتمل أن المعلومات التى كتبتها الجرائد الفرنسية مأخوذة من الأوراق المضبوطة عند يكن باشا » فنفى ذلك لأن الاوراق ليس بها شىء مما نشر . .

فزع الخديو : وفى يوم ١٨ فبراير سنة ١٩١٨ قرأنا فى الصحف أن بولو بعد محاكمته في فرنسا صدر الحكم عليه بالاعدام ، جزاء على المشروع الذى كان يهم به ولما علم الخديو بالخبر اضطرب له ، وقال : « إنه ليس حكما فرنسياً بل هو انجليزى » يعنى أن الانجليز هم الذين هيئوا أسبابه . ثم قال : « وبعد ذلك سيحاسبوننى أنا أيضاً على هذا العمل » ثم أبدى أسفه على أن الألمان الذين حبذوا هذه الفكرة ، قد تركونا ولم يهتموا بنا ، والاتراك من جهة أخرى لا يعلقون أهمية على هذه المسألة وأخيراً أمرنى بأن أقابل الدكتور بروفر مدير قلم الاستخبارات الألمانية بالاستانة وأطلب منه أن ينوب عن سموه فى مقابلة سفير ألمانيا ، ورجائه بأن يطلب من برلين إرسال كل مايكتب فى الجرائد الفرنسية والانجليزية فى مسألة بولو ، ولا سيما مايرد فيها عن الخديو . وكذلك أن يستقصى هل من الممكن الاستفهام بواسطة

برلين من مصر عما يدور فى أفكار الانجليز من ناحية المسألة المذكورة ، لكى يكون على بصيرة مما سيقررونه فى هذا الشأن ، لتدارك الخطر قبل وقوعه .

ولما قابلت بروفر وعد بعمل اللازم ، وأبدى لى رأيه في أن الانجليز لابد أن ينتقموا من الخديو في مصر .

ثم أمر عباس بجمع كل ماحصل من يوسف صديق من أول مخابراته مع الألمان بالاستانة ، للاتفاق بين سموه من جهة وبينهم وبين الأتراك من جهة أخرى ، واقتراحاته عن أعمال بولو وكافالينى في مسألة الدعاية ، ومخابراته مع ناظر خارجية ألمانيا . . الخ .

وقد قال : « إن بولو مظلوم ، والذى كان يجب شنقه هو يوسف صديق أصل كل المصائب » ثم قال : « وبما أن احمد بك صادق عدو يوسف ، ويعلم عنه أموراً فسأحرضه على وضع تقرير بما يعلمه عنه ، وكذلك عبد الله البشرى فأنه يحيط ببعضها ، ويكتب تقريرا آخر لاستخدامهما إذا لزم الحال » .

تشهير الفرنسيين ببولو : وقد نشرت فى باريس ثلاث رسائل تضمنت معلومات تفصيلية عن شخصية بولو وأعماله ومحاكمته . وتنفيذ الحكم عليه ، ومما ورد فيها : أنه وصلت أخبار للحكومة الفرنسية عن مشروع بولو ففتح تحقيق فى باريس ولكن لم يقبض عليه لعدم توفر الأدلة ضده . وفى أوائل سنة ١٩١٦ علمت بدخول عشرة ملايين فرنك باسم بولو إلى أمريكا ، فازدادت شبهتها فيه ، ولما دخلت أمريكا الحرب سنة ١٩١٧ أرسلت اليها لجنة تحقيق ، وبعدها قبض على بولو . وتنقسم أعماله إلى قسمين :

١ — فى سويسرا : فى فبراير سنة ١٩١٥ حصلت مقابلة فى جنيف بين بولو وصديق باشا ، عرض الأول فى أثنائها على الثانى مشروعا مهماً لفصل فرنسا عن انجلترا فى عقد صلح على انفراد مع المتحالفين ، وشراء بعض الجرائد الفرنسية للترويج لهذه السياسة ؛

واختار بولو من بين هذه الجرائد الطان والجورنال والرابيل . . .

وحدثت بعد ذلك مقابلة أهم من الأولى في زوريخ ، بين بولو والخديو ، ومدام اوزانج ، ويوسف وكفالينى . وقد استحسن الخديو مشروع بولو وعرضه على موسيو سميزرين النائب المجرى ، وكذلك على الكونت مونتس سفير ألمانيا

فى روما سابقاً . وهذا الأخير وافق عليه ، ووعد بالكتابة إلى فون ياجو وزير الخارجية الألمانية . وقد سافر يوسف لمقابلة الوزير الذى قبل المشروع وخصص لتنفيذه عشرة ملايين من الفرنكات على أن يدفع مليونان ونصف مليون فى كل من الشهرين الأول والثانى ، وبعد ذلك يدفع مليون كل شهر .

وأن الخديو ويوسف وكافالينى قبضوا المبلغ ، ولم يوفق بولو إلا لشراء بعض أسهم الرايل بمبلغ ١٧٠ ألف فرنك .

ولما جاء موعد دفع القسط الثانى أراد هؤلاء الثلاثة إبعاد بولو من توزيع هذا القسط كما سبق ، وأن يختصوا هم بالعمل دونه ؛ وعهد إلى كافالينى بشراء أسهم الجرائد ، فلم يفلح .

ولما أخفق الخديو فى محاولة شراء الجرائد طالبته ألمانيا بدفع ما بقى عنده من القسط الثانى ، وهو ٨٣٥٠٠٠ مارك . وكان مترددا فى دفعه بنصيحة لوزانج إلا أنه فى آخر الأمر اعطى شيكا بهذا المبلغ لمسيو بادل مندوب وزارة الخارجية الألمانية .

٢ — فى أمريكا : وقد أراد بولو أن ينفذ مشروعا خاصا به ، ولذلك تخابر مع مسيو هومبرت النائب ومدير جريدة « الجورنال » وانفق معه على مشترى ١٢٨٠ سهما بمبلغ ٠٠٠ و ٥٠٠ و ٢ فرنك تدفع بعد الحرب ، فذهب إلى أمريكا ومعه العقد المبرم بينه وبين موسيو هومبرت ، وبواسطة موسيو بافينستيد الموظف فى بنك « جيرمانو أميركانو » تمكن من عرض مشروعه على الكونت بيرنتورف سفير ألمانيا فى واشنجطون ، وطلب منه لتنفيذ مشروعه عشرة ملايين من الفرنكات فانخدع بيرنتورف ، وأرسل برقية إلى فون ياجو بذلك ، فجاء الرد بالقبول ، وأرسل المبلغ على جملة مصارف فى نيويورك .

وقد اشتبهت السلطة الفرنسية فى المبالغ التى وردت باسمه إلى أمريكا ؛ ولكنها لم تجد الأدلة كافية . وعند دخول أمريكا الحرب أسرعت بارسال لجنة تحقيق إليها ؛ وعندئذ قبض على بولو الذى أنكر أن هذه المبالغ وردت في ألمانيا ؛ وادعى أنها من نقوده الخاصة وكانت مودعة فى أنفيرس

شهادة يوسف صديق تسبب إعدام بولو : ولكن ثبت من التحقيق غير ذلك وكان من الأدلة التى اتخذت ضده معلومات حصل عليها مراسل جريدة الماتان من يوسف صديق باشا . وقد كانت هذه المعلومات سببا فى إعدامه

رحلة للسويسرة كلها متاعب وآلام : بعد ما عدت مع الخديو إلى الأستانة ، وانتهيت من ترتيب ما يلزمه من المخصصات والرواتب للحاشية والسراى ، وانتهيت كذلك من حفلة عيد جلوسه على ما يرام ، واستقرت معظم المسائل التى تشغل باله ، استأذنت فى السفر إلى سويسرة للاستشفاء ، ولاستصحاب أسرتى والعودة بها إلى الاستانة ؛ وقد اجتهدت فى استخراج جواز سفر سياسى لأضمن عدم تفتيش أمتعتى ، وقابلت الصدر لهذا الغرض فأمر بتسهيل طلبى

أوامر بخصوص عبد المنعم : وقد كان معى من التعليمات التى أخذتها من الخديو عند سفرى فيما يختص بالبرنس عبد المنعم . ألا أهتم بشىء عنه ، ولكن لما وصلت إلى سويسرة أرسل دولته يطلب مقابلتى ، فأجبت رسوله رشيد بك بأن الأصوب ارجاء المقابلة حتى لا يسىء الانجليز الظن به وبى ، وربما فهموا أننى قدمت لاستمالته إلى والده ، ولما بلغه ذلك اقتنع ، ولكنه تأثر وقال : « انه يحبنى ويقدرنى وأنه كان يريد أن يسألنى عن أخواته » فأبلغت رسوله أخبارهن

بريد الخديو وطبيب خاص له : وكنت قبل سفرى وعدت الخديو أن أتفق مع قنصل جنرال الدولة فى جنيف على ايصال البريد الخديوى للاستانة ، وقد تم ذلك ، وصارت الرسائل تصل له وترد منه في مدة قصيرة

وكذلك كان سموه قد اختار طبيب أسنان من السويسرة ، ولكن سفره تعطل من ناحية الحكومة السويسرية ، فتوسطت لديها حتى صدر إذنها للدكتور بالسفر

وقد جاءتنى رسالة من البشرى بشكر الخديو على إنهاء هاتين المسألتين

الاستعداد للعودة إلى الاستانة : أخذت فى إعداد معداتى للسفر من سويسرة أنا وعائلتى ، فاستدعيت نجاراً ليرتب الأثاث فى صناديق كبيرة ثم ذهبنا إلى بادن للاستحمام علاجاً للروماتيزم الذى كان ينتابنى

أمانة السويسريين : وهناك جاءتنى رسالة من النجار بأنه وجد فى أحد الصناديق خاتم زواج من الذهب ، مكتوباً عليه اسم « عزيزة شفيق » سلمه له صبيه ، وهو يرسله لنا ؛ فأعجبت بأمانة الصبى والنجار وأرسلت له رسالة شكر ومعها مكافأة

وعلى ذكر هذه الأمانة أذكر أننى كنت يوماً مع حرمى نؤدى بعض الزيارات

فى جنيف ، فافتقدت ساعتها ، وبها جديلة ذهبية ودبوس ، فأعلنا عن ذلك ولم تمض ثلاثة أيام حتى جاءت سيدة فقيرة ، وسلمت انا الأمانة الضائعة بعد التأكد من أنها لنا

وكذلك فى مرة أخرى كنت ذاهباً إلى لوزان ، ومعى حقيبة ومظلة وأنا أسرع لادراك القطار المتسلق لزيارة فؤاد علوى (ابن الدكتور علوى) المريض بالسل فى مصحة فوق لوزان . ولشدة العجلة وضعت المظلة على شرفة فندق ونسيتها ، وبعد عودتى بأيام جاءتنى المظلة ، وكان منصور القاضى قدأعلن عن ضياعها ، وعلمت أن أحد المارة رآها فسلمها لمكتب الشرطة الذى علم أنها لى فأرسلها مع جندى

السفر : فى يوم ١٧ مايو سافرت من جنيف ومعى أسرتى وأسرة عبد الحميد شديد بك فأمضينا ليلة في بوكس ، ومنها إلى فلدكرش ، وعند قيامنا منها لم يستحضر الحمال كل أمتعتنا ونسى ثلاث حقائب ، ولم نعرف ذلك إلا بعد قيام القطار فاضطررنا إلى النزول فى بلودنس ومنها عدت إلى فلدكرش ، واستحضرت الحقائب ، وفى يوم ١٨ منه قمنا إلى أنسبروك فوصلنا إليها قبل الساعة السابعة مساء

وكنت قد حجزت مقاعد لنا فى القطار السريع الذى يقوم بعد وصولنا إلى أنسبروك ببضع دقائق

ضياع حقيبة بها حلى ونقود : وقد تعبنا لأن أمتعتنا كانت كثيرة يضاف إليها الأطفال . ولما قام بنا القطار لاحظنا أن الحقيبة التى بها حلى حرمى والنقود الذهبية تركت فى أنسبروك فأخطرنا الكمسارى الذى نبه بالتليفون عند أول محطة للبحث عنها ، وجاء الرد من المحطة التى نسيت فيها بأنها سترسل عند وجودها بقطار الصباح إلى فينا ولكنها لم تحضر

انتظار عباس بالقطار فى بودابست : ووصلنا الى فينا صباح ١٩ منه ، وأمضينا الليلة ، وفى ٢٠ وصلنا الى بودابست بناء على أمر الخديو — وكان فى أثناء غيابى قد دعاه امبراطور ألمانيا لمقابلته بقصد زيارة خطوط النار ؛ وقد أتم هذه الزيارة ، وفكر فى العودة ، فأبرق لمقابلتى — وقد نزلنا بفندق هونجاريا ، وعلمنا أن الغرف محجوزة لسموه وحاشيته ، وتأخر حضوره جملة أيام ثم وردتنى برقية أخرى لمقابلته بمفردى فى المحطة . ولما وصل القطار قابلته وكان فى صالون ، وطلعت باشا فى آخر ، وأحد أولاد السلطان عبد الحميد فى ثالث ، فسألته عن الحالة السياسية ، فأجابنى :

« المسألة لأجلنا بطالة » وكان الكدر بادياً على وجهه . وقال : إنه طلب إضافة مركبة نوم لأخذ عائلتى وعائلة شـــديد ، ولكنهم قالوا فى برلين أنه لاتوجد مركبات خالية .

عودة الى الحقيبة الضائعة : وبعد ذلك رجعت الى انسبروك ، فعلمت أن الحقيبة الضائعة قد سلمها الحمال لأحد مستخدمى المحطة ، وهذا ادعى أن أحد الأتراك حضر بعد قيام قطارنا ، وذكر أنه مرسل من قبلى لأخذ الحقيبة ؛ ولكن لم يعرف اسمه ، ولم ير جوازه ، ولم يكتب محضر جرد وتسلم لتوقيع المتسلم عليه ولم يثبت أنه سلمها له أمام شخص ثالث ؛ فذهبت الى قاضى التحقيق ، الذى فتح « محضراً » دون فيه معلوماتى وملاحظاتى على تصرف الموظف ، وقد اتهمته باخفاء الحقيبة .

الرجوع الى بودابست وهدنة البلغار : ثم عدت الى بودابست بعد أن سلمت الأوراق لأحد المحامين فى فينا ؛ وتركت عبد الحميد شديد وعائلته انتظاراً لقطار آخر لعدم وجود أماكن كافية لنا جميعاً . ولكن علمنا فى نيش أن البلغار سلمت للحلفاء ، وأن الطريق قطعت ؛ وقد أثار هذا الخبر هياجاً عظيما بين المسافرين ، وكان الزحام والحيرة في هذه الليلة كأنهما في ليلة الحشر .

وقد نزلنا فى خان قذر ، ذقنا فيه الأمرين ولم يكن به غير سريرين ، مع أننا كنا خمسة .

وفى الصباح حاولنا السفر الى بلغراد ، ولكنا لم نجد أماكن فى القطار لشدة الازدحام ، لولا رأفة جماعة من البحارة والجنود الألمان فى « جوبن » الوابور الحربى الألمانى بالأستانة ، فانهم قبلونا معهم في غرفة بالدرجة الثالثة ، وقد كنا عشرة مع امتعتنا . وساعدونا كذلك فى بلغراد على نقل الأمتعة وإيجاد غرفة فى خان بها أربعة أسرة وأنظف قليلا من التى فى نيش .

متاعب ومرض وآلام : وكان من جراء هذا الاجهاد أن أصابتنا جميعاً الحمى الوافدة ؛ واشتدت وطأتها على حرمى ، عداما أصابها من الضعف .

وبعد ذلك عدنا الى بودابست ، وكانت حالتنا الصحية سيئة ، ولاسيما حرمى ، فان المرض أثر فيها كثيراً ، بحيث لم تتمكن من النزول على سلم الخان إلا زحفاً .

وأقمنا فى « بنسيون » أسبوعا بكل رجاء ، لأن صاحبته كادت تخرجنا لما عاينته من مرضنا ، وحضور الأطباء لمعالجة حرمى ، وتوقعهم وفاتها .

وتوجهت بعدها الى فندق آخر وحجزنا غرفتين بهما أربعة أسرة . وهذا الفندق الجديد فى غاية النظافة ، وبه حديقة غناء ، وحمامات من أحسن مارأيت والأبهاء جميلة الأثاث ، ومديره طبيب .

وقدارتاحت حرمى وتعافت نوعا بعد أسبوعين إلا أن كريمتى أصيبت بالدفتريا فأمر طبيب الفندق بارسالها الى مستشفى الحميات ، ورافقتها والدتها ليلا ، وكانت حالتنا مزعجة .

وبعد أيام خرجت حرمى من المستشفى بعد أن اطمأنت على صحة كريمتنا ، ثم أصيبت فى اليوم الذى خرجت فيه باضطراب معوى شديد

وقد تركنا هذا الفندق إلى فندق آخر فى مرجريت من جراء وقوع انقلاب فيحكومة بودابست الىالنظام البلشفى ، واحتلال المنتمين للبلشفية لهذا الفندق . وكان رئيس الحكومة يسمى « بلا كون » . وقد استولى البلاشفة على سوق الأغذية ؛ وخصصوا بعض المحال لهم ، وعليها شارات حمراء ، وبعضها لغيرهم . ونظراً لأن الطبيب أمر بأن تتناول حرمى أطعمة جيدة كنت أذهب الى السوق قبل الفجر للحصول عليها ؛ وكان المشترون يقفون بترتيب حضورهم صفاً طويلا أمام الدكاكين ومع أننى كنت أبكر إلا أننى لم أكن أجد ما أطلب فى بعض الأحيان . وكان هذا الاجهاد مما يثير أعصابى ، ويجعلنى كثير التهيج ، حتى أننى لم أكن أطيق ضحك أولادى ولعبهم؛ وأثر هذا في أعصابى تأثيراً سيئاً

ولما اعتدلت صحة حرمى عزمنا على السفر ، وتمكنت من سحب أموالى ، وتقييد اسمى للسفر فى القطار الصحى

وفى يوم ٧ يوليو سافرنا فوصلنا الى فينا بعد يومين

ولم نعثر على فندق نستريح به إلا بعد المرور على عدة فنادق مزدحمة فحمدنا الله على ذلك

وفى يوم ١١ يوليو قدمت نفسى للدكتور فوكس الرمدى ذى الشهرة العالمية وذكرته بأنه أوصى فى سنة ١٩١٢ بضرورة إجراء عملية الماء في عينى اليمنى بعد خمس أو ست سنوات ، ففحصها وقرر أنها صالحة الآن للعملية ، واتفق معى على اجرائها فى الغد ، وحجزت لذلك غرفة فى المصحة

وفى الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم المحدد حضر الدكتور ، ومعه مساعده

وطبيب المصحة ، وطمأنني بعد فحص عيني للمرة الثانية بأن العملية مضمونة النجاح ؛ ثم ابتدأ في وضع المخدر الموضعي وأتم العملية في مسافة قصيرة ، ثم ربط العينين ، وتركني . وقد قضيت الليلة متألماً . ثم عاد لزيارتي في الصباح وقال : « إن الحالة جيدة » فشكوت له من الامساك ، فنصح لي بأخذ ماء معدني ، وأمر بالغذاء المناسب

ولكن الامساك ظل يزداد ، وأحسست بالتهاب في عيني ، فحلل الطبيب البول وفي هذه الأثناء حضر الدكتور كاوتسكي ، وعلمت منه انه وجد في البول واحداً في الألف من السكر . ولما جاء الدكتور فوكس سألته عن سبب الالتهاب وما ينشأ عنه ، فأجابني : ينشأ عنه « اكسوداسيون » فسألته : وهل يتلف العين ؟ قال : « بكل أسف نعم » فكان هذا الجواب ضربة شديدة على نفسي

ثم بقيت بعد ذلك من يوم ١٦ إلى ٢٤ للتغيير ، وغادرت حجرة المصحة الى الفندق حيث تقيم عائلتي

وبعد عشرة أيام قابلت الدكتور فوكس ، ومعي الدكتور كاوتسكي وطلبت منه أن يدلني على ما يقوى نظر عيني اليسرى ، ففحصها ثم كتب ورقة لكاوتسكي بنوع من النظارات يساعدني على القراءة والكتابة .

العودة إلى السويسرة : وقد سافرنا في ٢٣ أغسطس فوصلنا إلى فلدكرش ومنها إلى بوكس ، ثم زرويخ ، ونزلنا في فندق ناسيونال

وكانت حرمي قد شكت للدكتور كاوتسكي من آلام تعتريها في معدتها . فكشف عليها بأشعة رنتجن ، وأخذ صورتين لها ، ثم أوصاني أن أعرضها على طبيب نمساوي في زوريخ فلما بلغناها ذهبنا للطبيب فأشار بعملية ، ولكنها رفضت ، وبقي الألم يعاودها بعد ذلك .

ثم سافرنا إلى لوزان فقدمتها للبروفسور « رو » فقرر وجود حصاة في المعدة تستدعي عمليـــة . ولكنها بقيت تتردد في إجرائها حتى يوم ٢٥ نوفمبر فاستشرنا « رو » للمرة الأخيرة فأصر على ضرورة العملية . وعلى ذلك رضيت بها وحجزت لها حجرة بالعيادة من أول ديسمبر ، وفي اليوم التالي أجريت العملية ، وبقيت في المستشفى إلى يوم ٢٤ ، حيث تقرر خروجها في ذلك اليوم معافاة ؛ فسررنا وأعددنا المعدات لأقامة حفلة في الفندق بحضور الأولاد ، ولكن الله لم يكن قد أراد انتهاء هذا المرض إذ ظهر أخيراً أنه لابد من عملية أخرى يوم ١٣ يناير

سنة ١٩١٩ ومع ذلك قد خرجت معنا وأقمنا الحفلة وقضينا فيها وقتاً كنا خلاله في فرح وسرور.

شئونه مختلفة :

أسرار عن الثورة العرابية : في ١٤ يناير . حضر اسماعيل باشا فاضل من رجال الحربية القدماء ، وكان مرافقاً للسلطان عبدالحميد . وبعد أن زار الخديو جلس عندي وذكرنا شئون مصر والاحتلال ، فقال لي : « إنه ملم ببعض أطراف المسألة المصرية » وروى لي أنه عندما ثار عرابي على توفيق باشا كانت الدولة عزمت على إرسال حملة لإخماد الثورة ، وصدرت الأوامر باستعداد عساكرها التي كانت في كريت للسفر إلى مصر ، وأمرت فرقة من الاستانة بالذهاب إلى كريت لتخلفها . إلا أن يوسف رضا باشا رئيس لجنة اسكان المهاجرين رفع تقريراً إلى السلطان ، يحذره من إخلاء العاصمة من العساكر ، لئلا يخلعه الشعب كما خلع السلطان عبد العزيز ؛ فخاف على نفسه ، واستعاض عن الحملة العسكرية بأرسال درويش باشا سعياً للوفاق بين العرابيين وتوفيق باشا .

أخبار العائلة الخديوية : في يوم ١٩ يناير جاءت برقية من شديد يطلب فيها ١٥ ألف فرنك لمصاريف سفر جلال الدين باشا وعائلته ، فأرسل الخديو عارف باشا ليحصل على إذن المالية بأرسال المبلغ المذكور .

وفي يوم ٢٨ منه كان الخديو معتدل المزاج ، وتكلم مع جلال الدين باشا (وكان قد حضر) بلطف إنما طلب مني ومن عارف باشا أن نجرى حساباً عما صرفه وعما تسلمه من شديد بك قبل سفره وهو ٢٥ ألف فرنك سويسرى و ٩ آلاف كورون أرسلت له في فينا ، فتكلمنا مع الباشا وكتب عارف وثيقة بتسلم المبلغين مبيناً فيها أن الخديو كان يعطى لكريمته مدة إقامتها في سويسرة ٣٩٠٠ فرنك لمصروفها ، من الخمسة والعشرين ألف فرنك مرتبها مدة خمسة أشهر من ١ اكتوبر إلى فبراير ، والباقي مع التسعة آلاف كورون هو مصروف السفر ، وهذا لتوقع عليه البرنسيس

وقد ركبت مع سموه وبعض الحاشية من بيك لمرافقته إلى جبوقلي ، وفي الأثناء عرضت سيرة كريمته فقال لي : « إن اللازم عمل حساب آخر لمعرفة مقدار ما أخذته من المال بعد انقطاع مرتبها من مصر عقب إعلان الحرب ، حتى لاتدعى أنني حرمتها مالها ، ثم ألمع إلى المساعي التي قيل لسموه أنها قامت بها للحصول على نقود

من خزانة الخاصة بمصر ؛ وعطف بعد ذلك على مايقوله البعض وسمعه هو من أن ولى عهده البرنس عبد المنعم له فى ذمته أربعمائة ألف جنيه ، وأجاب على هذا القول ، بأننا إذا حسبنا ما كان مرتباً له من يوم ولادته إلى أوائل الحرب لم يزد على مائة وتسعين ألف جنيه ، بفرض أنى ماصرفت عليه قرشاً واحدا ، فكيف يكون له عندى أربعمائة ألف جنيه ؟ .

وتذمر من كريمته وزوجها ، وروى لى ان الوالدة لما سمعت بمطالبتها بمالها استغربت ذلك ، وقالت لسموه : « انه لما خرج اسماعيل باشا من مصر ومعه صناديق ملأى بالذهب مكتوب عليها (شمبانيا) لم تشأ هى ولا المرحوم توفيق باشا أن يكشفا السر ويفضحاه » وعلى الجملة لقد كان مملوءاً غيظاً من كريمته ومن جلال الدين باشا

وفى ٢٥ مارس أمرنى أن أجرى حساباً لكريمته باعتبار ان لها راتبا تقدره مائة وخمسون جنيهاً مصرياً في الشهر ، وهى قيمة ما كانت تأخذه من الخزانة المصرية ، وانقطع فى ديسمبر ١٩١٤ فكان الحساب كما يأتى : أولا : أنها كانت مقيمة فى جبرقلى على مصاريف والدها . وكذلك مصاريف سفرها من الاستانة فى ٧ يونيو ١٩١٥ . ثانياً : لما كانت فى فينا وسافرت بعدها لسويسرة مكثت فى الفنادق مع الخديو هى وزوجها وولدهما والخدم على حساب سموه لغاية دسمبر ٩١٥ . ثالثا : انفصلوا بعد ذلك ، وترتب لها ٣٩٠٠ فرنك سويسرى شهرياً ، يقابل ١٥٠ جنيهاً مصرياً لمصاريفها ، حتى رجعت أخيراً إلى الاستانة ، كما ان والدها صرف ٥٥٠٠ فرنك فى سويسرة ، و ٩ آلاف كورون فى فينا لسفرها ومصاريفها . رابعاً : بعمل الحساب عن المدة من دسمبر ٩١٥ تاريخ قطع مرتبها من مصر ، لغاية انفصالها فى سويسرة من المعيشة مع والدها أى ١٣ شهرا يكون لها ١٩٥٠ جنيهاً مصرياً ، باعتبار ١٥٠ جنيهاً في الشهر وهذا المبلغ تسلم لها اليوم وأعطت وثيقة بذلك

وكلفنى عباس أن أعرف جلال الدين باشا بصفة شخصية أن سموه فى مقدرته الآن أن يوسع على أولاده ، ويريد أن يعلم ولى عهده كيف يعامل شقيقته ، وأعرفه أيضاً بأن البرنسيس ستقبض مرتبها شهرياً فضلا عن الأرزاق التى سيخاطب نظارة الحربية فى صرفها لها .

المصريون فى السويسرة : فى يوم ٣١ يناير حضر شتوان بك إلى بيكه، وأخبرنا أن الحكومة العثمانية سترسل مندوباً إلى سويسرة للقيام بتحقيق عن حالة المصريين الذين يتناولون بها مرتبات من الدولة ، لمعرفة ميولهم نحو أعدائها ، وطلب من سموه أن يرسل له معلوماته عن هؤلاء المصريين لتقديمها إلى المندوب . وقد كلفنى أن أتعاون مع عبد الله البشرى على كتابة مذكرة بالمعلومات المطلوبة

فأعددناها معاً يوم ٢ فبراير وهى تحتوى على ما يأتى :

أولا : المصريون فى سويسرة ينقسمون إلى طلبة وغيرهم ؛ ومن الطلبة من يأخذ مرتباً من الدولة ، ومنهم من تأتى له نقود من مصر . أما غيرهم فهم رجال ونساء وبعضهم يأخذ نقوداً من الدولة ومن مصر

ثانياً : من المصريين خليل بك وهذا استحضر معه خادمة انجليزية من الاستانة بجواز سفر عثمانى ، وقد تزوجت بصف ضابط انجليزى موظف الآن فى سفارة انجلترا في برن وله علاقات ومخابرات مع قنصل انكلترا فى جنيف ، وقد تمكن من استخدام مبارك بك ابن الصدر الأسبق فريد باشا مخبراً سرياً براتب يتقاضاه من الدولة ، مع أن مبارك هذا سافر لسويسرة والآن يتجسس لحساب الانجليز

وكذلك فى الاستانة زوجة فريد باشا ، وهى تستحضر نقوداً من أحد بنوك ألمانيا وترسلها لابنها نور الدين بك

وقد أرسلنا المذكرة لشتوان بك مع رسول بعث به فى طلبها

وفاة السلطان عبد الحميد : فى يوم ١١ فبراير أعلنت الصحف وفاة السلطان عبد الحميد ، وعلم الخديو هذا الخبر فأبدى أسفه وحزنه ، ولما كان نجله عبد الرحيم افندى قد زار الخديو قريباً فقد سألت سموه : « ألم يخبركم عن مرض والده ؟ » فأجابنى « لاياشفيق لم يفاتحنى فى هذا الصدد ولابد أنه غير سائل عن والده » ثم تأوه وقال : « وهكذا يكون حال الأولاد الذين أمهاتهم من الجوارى »...؟ فقلت بتأثر « كل شىء قسمة ونصيب » ، وقد ذهب سموه للاشتراك فى تشييع الجنازة بالملابس الرسمية ، ومعه رئيس التشريفات ، والسرياور ، ورئيس الديوان التركى، ولم أذهب أنا لعدم تكامل الملابس الرسمية عندى .

وفى المساء توجهت مع الخديو أنا ورمزى باشا طاهر ، وعارف باشا ويكن باشا الى ضولمه باغجه وكتبنا أسماءنا فى سجل التعزيات ، ثم قابل عباس

السلطان فعزاه فى وفاة شقيقه . أما نحن فانتظرنا فى غرفة رئيس الحجاب ، وهناك حضر توفيق باشا الصدر قبل الأسبق وكان سفير الدولة في انجلترا قبل الحرب ، فقدمت نفسي وزملائى اليه وجلسنا نتحادث فسألنى عن البرنس محمد على باشا ،وعن حسين رشدى باشا حيث كانا فى حفلة تتويج ملك انجلترا ، عندما كان هو سفيرا بلندن .

مذكراتى فى يد الخديو : كنت قد تركت المذكرة التى أقيد فيها مذكراتى اليومية يوم ٢ مارس سهواً فوجدها منصور افندى القاضى ، وسلمها لأحمدبك فريد لايصالها إلى ، ولكنه سلمها للخديو لافتاً نظره الى خطورة ما أكتبه فيها ، فأخذها سموه وقلب بعض الصفحات ، ثم قال : « ولماذا يكتب شفيق كل مايسمع، أو يعلمه ؟ » وقد بلغنى ذلك من البشرى، فأخبرته أننى تعودت تقييد مذكراتى منذ عهد بعيد ، وربما تنفعنا فى المستقبل. وقد علمت بعد ذلك أن ماقلته نقل الى عباس فأبدى ارتياحه له .

ولما قابلنى بعدها نبهنى الى خطورة ترك مذكرات كهذه يطلع عليها الاخرون وكنت ألاحظ بعد ذلك أنه يكتم عنى كثيراً من الأخبار ، فاستنتجت أنه لايريد أن أطلع على الأسرار وأدونها !. . . وكانت هذه هى المرة الثانية فى سرقة مذكراتى فعندما كنا فى زوريخ أخذها نور الدين افندى خفية وأطلع الخديو عليها فبعد أن تصفحها أمره بردها في موضعها .

رأى الصدر فى حل المسألة المصرية . فى يوم ٢٤ مارس أوفد الخديو عارف باشا الى الصدر لتحديد ميعاد لزيارته ؛ وتقرر أن يكون الموعد ظهر يوم ٢٦ منه . وبعد عودة سموه كان يبدو عليه السرور من هذه المقابلة ، وأخبرنا أنه دار الحديث حول الصلح الذى عقدته الدولة مع روسية ، وعلى بعض الشئون الحربية فى القفقاس وغيرها .

أما مصر فقال الصدر : « إن مسألتها ستحل على منضدة مؤتمر الصلح ، لأنه من الصعب على الدولة استرجاعها ، بعد توغل الانجليز فى فلسطين » وأكد أن سموه فى نظر الحكومة العثمانية هو الخديو المعتبر شرعا ، ولا خديو غيره .

فقلت لسموه : « مادام الصدر يقول : « إن المسألة ستحل على منضدة المؤتمر ، فيجب علينا إذن أن نفكر فيما سنقوم به من الأعمال لخدمة القضية المصرية ،تحت ارشاده » فأجابنى أن الشيخ جاويش يسعى ونحن نريد أن نتركه أولا حتى يظهر فشله نهائياً ، لأنه كما بلغنى قد سقطت قيمته لدى الألمان والأتراك ، وعندما يفشل نقول له : « إذن تخلف أنت ودعنا نحن نعمل !!! »

سنة ١٩١٩

بيني وبين البرنس محمد على — المخابرات بيني وبين سعد باشا — العلاقات بيني وبين عبد الله البشرى . أوامر بخصوص مهمة للاستاذ وفيق المحامى — مخابرات متنوعة مع عباس وحاشيته — حفلة تأبين للمرحوم محمد بك فريد — أخبار عن مصر

بيني وبين البرنس محمد على :

البرنس والحركة الوطنية : أرسلت يوم ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٨ رسالة الى البرنس محمد على ، أطلب منه أن يخبرنى عمن بعث بالبرقيات الى ويلسون طالباً استقلال مصر ، وهل هو على رأس المطالبين بهذا الحق ؟ وهل يستصوب ضم صوتى وصوت من معى من المصريين فى بودابست (حيث كنت قبل العودة الى السويسرة) الى أصوات المطالبين بهذا الاستقلال ؟

وقد جاءنى منه الرد بتاريخ ٢ يناير سنة ١٩١٩ ، يتلخص فى أنه لايعلم شيئاً عن القائمين بهذه الحركة ، وكل مايعلمه أن المصريين بالسويسرة منقسمون الى حزبين : حزب برياسة محمد بك فريد ، والآخر برياسة اسماعيل بك لبيب .

بين أفراد العائلة الخديوية : وفي يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ جاءتنى رسالة من الدكتور سيد كامل ورد فيها .

« أعرف سعادتكم أن المساعى المتعددة والمتنوعة الجهات . التى قام ويقوم بها دولة البرنس الجليل محمد على باشا ، سواء لرجوعه الى مصر أولا ، أو لذهابه الى فرنسا ثانياً ، ليست مما انشرح له الجناب العالى الخديوى ، لا لاعتبارات ذاتية فيما يتعلق بمركز سموه ، بل لأن أمثال هذه المساعى ، دون التفكير فى الحضور لرؤية دولة والدته ، مما يجعل دولتها تتأثر وتحزن ، خصوصاً بعد غياب دولة البرنس عنها

خمسة أعوام ونصف عام ، وازدياد شوقها إلى مشاهدته يوما بعد يوم . قرب الله أيام اللقاء فى سرور وهناء »

وقد أرسلت للبرنس بعد ورود هذه الرسالة إلى كتاباً ، أشرت فيه الى مايراه شقيقه فى مساعيه للسفر ، قبل رؤية دولة الوالدة .

فجاءنى الرد منه بتاريخ ٢٩ نوفمبر وفيه يقول :

« قد وصل جوابك وتلوته . فأما رأى أخى العزيز فى مساعى وأعمالى ، فحبا لهوأدباً لشخص كان كبيرى وكبير العائلة ، ورعاية للأخوة أحجم عن البوح بشىء مما فى نفسى . وأنكم لتعرفوننا منذ الصغر نحن الاثنين وتعلمون أحوالنا وسلوكنا فى الخمس السنوات التى نأينا فيها عن الأوطان . وأنا والحمد لله قدوصلت اليوم الى سن الخامسة والأربعين ، ومستجمع لكامل الصحة والعافية ، ولا أجهل كل واجب ، وبالأخص واجبات صاحبة الدولة والدتى ؛ والله يعلم ضميرى ، وإنى متوكل عليه ، وطالب منه الرحمة والعفو ؛ وكفانا أعداؤنا المعلومون ؛ فلايعمل أحد على الايقاع بيننا لهلاك عائلتنا »

وبعد ذلك كتبت إلى سموه أعرض رأيى بأن يرسل إلى دولة الوالدة رسالة ، إذا كان لايستطيع رؤيتها .

فجاءنى الرد منه بتاريخ ٢٧ ديسمبر وهو فى « نيس » يقول فيه :

« أما من جهة كتابتى إلى دولة والدتى المحترمة ، معرباً عن إحساساتى الشريفة البنوية ، فقد أديت هذا الواجب قبل مبارحتى بلدة منترو ؛ وأنا أقوم بهذا الواجب كل خمسة عشر يوماً . وأما سمو أخى المحترم فنسأله تعالى أن يرضيه ويرضينا » .

ثم ذكر أنه من يوم حضوره إلى « نيس » لم تصل إليه ردود على رسائله لوالدته ؛ وهو يخشى أن تكون رسائله لم تصل إليها . ولذلك أرسل لى خطاباً باسمها ؛ وكلفنى أن ألقيه في صندوق البريد ففعلت .

مخابراتى مع سعد باشا : في يوم ٢٧ يوليو أرسلت برقية إلى سعد باشا رئيس الوفد المصرى بفندق « جران هوتيل » بباريس قلت فيها :

« بمجرد رجوعى إلى السويسرة أرسل لمعاليكم وإخوانكم أعضاء الوفد الكرام تحياتى القلبية ؛ وأضم صوتى إلى أصواتكم فى مطالب وطننا العزيز الحقة ؛ وإننى لأرجو الله أن يكلل مهمتكم السامية بالنجاح ، فان الله والحق في جانبنا »

وقد ورد لى الرد في برقية منه بتاريخ ٣٠ منه قال فيها :

« أعضاء الوفد وأنا نشكركم على تحياتكم القلبية » .

وفى ١٩ سبتمبر وردت لى الرسالة الآتية من معاليه ، رداً على رسالة منى اليه .

«عزيزى صاحب السعادة احمد شفيق باشا .

أشكركم جزيل الشكر على ماتضمنه خطابكم الأخير من عبارات التهنئة بحلول عيد الأضحى المبارك أعاده الله عليكم وعلى عائلتكم الكريمة بالصحة والهناء ، وحقق آمالنا جميعاً في استقلال مصرنا العزيزة .

تأثرنا لانحراف صحة السيدة حرمكم المصون ؛ ونرجو أن يكون قد زال ذلك العارض ، وإن حرمى تبلغها أزكى تحياتها ، وترجو لها دوام العافيـة ، ولسعادتكم منى فى الختام أحسن التحية ، وأزكى السلام » .

وفى يوم ١٢ ديسمبر كتبت له رسالة جاء فيها :

« الآن وقد استراح فكرى قليلا من ناحية صحة حرمى أردت أن أكتب إليكم فى شأن وطننا العزيز

على الرغم من شواغلى كنت أطالع جرائدنا، وقد تألمت لما يلحق مواطنينا من الفتك بأرواحهم دون شفقة ولا رحمة؛ وخصوصا الشدة التى أعقبت وصول الجنرال اللنبى لمصر، وأنا آسف على رفض اقتراح العضو الديمقراطى فى مجلس الشيوخ الأمريكى بمنح البلاد استقلالها؛ فلم يبق أمامنا إلا ترقب حصول مشاكل جديدة فى أوربا، تسمح لنا بالاستفادة منها ، وعلى كل حال يجب علينا ألا نغفل عن كل احتمال، وأن نتكل على الله وعلى نهضتنا الوطنية التى بارك الله فيها ؛ لافرق بين صغير وكبير ، وغنى وفقير ، ورجل وامرأة

إنما أرى ياأخى القيام بأمرين ، أعرضهما على ثاقب فكركم

الأمر الأول : انشاء جريدة فى بلد محايد بعنوان « الاستقلال المصرى » أو « الأنباء المصرية » ، تعبر عن آمالنا الوطنية ؛ وتدافع عن حقوقنا المغتصبة، وتنشر اخبار بلادنا نقلا عن جرائدنا وجرائد أوربا ، وتنتقـد أعمال المحتلين . وبهـذه الطريقة نغذى الرأى العام الأوربى بما يجرى فى بلادنا على الدوام .

الأمر الثانى : السعى لاستمالة الباب العالى إلى أن يعلن في مذكرته التى سيقدمها بطلباته إلى مؤتمر الصلح ، نزوله عن سيادته على مصر لمصر نفسها . وطبيعى أن هذا الأعلان لاتعمل به انجلترا ، ولـكنه يفيدنا أدبياً ، ويساعدنا فى طلباتنا . وإذا

راقكم هذا الاقتراح فأنني أخاطب من يقوم بهذا المسعى وعلى الله حسن التوفيق »

وكنت في إحدى رسائلي للدكتور سيد كامل أشرت بهذه الفكرة ، تمهيداً للبحث عمن يقوم بالمساعي لدى الباب العالي ، إذا وافق سعد باشا عليها .

وفي يوم ١٥ ديسمبر جاءني منه رد على كتابي ، يقول فيه :

« إن إنشاء جريدة لمصر في أوربا مسألة تستحق النظر ، وهي موضوع البحث لدينا من زمن طويل . أما مسألة تركيا فلا نرى من فائدة للسعي فيها . أولا : لأننا أعلنا من بدء النهضة الحالية ، أن علاقتنا بتركيا انقطعت وأصبحنا مستقلين عنها . ثانياً : لأن اللورد كرزون صرح في مجلس اللوردات حديثاً بأن انجلترا لاترى لتركيا حقاً على مصر ؛ ولا تعلق مستقبل هذه على مايحصل بينها وبين تركيا .

وبناء عليه فلا فائدة مطلقاً من السعي الذي أشرتم إليه »

وفي ٢٣ منه جاءتني رسالة منه ردا على رسالة مني إليه ومما ورد بها :

« إن ماقرأته في الجرائد ليس إلا صورة مصغرة من نهضة مصر المباركة ، التي هبت من رقدتها ، مطالبـــة بحقها في البقاء ، شاعرة بأن لابقاء لها بغير الحريات والاستقلال ، باذلة في سبيل ذلك أعز مالديها من الأرواح والأموال . ولقد أنابتنا في المطالبة بحقوقها ؛ وكم صادفنا في طريقنا من الصعوبات ، ولكنها لم تثن عزائمنا ، فنحن مثابرون على المطالبة بحقوق بلادنا بكل الوسائل المشروعة الممكنة

« وإن المسائل المعضلة التي أشرتم إليها في كتابكم لم يصعب علينا إيجاد الحل المناسب لها ، مع مراعاة مصالح الجميع ، كما ترونه في الأوراق الحاوية لبعض أعمالنا المرسلة إليكم مع هذا . وفقنا الله إلى مافيه الخير لبلادنا . وإن ثقتنا في الله لكبيرة لاستناد قضيتنا إلى الحق والعدل »

العلاقات بيني وبين عبد الله البشرى : سافرت الحرم من الأستانة تقصد السويسرة وبمعيتها عبدالله البشرى ، ولكنه انفصل منها واتصل بي وبعائلتي ، فقابلناه بكل مظاهر المودة والعطف ، وبقي معنا حتى سافرنا من فينا للسويسرة ، فأرسل إلى عدة رسائل منها واحدة بتاريخ ٢٦ يوليو جاء فيها :

« أقدم لسعادتكم خالص تحياتي وشوقي ؛ وأقدم احترامي لحضرة السيدة المصونة ، وبعد فقد وجدت في صندوقي بالبنك مبلغ أربعة آلاف كرون ؛ وهأنذا أرسلها لسعادتكم بيد الشكر والثناء . وتأكد ياسعادة الباشا أنني لا أنسى ماعشت فضلكم

على فى أيام الغربة ؛ وسأحفظ في قلبي تذكاراً جميلا لمروءتكم وانعطافكم ، وما احطتموني به من العناية ، أنتم والسيدة المصونة المحترمة والأنجال ، حتى أنسيتموني في بعض الأحيان أنى غريب ، وأنني بعيد عن أهلي .

« كنت أعطيت للسيدة المصونة سندا بالمبلغ المذكور فأرجوكم تمزيقه » .

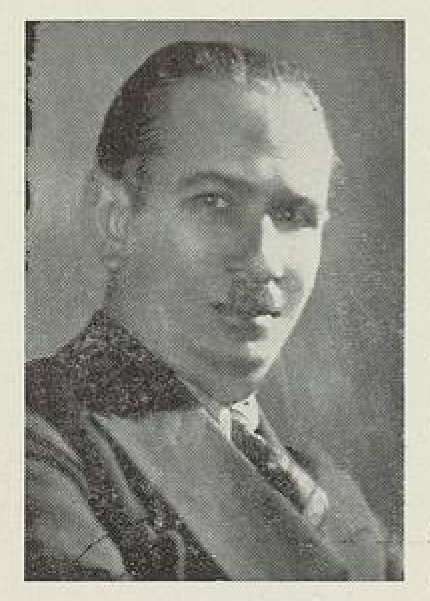
وفى يوم ٢٢ نوفمبر أرسلت إليه كتاباً جاء فيه :

« إنني أنا وعائلتي لاننسى مطلقاً عشرتك الطيبة ، ولا مجلسك الأنيس ، ولا ضحكك ولا كلامك العذب ، ولا تأثر أعصابك في بعض الأوقات ولا . ولا . . . ومرارا ماقلنا : « ينقصنا عبد الله بك » فلا عدمناك أخاً وفياً ؛ وإننا حقيقة نحس بفراغ بيننا لأنك كنت منا » .

أوامر بخصوص الاستاذ وفيق المحامى : وردت إلى رسالة بتاريخ ٢٢ نوفمبر من عبد الله البشرى ، وكان قد سافر للسويسرة ومنها عاد للاستانة جاء فيها :

« تعلمون أنه وصل من مصر إلى السويسرة حضرة أحمد وفيق المحامى ؛ وهو يقيم على ماأظن بجنيف والمطلوب أن تقابلوه بشخصكم ، وتحادثوه شفهياً بما يأتى :

« أن القضية المصرية تستفيد كثيرا من أن يكون لها محامون أحرار ، ليست لهم صلة بأى سلطة من السلطات ، يدافعون عنها في البلاد المتفرقة ، والممالك الأجنبية وإن لها الآن والحمد لله كثيرا منهم بالسويسرة وفرنسا وإيطاليا وغيرها من الممالك المتحالفة والمتحاربة والمحايدة ؛ ولكن ليس لها منهم أحد بالاستانة ؛ فاذا أراد حضرة أحمد وفيق أن يقوم بهذا الواجب المقدس المفروض ، الذى نرى أنه من خيار الأكفاء للقيام به ، فأننا مستعدون للقيام بكل



الأستاذ احمد وفيق المحامى

مصاريف سفره من السويسرة إلى هنا فى الدرجة الأولى ، كما ندفع له كل مصاريفه هنا طول المدة التى يرى ضرورة إقامته بها ، حيث يشتغل حرا بعيدا عن الانتساب لنا ، نراه من وقت لآخر ، فيتسع له ميدان العمل وحريته ، ثم ندفع له كل مصاريف

عودته إما إلى السويسرة أو إلى مصر أو غيرهما من الممالك ، حسبما يريد

« وإننا نستحسن أن يكون حديث سعادتكم معه دون وسيط ؛ حتى لاينتشر ذلك فى الأندية والمجتمعات .

« وإذا أقبل كلفوه أن يطلب من قنصل إيطاليا الترخيص له بالسفر إلى الاستانة بالتلغراف ، بنفس الطريقة التى اتبعتها أنا ؛ وتعلمون سعادتكم تفاصيلها . ويظهر أن حضرته محبوب من حكومة إيطاليا ، بدليل أنها سهلت له طريق سفره إلى السويسرة وبهذه المناسبة أخبر سعادتكم أنى خرجت من السويسرة ، ووصلت إلى الاستانة بغاية الراحة ، دون أن تفتش حقائبي فى الطريق ، وأوصلت كل رسائلى مقفلة ، لم يطلع عليها أحد . ولما وصلت السفينة إلى الاستانة حضر ضابط إيطالى أمضى على جوازات السفر بالصالون ، دون أن يوجه إلينا أى سؤال ؛ ونزلنا إلى البر بعد ذلك دون أية إجراءات أخرى .

« وفي الوقت ذاته تقدرون مصروفات سفره وترسلونها الينا ، كى نبعثها لكم تلغرافياً .

« وإنى أذكر لسعادتكم ماصرفته أنا بالطريق على وجه الاجمال والتقريب ، كى تستنيروا به فى تقديركم لمصاريفه . (وذكر النفقات)

« وعليه فيمكن سعادتكم تقدير اللازم من الفرنكات السويسرية والطليانية ، فنرسله اليكم .

« واذا تم الأمر وقبل صاحبنا ما أخبرناكم به تطلبون النقود منا بالتلغراف على الوجه الآتى :

يرسل تلغراف من الموسيو شوفلبرجر يقول فيه : « أرسلوا لى مبلغ كذا على لوزان » ويكون معنوناً باسمى فى جبوقلى . عند ذلك نفهم نحن ، فنرسل المبلغ باسم سعادتكم تلغرافياً ؛ ومتى وصل اليكم تسلمونه لحضرة وفيق بك ، وتأخذون منه إيصالا بتسلمه ؛ وترسلون الايصال الينا بالبوستة ؛ ويستحسن تسليمه المبلغ بعد استخراج جواز السفر »

وقد رددت عليه بتاريخ ٤ ديسمبر برسالة جاء فيها :

« إننى سأنفذ الأوامر . والفكرة صائبة ؛ وماهى إلا واحدة من مبتكرات سمو الخديو ؛ والشيء من معدنه لايستغرب ؛ وإنى أشكرك ياصاحبي لهذه البيانات التفصيلية المفيدة عن رحلتك ؛ وسأستفيد منها عند سفرى »

وفى يوم ١٢ منه أرسلت له رسالة ثانية بأنى بحثت عن محل إقامة الأستاذ احمد وفيق فلم أوفق ، ووجوده مجهول فى السويسرة ؛ وقيل لى أنه لم يحضر مطلقاً اليها ؛ وأنه رجع من إيطاليا الى مصر . وعند سفرى الى برن استعلم من مكتب بوليس الأجانب بها ، فاذا كان اسمه ليس مدوناً فيه تحقق لى عدم وجوده ، وبالفعل لم أجده

مخابرات متنوعة مع عباس وحاشيته : قضيت نصف العام الماضى الأخير والنصف الأول من هذا العام ، فى متاعب وآلام شديدة شرحت جانباً منها فى مذكرات العام الفائت، وكانت لها ذيول وبقايا ؛ إذ أجريت لحرمى عملية جراحية أخرى، وظلت صحتها سيئة ؛ وانقطع عنى مرتبى من الأستانة ، نظراً لانقطاع المواصلات بينها وبين النمسا بسقوط البلغار ؛ وبقينا فى النمسا ثم فى السويسرة نعانى كثيراً من هذه الحالة .

حالتى الصحية : وقد أرسلت للخديو رسالة يوم ٢٨ يوليو شرحت له فيها ما أصابنا ثم قلت : « إننى أنتظر أوامره فى البقاء بالسويسرة أو العودة الى الأستانة » ، وعزيته فى وفاة البرنس عبد القادر .

وفى يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩١٩ وردت لى رسالة من موسيو كونستان شوفلبرجر سكرتير عباس السويسرى يقول فيها :

« إن خطابى وصل للخديو منذ ثلاثة أيام وأن سموه يشكرنى على التعزية ، ويهنئنى بالخلاص من الصعوبات الجمة التى لقيناها ، ولكنه يأسف لعدم نجاح العملية التى عملت لى ، ويرجو أن يكون هذا آخر مايصيبنى . وأنه كان ينتظر على الدوام رجوعى ، وكان يرسل عند وصول كل باخرة مندوباً للبحث عنى ؛ فكان فى بعض الأحيان يجد بعض المعارف فيطلعونه على أخبارى .

والخديو يلفت نظرى إلى أن الحكومة التركية منذ توقيع الهدنة قطعت نصف المرتبات حتى مخصصات سموه، كما أنها قطعت نهائيا مرتبات الموظفين الذين تركوا الاستانة ماعداى؛ ولكن النقود الخاصة بى لاتزال فى الخزانة التركية موقوفة لحين رجوعى »

وفى يوم ٢٧ سبتمبر وردت إلى رسالة من الدكتور سيد كامل جاء فيها :

«الحمد لله الذى كما ربط قلوبنا بروابط المحبة والرحمة وصل بيننا بنعمة المراسلة . وقد وصل إلى كتابكم المحرر فى أوائل هذا الشهر فتألمت لما جاء فيه وسجدت لله شكراً أن أخرجكم من أشد المضايق التى كنتم فيها سالمين ، لولا ماأصابكم فى نعمة

النظر، وجمعكم ببقية أنجالكم المحروسين رغم ما أصاب من كان معكم فى سفركم من دواعى التعب وأوصاب المرض، ورجوته سبحانه وتعالى أن يجعل ماعانيتموه من مشاق السفر وقلق الغربة وحيرة الحال نحو عام من الزمان آخر ماترونه من متاعب الأيام فى حياتكم، وحياة أولادكم الطويلة، وأن ينعمكم بعد الذى قاسيتموه براحة البال، وتحقيق الآمال جزاء وفاقا لما صبرتم ولما نويتم

«وقد تشرفت بتقديم مكتوبكم الخاص بتهنئة عيد الأضحى المعنون باسم الجناب العالى الخديو إلى سدته السنية، فحاز لديها تمام القبول والارتياح وصدر لى الأمر بابلاغ سعادتكم تشكراته، ثم عرضت بين أيدى سموه كتابكم إلى فتفضل بالاطلاع عليه، فظهرت لى من ملامح سموه أمارات التأثر على ماقدره الله لكم من حرمان بعض النظر، وعلى مالاقاه أولادكم ولاقيتموه من المصاعب والشدائد

«أما ماسألتمونى عنه بخصوص ماحررتم من مكاتيب إلى جهتنا فالذى أعرفه هو أن الذى وصل الجناب العالى من طرفكم طول السنة الماضية لايزيد عن كتابين أو ثلاثة كتب، وصل أولها أو ثانيها عن يد مسافر قام من بودابست إلى الأستانة ووصل ثالثها أخيراً إلى سموه عن طريق البريد من سويسرا، ثم كتاب وصل ألماس أغا حديثا، ثم ماتفضلتم بكتابته فى أوائل الجارى. وهذا خلاف زيارة زارها مظهر لبيك حيث تشرف بالمقابلة فى وقت لم أكن فيه لمحادثته

«وأما ماأرسل من جهتنا إلى طرفكم فانى أعرف يقيناً أن الجناب العالى حفظه الله أمر موسيو شوفلبرجر السكرتير الخاص بكتابة الرد على جوابكم الواصل من سويسرا، وأعرف يقيناً أن هذا الرد أرسل إليكم منذ شهر من الزمان بعنوان أوتيل ناسيونال فى زوريخ.

«هذا وإنى أعرفكم أننا والحمد لله فى خير وعافية، فالجناب العالى حفظه الله مازال كما تعرفون قوى العزيمة، ثابت العقيدة، صابرا على مايقدره الزمان.

واجب الخديو وواجب الوطن: ولقد ذكرتم أعزكم الله أن عليكم واجبين واجباً «شخصيا» وقد قمتم به. وواجباً «عموميا» أنتم تشتغلون به الآن (يقصد بذلك اشتغالى بالقضية الوطنية ومخابراتى مع سعد باشا).

ولعل التفرقة بين الواجبين سابقة قلم، فأنتم ونحن قديما اشتغلنا بواجب «عمومى» كذلك لم نقصر فيه لحظة ما حسبما أوحت إلينا ضمائرنا، وإنما إذا تعلقنا فى تأدية الواجب العمومى بأهداب سموه فلأن مسألة سموه الخاصة فرع كبير فى المسألة

العامة ، ولأنه لاتناقض بين الفرع والأصل كما يجب أن يعتقد بهذا كل مصرى .

« ولقد سرنى من كتاب سعادتكم ماأشرتم إليه من أن الأمل فى تحقيق المقصد يزداد يوما بعد يوم، وهذا ماأعتقده عن بعد، وأرجو سعادتكم أن تنيروا بصيرتى فيه بما تقفون عليه حتى أؤكد اعتقادى بالخبر اليقين »

المفاوضة في بيع شركة الأزبكية البلجيكية : كان يقيم فى جنيف موسيو نيقول وهو رجل اشتغل فى شركة عقارية لمشـــترى العقارات وبيعها فى مصر ولكنها أفلست فعاد للسويسرة ، وقد عرض على أنه يريد الاتصال بالخديو ليقوم بعملية الوساطة في بيع عقارات شركة الأزبكية البلجيكية فكتبت للخديو رسالة بمايعرضه موسيو نيقول فى يوم ١٣ اكتوبر .

وفى يوم أول نوفمبر وصلت إلى رسالة من الدكتور سيد كامل جاء فيها :

« إن خطابكم المحرر في ١٣ الماضى باسم الجناب العالى الخديوى المتعلق بما دار بينكم وبين موسيو نيقول فى المفاوضة قد اطلع عليه سموه، وأمرنى بخصوصه أن أبلغكم مايلى :

« الحديث الذى حصل بينكم وبين موسيو نيقول بخصوص الشركة غير مطابق للكلام الذى دار بين موسيو هكسيوس ومسيو شو فلبرجر أخيرا فى جنيف ، فان هذا الأخير يقرر في رسالة منه بتاريخ ٢٢ الماضى أنه قرأ جوابا عند الأول يفيد أن الشركة فى بلجيكا وضعت تحت الحراسة من ابتداء الهدنة . وبما أن المفاوضة الجدية بخصوص احتمال بيع هذه الشركة لايمكن أن تحصل إلا بعد الوقوف على حالتها المالية الحاضرة ، وتقدير قيمتها على أساس قيم الأشياء بعد الحرب لاقبلها فوجود الشركة تحت الحراسة يمنع من الوقوف على هذه الحقائق ، وبالتالى لاتمكن المفاوضة في هذا الموضوع ، ولا تكون هناك ضرورة لحضور موسيو نيقول للاستانة . أما إذا كان يستطيع أن يحصل على المعلومات الكافية للوقوف على حقيقة مركز الشركة المالى ودرجة زيادة قيمتها عما كانت عليه قبل الحرب ، وكان فى وسعه أن يعرفنا بادىء ذى بدء عن الثمن الذى يتوقع إمكان البيع بمقتضاه فان الجناب العالى فى هذه الحالة ينظر فى المسألة ويمكن أن يستدعى موسيو نيقول للاستانة »

وقد أرسلت الرد بأن نيقول سيعمل اللازم للحصول على صورة من حساب الشركة

وأخيراً لم يفلح في بيعها وتولى المسألة رجل يسمى موسيو رولان

المتأخرات من مرتبي في الأستانة : وفى يوم ٣ نوفمبر وردت لى رسالة منه جاء فيها :

« أمرنى سمو الخديو أن أعرفكم بأن عبد الله البشرى بك أرسل إلينا تلغرافا يفيد قرب وصوله إلينا، وأن أسألكم عن الميعاد الذى تنتظرون فيه أن يصل اليكم الترخيص للحضور لدينا

« وإنى لهذه المناسبة أرى من واجبى أن ألفت نظر سعاتكم إلى أن المساعى اللازمة عن حضوركم هنا للحصول على متأخراتكم من خزانة الدولة يستلزم وقتا من الزمن، وأنه من المفيد أن تتم وتنجح هذه المساعى قبل الميزانية الحالية وتنفيذ الميزانية الجديدة فى شهر مارس القادم ، لأن التجربة فى معاملة نظارة المالية العثمانية دلت على أن أمثال هذه الحقوق تسقط بمجرد الانتقال من ميزانية إلى ميزانية جديدة »

احتلال الحلفاء للأستانة : فى يوم ١٨ ديسمبر وصلت إلى رسالة من الدكتور سيد كامل جاء فيها :

« يسرنى أن أبلغكم أن الاحتلال العسكرى الأجنبى الذى حل الأستانة بحلول الهدنة قد خف كثيراً بداعى تسريح الجيوش طبعاً . واستعداداً على ما أظن لترك الأستانة كما كانت عاصمة للحكومة التركية فى حدودها الجديدة التى يرسمها الآن مؤتمر الصلح فى لندره وباريس

أما المعيشة فما زالت غالية ، خصوصاً في الحوائج الملبسية، ومع أن الوارد من المواد الغذائية كثير ، ولكن أيدى المضاربين تعمل على مص دماء الناس ، وسلطات الحلفاء عاجزة طبعا عن وضع حد لهذه الحالة، بل ربما كان من رجالهم من لهم مصلحة فيها. الطاعون منتشر في الأستانة والتطعيم يكاد يكون إجبارياً حيث أن الناس يوقفون فى الطرق فان لم يكن معهم شهادة بالتطعيم يكرهون عليه . والحميات الخبيثة ظاهرة فى بعض جهات الأناضول . وبالأمس قرأت فى الجرائد أن الحمى الراجعة ظهرت في «اسكى شهر» بالأناضول .

حفلة تأبين للمرحوم محمد بك فريد : أقام على الشمسى بك واسماعيل لبيب بك والأستاذ فهمى وابرهيم بك راتب واحمد بك فريد حفلة تأبين للمرحوم محمد بك فريد حضرها نحو ٢٥ مصرياً وألقيت بعض الخطب من الشمسى واحمد فريد ومنصور القاضى وبعض طلبة لوزان .

وكان القائمون بها قد طلبوا منى أن أرأس الحفلة ، ولكنى رأيت لا كتفاء بحضورى .

وبعد انتهائها قرر المحتفلون إرسال برقيات لمندوبى الدول فى مؤتمر الصلح بالاحتجاج على قتل الأبرياء فى المظاهرات

اطلب الكثير تنل القليل : وكنت قبل وفاة المرحوم فريد بك قد زرته وهو مريض ، وصادف أن وردت جريدة الأخبار ، وبها بيان للحزب الوطنى يقول فيه : « أن لامفاوضة إلا بعد جلاء آخر جندى انجليزى عن الأراضى المصرية » فسألته مستفهماً : « لماذا نطلب هذا الطلب ؟ . وهل هو معقول ؟ وهل نحن انتصرنا فى حرب مع انجلترا حتى نملى عليها شروطنا ؟ » فقال : « المقصود من هذا أن نطلب الكثير ، حتى ننال خير مايمكن تحقيقه »

أخبار عن مصر : كنت فى السويسرة أقرأ الصحف وأطلع على مايرد فيها عن مصر ، وحالة الثورة بها ، وكنت فى بعض الأحيان أرسل لأصحابى بطاقات مفتوحة ، أسأل فيها عن صحتهم ، وذلك خوفاً من أن تمنع المراقبة تسليم الخطابات المقفلة

شجاعة أسرة تقلا باشا : ومن بين من كنت أخاطبهم وأجد منهم شجاعة محمودة فى كتابة بعض أخبار مصر أسرة تقلا صاحب الأهرام سواء فى ذلك جبرائيل تقلا أو والدته .



مدام تقلا باشا

ومن بين هذه الرسائل رسالة من مدام تقلا بتاريخ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٩ جاء فيها .

« إننى ونجلى نبدى الشكر لكم على الاحساسات التى أظهرتموها نحونا ونحو الأهرام .

ولنا الحق فى القول بأننا سائرون على خطة فقيدنا مؤسس الأهرام التى ترمى إلى الدفاع عن الحق ضد القوة ، وأن نخلع عنا نير الأجنبى ، وإذا كانت سوريا هى منبت رأسنا إلا أننا نسكن مصر منذ خمسين سنة ندافع عنها ، فى هذه البلد تألمنا وفيها نأمل

أن ينالنا السعود . إذ نحن نعمل بأخلاص للصالح العام، وإن ولدى لايهمل أى تضحية مادية أو أدبيه لهذا القصد ، وهو يعترف بالجميل للرأى العام المصرى الذى لايزال يعضدنا . أما بخصوص حالة البلد فانا نشكر الله على أنها تتطور كل يوم من حسن إلى أحسن ، لأن الظروف تساعدها. أولا: أن صعود ثمن القطن يسمح بأننا لانجبر على بيعه بالبخس وهذه نقطة مهمة . ثانياً : بالنسبة للحوادث فان الجرائد تنشرها بحرية والمراقبة عليها ألغيت غير أن جريدتى الأفكار والمحروسة قد صار إقفالها وقد اتخذت الوسائل للضغط على الحركة الوطنيـة ، ولكن طالما بقى المصريون متحدين بهذا الشكل فلا خوف علينا ، ومهما عمل الأنجليز فانهم لايصلون إلى استرداد مافقدوه من حالتهم الأولى، والعداوة قد تأصلت فى قلوب المصريين ضدهم ، ولكن ليكن نصب أعيننا احتمال حصول عراقيل، والله يعلم إلى أى مدى لأن الخصم له جملة طرق يستعملها ولا يتأخر عن استعمالها وقت اللزوم ، غير أن التنظيمات المصرية الشابة ليست على مايرام، ويلزم لها الزمن والصبر »

وجاءتنى منها رسالة بتاريخ ٧ ديسمبر ورد بها :

« المسألة تأخذ فى التطور والاتضاح ، والأفكار تتوجه نحو الاستقلال بصفة عملية . والأنجليز سيعلمون أخيرا أن الأمور ليست كما يعتقدون ، وندعو الله أن تنتهى المسألة بسلام » .

سنة ١٩٢٠

جهاد المصريين بالسويسرة واقتراح عقد مؤتمر — عودتى الى الاستانة — بينى وبين عباس — استقالتى وأسبابها — تصفية الحاشية — سعى عباس لاستغلال الحركة الوطنية — شئون مختلفة

جهاد المصريين بالسويسرة واقتراح عقد مؤتمر :

اختيارى رائداً للجمعية المصرية بلوزان : في يوم أول يناير سنة ١٩٢٠ زارنى عبد الله شديد بك ، وعرفنى أن المصريين فى لوزان انتدبوه ليبلغنى أن المصريين فى باريس شكلوا جمعية باسم « الجمعية المصرية بباريس » تعمل لتحرير مصر بأشراف سعد باشا زغلول . وقد شكل مصريو لوزان جمعية مماثلة ، وتريد أن أكون رائداً لها ، فتستشيرنى فى خطتها ومنشوراتها ، وأنهم مستعدون للحضور كلهم أو وفد منهم لشكرى إذا قبلت هذا الأشراف . فأجبته بأننى وأنا مصرى لا أبخل بمجهودى في خدمة وطنى ، ولمحت له بأن لا لزوم لانتخابى رئيساً ، وقلت : « إننا جميعاً جنود فى خدمة الوطن ، وإننى مستعد لمقابلة كل من يريد من الساعة ٥ إلى ٧ مساء كل يوم »

وبعد خمسة أيام حضر إلى منصور افندى القاضى ومحمد توفيق افندى عبد الله وشكرانى على قبولى الاشتراك فى العمل ، وأخرج الثانى من جيبه مقالة يريد إرسالها لجريدة الأفكار بمصر وفيها فصل تحت عنوان « شفيق باشا فى لوزان » تكلم فيه عن مساعدتى للمصريين فيها ، وأننى كأب لهم ، ثم انتقد كبار المصريين فى باقى مدن سويسرة الذين لا يهتمون بشىء فطلبت منه حذف هذا الانتقاد ، وقلت : « إن واجبنا الآن لم شعثنا لا التفريق بيننا » فوافق منصور على هذه الفكرة ؛ ثم وعدتهم بالاجتماع معهم كل يوم فى الموعد الذى حددته .

إشاعة قبول سعد للنظارة وترك القضية الوطنية : وفي يوم ٦ يناير عرفنى شديد بأن هناك نبأ هاماً وطلب اجتماعنا فاجتمعنا عند منصور افندى وأخرج محمد توفيق

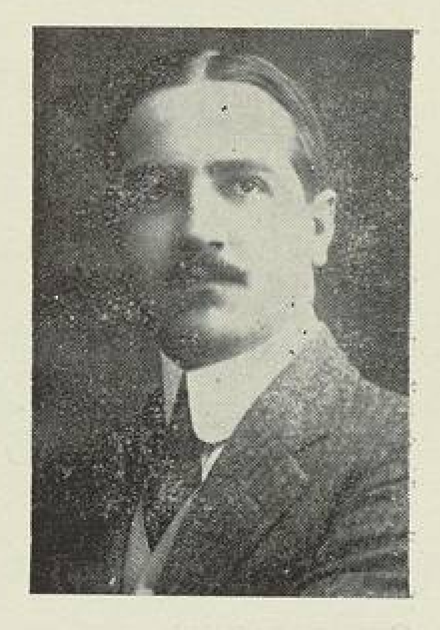
افندى عبد الله من جيبه جواباً قرأه علينا بأمضاء أحد الطلبة المصريين في باريس ، يقول فيه : « إن سعد باشا انفصل هو وعبد العزيز بك فهمى وأحمد لطفى السيد من الوفد، وامتنع عن مقابلة جماعة من الطلبة كانوا توجهوا ليسألوه عن إشاعة قبوله منصب الوزارة مع مظلوم باشا تحت رئاسة رشدى باشا ، ويظنون أن هذا الانفصال وهذا الامتناع هما من الأسباب التى تجعلهم يظنون سوءاً بسعد باشا ، وأنه انطوى مع الأنجليز ، واقترح إخواننا فى لوزان إرسال برقية له يهددونه ، ويستقبحون عمله ، فقلت لهم : « مهلا ، هذه الأشاعة تحتاج إلى استيقان فأنا أرسل خطاباً إلى سعد وأسأله عن الحقيقة » فأمليت توفيق افندى ماملخصه :

« نشرت التيمس خبراً مفاده احتمال دخولك مع مظلوم باشا فى وزارة رئيسها رشدى باشا، وأنك سترجع لمصر قريباً ؛ وجاءت أيضا أخبار من باريس إلى المصريين هنا تردد هذه الأشاعة ؛ أما أنا فلا أستطيع أن أصدقها لسببين : الأول كراهة المصريين لرشدى نظرا لأهماله الكبير فى واجباته نحو الوطن مدة الحرب ، وأنت أعلم منى بهذا الأهمال ، والثانى : ردك المشهور على التيمس لما اقترح مكاتبها تعيينك فى منصب الوزارة . اللهم إلا إذا كان قبولك لها الآن على أساس الاستقلال التام فاذا كان الأمر كذلك أرجوك أن تفيدنى حتى أهنىء نفسى وأهنئك بهذا الفوز الباهر ، وأطمن المصريين هنا » .

فجاء الرد بتاريخ ١٠ يناير يقول فيه : « لقد أصبتم فى عدم تصديقكم اشاعة دخولى الوزارة. إذ لايدخلها من كان فى قلبه ذرة من حب الوطن ، ولو لم يكن له فى البلاد شأن يذكر ولا فى الاستقلال سعى مشهور ؛ فكيف بمن أجمعت الأمة على الثقة به كل الاجماع ، وعهدت اليه السعى فى الاستقلال التام ، وأنزلته من قلوب أبنائها منزلا لم يبلغه أمير ولا سلطان ؟ كيف يرضى هذا أن يستبدل بهذا المقام السامى أحقر مركز وأخطره في البلاد ؟ ولقد أحسنتم إذ ذكرتم ما نشرته التيمس عنى من عهد غير بعيد من انى أفضل أن أكون فردا في مصر المستقلة ، على أن أحتل فى مصر المحمية أعلى مقام ، وانا دائبون على السعى فى عملنا ، والأمة تؤيد باتحادها سعينا ، والله من فوقنا على كل شىء قدير » .

المخابرة لعقد مؤتمر مصرى في السويسرة: تخابرت مع حسين شيرين بك فى ترتيبه ، ومع على بك الشمسى في جنيف ، ومحمد بك راسم فى فريبورج ، وعزيز باشا عزت فى زوريخ ، وأرسل منصور القاضى لجماعة الحزب الوطنى فى برن ، لعقد مؤتمر يحضره

جميع المصريين فى سويسرة ، لتقرير مصير بلادهم ، وكنت اقترحت ذلك أيضاً على



حسين شيرين بك



محمد بك راسم

جماعة لوزان فوافق الجميع على فكرتى ما عدا برن فانه لم يردنى منها جواب قاطع ، واقترح على بك الشمسى تأليف لجنة لترتيب المؤتمر ، وأن يكون عقده فى جنيف لكثرة المصريين بها، ولاعتيادهم اقامة مجتمعاتهم فيها ، ولأنها المدينة التى يختارها السياسيون لأعمالهم ، فأعلمت ترتيه وفريبورج وزوريخ بهذا الاقتراح، كما أننى أظهرت للمصريين فى لوزان وغيرها موافقتى على اقتراح جنيف ، وطلبت تعيين مندوب من كل جهة لتأليف اللجنة التحضيرية ، وكتبت إلى على بك الشمسى بقبول اقتراحه، وبالاستفهام عن المنتخبين للجنة من جنيف.



عزيز عزت باشا

ظهور عقبات: وبعد ذلك جاء من اسماعيل بك لبيب خطاب يقول فيه بأنهم فى جنيف لا يرون موجبا لهذا الاجتماع ، وحضر عندى فى ٢٠ يناير شديد وأحمد فريد ومنصور ومحمد توفيق عبد الله ففسر فريد هـذا الرفض بعد القبول باحتمال ظنهم أن وراء هذا الاجتماع شيئا فى صالح الخديو ، بعدأن نشر جرنال لاتريبين دوجنيف « جريدة الغاياتى » قرب حضور عباس حلمى إلى سويسرة بناء على قول من يوثق بكلامه من حاشية سموه .

كما أن عوض البحراوى واسماعيل بك لبيب وعبد الملك حمزه في برن يأبون الاجتماع بهؤلاء « الذوات » وكبار المصريين (وكان منصور كتب لهم ذلك بدون ذكر اسمى وانما قال مثل عزيز عزت باشا ومحمد بك راسم وشيرين بك) لأنهم لم يحركوا ساكنا ولم يقدموا أى مساعدة مالية فى الحركة الوطنية ، ولهذا يكون من العيب على أمثالهم أن يجتمعوا مع هؤلاء الذوات؛ وكان قد خطر على بال أحمدبك فريد أن الشمسى يظن أننى سأتولى الرئاسـة فقال توفيق : « إن شفيق باشا يرفض أن يكون رئيسا وكذلك شديد بك » .

وقد أشار شيرين وعزيز عزت باشا بأنه ما دام يوجد انقسام ما بين المصريين فى عمل الاجتماع فيكتفى بكتابة ورقة يمضى عليها المصريون، مضمونها ضم أصواتهم إلى أصوات اخوانهم فى مصر والغالب على ظن اخواننا في لوزان ، أن سبب هذا التردد اعتقادهم أن للخديو يدا فى هذه الحركة .

وقد ساء المصريين فى لوزان العدول عن فكرة الاجتماع ، فقالوا بعمل الجهد فى رفع سوء التفاهم مع شيرين أولا ومع الشمسى ثانيا ، فوافقتهم وأوفدنا محمد توفيق أفندى عبد الله إلى شيرين بك يوم ٢٤ يناير فقابله وتذاكرا فى موضوع الاجتماع وتنسـيق صورة الدعوة . ثم جاءنى تليفون من الشمسى يقول فيه : إن شيرين أخبره بعدم وصول رده الذى أرسله إلى من منذ ٤ أيام ، ويستغرب كيف لم يصل ؟ وقدعرفنى فيه بأن بعض المصريين فى جنيف قبلوا فكرة الاجتماع والبعض رفضوه وأنه يسعى فى لم شمل الجميع ، وطلب منى أن أعرفه بمندوبى لوزان فى اللجنة التحضيرية ، فقلت: « اننا لم نقرر شيئا ، وكنا ننتظر معرفة المندوبين من جنيف، وعلى كل حال فلوزان ستعين واحدا أو اثنين من ثلاثة هم توفيق ومنصور القاضى والدرديرى » ، فقال: « حينئذ ها نحن ننتظر انتخاب لوزان لنبدأ فى العمل » .

وفى يوم ٣٠ يناير سافرت من محطة لوزان إلى ترتيه فقابلت الشمسى بك ، والأستاذ فهمى وشابا قبطيا متوجهين لتشييع جنازة عثمان غالب باشا فتكلمت معهما فى مسائل سياسية ولكنهما لم يفتحا باب المناقشة فى مسألة عقد المؤتمر وتحاشيت أنا الكلام وقتها ، وعند ما كنا فى مدفن ترتيه انتحى شيرين بفهمى جانبا ثم لم أر أحدا منهم بعد الدفن ، فتركتهم ورجعت إلى لوزان .

وفى ٣ فبراير ورد لى خطاب من على بك الشمسى يأسف لأننى لم أحضر إلى منزل شيرين بعد دفن عثمان غالب ، ويخبرنى بأن اجتماعا عقد هناك وشهده القادمون من برن من المصريين ، وبعد المناقشة تقرر بأغلبية الآراء ارجاء اجتماع المؤتمر إلى ما بعد معرفة رد لجنة ملنر على اقتراح سعد باشا :

وكنت قبل حصول هذا التردد كتبت إلى سعد باشا أعرفه بفكرة الاجتماع لجاء منه الرد يوم ٤ فبراير يقول فيه :

« يسرنى أن يعمل كل من يستطيع العمل ، لصالح القضية المصرية فاذا اجتمعتم أنتم ومن يرى رأيكم ويتحد معكم على القيام بعمل نافع لها كان ذلك من أفضل ما تعملون ، ومن أحسن ما يستوجب الشكر وحسن الذكر »

فأرسلت الى على بك الشمسى وشيرين بك وعزيز عزت باشا بهذا النص فى ١٣ فبراير وقلت للأول: « إننى ما كنت أعلم بعزمه هو وفهمى وغيرهما على الاجتماع عند شيرين بك » وكتبت للثانى بهذا المضمون وأنه لم يخبرنى هو ولم يدعنى لهذا الاجتماع ، وفضلا عن ذلك فقد سمعت آنفاً من محمد توفيق افندى عبد الله نقلا عنه (عن شيرين) أنه كان يستحسن أن يدخل هو فى المخابرة مع جنيف وغيرها لترتيب الاجتماع ، لهذا رأيت الرجوع من ترتيه عقب حفلة الدفن الى لوزان .

ثم كتبت الى سعد باشا بتردد بعض المصريين فى عقد الاجتماع وأنى أرجو زوال هذا التردد قريباً .

البرنس محمد على والمؤتمر : وحررت خطاباً للبرنس محمد على باشا فى نيس أستعلم منه عما اذا كان سيضم صوته الى أصوات البرنسات في مصر ؟ وهل البرنس ابراهيم باشا حلمى الموجود فى نيس سيعمل ذلك ؟ إذ الأمة بأمرها قد أبدت رأيها ونحن نرجو أن يجتمع المصريون فى السويسرة قريباً لهذا الغرض فرد على يقول : « إنه مسرور من أن المصريين التفوا حولى » ، ولم يصرح بجواب على سؤالى ، وحررت

له خطابا آخر فى ١٥ فبراير أسأله عما اذا كان يريد أن يساعد مالياً فى عقد المؤتمر ان حصل ، لجاء الرد وليس فيه تصريح عن المساعدة .

طلبى مساعدة من عباس للمصريين: حررت لعبدالله البشرى جملة رسائل عرفته فيها بالتفاف المصريين بلوزان حولى وباقتراحى عقد المؤتمر لجمع كلمة المصريين فى مصير بلادهم ، ثم طلبت مساعدة مالية من الخديو تسمح لمن فى لوزان باستمرار طبع الجريدة التى كان يصدرها محمد بك فريد ، وعرفته بمخابراتى مع سعد باشا فى صدد الاشاعة التى شاعت عن قبوله منصباً فى وزارة يرأسها رشدى باشا ، وبالرد الذى جاءنى منه بنفى هذه الاشاعة ؛ ثم استحسنت أن يقدم الخديو شيئاً من المساعدة المالية للوفد فى باريس بصفة سرية؛ فلم يصل الى رد على ذلك.



الأستاذ مجد الدين حفنى ناصف

أخبار المصريين فى باريس: أرسل الى مجد الدين حفنى ناصف نجل المرحوم الشاعر حفنى بك ناصيف خطاباً بتاريخ ٢٩ يناير يقول فيه حرفياً : « علمنا بمزيد السرور خبر اشتراككم مع الشبيبة كى تعقدوا المؤتمر ، وتعلنوا به أهل أوروبا وتشدوا به أزر مصر ، وسيحضر وفد الجمعية عند أول أشارة فنرجو أن تتنازلوا بتكليف من يبادر باخبارنا قبل الموعد بثلاثة أيام ولسعادتكم الفضل فى هذا العمل الوطنى المجيد والسلام عليكم الخ »

فأرسلت له الرد الآتى بتاريخ أول فبراير : تلقيت بيد الممنونية والشكر كتاب حضرتكم المؤرخ في ٢٩ يناير الماضى . نعم اشتركت بكل سرور مع الشبيبة هنا وأردنا أن نعقد اجتماعاً للمصريين لاعلان رأيهم فى مصير بلادهم ولضم أصواتهم الى أصوات مواطنينا واتصلنا باخواننا فى المدن الشهيرة بسويسرة لحبذ الجميع هذه الفكرة ، ثم تردد بعضهم أخيراً ؛ فاذا اتحدت الآراء وهذا رجائى لا أتأخر عن إخباركم بموعد الاجتماع ، ويسرنى أن أرى الشبيبة المصرية فى جميع الأقطار تجاهد

فى سبيل إنقاذ الوطن من يد الغاصبين له — فبارك الله فيهم وتوج جهادهم بالنجاح ومنى لكم ولجميع إخوانكم أزكى التحية والسلام .

عودتى الى الاستانة : عزمت على الرجوع إلى الاستانة من شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ مدة وجود البشرى معى في لوزان فأرسلت خطابا إلى سفير الدولة فى برن أطلب منه أمرين : الأول اعطائى جواز سفر سياسيا . والثانى عمل المساعى لرجوعى، فأتانى الرد بأن الأمر الأول غير ممكن تنفيذه لأن هذا الجواز لا يعطى إلا لنظار الحكومة العثمانية ، وعن الأمر الثانى بعث إلى باستمارة لاملأها وأردها له وقد فعلت ، وانتظرت الترخيص ثلاثة أشهر بغير جدوى ؛ ثم كتبت إلى البشرى وطلبت منه أن يرشدنى إلى طريقة الرجوع فى أقرب وقت لأن راتبى سيتصرف فيه الحكومة العثمانية ، إن لم أرجع وأقبضه لغاية مارس ، ورجوته أن يرسل برقية بطلب الترخيص، وكان ذلك فى فبراير سنة ١٩٢٠، فأتانى الرد بأنه أرسل برقية إلى نظارة الخارجية بطلبى؛ ومن جهة أخرى طلبت من عباس اجراء مايلزم لتعجيل الترخيص سواء كان تحريريا أو برقيا بواسطة البشرى فوعد بذلك؛ ولما لم يأت خبر فكرت فى مراجعة قنصلية جنرالية ايطاليا ، فأرشدنى القنصل إلى طريقة وهى طلب السفر إلى ايطاليا ومن هناك يسهل التصريح بالذهاب إلى الآستانة ، ولكن طلب منى ضامنا يعرفنى، فأعطيته اسم موسيو دى مارتينو الذى كان عندنا معتمدا لايطاليا وهو الآن معتمد أول فى مؤتمر الصلح ، فقال لى أن أكتب اليه خطابا ، فكتبته ، وعلمت بعد أيام من القنصل أن دى مارتينو كلمه تليفونيا من لندن ليستعلم منى عن الجهة التى أقصد الذهاب اليها ، فقلت له: « إننى أريد الرجوع إلى الآستانة » فأبرق اليه بذلك وطلب منه أن يبرق إلى القوميسير الطليانى فى الآستانة كى يسمح للقنصل برقيا بالتأشير ثم انتظرت أسبوعين وقابلت القنصل وتناقشنا فيما يلزم لاستعجال ارسال الترخيص، فانتهينا إلى كتابة برقية باسمه قال فيها: « إن موسيو دو مرتينو يوصى على » وفى العشرة الأخيرة من مارس جاء الرد بالترخيص إلى القنصلية ، فذهبت إلى جنيف ، واستخرجت جواز سفر عثمانيا بتاريخ ٢٥ مارس .

وقد سافرت يوم ٦ ابريل من لوزان إلى ميلانو ومنها إلى البندقية ومن هناك ركبت الباخرة فوصلت إلى الآستانة يوم ١٥ منه . وجاء مندوب من السلطة الايطالية لمراجعة جوازات السفر . ووجدت عبد الله البشرى والدكتور سيد كامل فى انتظارى .

مع عباس : وتوجهت إلى حصار عند عديلي مظهر بك ، وبعد الاستراحة ذهبت إلى بيك وقابلت عباسا ، فدار الحديث بيننا عن حالتى وحالة عائلتى الصحية

قبض مرتباتى المتأخرة : وفى يوم ٢٢ منه قبضت من المالية ١٥٠ جنيها قيمة مخصصاتى عن مدة سنة لغاية آخر فبراير سنة ١٩٢٠ .

استقالتى وأسبابها :

نقود البير حمصى : البير حمصى صاحب محل للتسليف في حلب ، وكان قد قابلنى فى أواخر سبتمبر سنة ١٩١٨ فى بودابست ، وسلمنى ألفى ليرة انجليزية بنك نوت و ٢٨٧ ليرة ذهباً ، وسندات من البنك العقارى المصرى ، لتوصيلها لعميله بالاستانة ولكنى لم أتمكن من ذلك بسبب انقطاع المواصلات بين النمسا وتركيا كما تقدم ، فبقيت الأمانة عندى .

وكان الخديو قد أرسل سيدة ذات نفوذ كبير على ابنه البرنس عبد المنعم بسويسرة لتقرب شقة الخلاف بينهما ، ولكنها بقيت فى فينا عند ماانقطعت المواصلات مدة أشهر طويلة ، واحتاجت هى وبعض الحاشية الخديوية إلى نقود ، وكان القانون النمسوى يقضى بمصادرة نقود الأعداء . فصرفت الأمانة إلى كورونات ووزعناها علينا ، وكان الجانب الأكبر من نصيب هذه السيدة .

ثم كتبت للخديو بأن تدفع الخاصة (٢٢٨٧ جنيهاً) لعميل حمصى فى الاستانة وصادف وجود البير حمصى فى لوزان بعد عودتى اليها ، فسلمته سندات البنك العقارى وأخبرته بما حصل فى النقود وبتحريرى للخديو ، وبناء على طلبه أعطيته خطاباً لعباس ملتمساً دفع القيمة .

وفى أوائل يناير سنة ١٩٢٠ قابلنى ، وأخبرنى أنه لم يتمكن من السفر إلى الاستانة لتسليم خطابى وتسلم المبلغ ، وطلب أن أسدده له لحاجته إليه .

وكان قد بلغنى أن الخديو أرسل إلى السيدة بعد وصولها للسويسرة أن تسعى لسداد هذا المبلغ من مواردها الخاصة ، فأخبرت حمصى بذلك ، ولكن هذا الحل لم يرضه ، فاضطررت أن أمضى له تحويلا على الخاصة بالاستانة وشفعته بخطاب .

وفى ١٠ فبراير جاءنى نجله وأخبرنى أن التحويل لم يدفع ، و « عمل عليه بروتستو » .

وقد بقيت المراسلات مستمرة بينى وبين عباس ، وبينه وبين السيدة في سويسرا دون جدوى حتى رجعت إلى الاستانة .

مذكرة عن الموضوع : ثم حدث بعد ذلك سوء تفاهم بينى وبين الخديو من جراء هذا المبلغ ، فكتبت مذكرة وافية أرسلتها له فى يوم ٢٨ يونيو وضمنتها تفصيلات الموضوع كله ، وأنا أثبتها هنا مكتفياً بها عن ذكر هذه التفصيلات :

١ — أعتقد أنى لست مخطئاً فى إغاثة المنتمين للخديو فى وقت حرج

٢ — جاءت الأوامر بقلم الدكتور سيد كامل بأنه كتب إلى السيدة الآنفة الذكر بالسويسرة أن تسعى لسداد المبلغ

٣ — اضطررت أن أمضى تحويلا لحمصى على الخاصة رفض دفعه بناء على أسباب مهينة لشرف ناظر الديوان الخديوى .

٤ — وردتنى أوامر بقلم احمد بك صادق ، يقول فيها : انه بالنظر لكون القسم الأعظم من السلفة يرجع إلى السيدة فعلى أن أراجعها فيه ، أما القسم المختص بالحاشية فمنه ما حصلت التسوية فيه . والباقى المختص بما أخذته ، وبما أخذه شديد بك فطلب منى تقديم حساب عنه .

٥ — راجعت السيدة وبينت لها أنه لم إذا لم تحصل التسوية دخلت المسألة فى منازعات قضائية

٦ — صعبت على نفسى إذ كنت كمتسول يمد يده يميناً ويساراً ولا منقذ له ، أنا الذى فعلت خيراً وأغثت محتاجاً .

٧ — اقترح حمصى أن أتنازل له عن حق على السيدة ليستطيع اتخاذ الأجراءات القانونية ، فقبلت على شرط أن لا يقيم الدعوى الآن ، وأن ينتظر وصولى إلى الأستانة وعرض المسألة برمتها على الجناب العالى ، فيأمر بحل موافق للطرفين

٨ — لما مثلت بين يدى سموه حصلت المذاكرة فى الموضوع ثلاث مرات بحضور عارف باشا وأحمد بك صادق ، فشرحته شرحاً وافياً ، خصوصاً نقطة المساعى التى بذلتها لتنفيذ الأوامر الواردة ، ومنها نقطة تنازلى عن حق لحمصى .

٩ — أظهر سموه استعداداً لفض المشكل ، وأصدر أمره إلى أحمد بك صادق بأن يتفق معى على طريقة لتسوية الحساب ، وبالفعل حرر مشروع خطاب للسيدة باستحضار النقود اللازمة من مصر ودفع الحساب المذكور ، ووافق سموه عليه وأمر بترجمته إلى التركية ، فشكرت الجناب العالى على قبوله دفع هذا الدين .

١٠ — بعد يومين جمعنى مع عارف باشا وأحمد بك صادق وعرفنا بأن حمصى طلب السيدة أمام قاضى الصلح ، فتكدر وتكدرت أنا أيضاً ، لا لأن هذا الطلب يعد اقامة دعوى؛ ولـكن لأنه يخالف اتفاقنا، وعليه أمر سموه أن اجتمع بدومرتينو (الذى كان موظفاً بقلم قضايا الخاصة بمصر) وأحمد بك صادق لتحرير خطاب بطلب استعلامات من حمصى

١١ — فى ٨ مايو قدمت حسابى الذى كان قد طلبه منى أحمد بك صادق ، وقلت له « ليقبل منه الخديو مايقبل ويرفض منه مايرفض » وكان ملخصه : ٧٧ ألف فرنك سويسرى مافقدته فى سياحتى فى انسبروك ، ١٢ ألف كورون لنفقاتى مع عائلتى وعائلة شديد بك لغاية اكتوبر سنة ١٩١٨ و ٢١٠٠٠ فرنك فى بودابست وفينا ، وخرجت ٥١٨ جنيها انجليزياً مما أخذته من نقود حمصى فكان الباقى ٩ آلاف فرنك

١٢ — فى ١٠ منه جمعنى د ومرتينو بك مع أحمد بك صادق وأعلنى الأول بأن الجناب العالى أوقف تنفيذ تسوية حساب حمصى ، لأننى بتنازلى عن حق له أعطيت فرصة للخصم باقامة الدعوى ، وأعلنى الثانى أن سموه يرفض قطعياً النظر فى الحساب الذى قدمته ، فأجبت بأننى ماتنازلت عن حق إلا لقصد واحد وهو الوصول إلى تنفيذ الأوامر ؛ وقلت عن الحساب إننى كنت أود أن أعرف مالا يرضاه سموه فأتركه .

١٣ — وردت برقيات من ارنست حمصى ابن الدائن وعرضت على الجناب العالى تؤيد عدم إقامة الدعوى وان طلب السيدة أمام قاضى الصلح ، ماهو إلا لمجرد الأرهاب ولايعتبر فاتحة للدعوى .

١٤ — ورد خطاب من والده بحلب بواسطة مندوب من الكريدى ليونيه بالاستانة بأنه ينتظر الوصول إلى حل ودى كما وعدته ، ولـكنى فهمت من المندوب أنه أرسل تعليمات للبنك بأقامة الدعوى فى حالة عدم الوفاق

١٥ — رفعت مذكرة بكل ذلك فجاءنى أحمد بك صادق وبيده صورة الاتفاق الذى بموجبه تنازلت عن حق لحمص ، كأنه سلاح جديد ، ثم قال : إن حمصى لما علم بعدم امكان اقامة الدعوى فى سويسره يريد الآن اقامتها هنا ، فأجبته بأننى سبق أن افهمت أفندينا من بادىء الأمر بهذا الاتفاق .

١٦ — اجتمع بى السيد محمد العتابى الموجود بضيافة الخديو وعبد الله البشرى

وقال لى : إن ماهر افندى أخبر الجناب العالى بأننى استشرته فى إقامة الدعوى ضد سموه ، فكيف يجوز لى أكل عيش سموه فى الوقت الذى أضمر له السوء ؟ فدهشت لهذه التهمة الجديدة ، وكذبتها قطعياً ، ثم طلبت مواجهتى بماهر افندى ، وقلت : إن الحقيقة انه سألنى عن الخديو فأجبته أننى لم أتشرف بمقابلته من مدة لسبب تافه يرجع إلى مسئلة نقود كانت عندى أمانة وتصرفت بتوزيعها عند انقطاع المواصلات عنا ، ولما حضرت وعرضت المسألة صدر الأمر بقبول الدين وبتسويته وأخشى من أن صاحب الدين يقيم الدعوى علينا ، وطلبت منها عرض جوابى على سموه فى ذلك[1]

١٧ — يستخلص من ذلك أن الأسباب الظاهرة لهذا الغضب تنحصر فى ثلاثة أمور : الأول طلب السيدة أمام قاضى الصلح ، والثانى تنازلى عن حق للخصم ، والثالث استشارة ماهر أفندى ، فعن الأول أجيب بأن الدعوى لا تعد قائمة إلا إذا رفعها الخصم أمام المحكمة ، ودفع الرسوم عنها ؛ وعن الثانى أقول : إنه ما ورد على خاطرى أن أعطى سلاحاً ضد مولاى ، والدليل على ذلك أنه كان فى مقدرتى أن أترك الخصم يقيم الدعوى على وأدخل الخاصة ، ولكنى بالعكس تحاشيت ذلك وبذلت جهدى في ارضائه بالانتظار ، وكان من السهل على كذلك أن أطلب من شديد بك وهو ناظر الخاصة أن يمضى التحويل ، ولكنى توقيت ذلك حتى لا أغضب سموه ؛ وأرد على الثالث بأنى آسف جداً لعدم احضارى أمام سموه حينما اتهمنى ماهر أفندى بما أنا براء منه ، ولهذا رجوت مواجهتى به سواء أكان فى الحضرة العلية أو أمام من تأمرون به فتظهر النتيجة

وبينما أنا أحرر هذه المذكرة إذ حضر عندى اليوم سعادة عارف باشا وأبلغنى نفس الأسباب الموجبة لتأثر سموه وقال : إنه كان الأولى ألا أستشير محاميه إلا بعد الاستئذان ، ولكنى أكرر غرضى الحقيقى من هذه الاستشارة وقال: انكم لا تقبلون منى عذراً ، وانكم تتركون لى البت فى أمرى ، فاذا كان غرض سموكم يرمى إلى تقديم استقالتى فأنا رهين أمركم الصريح الذى أتلقاه - إما رأساً أو بواسطة سعادة عارف باشا - وعندها لا أتأخر عن رفع هذه الاستقالة لأنى لا أريد أن يقال « إنى تركت سموكم من تلقاء نفسى »

شفيق

---

(١) الذى أخبر الخديو فى الحقيقة هو نور الدين بك للوشاية بى

فرفع عارف باشا المذكرة وقال : « إن الخديو قرأها من أولها لآخرها ولم يصدر له أوامر »

ولم أذهب لسراى بيك بل اكتفيت بارسال كلمة لعارف باشا أسأله عما تم فأجاب بأنه سيمر على ليبلغنى الجواب .

وفى يوم ٢ يوليو بناء على موعد أعطاه لى الدكتور سيد كامل ذهبت عنده فوجدت البشرى ، وتكلمنا فى الموضوع فكان رأينا بالاجماع أن الخديو لا يريد بقاءنا نحن الثلاثة عنده بسبب انقطاع مخصصاته من حكومة تركيا ، وأن الدكتور سيد كامل سيستمر أسبوعاً على الذهاب إلى بيك بعد الظهر فقط ثم ينقطع لأن الخديو لا يقابله ولا يحادثه ولم يعد ينظر إليه . وأما البشرى فقال : انه يرافق سموه ولكن لا يكلمه بل فى أثناء وجوده معه فى الزورق يحادث نور الدين ـ إن كان معهما ـ أو البحارة .

وانه حصل كلام بينه وبين عباس فقال : إن اللازم انهاء مسألة النقدية مع شفيق بأن يقبل سموه ما يخص السيدة على سعر الجنيه الانجليزى بالكورون وقت أخذها المبلغ ويقول لشفيق : أنت وشأنك فيما دفعته لشديد ولبشرى ، وانى لا أقبل منك حساباً ، ولا أعتبرك فى ضيافتى وينتهى الأشكال .

فرد الخديو بأن كرومر لم يمكنه أن يخضع سموه فكيف أنه يخضع لارادة شفيق ؟ فلهذا كلف البشرى بأن يكلمنى ، ويأخذ منى استقالتى ، فالتمس أن يصحبه السيد محمد العتانى الذى كان حاضراً هذه المحادثة ليكون شاهداً على أنه سيبلغنى كل ما أمر به الجناب العالى .

قال البشرى : فلما لم آت له بالاستقالة احتد على وقال ضاحكا مستهزئاً : « أنا أكلف أحمد بك صادق وهو يفعل مالم تفعله أنت » ، ولكن على كلام البشرى أن المذكور تنحى عن هذه المهمة ، ولهذا عهد بها الخديو إلى عارف باشا .

وتكلمنا بعد ذلك فى موضوع استقالتى ، فكان من رأى صاحبى أن لا أقدمها ، بل أترك السراى حتى لا أقفل باب المسالمة ، واحتمال رجوعى إلى خدمة الخديو قلت : « غيرى يمكنه أن يعمل ذلك ولكن أنا لا أود أن يدعى على بأننى تركته بعد ٤٢ سنة قضيتها فى خدمة السراى » .

قال البشرى : « هو لا يريد أن يدفع نقودا ، ويبحث عن أسباب لذلك » ، قلت : « وأنا ليس من شأنى أن أساعده على مطلوبه » ، وعلى هذا راجعنا صورة الاستقالة ، وبعد تعديل خفيف في التحرير اتفقنا على الصيغة الآتية :

نص الاســـتقالة : « مولاى الجناب العالى الخديوى

« فى يوم الاثنين ٢٨ يونيو الماضى رفعت إلى أعتاب سموكم مذكرة في موضوع النقود التى قدمتها فى فبراير ١٩١٩ للسيدة المحترمة ولبعض رجال الحاشية فى وقت ضاقت بهم سبل المواصلات حيث كانوا فى فينا وبودابست ، وما استطاعوا الوصول إلى سويسرة ولا العودة إلى الآستانة ، وكانوا لا يجدون باباً للاستدانة من أى بنك من البنوك، وحيث كان حقاً على أن أعمل ما فى جهدى لاغاثتهم في هذا الموقف الحرج وكان حقاً لى أن أشكر على ما قمت به لا أن أجازى بالمعاملة التى عوملت بها حتى الآن .

«ومع أننى كنت ولازلت على تمام الاستعداد لارضاء الجناب العالى لا تمسكا بأهداب وظيفة بعد أن قضيت فيها حيناً من الدهر يستوجب راحتى . وإنما ابقاء على الرابطة التى تربطنى بهذا البيت العلوى العظيم، فأننى لاقيت من سموكم فى الأيام الأخيرة الأغضاء والأعراض اللذين انتهيا برغبه جنابكم العالى فى تقديم استقالتى وهى رغبة ظهرت من رفضكم النظر فيما التمسته فى ختام مذكرتى المتقدمة الذكر .

« هذه الرغبة ليست مبنية يامولاى على أسباب أرى نفسى فيها مخطئاً بوجه من الوجوه وما اعتذارى لسموكم من محادثتى مع ماهر أفندى أخيراً إلا من باب التأدب نحو سموكم ، ومع هذا لايسعنى إلا أن أطيع اشارة جنابكم العالى فأتقدم إلى أعتابكم ملتمساً قبول استقالتى من وظيفة ناظر الديوان الخديوى .

«مولاى : لى اثنان وأربعون عاماً قضيت ثلثها فى خدمة المغفور له والدكم وثلثيها فى شرف خدمتكم ، فكانت تصادفنى أحياناً ظروف أتحمل فيها من شدائد الحال فى العهد الأخير بين مصر والغربة ما لا يتحمله غيرى ، وكم هممت بالاستقالة فتمثلت أمام عينى صورة المرحوم والدكم فتذكرت ما لأياديه البيضاء على من الاحسان حيث ربانى صغيراً وشملنى بعطفه كبيراً ، فأرجع عن عزمى رغبة منى فى وفاء هذا الدين بدوام البقاء فى خدمة سموكم .

«انى لا أكون مبالغاً اذا اعتبرت نفسى قدوفيته بما قمت من خدمات فى أصعب الأوقات جمعت فيها بين واجب الاخلاص لبيتكم الكريم فى شخص سموكم العزيز وبين داعى الوطن المفدى، حتى كان لى الحق فى مقاسمة جنابكم العالى شطراً متواضعاً فى فخار الجهاد السياسى المقدس الذى جاهدتموه .

«الآن أترك خدمتكم ذاكراً بالجميل ما أوليتمونى فيها ، ناسياً ما أصابنى فى أثنائها راجياً من سموكم العفو عن هفواتى التى لا تخلو الحال من وقوعها من غير قصد فى غضون مثل هذه المدة الطويلة، داعياً لسموكم أن يفيض المولى سبحانه وتعالى عليكم نعماه ، وأن يحسن لكم العاقبة ، ويرد لكم حقوقكم . وانى ما زلت يامولاى عبد سموكم الطائع . »

« شفيق »

وحررت للوالدة رسالة بالأسباب التى بنيت عليها استقالتى فأرسلتها للخديو

وفى ٢٨ يوليو توجهت بعد الظهر إلى سراى بك ، ودفعت باستقالتى لعارف باشا راجياً منه أن يقدمها للخديو ، وبعد أن قدمها قال : « إنه تسلمها ، ولكنه لم يقرأها وأبقاها إلى مابعد ، كما أنه لم يقرأ المذكرة وسيقرؤهما معاً ويعطينى خبرا » (مع أنه سبق أن قال لى يوم أن عرض على سموه مذكرتى : انه قرأها من أولها لآخرها) . وبذلك انقطعت صلاتى بعباس

تسديدى دين حمصى : وبواسطة عبد الحميد شديد سددت هذا الدين ، بسحب حوالة لحمصى يسددها ابنى عز الدين بمصر

تصفية الحاشية :

عبد الحميد شديد بك: زرت شديد بك يوم ٢ مارس قبل سفرى من السويسرة فعرفنى بأن عباس أرسل له فى جواب حرره احمد بك صادق يأمره بالرجوع الى الأستانة بدلا من محرراته التى هى عبارة عن طلبات نقود وتألمات وتوجعات فيما أصابه من الخسارات المادية ، فأجاب شديد على ذلك بأنه خدم سموه متطوعاً مدة سنتين فكان ينفق من ماله أجر السكك الحديدية ومصاريف الفنادق وغيرها، وأنه كان قرر له بعد ذلك ألف فرنك شهرياً ، ولما علم بوصول نقود له فى مصر أنزلها الى خمسمائة ، وأخيراً لما عينه ناظراً للخاصة قرر له ١٣٠٠ فرنك وبناء على طلب شفيق زادها الى ١٥٠٠ ، مع أن الذى كان سموه وعده به هو مبلغ ١٢٥ جنيهاً مصرياً.

ثم قال : إنه فى مدة وجوده فى خدمة الجناب العالى قام بخدمات جليلة ، منها أنه لما احتاج سموه الى نقود عقد له سلفة بمبلغ ثلثمائة ألف فرنك يأخذها على أقساط شهرية كل قسط عشرون ألف فرنك (وكان يصرف منها للحاشية ألفين ويرسل الى لوزانج ٦ آلاف فرنك لفرنسا) ومنها أنه توسط بينه وبين الانكليز لعمل اتفاق فى صالح سموه نظير تنازله عن حقوقه فى الخديوية المصرية .

وأخيراً قال شديد : إنه متمسك بالشروط التى أرسلها منذ شهر لقبوله القيام بأعمال الخاصة ومنها تخصيص سيارة لركوبه وترك الحرية له فى انتخاب المستخدمين ، وعدم قبول أوامر إلا من سموه ؛ وله أن يفعل مايشاء وأن يخصص مسكناً له ولأولاده ولايأخذ مرتباً؛ وفقط عند الاستغناء عنه يعطى ألف جنيه انجليزى لمصاريف رجوعه الى الأستانة ، وأنه ينتظر الرد لغاية مارس فان لم تقبل هذه الشروط فانه يقدم استقالته ، ويطالب بحقوقه لغاية يوم الاستقالة .

وفى يوم ٨ مايو (وكنت قد حضرت الى الأستانة) اجتمعت مع عباس وكان فى حضرته عارف باشا واحمد بك صادق فدار الحديث عن شديد بك فقال : إن المذكور كتب له وادعى أنه هو الذى أغاثه من الضيق الذى كان وقع فيه أثناء وجوده فى سويسرة ، فقال: إنه يفتخر بأن الضيق قد بلغ به الى هذه الدرجة ، وهذا ليس بالشىء الذى يشينه ، لأنه يدل على عزة نفسه (وخرج سموه بهذا الكلام عن الموضوع لأن شديداً لايريد بما فعله لسموه أن يقول: إن هذا العمل إهانة بل يقول : إننى ساعدته على إيجاد النقود فى وقت احتياجه لها) .


رمزى طاهر باشا

ثم أنحى على شديد باللوم مدعياً بأنه أفسد عليه عبد المنعم وعبد القادر أيضاً ثم قال : إنه أرسل للمحامى بيكار فى السويسرة أن يطلب منه تقديم حسابه .

ولم أعلم ماذا تم بعد ذلك لانفصالى عن الخديو .

رمزى طاهر باشا : فى يوم ٢٠ ابريل تقابلت مع رمزى طاهر باشا السرياور الخديوى الذى استقال بعد رجوع عباس من ألمانيا ؛ فعلمت منه أن السبب هو أنه كان قد أعطى شهادة ممضاة منه ومن ابراهيم بك أدهم وتوفيق بك الياوران ، لحسين وصفى افندى الذى كان معاون القبوكتخدائية وفصله الخديو ، بأنه كان ضابطاً فى الجيش المصرى ، حتى يمكنه أن يستخدم فى الدولة ويعيش . فعلم الخديو

بذلك وغضب على سر ياوره مدة ؛ وبعدها جاءه احمد بك صادق وكلفه برفع استقالته فلم يقبل ، ولكنه انقطع عن العمل فى بيته .

قال رمزى باشا . « ولكن جاءنى ذات يوم احمد بك صادق في منزلى، وكان معه يكن باشا وابراهيم ادهم وتوفيق بك فهمى (أى الذين انفصلوا عن الخديو) وطلب احمد صادق منى أن أتوجه معه للسراى لمقابلة سموه ، وكان سبب هذا الطلب أنه كان نوى أن يترك الآستانة بعد الهدنة التركية ، ويهرب الى أوروبا ، وكان يرغب فى تسليمى السرايات فرفضت التوجه مع احمد بك صادق رغم إلحاحه » .

وسبب فصل وصفى افندى أن الخديو أخرجه من سراى جبوقلى التى كان يسكنها ويأكل فيها لأن راتبه كان ١٤ جنيها فقط ، والخديو على الرغم من إلحاحى مدة تقرير المرتبات لم يرض أن يعطيه علاوة ، لا هو ولا ابراهيم بك أو توفيق بك ، حتى غضب من إلحاحى ، فلما أخرجه من جبوقلى صار مبلغ ١٤ جنيها لا يكفى لمسكنه ومعيشته . وصادف فى هذا الوقت أن احمد بك فريد التشريفاتى استعفى ، فطلب وصفى بواسطة رمزى باشا أن يعين محله حتى يقبض ٦٠ جنيهاً تركياً شهرياً فتكفيه لمعيشته ، فقال الخديو : « أنا لا أخاف من تهديده » كأنه يقول : إن وصفى يهدده بالقتل إذا لم يرض بزيادة راتبه !! .

وعلمت من رمزى باشا أن الخديو كان يأمر بتعطيل إرسال الاذن بسفر عائلة شديد بك لأنه ما كان يريد أن يرجع إلى الآستانة قبل سفره إلى المانيا ورجوعه منها ، كما أنه عطل رجوعنا معه من بودابست .

وقال رمزى : « إنه لما وردت برقية منى بتعذر مواصلة السفر لانقطاع الطريق ، وأن عفشى ضاع ، كان يضحك كأنه حصل له السرور من ذلك » ثم قال : « وان الخديو كان ينوى إذا حضر شديد بك إلى الآستانة أن يسلمه إلى الحكومة انتقاماً منه ، ويظهر عنه أسراراً تدور حول مسأله طرابلس الغرب ، تكون سبباً للقبض عليه » .

الدكتور سيد كامل وعبد الله البشرى : فى يوم ١٩ يونيه كان الشيخ محمود المصرى (الذى كان فى المدينة وحضر الى الآستانة وساعده الخديو والآن فى

خدمته) فى غرفة احمد بك صادق مع الدكتور فريد طبيب السراى ، فجرى الكلام فى مسأله مصر واحتمال رجوع الخديو ، فقال احمد صادق : ولو أن البعض هنا ينكرهذا الاحتمال ! . فقال الدكتور : أظن أنك تعنى بذلك السيد كامل ؟ قال : نعم . فأسرع الشيخ وأخبر الخديو بذلك ، فغضب من الدكتور سيد كامل . ولم يكتف الشيخ بذلك بل دس لعبد الله البشرى . فقال : وان البشرى يحامى عن الخونة (أى شفيق وسيد كامل) . فلما بلغ ذلك البشرى سفه الشيخ وشتمه وكان ينوى ضربه ، وأما سيد كامل فأراد أن يتواجه مع الدكتور فريد ، ولكن هذا كان يأتى السراى ولا يدخل غرفتى ، التى يأوى اليها سيد افندى ، والتى كان يدخلها الدكتور كلما حضر للسراى من قبل ؛ وتقرر عمل تحقيق ، ولكن فريداً تهرب منه الى يوم ٢٤ يونيو . ولما اجتمعنا بحضور عارف باشا قال الدكتور : انه لم يكذب وألقى كل المسئولية على احمد بك صادق وعلى الشيخ محمود المصرى .

نور الدين : حدث فى أوائل أغسطس أن الخديو عهد إلى نور الدين بك فى مهمة فاعتذر لأن له قضية منظورة فى اليوم المذكور ، ويجب عليه أن يكون حاضراً فى المحكمة ، فلم يرق ذلك في عين الخديو ، فأنبه وكدره ، وقال له : « كيف لاتقضى مصالحى ، وأنت مأجور منى مع أنك تمضى نصف الشهر في مباشرة أشغالك الخصوصية ؟ » فكتب نور الدين خطاباً لسموه يقول فيه : « ان الذى يتقاضاه منه لا يقوم بمعيشته ، ولولا اجتهاده ومباشرة أشغاله الخصوصية التى تساعده على العيش لمات جوعاً ، فاذا كان هذا لا يرضى الجناب العالى فانه يقدم استقالته » . وبعد أربعة أيام أرسل له عارف باشا يقول : « ان استقالته قبلت » وانتهى الأمر .

مسعى عباس لاستغلال الحركة الوطنية : بلغنى فى أوائل ابريل سنة ١٩٢٠ أن عباس كلف البرنسيس شويكار بالسعى عند سعد باشا زغلول فى باريس لاجتذابه إلى جانبه ، وأن أمله كبير في الرجوع إلى مصر سلطاناً عليها . ولكن سعداً قابل البرنسيس بتحفظ ، وعادت بلا نتيجة .

وفى يوم ٢٤ منه علمت من عباس أن البرنسيس أخبرته أن صفية زغلول أثنت على حرمه ولم تثن عليه ، وأنه يعتقد باتصال المخاطبة بين حرمه وصفية هانم

ثم علمت من البشرى ، أن سموه يريد أن تكتب حرمى إلى صفية ،هانم لتدافع عن الخديو عندها .

ومع وجود هذه الرغبة أراد أن يفهمنى أنه لا يهتم بأى شىء فقال : « أنا الآن صرت فيلسوفاً فلا يهمنى من هذه الدنيا شىء » .

وفى يوم ٧ أكتوبر قال الدكتور سيد كامل لى : « يحسن أن تقدم نفسك يا باشا للانتخابات القادمة لتشكيل الجمعية الوطنية التى ستنظر فى الاتفاق بين مصر وانجلترا » ثم سألنى عن رأيى فيما إذا كنت أعطى صوتى للخديو عباس ؟ فأجبته نفياً قائلا : « اننى عرفت أنه لا يصلح للحكم ، وأن وطنى فى حاجة الى الرجل الصادق المحب للمصريين ؛ وليس من يبغضهم . وهل نسيت يا سيد افندى ما كان يقوله عن المصريين ؟ اننى سجلت عليه كل أقواله كما فاه بها ، وإن حبى لوطنى أكثر من كل شىء » ، قال : ولمن حينئذ تعطى صوتك ؟ قلت : وقتها أفكر فيمن أصوت له ! . واسترسلنا فى أحاديث الحكومة والحكام فقال : « نحن وجدنا مع الخديو عباس — وخصوصاً أنت — من زمن بعيد ، فكيف نتركه الان ؟ أفلا يقول الناس أن شفيقاً ترك عباساً مدعياً بأن سموه لا يصلح للحكم ، مع أنه خدمه المدة الطويلة ؟ قلت: « إن هذا الانتقاد ظاهره منطقى ، ولكن عندى من الأسلحة ما يمكننى من المدافعة عن خطتى » قال : « أنت يا باشا تقول ذلك باللسان وليس بالقلب ، وأنا أرجو أن يزول ما بينكما وترجع المياه إلى مجاريها » .

وأضاف ، « وأنا أقول هذا من عندياتى وليس بايعاز » فأجبته : « أنا أريد وأنت تريد والله يفعل ما يريد » وقد فهمت أن عباساً هو الموعز له بهذا الحديث

وفى يوم ١٩ أكتوبر حضر محمود أفندى زكى ، وأخبرنى بأنه بناء على الحاح عباس توجه هو وصفا بك صاحب جريدة العدل بالآستانة سابقاً إلى بيك . والأول قابل سموه فلامه على ما كتبه فى جريدة مصر ضده ، وطلب منه أن يصلح المسألة ويكتب ما هو فى مصلحته على شرط أن يرسله إليه وهو — أى الخديو — يبعث به لمصر ، وقد وعده أحمد صادق أن يصرف له مرتبه الذى كان قد قطعه عنه سموه منذ ستة أشهر ، ولامه على ما كتبه من أن وفداً من المصريين ذهب لبيك ليسترحم عطف الخديو عليهم ، ولكن وسيط السوء أحمد صادق رفض قبول الوفد وإدخاله فى حضرة سموه ، وقال : « والله اننى لمظلوم » وفهمت من محمود أفندى زكى أن سموه يجتهد

فى جمع المصريين حوله ، فقلت : « نعم ما يفعل ، وكنت نصحته قبل الآن ولكنه لم يسمع النصيحة إنما أدرك الآن غلطه فرجع عنه والحمد لله » فقال : « ولكن نحن جميعاً نرغب فى أن تكون يا باشا فى مقدمتنا » فقلت : « أنا الآن لا أريد أن أخطو خطوة إلى الأمام ولا أتداخل فى شىء ، وغاية ما أرجوه أن أرجع إلى مصر ، وهناك أشتغل لصالح بلدى » فعاد يلح على بأن أغض الطرف عما حدث، فلم أجبه بشىء.

وفى يوم ٢٤ نوفمبر قابلت الكابتن دافيلد فى قلم المخابرات الانجليزية بالآستانة فعرفت منه أن محمد سعيد باشا وأحمد شوقى بك يقومان بالدعاية للخديو عباس. وسألنى عن رأيى فى ذلك فقلت : إن سموه له « حزب » فاذا كان محمد سعيد باشا على رأسه فانه قد خاب فى مسعاه ، لأن الأخبار التى وردت لى من مصر تدل على أن المصريين ناقمون على سعيد ، وعرفته أيضاً بالحزازات التى بين محمد سعيد وسعد باشا.

شئون مختلفة :

عباس وصاحبته علمت من شديد أن لوزانج لم تقبل الذهاب الى الاستانه إلا بعد أن أخذت خمسمائة ألف فرنك ، خلاف عقد لؤلؤ اشتراه الخديو لها فى مونترو بعشرة آلاف جنيه ، ومصوغات جاء بها أحد باعة الجوهرات من باريس بمبلغ مائة ألف فرنك ، قال : « وإن جملة ما أخذته منه يقدر بخمسين ألف جنيه » وأظن أن فى ذلك أيضا الستة الآلاف فرنك التى كان يدفعها لها شهرياً ، وترسلها لباريس . قال : وإن سموه أعطاها أيضاً أسهماً من البنك العقارى وربما يكون ذلك فى نظير المائة والخمسين ألف ليرة تليانية ، التى كانت لها فى بنك رومه بمصر وسحبتها منه عندما رجعت من فينا إلى سويسرة مع الخديو ، وسموه كان يقول بهذه المناسبة : « إن أقرب الناس لم يسعفنى كما أسعفتنى امرأة » .

من أسرار الحرب العظمى :

بلغنى من راقب نجل مظهر بك يوم ٢٩ يناير أن الانكليز كانوا عرضوا على الدولة بواسطة سفير احدى الدول انسحاب العساكر العثمانية من الحرب نظير تأمينها على سيادتها على مصر وعلى أملاكها جميعها واسترداد الجزر بما فيها كريد ، وكفالتها فى الخمسمائة مليون جنيه (قيمة ديونها) وأمريكا تضمن للدولة تنفيذ هذه الشروط ، ولكن فؤاد بك سليم فى تقريره الذى أرسله مع اقتراح انكلترا هذا قال

برفضه، لأن انجلترا لم تعرضه إلا لأنها تحققت من عدم نجاحها فى هذه الحرب، وأنها ستخسر ليس فقط مصر التى سيؤول أمرها إلى الدولة بل الهند أيضاً، وأن انجلترا متحققة من انتصار ألمانيا.

وبلغنى منه أيضاً أنه لما حصلت الهدنة مع الدولة تخابرت انجلترا مع الملحق العسكرى فى سفارة الدولة ببرن، لامع فؤاد سليم بك، ولما تبرم للحكومة العثمانية من ذلك، اجابته أن انجلترا لم ترد المخابرة معه لأنه مصرى.

رأى ضابط انجليزى فى الادارة المصرية المستقلة : تحادثت مع الكابتن دافيلد السابق الذكر عن مشروع الاتفاق بين مصر وانجلترا، فأظهر لى أنه يخشى إذا انسحب الانجليز من الادارة أن يفشو ظلم الحكام، وتقع البلاد في حالة أسوأ من حالة تركيا، فأجبته بأن عقيدتى خلاف ذلك. أى أن المصريين يحسون بالمسئولية ليس فقط أمام انجلترا بل أمام الدول جميعا، وانهم يحسنون الادارة خصوصا وقد اكتسبوا فى مدة الأربعين السنة الماضية تحت اشراف انجلترا دراية وخبرة فى الأعمال. فقال: « انى متشائم » فقلت: « هذا جائز ولكن هو اعتقادى، ويكفى أن تكون الرءوس طيبة أى النظار » وأفهمته أننى أدرت الأوقاف بالذمة والصداقة وفى مصر - ولا شك - من هو خير منى ادارة، فأظهر أنه ليس من رأى وأنه عاشر الفلاحين، ويخشى أنهم بعد خروج الانجليز يأسفون عليهم، قلت: « ربما كانوا يأسفون لولا أن حادثة دنشواى أبعدتهم عنهم، فانه حتى وقوع تلك الكارثة كان النفوذ الانكليزى كبيرا جدا، وكان الأهلون يلجأون إلى الوكالة الانكليزية للأخذ بناصرهم، ولكن انعكس الأمر عقب الحادثة، ودليلى على هذا أننا إذا جمعنا احصاء عن عدد العرائض التى كانت تقدم إلى الوكالة قبل حادثة دنشواى وبعدها وجدنا الفرق عظيما » فقال: « صحيح ! كانت حادثة أليمة إلا أنها لو نظرنا إلى المسألة من وجوهها المختلفة لوجدنا أنه كان يجب تأديب المعتدين »

الآن حصحص الحق : وفى اجتماع آخر بالكابتن دافيلد يوم ٢١ سبتمبر استطرد بنا الكلام عن خدمتى لعباس فقلت له:

« ها هى ذى مسألة من المسائل التى كانت غامضة أظهرها التحقيق الذى يجرى الآن في مصر أمام المحكمة العسكرية الانجليزية عن جمعية الانتقام، فان عبدالرحمن بك فهمى قال: « ان سبب انفصاله من وكالة الأوقاف هو أن الخديو عند وجود

المدير العام شفيق باشا بالأجازة فى أوروبا طلب منى اتخاذ اللازم لمشترى تفتيش المطاعنة الذى يملك ثلثيه شقيق المدير العام للأوقاف ، فرد عبد الرحمن بك بأن الثمن المطلوب ليس موافقا ، وليس من الصالح المشترى به ، فألح الخديو مرارا ، ولما لم يطع الأمر فصل » وقال أيضا : « إن شفيق باشا لم يقبل المشترى فنقل من الأوقاف العمومية ، وجاء بعده ابراهيم نجيب باشا فاشترى التفتيش » وأعلن عبد الرحمن بك أن الخديو كان له مصلحة شخصية فى بيع المطاعنة للأوقاف .

قلت للكابتن : « هذه هى حقيقة خروجى من الأوقاف فالحمد لله انها ظهرت على لسان غيرى »

اشتراكى فى جمعية خيرية عربية : فى يوم من أوائل نوفمبر دعانى عبد الرحمن بك العابد للغداء . وكان معنا الدكتور سيد كامل ومعمم من اللاذقية تلقى العلوم في الأزهر، فأخبرنى الأول بأنه قد تشكلت جمعية عربية من السوريين لتسفير أبناء العرب المحتاجين إلى بلادهم ، وانه تقرر أخيرا انتخاب أعضاء آخرين من المصريين والبغداديين والطرابلسيين والحجازيين ، وأن الجمعية انتخبته و قبل العضوية، وانها تريد أن أشترك فيها :

وبعد أن اطلعت على قانونها وما يعلمه الدكتور سيد كامل عنها قبلت الاشتراك فأرسلت لى الجمعية رسالة جاء فيها .

« بناء على ما هو معروف فى سعادتكم من نباهة الذكر والرغبة الصادقة فى عمل الخير وما هو متأكد لدى (الجمعية الخيرية العربية) بالآستانة من أنكم لا ترفضون تعضيدها ان هى دعتكم إلى الأخذ بناصرها ، أتشرف بابلاغ سعادتكم جماع أعضاء مجلس ادارتها فى جلستهم المنعقدة يوم الخميس الموافق ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٠ على انتخاب سعادتكم، مع مزيد سرورنا الشخصى فى التطلع إلى التشرف بطلعتكم يوم الخميس القادم ١٨ نوفمبر، لحضور اجتماع مجلس الادارة الذى ينعقد عادة كل أسبوع فى مكتبنا الخاص ، ولسعادتكم منا مزيد السلام ووافر الاحترام »

رئيس مجلس ادارة الجمعية الخيرية العربية

أحمد عبود

وقد توجهت فى الميعاد وتعرفت بالأعضاء ، وعرضت علينا جملة مسائل منها أنه تقدم لنا أحد الجراكسة ويحسن العربية وكان مفتيا فى القوقاز وهاجر منها هاربا من البلشفيكين ، والتمس مساعدته ماديا هو وعائلته ، ولما كانت الجمعية لا تنظر إلا فى تسفير أولاد العرب رفضنا طلبه ، وانما تبرعت له بخمسة وعشرين جنيها ، فدعا وخرج .

واستمررت على الذهاب إلى جلسات الجمعية وتبرعت لها بخمسين جنيها واشتركت بخمسة عشر جنيها شهريا ، ولما أردت السفر من الآستانة إلى فينا وسويسرة تركت لها ثلاثين جنيها اشتراك شهرين .

سنة ١٩٢١

التحقيق فى ضياع المجوهرات — عودتى الى مصر — المساعى لعودة عبد الحميد بك شديد وعلاقاته بعباس — رأيى فى الاتفاق بين مصر وانجلترا — برنامجى للاصلاحات الداخلية — الخلاف بين سعد وعدلى ومساعى التوفيق — حوادث الاسكندرية ودفاعى مع شكور باشا عن سمعة مصر — نوادر عن شح عباس .

التحقيق فى ضياع المجوهرات : علم القارىء من مذكرات سنة ١٩١٨ بالمتاعب والآلام التى لقيتها فى سفرى إلى السويسرة لاستحضار عائلتى، وعائلة شديد بك بناء على الأمر الخديوى، ومن بينها ضياع حقيبة بها نقود ومجوهرات، وادعاء أحد موظفى محطة انسبروك أن واحداً من طرفى حضر لتسلمها، وشكواى ضده وضد مصلحة السكة الحديدية

وقد حدد لنظر الدعوى أخيرا جلسة يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٢١ فى الاستئناف بعد أن حكم لى فى المحكمة الابتدائية بوجوب التعويض، فسافرت من الآستانة يوم ١٠ فبراير إلى فينا، وقابلت المحامى شونبرج الذى يترافع عنى فى الدعوى، فعلمت منه أن الاستئناف أيد الحكم الابتدائى بحقى فى التعويض، ولكنه يطلب ايضاحات عن الحقيبة، وأن المدعى العمومى أراد انهاء المسألة بدفع مليون كورون، فأبى المحامى لأن المبلغ قليل نظراً لانخفاض سعر العملة، وأن شونبرج سأل بعض الخبراء فى المجوهرات عن أثمانها الآن ووقت ضياع الحقيبة، فعلم منه أن ثمنها فى ذلك الحين يساوى خمسة أضعاف الثمن الحالى، وطلب من المحكمة أن تفصل فى هذه النقطة عند صدور حكمها حتى لا تستغرق الدعوى مدة طويلة . وهو يعتقد أنه إذا صدر حكم الاستئناف لمصلحتنا، فان المدعى العمومى سيطلب ارسال القضية إلى محكمة النقض فى فينا، وعلى فرض تأييد الحكم فان الصعوبة فى أن تدفع الحكومة النمساوية التعويض المطلوب، بينما المسموع أنها تريد أن تعلن التوقف عن دفع ديونها وهى تفكر فى اصدار قانون بذلك .

ثم أخبرنى أن هناك مبدأ قانونياً يقضى بتثمين الأشياء الضائعة وقت ضياعها بسعر عملة البلد الذى ضاعت فيه ، وأنه إذا حصل ذلك نخسر خسارة كبيرة لهبوط سعر الكورون .

وفى يوم الجلسة كنت مع المحامى فى المحكمة ، ثم حضر المدعى العمومى فتعارفنا وبعدها حضر القاضى والترجمان فتبادلنا التحية ، ولم تر المحكمة حاجة لحلف اليمين على المصحف الذى كنت استحضرته معى ، وإنما دعانى القاضى أمامه وأجلسنى على كرسى بجانب الترجمان ، وحلفت أننى أقول الحق ؛ ثم ابتدأ الأسئلة وكلها ترمى الى غاية واحدة ، وهى: هل عندما كنا في هوتيل بلودانس حتى ركبنا القطار ووصلنا الى أنسبروك كانت الحقيبة في حرزمتين ، ولم تمسها يد خلاف يدى ويد حرمى؟ فكانت أجوبتى أن الحقيبة كانت فى حراستنا ولم تمسها يد أجنبية ؛ ثم سئلت عن إقفالها بالمفتاح لأننى قلت فى محكمة لوزان: إننى أقفلتها وأخذت المفتاح في جيبي. قلت: نعم أننى متعود ذلك ، وعلى ظنى أننى لم أخلف هذه العادة ، لكن من الجائز أننى لم أقفلها كما يجب فى بلودانس، لأننى لم أمسها بعد ذلك حتى أعلم هل كانت حقيقة مقفلة أم مفتوحة وتمت الأسئلة على ذلك ؛ ثم ابتدأت المرافعة من جانب المدعى العمومى ، ثم من المحامى ثلاث مرات ، فالأول كان يدفع مسئولية السكة الحديدية ، والثانى يثبتها ؛ ثم كان يقول بأنه إن كانت مسئولية فتكون على أساس قيمة الكورون وقت ضياع المحفظة ، لكن المحامى قرر أن مقدار التعويض عن المجوهرات المفقودة هو ٢ مليون كورون بالقيمة الحالية على الأقل ، وطلب من المحكمة أن تقرر انتداب أحد الخبراء فى فينا لسؤاله عما يعلمه عن قيمة المجوهرات فى ١٨ سبتمبر ١٩١٨ وقيمتها الآن حتى اذا قال بزيادة عن ٢ ميليون يكون لنا الحق فى هذه الزيادة ، وطلب فوائد المبلغ الذى ستحكم المحكمة به لغاية يوم الدفع ، ثم حصلت مناقشة حول أثمان بعض الأشياء التى كانت داخل المحفظة منها النقود الذهبية فطلب دفع قيمتها وانتهت الجلسة . وقد حكم لنا . ولكن الحكومة لم تدفع لأن الامبراطورية تجزأت وتعددت حكوماتها فلم تعد هناك حكومة معينة نطالبها (١)

---

(١) وقد علمت بعد ذلك أنه توجد فى لندن لجنة للنظر فى توزيع ديون الامبراطورية النمساوية على الممالك التى تحولت اليها الامبراطورية أخيراً . وقد قيل لى بصدد ذلك أنه من الممكن تحويل القضية على هذه اللجنة بوساطة أحد المحامين هناك .

ولهذا أرسلت جميع أوراق القضية الى حضرة صاحب السعادة عبد العزيز عزت باشا — وكان وزيراً مفوضاً فى لندن وقتذاك — راجياً منه انتداب أحد المحامين ليقوم بما يلزم للوصول الى تنفيذ هذا الحكم .

وقد أودع الباشا ملف القضية لدى سكرتيره الخاص وكان سويسرياً . ومن سوء الحظ أن ذلك السكرتير انفصل من وظيفته عقب ذلك ، فضاعت أوراق القضية ، وانتهى أمرها عند هذا الحد .

عودتى الى مصر :

المساعى للعودة : سعيت فى العام الماضى كثيراً للعودة الى مصر ، فلم يأتنى الترخيص ، فظننت أن ذلك ربما كان من معارضة السلطات الانجليزية لتوهمها أننى لا أزال على اتصال بعباس ، وأن استقالتى ليست إلا مناورة يقصد بها تسهيل عودتى الى مصر لخدمته فيها .

وقد جاء الترخيص لحرمى وحـــدها بالسفر فسافرت من السويسرة فى ديسمبر سنة ١٩٢٠

وبقيت أنا بالأستانة أجدد المساعى ، بينما كانت حرمى تبذل مساعى أخرى فى مصر .

وفى يوم ٦ يناير وردت لى من حرمى رسالة جاء فيها : أن بعض السيدات من صديقاتها يشرن عليها بالكتابة الى السلطان ، رجاء الترخيص برجوعى الى مصر، ولكنها لاتريد أن تعمل بهذه الاشارة ، وأنها ستطرق باباً آخر .

مساعى مظلوم باشا وتسويف السراى : وقد كتبت لى مدام تقلا باشا بأنها تقابلت مع عبد الفتاح يحيى باشا وكيل الداخلية، وحادثته في الترخيص لى بالعودة، فأجابها بأن المستشار الانجليزى لايرى مانعاً من عودتى بعد موافقة السراى كما هو المتبع مع المصريين ؛ فأرسلت الى مظلوم باشا (١) — لاتصاله بالسراى — ليقوم بالسعى اللازم .

وقد تكلم مع السلطان فؤاد بخصوص ذلك ثلاث مرات ، فقال له في الأولى : « لماذا ياباشا تهتم برجوع شفيق ؟ » فأجابه : لأنى رأيته فى سويسرة ، وحالته الصحية تستدعى الشفقة . وعند ما كلمه فى المرة الثانية ، أجاب بأنه سينظر في المسألة بعد ، وفى الثالثة ، قال : « إنه سينظر فيها بعد رجوعه من سياحة الصعيد »

وبعد ذلك سافرت أنا الى أنسبروك لحضور جلسة المحكمة كما سبق ثم واصلت السفر الى السويسرة اعتقاداً منى بأن وجودى فى الأستانة ربما كان معرقلا لهذه المساعى .

---

(١) صور ج ٢ ق ١ ص ٢٢

الترخيص بالعودة : ولما كنت فى فريبورج وردت لى برقية من حرمى بأن السلطة المصرية قد رخصت لى فى العودة ، وأنها أرسلت برقية بذلك الى السفارة الانجليزية فى برن .

وفي ٨ مارس كتبت إلى رسالة جاء فيها: أنها بعد التفكير وبدون أخذ رأى أحد لأن صاحباتها مختلفات فى اختيار المسعى الضرورى لرجوعى قررت الذهاب الى المارشال اللنبى القومسير العالى الانجليزى ، فحررت له خطاباً جاء لها رده بأنه يمكنها الحضور في أى يوم أرادته ، وعليه توجهت، ولكن المارشال كان غائباً فقابلها سكرتيره بلطف ؛ ولما وصلت الى دار الحماية كانت أعصابها مهيجة حتى انهمرت الدموع من عينيها، وما كانت تقدر أن تفوه بكلمة ، وإنما هدأت حين جاءها السكرتير، فأخبرته بتفصيلات القضية المرفوعة ضدى من الأوقاف (وقد عرفها القارىء فيما مضى) وعرفته بأنه تقرر اصدار الحكم دون النظر فى أوراق القضية ، وهى أوراق قديمة كانت استحضرت من المحاكم الأهلية حينما نظرت فى القضايا المرفوعة وقتها ضد احمد بك صادق وخيرى باشا وحسين باشا محرم ، وأن المحامى يريد تأخير القضية حتى تستحضر هذه الأوراق ، ويطلع عليها ؛ وأننى لو كنت موجوداً فى مصر لأثبت براءتى، فطلب منها أن تستحضر من المحامى خلاصة للقضية بالافرنسية ، فاستحضرتها ثم علمت بعد بأيام بالترخيص لى فى العودة، فأرسلت لى البرقية السالفة الذكر .

وفي يوم ٢٦ مارس كنت فى جنيف وقابلت موسيو جانيو مدير البعثة المصرية فى السويسرة، وتحادثنا في موضوع عودتى الى مصر ، فقال لى : «إن مفتش الجوازات الانجليزى في سويسرة استعلم منه عنى، وعرفه ببعض مسائل ليس لى دخل فيها ، وعلم جانيو أن هناك خطأ ، وأن الانجليز يظنون أننى يوسف صديق حتى أدى الحال الى أن أرسل له كراسات قضية بولو قائلا : إن جميع ما فعلته وارد فى هذه الكراسة ففحصها المفتش ولم يجد اسمى فيها ، فتأكد من خطأ الانجليز، وأقنع المفتش الذى طلب منه بناء على أمر ورد له من مصر أن يعطيه معلومات عنى، فحرر له مذكرة بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٢١ ،قال فيها: إنه لايدخل فى وظيفته إعطاء معلومات عن أشخاص لأنه موظف تابع للمعارف ، ولهذا لايعد ملزماً باجابة كل طلب من هذا القبيل، ولا يحب أن يتجسس على الأشخاص ، وإنما لايتأخر عن إعطاء معلومات عمن يعرفهم بصفة خصوصية. بعد ذلك قال: إنه يعرفنى من منذ سنة ،وأنه اختلط بى

وتحادث معي في مواضيع شتى ، ولم يجد فى كلامى أو فى أفكارى مايدل على بغض وحقدى على أشخاص الانجليز ، ولكنه وجد عندى احساسات وطنية شريفة تثبت حبى لوطنى . ولا يعرف أننى فى زمن الحرب تداخلت في مسائل Loucnles ولا كان لى يد فى مسألة علاقة الخديو مع الألمان ، بل كانت همتى مبذولة فى تعليم أولادى ، وأننى لاأدخر وسعاً في مراقبة دروسهم وسيرهم ، ولا أتأخر فى بذل المال واننى أدقق فى مصروفاتهم ، ولم يكن لى من ذنب إلا الاستمرار فى خدمة الخديو إن كان هذا الولاء يعد ذنباً ، وعلى الجملة قال: إننى Gentelman وإننى على معلومات واسعة ، بعد ذلك مضى أكثر من شهر فأرسل له المفتش الانجليزى يقول إن السلطة فى مصر ترغب في الاطلاع على المذكرة السرية التى أرسلها له فى ١٧ يناير ، وأنه يستأذنه فى إرسالها ، وأجاب جانيو فى ٢٣ فبراير بأنه لايرى مانعاً من أن يبعث بها الى مصر . فالانجليز كانوا حينئذ يسيئون الظن بى ، وهذا سبب امتناعهم عن إجابة ملتمسى الذى قدمته للقومسيير العالى بالأستانة فى شهر اكتوبر الماضى . وقد بلغنى من ثريا بك متولى أعمال سفارة الدولة فى برن أنه لما كان فى قوميسيون الهدنة بنظارة الخارجية ، وجاء الطلب له برغبتى فى السفر من سويسرة للآستانة فى أوائل سنة ١٩٢٠ لاحظ بعض الصعوبة من المندوب الانجليزى؛ ولكنه انتهى بعدم المعارضة

السفر: كنت عازما بعد الترخيص لى بالعودة أن أبقى فى السويسرة إلى الصيف حتى تحضر حرمى إليها كما كان مقررا ، ثم نعود فى نهاية العام ، ولكنها أرسلت تستعجل عودتى لأمور عائلية

فذهبت يوم ٤ ابريل إلى قنصلية انجلترا بجنيف لاستخراج جواز السفر ، وقد دهشت حينما وجدت من القنصل تساهلا كبيراً ، إذ اكتفى بوجود جوازى العثمانى وقال بأنه سيؤشر عليه فقط ، وما على إلا احضار صورتين شمسيتين

وفى يوم ٧ منه تسلمت الجواز وأشرت عليه من قنصلية فرنسا بصعوبة ، حيث قيل لى: «كيف يكون جوازك عثمانياً وأنت مصرى؟ وكان يجب أن يكون انجليزياً!» فأقنعتهم بأن القنصل الانجليزى هو الذى اقترح ذلك ، ولو كان هناك مانع لجاءت المعارضة من جانبه

الوصول إلى أرض الوطن : وقد سافرت يوم ٨ ابريل بالقطار إلى مرسيليا ، وفي صباح يوم ٩ منه ركبت الباخرة ، فوصلت إلى الاسكندرية يوم ١٤ منه ، ثم

استأنفت السفر بالقطار إلى القاهرة . فوجدت في استقبالى بعض أفراد عائلتى وتوفيق بك فهمى، والدكتور سيد كامل، وحافظ بك عوض

مقابلاتى وزياراتى بعد العودة : في صباح اليوم التالى لوصولى إلى القاهرة زرت مدام تقلا باشا ، ولما رأيتها سالت الدموع من عينى ، فلم أتمالك نفسى من التأثر ، وشكرتها على حسن مودتها لنا فى أثناء غيبتنا ، ثم زرت مدام علوى باشا لتعزيتها فى وفاة زوجها ، وبعد ذلك ذهبت لزيارة البرنس محمد على فلم أجده

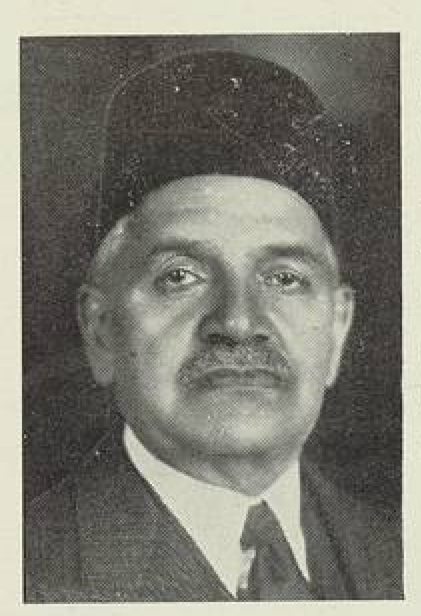
بين عابدين ودار الحماية : وقد استشرت مدام تقلا باشا فيما يجب عمله نحو عابدين ودار الحماية ، فكان من رأيها ألا أذهب لاحداهما ، ولكن تكلمت مع أمين باشا ي فكان رأيه ، أن اكتب اسمى فى سجل التشريفات بالسراى ، فتوجهت وقيدت اسمى ، وبعدها زرت سعيد ذا الفقار باشا فسلم على سلاماً عادياً ، وكان معه محمود شكرى باشا (الذى كان رئيساً للديوان التركى الخديوى) ، فاحتضننى وسلم على بحرارة ، وأشار على بأن أقيد اسمى فى دفتر التشريفات، فأجبته بأنى نشأت فى السراى وأعلم تقاليدها ، وقد قمت بالواجب . وبعد ذلك توجهت إلى دار الحماية ، وقيدت اسمى هناك .

في الأزهر : ثم ذهبت إلى الأزهر لصلاة الجمعة ، فاستقبلنى الموظفون باشتياق . وكذلك من كان هناك في انتظار البرنس محمد على ، ولما وصلت إلى القبلة أجلسونى في الصف الأول ، وحيانى كل من عرفنى من العلماء أحسن تحية ، ولما حضر البرنس تقدم نحوى وصافحنى ، وقال : « هأنت ذا يا شفيق باشا قد حضرت »

وهتف الأزهريون لسموه ، وبعد الصلاة خطب أحد العلماء فى عناية محمد على الكبير بالأزهر ، ودعا للأمير الحاضر والأمير الغائب ، وعند خروج سموه ، هتف بعض الطلبة (يعيش عباس باشا) .

ما لقيته من حفاوة رجالات مصر : وفي صباح يوم ١٧ مارس زرت عدلى باشا رئيس الوزراء فاستقبلنى بكل لطف ، وتحدثت معه فى الترخيص للمصريين فى أوربا بالعودة ؛ وقابلت رشدى باشا عند خروجى من غرفة عدلى باشا ، فلما رآنى صاح بصوت عال : « كيف حالك ياشفيق باشا؟ » ثم قابلت ثروت باشا أيضاً فلم يعرفنى أولا ، ولكن لما تكلمت معه قال : « ماهذا ؟ أنا ماعرفتك ياشفيق باشا »

وبعد ذلك قابلت جعفر ولى باشا وزير المعارف ، وكان عنده بعض الرؤساء فسألونى عن عباس . ثم زرت وزير الأشغال محمد شفيق باشا ، وكان معه المستشار ماكدونالد فعانقنى الأول وقبلنى ، فظهرت على وجه مكدونالد الدهشة من هذه المقابلة ، فعرفه بى ، فسأله المستشار : لماذا لم يحضر فى مدة السبع السنوات ؟ فأجاب : لأنه كان مع الخديو . فسألنى مكدونالد عن سموه

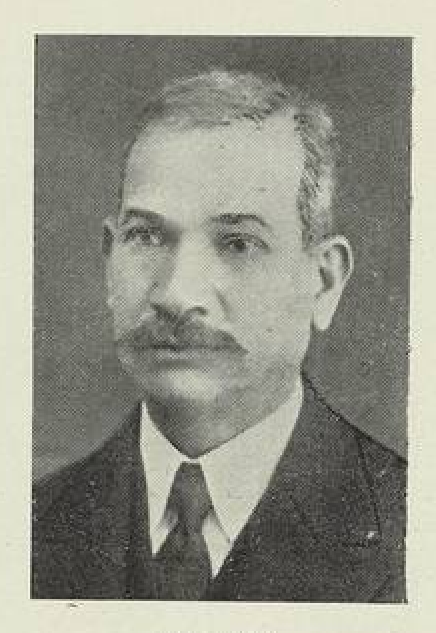


نجيب بطرس غالى باشا

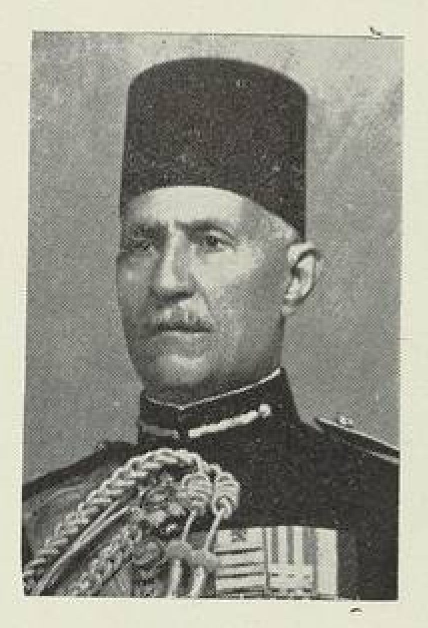
وقابلت مدحت يكن باشا وزير الاوقاف فقال لى : «إنك كنت مظلوما وإن عزت باشا زوج فائقه خانم أخبرنى بكل ما حصل » وقابلنى نجيب بطرس غالى وزير الزراعة مقابلة لطيفة ، ولكن علمت منه أنه يخالف سعد باشا ، وقال عنه : إنه متلون ثم عاودت زيارة عدلى باشا ، فأظهر لى عطفاً ، فكلمته ثانية عن المصريين الذين في الخارج ، وأنهم ينتظرون من وزارته صدور الأمر بارجاعهم إلى أوطانهم ؛ وقلت إن الحالة الآن تساعد على ذلك ؛ ثم حادثته فى رجوع عبد الحميد بك شديد فعلمت منه أنه طلب كشفاً بأسماء المصريين الذين فى الخارج فكان الجواب بأن السلطة تجهلهم ، فطلب كشفاً بأسماء الذين لا ترى السلطة دخولهم ، فكان الجواب كذلك نفياً ، وأخيراً وعدته بأرسال كشف بأسماء من طلبوا الرجوع لمصر . قال : وسأنظر فى طلباتهم . وقال عن شديد : إنه متهم بعلاقات خفية مع الطليان ، ووعد بالنظر فى مسألته ؛ وقال ثروت باشا : إنه سينظر فى طلب رجوعه . وزرت مظلوم باشا وشكرته على مساعيه وأعلمته بمساعى حرمى فى دار الحماية فقال : وهاأنت ياباشا قد حصلت غرضك بدون تدخل السراى ، وأظن السلطان سيتأثر من حضورك بعد هذا لتقييد اسمك فى سجل التشريفات

ثم زرت عزت باشا وشكرته هو وحرمه على ماأذاعاه عنى من حقيقة ماحصل بى وبين عباس

أما الذين حضروا لتهنئتي برجوعي فهم سعد زغلول باشا ومحمد باشا سعيد ومظلوم باشا وسابا باشا وحسن حسيب باشا ومحمد شفيق باشا وأمين باشا يحيي



محمد شفيق باشا



على فهمي باشا

ومحمد عرفي باشا وعبدالله باشا وهبي وعلى باشا فهمي، (ضابط متقاعد) وحسن باشا رفقي وحسين باشا محرم وأحمد عزت باشا العابد ونجيب شكور باشا واسماعيل صبري باشا واسماعيل باشا أباظه وخالد باشا لطفي ومحمود باشا أبو حسين وحمدى بك سيف النصر (مدير في المعاش) وبشرى بك حنا وبسيوني بك الخطيب وجلال بك فهيم ومحمد بك المويلحي وحافظ بك عوض وتوفيق بك فهمي وعزت باشا زوج فائقة هانم وأحمد باشا فائق (مدير في المعاش) والشيخ أبو الفضل شيخ الأزهر



أحمد عزت باشا العابد

والشيخ البنا رئيس المحكمة العليا الشرعية والشيخ حسونه النواوى والسيد محمد البيلاوى والشيخ محمد زناتى سكرتير مجلس الأزهر الأعلى وغيرهم كثير من كبار الموظفين بالأوقاف .

المساعى لعودة عبد الحميد شديد وعلاقاته بعباس : فى أول إبريل حضر إلى جنيف من ميلانو عبدالحميد شديد ، وكنت أخبرته بحضورى اليها ، وقابل موسيو جانيو حيث كان رجاه أن يتوسط لدى السلطة الانجليزية فى سويسرة لتسهيل الحصول على إذن بالرجوع الى مصر ؛ وبعد مناقشة بين السلطة وجانيو اقتنعت بأن تسمع من شديد ما فعله فى مدة الحرب وبعد الهدنة ، وأن يكون جانيو هو الواسطة بدلا من أن يكون هذا التحقيق فى قنصلية انجلترا ؛ وقد ألقى عليه موسيو جانيو عدة أسئلة فرد عليها وهى :

أولا: عن خروجه من مصر إلى ايطاليا بعد أن التجأ إلى قنصليتها بمصر وسعيه المتواصل فى رومة لرجوعه . ثانيا : انتقاله إلى لوسرن ومقابلته للخديو الذى كلفه بأن يمنع حسين زكى بك من مقاضاته فى سويسرة بخصوص مسائل مالية ادعاها على سموه ، وقد نجح شديد في التوفيق بين الطرفين . ثالثا : قال شديد انه لما ضاق الحال لنفاد ماعنده ، وفشلت مساعيه في لوسرن عند قنصل انجلترا أملا في العودة إلى مصر هو وعائلته التى كانت لحقت به في ايطاليا قرر فتح دكان فى برن ، وكان يورد للخديو ما يلزم له عند ما كان سموه ساكنا فى قصر كلاران ، فقلت النقود عنده ، فراجع الخديو ، ولكن سموه أجابه بأن حالته الاقتصادية هو أيضا سيئة فاتفقا على مراجعة سفارة انجلترا لعمل اتفاق بين الخديو وبينها ، وبذلك تنفرج الأزمة ، وبناء على الأمر توجه شديد لمقابلة الكبتن بنز وهو فى مكتب المخابرات بسفارة انجلترا وأفهمه برغبة الخديو ، فأظهر عدم ثقة بمقاصد عباس ؛ ولكنه في يوم من الأيام توجه توا بدون إخبار أحد إلى كلاران وقابل الخديو ، وتكلم معه فى الموضوع ، وبذلك ابتدأت المخابرات بعد مراجعة لوندرة ، وقد أحالتها نظارة الخارجية على اللورد اكتون ، فقابل الخديو مرتين ، وتقررت نقط الاتفاق ، وعلى هذا كلف سموه أحد المحامين السويسريين بكتابة خطابين فى موضوع الاتفاق ، وبعد امضائهما من سموه أراد أزمرلى المحامى مواجهة السفير وتسليمه الخطابين ، ولكن السفارة أبت قبوله لأنها ما كانت تريد ادخال محام بين الطرفين طبعا ، وأرسلت تليفونا لشديد بهذا الرفض وبذلك انقطعت المخابرات .

قال وبعد ذلك قرر سموه الرجوع إلى الاستانة وترك شديداً لمباشرة أشغال نجليه في سويسرة . وعينه مديراً للخاصة الخديوية بمرتب ١٢٠٠ فرنك شهرياً وبوساطة شفيق باشا صارت ١٥٠٠ فرنك ، وقد راجع الكابتن بنز لقلة المبلغ وعدم كفايته لنفقاته مع اسرته ، فوعده بأن يرخص له فى استحضار ١٥٠٠ فرنك شهرياً من نقوده بمصر إن ترك خدمة الخديو ، وقد أراد شديد الانفصال ، ولكن سموه وعده بأشياء حملته على سحب استقالته ، وأمره بأن يحضر لمقابلته مع ابنه البرنس عبد القادر فى برلين ، وأن يرسل عائلته مع شفيق إلى الآستانة ، وقد حصل. ولما قام الخديو من برلين راجعاً إلى الآستانة أنزل شديدا فى بودابست حتى يستقبل قطار « البلقان زوج » ، ولكن انقطع الطريق ، فبقى فى بودابست حتى تمكن من الرجوع إلى سويسرة وعندها استقال .

ومن ضمن ما قاله أيضاً : إنه كتب إلى اللورد هاردنج فى أمر عودته كما كتب إلى اللورد كتشنر ، وأن عنده رسالة من الأخير يعده بالرجوع ، وأخرى من جراى بأنه تقرر ارسال نقود له ، ولكن بموت كتشنر انقطع أمله فى العودة

بعد ذلك وعده جانيو أن يقابل من يلزم فى سفارة انجلترا ببرن مجتهدا فى الوصول إلى نتيجة طيبة .

وبعد عودتى إلى مصر خاطبت عدلى باشا وثروت باشا فى شأنه كما ذكرت ثم عاودت السعى مرات فى الداخلية ، وسمعت من الوزير فى المرة الأخيرة أنه لا يمانع فى الترخيص له ، ولكن المسألة بين أيدى الانجليز . فيجب اتخاذ المساعى لدى الوكالة البريطانية أو عند مستر ريدر وكان ذلك يوم ٦ مايو سنة ١٩٢١ .

وقد ظللت أسعى حتى حصلت على وعد بعودته ، وأبلغت ذلك لحرمه ، فتقبلت هذا النبأ بالسرور والشكر . وقد عاد بعد ذلك .

رأيى فى الاتفاق بين مصر وانجلترا : بعد عودتى درست المقترحات التى عرضتها لجنة ملنر على مصر للاتفاق مع انجلترا وكونت لى رأيا عنها يتخلص فيما يلى :

١ — كنت أود أن يحصل الاتفاق بين الطرفين على الضمانات التى تقدمها مصر لمصالح انجلترا ، كما أن هذه تعلن رفع الحماية واعترافها باستقلال مصر بحيث لا ينص فى هذا الاعلان عن شىء من هذه الضمانات وأن يسجل هذا الاستقلال فى عصبة الأمم ، وتدخل مصر عضواً فيها .

٢ — أن تعقد معاهدة بين الطرفين تعترف مصر فيها بهذه الضمانات، و بمساعدة انجلترا عند نشوب حرب بينها و بين احدى الدول الأخرى، على شرط أن تقضى بذلك مصلحة مصر؛ وإلا فاننا نخسر كثيرا لأن أعداء انجلترا اليوم كثيرون، ونحن لا نود أن نخلق العداوة بيننا وبين دولة من الدول، إذ من الضرورى لنا أن نشتغل فى السنوات الآتية لترقيتنا وانماء ثروتنا وقوتنا، وينبغى أن ينص على مدة معلومة للمعاهدة

٣ — أن تسعى مصر المستقلة في الغاء الامتيازات الأجنبية رأسا مع الدول ولو بمساعدة انجلترا بحيث نطلب تشكيل لجنة دولية في مصر لهذا الغرض لأن ذلك اجدى لنا وللدول، أما أن تجرى المفاوضة فى ذلك مع انجلترا بعد قبول الدول ن تحل محلها، فان ذلك يضعفنا أمامها، وإذا كان من المحتم أن تكون انجلترا هى لواسطة بيننا وبين الدول فى هذه المسألة فعلى الأقل تشترك مصر معها فى المخابرات.

٤ — الضمانات تشمل أولا : ابقاء قوة عسكرية انجليزية فى القنطرة فيلزم تحديد هذه القوة ودائرة الاحتلال ومدته، وعدم جواز ارسالها فى جهة أخرى من القطر ولا إرسال الطيارات الخ. ثانياً : لامانع من تعين المستشار المالى لمراقبة صندوق الدين بدلا من أعضاء الدول ذوات المصالح فيه مع عدم تدخله فى المسائل المالية المصرية الأخرى، ولا معنى لاستشارة الحكومة له. وتلغى هذه الوظيفة اما عند دفع مصر لجميع ديونها بأى طريقة كانت وفى أى مدة، أو عندما تتحقق الدول من حسن ادارة مصر لماليتها. أو إذا رغبت انجلترا فى ذلك. ثالثاً : تعيين المستشار القضائى ينشأ منه تداخله فى مصالح كثيرة مصرية وأهمها البوليس، فيلزم تحديد اختصاصاته بحيث لا يتعرض للادارة المصرية على قدر الامكان؛ وكذلك تحدد مدته بانقضاء القوانين التى ستطبق على الأجانب عند إلغاء الامتيازات، أو عند ما تثق الدول بحسن الادارة والأحكام المصرية.

٥ — يلزم أن تنص انجلترا فى اعلانها على إلغاء حمايتها واعلان استقلال مصر دولة ملكية دستورية ذات هيئة نيابية وسيادة داخلية وخارجية، وتعضدها فى طلب الدخول فى عصبة الأمم وتسجيل استقلالها فيها.

٦ — اعتراف مصر بمركز انجلترا الممتاز فيه شىء من خدش استقلالها خصوصاً وأن ممثل انجلترا سيتقدم على جميع ممثلى الدول الأخرى وسيكون له حق المعارضة عند

اللزوم للقوانين التى ستطبق على الأجانب . فماذا يكون لو عارض هذا الممثل وأصرت مصر على تنفيذ القانون ، وهل هناك محكمة عليا ؟

٧ — يكون الأفضل أن تذكر مصر فى المعاهدة بين الطرفين أنها تمنح بريطانيا العظمى الضمانات التى تلزم لصيانة مصالحها الخاصة ، وتقدم الضمانات للدول الأجنبية تحقيقاً لتخلى تلك الدول عن الحقوق المخولة لها بمقتضى الامتيازات ، فبهذه الوسيلة يكون الاستقلال أظهر ، ويكون من حق مصر المستقلة المخابرة رأساً فى شئونها مع الدول الأجنبية .

٨ — في نفس اليوم الذى تعلن فيه انجلترا استقلال مصر تمضى من الطرفين معاهدة محالفة تتعهد فيها انجلترا أن تساعد مصر فى الدفاع عن سلامة أراضيها بدون عوض ، لأن ذلك من مصلحة انجلترا ، وتتعهد مصر فى حالة دخول انجلترا فى حرب لها مساس بسلامة مصر — وهذا لابد منه لأن نقطة ضعف انجلترا هى مصالحها فى مصر — أن تقدم داخل حدود أرضها كل المساعدة التى فى وسعها تقديمها لانجلترا يعنى مالا ومؤونة وذخيرة ورجالا للدفاع عن حدودها ولكن كل هذا بعوض . لأن ذلك ضرورى لانجلترا أولا . ومما تسمح به مصر فى هذه الحالة استعمال مالها من الموانى وميادين الطيران ووسائل المواصلات والنيل والترع وإيجاد طرق مواصلات أخرى — تستدعيها الحال — وأرى أن فائدة انجلترا كبيرة جداً من هذه النقطة لأن نفوذها بعد الحرب قد اتسع جداً بحيث أصبحت الدول حتى المحالفة لها تتخوف من هذا الاتساع ، وربما انتهزت أول فرصة للايقاع بانجلترا لتحصل الموازنة في أوروبا .

٩ — حق مصر فى التمثيل الخارجى محدود بأن لا تعقد معاهدة مع دولة أجنبية تمس بانجلترا ومصالحها ؛ ولكن يلزم أن يستثنى من ذلك المعاهدات التجارية بحيث تكون مصرحة فى عقدها ؛ مع ملاحظة عدم تفضيلها على انجلترا . ثم هل لانجلترا امتيازات تجارية ؟ لابد من النص على ذلك ، بحيث لا يكون لمركزها الممتاز أى علاقة تجارية .

١٠ — بمجرد التوقيع على المعاهدة وإعلان استقلال مصر يلزم سحب العساكر الأنجليزية والموظفين من مصر ، ولا ينبغى ابقاؤهما حتى تتم المخابرات مع الدول فى مسألة الامتيازات

١١ — إذا لم تتمكن من الحصول على استقلال السودان باعتباره جزءاً متمما لوادى النيل فاللازم أن تشترك مصر فعلا مع انجلترا فى إدارته بحيث تحدد الأدارة

المصرية والادارة الانكليزية تحديداً لاينشب من جرائه نزاع فيما بعد بين الطرفين ويمكن إيجاد هيئة دولية تحت رئاسة المستشار القضائى لوضع القوانين التى ستسرى على الأجانب والأهالى معاً ويكون فى هذه اللجنة عضو مصرى .

١٢ — ماهى الهيئة التى ستضع القانون الأساسى للحكومة المستقلة المستقبلة ؟

١٣ — في المشروع أن الحكومة حرة فى تحديد قوتها البرية والبحرية فهل جرى البحث فى هذه النقطة بين لجنة ملنر والوفد المصرى ؟ وهل نحن أحرار فى تعيين الضباط ؟ من رأيي الاجتهاد فى الوصول إلى حل مرض وعدم قطع المخابرات

برنامجى للاصلاحات الداخلية : ثم قررت لنفس برنامجاً للسير عليه يتلخص فيما يلي:

١ — لاتعطى مخصصات لأعضاء العائلة السلطانية من الآن فصاعداً إلا لمن حاز شروط الفضيلة والعلم وكان محتاجاً للاعانة .

٢ — تشكل لجنة من ثلاثة أعضاء من العائلة ومن رئيس الحكومة ورئيس مجلس النواب ومفتى الديار ويرأسها السلطان للنظر فى مسائل العائلة وليس لحكمها استئناف .

٣ — يجب أن تكون القوانين واللوائح مبنية على أساس ديموقراطى .

٤ — تعميم التعليم الأولى الأجبارى والمجانى وترقية التعليم في جميع درجاته بما فى ذلك التعليم فى المعاهد الدينية ، وأن تنشأ فيها أقسام للتخصص بحيث يكون الأزهر جامعة دينية عصرية .

٥ — انشاء مصانع لاستعمال المواد الخامات التى توجد فى القطر .

٦ — تنشيط الزراعة وجعلها حرة وايجاد مواد زراعية جديدة .

٧ — تأسيس مصارف في المديريات . تكون لها شعب في المراكز لمساعدة الفلاح بفوائد قليلة .

٨ — السعى فى دفع ديون الحكومة بكل الوسائط الممكنة .

٩ — ايجاد طريقة لمبيع محصولاتنا بدون وسطاء أجانب وايجاد غرف تجارية مصرية فى الخارج .

١٠ — اصلاح الأوقاف والاعتناء بتنظيم المخصص منها للفقراء وانشاء مصارف بنقود الوقف .

١١ — ابطال العادات المخالفة للشريعة .

١٢ — تنظيم البعثات العلمية فى البلاد الأجنبية ، وتشكيل مكتب مخصوص فى القاهرة . للنظر في حاجات القطر من الاخصائيين فى جميع الحرف والصنائع واستجلاب برامج المدارس في الأقطار الأجنبية لدراستها وتوجيه الطلبة إلى الأحسن منها

الخلاف بين سعد وعدلى ومساعى التوفيق : انتظرت أكثر من شهر أراقب حوادث البلاد ، فألفيت الاتحاد شاملا كل طبقات الأمة ، وشهدت الاحتفال بسعد باشا فاذا هو فوق ما يتصوره الانسان ولاحظت أن الخطب كلها كانت ترمى إلى توثيق عرى هذا الاتحاد لأن الأمة وعلى رأسها سعد باشا ، والوزارة وعلى رأسها عدلى يكن باشا كانتا تسيران جنبا لجنب ، ويد الأمة وزعيمها فى يد الوزارة ورئيسها .

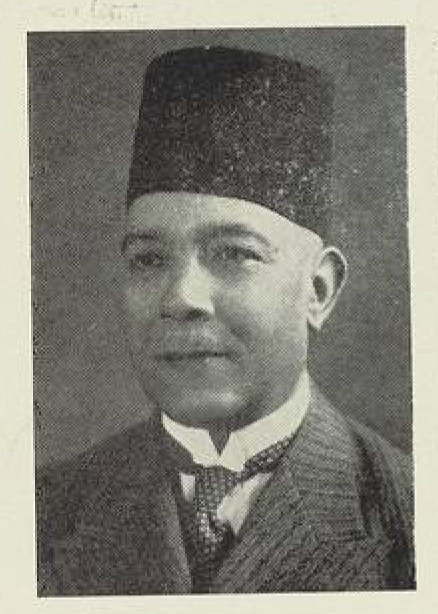
خلاف بعد وفاق : ولكن انفجر البركان منذ أعلن سعد خلافه مع الوزارة بشبرا يوم ١٩ ابريل لأنها لم تف بكل شروطه التى اشترطها عليها ، وذلك أنه كان يطلب رئاسة المفوضين ؛ ثم بعد ذلك استرد ثقته من الوزارة ، وقال عنها شيئا كثيرا وقابلته بردود كثيرة ؛ ولهجة الطرفين مع الأسف الشديد خارجة عن حدود المباحثات السياسية . وفى هذا الوقت خرج على سعد أمين بك الرافعى مدير جريدة الأخبار ، لأنه خالف الزعيم فى قبول دخوله في المفاوضات قبل تعديل أسس المفاوضة، بالغاء الحماية ورفع الأحكام العرفية ومراقبة الصحافة ، واعلان انجلترا قبولها تحفظات الأمة . الأمر الذى كان يقول به سعد ولكنه غير خطته ، وقبل الدخول فى المفاوضات لأن انجلترا أعلنت بلسان معتمدها أن مشروع ملنر لا يكون أساسا للمخابرات . وكل من الطرفين حرفى طلباته . وخرج أيضا على سعد أكثر أعضاء الوفد المصرى مثل على شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ، ومحمد محمود باشا



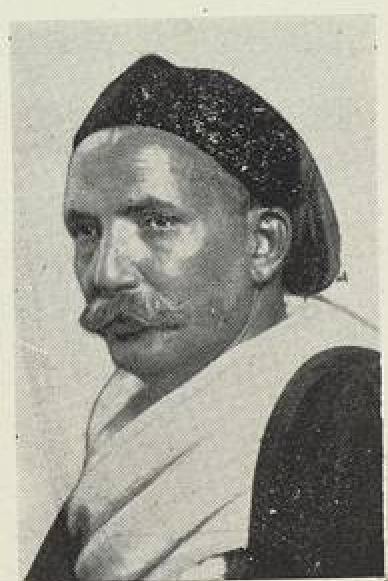
محمد محمود باشا



عبد العزيز فهمى بك



محمد على علوبة بك



حمد باشا الباسل



الدكتور حافظ عفيفى

ولطفى السيد بك [١] وعبد اللطيف المكباتى بك ، ومحمد على بك علوبة ، وحمد الباسل باشا ، والدكتور حافظ عفيفى بسبب صلابته ؛ وأعلنوا أنهم لا يرغبون دخول الوفد فى المفاوضات ، ويتركون للوزارة حرية العمل لأن برنامجها يطابق آمال المصريين .

والخلاف على الرئاسة سببه أن سعدا يعلن أنه لا يرتاح لمفاوضات عدلى فضلا عن أن الأمة الانجليزية تريد المفاوضة مع المصريين أى الأمة المصرية ، وهو الموكل بالنيابة عنها . أما عدلى فجوابه على ذلك ان التقاليد السياسية تقضى بأن رئيس الحكومة هو الذى يرأس المفاوضات . واشتد الجدال بين الطرفين وسارت جموع المتظاهرين ضد الوزارة ، فتداخل البوليس بالعصى أولا ، ثم اضطر إلى استعمال السلاح عند ما نادت المظاهرات بسقوط يكن الخائن ؛ ثم كان الموظفون أرادوا اقامة حفلة تكريم لسعد ، ولكن الحكومة أعلنت ضرورة الغائها ، لأن سعدا ينادى بالعداء للحكومة التى يرأسها يكن . إلا أن الموظفين أقاموها ، فقررت الحكومة محاكمة رؤساء الحفلة ومن بينهم أحد القضاة ، ولكن الجمعية العمومية للمحاكم برأته ، بينما مجلس تأديب نظارة الحقانية حكم على أحد أساتذة مدرسة الحقوق السلطانية بقطع شهر من مرتبه

عمل اسماعيل أباظه للتوفيق : ثم أن اسماعيل أباظه باشا جمع بعض أكابر القوم برئاسة البرنس محمد على باشا للتوفيق بين الطرفين فلم يفلح ، وكان قد عرض على سعد أن ينتخب بعض من يثق بهم ليضموا إلى السبعة المفوضين الرسميين الذين صدر المرسوم السلطانى بتعيينهم ، أو أن توجد صفتان : صفة رئيس فعلى وصفة رئيس شرف ؛ ويقال انه كان اختار الصفة الأولى وترك الثانية ليكن ، ولكن لم يتم الاتفاق .

مساعى البرنس عمر طوسن : ولما حدثت المظاهرات التى هتفت بسقوط عدلى يكن الخائن ، وأطلق الرصاص على المتجمهرين ، وقتل واحد بالرمح في مصر ، وثلاثة فى طنطا غشيت الأمه غاشية من الكدر ، واستقبحت قتل المصرى للمصرى ، وخشيت سوء العاقبة . وقد رأى البرنس عمر طوسون ، ثم الشيخ محمد بخيت ، والسيد عبد الحميد البكرى أن تجتمع لجنة وطنية لفض الخلاف بين سعد وعدلى ؛ وكان رأى البرنس

---

(١) صور ج ٢ ق ٢ ص ١٣٠

يختلف عن رأيهما ، فيقول الأول بأن الانتخاب يكون رسمياً كما هو مقرر في مشروع ملنر ، وبدلا من أن تعقد الجمعية بعد المفاوضات يكون انعقادها قبل ذلك . أما رأى الآخرين فانه يرمى إلى انتخابات غير رسمية ، وعلى كلتا الحالتين لم تحصل نتيجة . .

مساعى البرنس عزيز حسن : ولما اشتدت المظاهرات التأم اجتماع كبير فى سراى الخرنفش (بيت البكرى) وقرر الجميع برئاسة البرنس عزيز حسن رفع عريضة إلى السلطان باستنكار ماوقع من قتل بعض المتظاهرين ، والتماس إصدار الأوامر لمنع تكرار ذلك فى المستقبل ، وكنت ذهبت إلى هذا الاجتماع وسمعت بعض الحاضرين يملون اسمى بين أسماء أعضاء الوفد الذى سيذهب إلى سراى عابدين لرفع العريضة إلى السلطان ، وكان عدد الوفد أكثر من ٢٠ شخصاً من بينهم السيد البكرى والشيخ بخيت ، ولكن البرنس لم يكن معنا ، ولما وصلنا إلى السراى كتبنا أسماءنا في الدفتر ، وسلمنا العريضة لسعيد ذى الفقار باشا كبير الأمناء فى ٢٢ مايو .

عريضتى مع بعض الكبراء للسلطان : ثم إن شكور باشا فاتحنى فى أحد الأيام بحضور واصف بك غالى أحد أعضاء الوفد الباقين مع سعد باشا ، فى البحث عن حل فتناقشنا ، وقررنا كتابة عريضة إلى السلطان ، ملتمسين انتخاب جمعية مؤقتة برئاسة عظمته ، أو من ينوب عنه ، لأبداء رأيها في ثقتها بسعد أو بعدلى ، وتعيين المفوضين والتقى شكور بموسيو بويل السكرتير الشرقى للوكالة البريطانية مدة كرومر ، وقد حضر أخيراً إلى مصر للاطلاع على مايجرى فيها ، فأطلعه على مشروعنا فوافق عليه وقال : إنه الحل الوحيد ، وعلى هذا تكلمنا مع واصف بك غالى ، وقال هو أيضاً : إن سعداً يقبل هذا الاقتراح ، فأرسلت إلى محمد بك المويلحى وأخبرته بالأمر ، فكتب المشروع الآتى :

« ياعظمة السلطان : إن سوء الحال السياسية الآن فى مصر وصل إلى درجة لاتدع لأحد عذراً فى الوقوف أمامها وقفة المتفرج ، بل هى تعين على كل فرد من أهل التفكير فى الأمة المصرية أن يبذل جهده لاستنباط رأى صائب فى حل عقدتها ، وقد تعددت الآراء فى وجوه الحل الذى يفصل الخلاف القائم مابين الوزارة وبين رئيس الوفد ، ونشر منها على الملأ ما يمكن الاعتماد عليه للوصول إلى النتيجة المطلوبة ، إلا أن

الوسائل فيها مختلفة ، والطريق إلى تنفيذها متشعب ؛ ولذلك رأى المتشرفون برفع هذه العريضة أن يلتمسوا لهذا الغرض طريقا فعالا ، وسبيلا مستقيما ، ينزل الجميع على حكمه ، وتطمئن النفوس إلى استقامة وضعه وشكله ، وذلك بأن تتولى عظمتكم الأشراف بنفسكم الكريمة عليه ، فيصدر الامر الكريم بتشكيل جمعية وطنيه موقتة ، بطريقة انتخابية ، تتألف من أعضاء الجمعية التشريعية بعد انتخاب جديد لهم ، ومن أعضاء مجالس المديريات ، ومجالس البلديات ، ومن مندوبين من أهل الصناعات الحرة مثل التجار والمحامين والأطباء والمهندسين وما أشبههم ، تحت رئاسة عظمتكم أو من تنيبونه عنكم ، فيطرح عليها وحدها هذا الخلاف القائم ، ليقر قرارها على حكم فاصل فيه ، يجرى العمل به للسير فى القضية المصرية ، ومسألة التفويض للمخابرة فيها على نمط مقبول ، تتكاتف حوله الهمم وتتحد العزائم للوصول إلى النتيجة المطلوبة من تحقيق أمانى الأمة المصرية ، وصيانة المصالح الانكليزية خاصة ، ومصالح الأجانب عامة : وبهذه الكيفية يمكن تلافى اضرار الحالة الحاضرة من غائلة الشقاق ، وإهراق الدماء ، وتعطيل المرافق والمنافع ، وماينتج للبلاد عنها من الخراب والدمار ؛ ونحن على ثقة من أن عظمتكم تقابلون ملتمسنا هذا بحسن العناية ، وجليل الاهتمام ، فتنحل العقدة ويرتفع البؤس فى وقت قريب ، كما تقضى شدة الحاجة وهول الموقف ؛ ونسأل الله أن يجعل التوفيق رائدكم فى مصلحة الأمة على ماتحبونه لها من الخير والأسعاد »

ولما أطلع شكور باشا موسيو بويل على هذا المشروع وافق عليه ، ورفعه إلى دار الحماية لفحصه ، وكان يرى أنها ستوافق عليه ، ثم سأله عن الذين فكروا فيه وسيوقعون عليه ؛ فقال له : أحمد شفيق باشا الذى كان رئيساً للديوان الخديوى وبعض العظماء . فقال : « إن شفيق باشا رجل عاقل ومخلص لبلده ولو كان الخديو عمل بنصائحه لما حل بسموه ماحل ، ولكنه كان يسمع نصائح الرجال الآخرين » .

ولما قابله شكور فى ثانى يوم ، وكان يوم أحد أخبره بما وقع من المذابح في الأسكندرية يومى السبت والأحد ضد الأجانب ، وأنه سينظر فى هذه الحالة الآن ويهمل المشروع ، فتأسفنا كثيراً .

دعوة البرنس عزيز حسن لاجتماع بمنزل البكرى : ثم قرأت فى الجرائد أن البرنس عزيز حسن نشر دعوة عامة للاجتماع فى منزل البكرى بالخرنفش للاحتجاج على تشرشل وزير المستعمرات الذى أعلن فى اجتماع بانجلترا أنه نظراً لما حدث

فى الأسكندرية ، فانه يرى تأخير سحب الجنود الانكليزية من مصر؛ فتوجهت للاجتماع ولكن لم أجد إلا النفر القليل من الرجال المجربين ، ولم يكن هناك أحد من النظار السابقين ، ولا من الوكلاء ، ولا من العلماء المعلومين ، واقتصر الاجتماع على شباب من جميع الطبقات ؛ وعلمت أن سعد باشا سيخطب؛ ثم حضر ابراهيم باشا سعيد وفتح الله بركات باشا ، وأخيرا سعد باشا ؛ وألقى كلمته ، ولم يكن فى خطابه من الانحاء الشديد على الوزارة مثل ماسبق فى خطبه ؛ وقرر الجميع الاحجام عن دخول المفاوضات الرسمية إلا اذا كانت الحكومة البريطانية تعلن بأن تشرشل يعبر عن رأيه الخصوصى .

الخلاف بين سعد وزملائه : ذكرت أنه كان قد انفصل عن الوفد حمد الباسل باشا وعبد اللطيف المكباتى بك ومحمد محمود باشا وأحمد لطفى السيد بك ومحمد على بك وحافظ عفيفى بك

فأصدر سعد باشا بيانا سماهم فيه بالمنشقين ، وقال فيه : إنه يمد يده لكل من يريد العمل لمصلحة مصر .

وفي مساء صدور هذا البيان ذهبت لسعد باشا فى منزله ، ودار الحديث بيننا فقلت : إننى جئت لسببين :

الأول : لأشكرك على زيارتى بعد حضورى من أوربا .

والثانى : لأهنئك على بيانك وترحيبك بكل من يريد العمل للمصلحة المصرية. وبما أنك أعلنت هذا فهلا ترى أن أعضاء الوفد المنفصلين هم من رجالات الأمة والواجب أن تفتح صدرك لهم ؟ فأجابنى بأنه يرحب بكل مصرى عدا هؤلاء . ولما ناقشته فى هذا مبينا أن الوقت وقت وئام لا وقت انقسام ، وانه يحسن تأجيل الحساب إلى فرصة أخرى . قال عنهم : انهم مجرمون ، وانه لايضع يده في أيديهم . فأسفت لهذا الاصرار

وفي ٢٢ يونيو انفصل عن الوفد جورج بك خياط ثم عبد الخالق مدكور باشا فى ٢٨ منه .

سفر الوفد الرسمى : وقد تألف وفد برياسة عدلى باشا للمفاوضة فاشتد نشاط الوفد المصرى فى الدعاية ضده ، حتى سافر فوصل لندن يوم ١٢ يولية . وفى يوم ١٥ منه ابتدأت المفاوضات ، وبقيت تتخللها فترات تشتد فيها الأزمة بين المتفاوضين ثم تنحل حتى أواخر اكتوبر .

وفي هذه الأثناء كان رسولان من رسل الوفد المصرى بلندن يبثان الدعاية ضد الوفد الرسمى ، ويعلنان أنه لا يعبر عن رأى الأمة المصرية .

زيارة بعض النواب الانجليز لمصر : وقد دعا سعد زغلول باشا بعض أعضاء البرلمان الانجليزى من العمال والأحرار لزيارة مصر ودراسة الحالة بها ، فسافر هؤلاء الأعضاء يوم ١٣ سبتمبر فوصلوا يوم ١٩ منه ، وقوبلوا بحماسة شديدة فى الاسكندرية والقاهرة ، بينما أصدرت الحكومة أوامرها المشددة بمنع المظاهرات وأقيمت لهم عدة مآدب . ثم قفلوا إلى بلادهم يوم ٧ اكتوبر ونشروا تقريرا عن رحلتهم أشاروا فى نهايته إلى أن الاستقلال التام حق للمصريين ، بشرط عقد معاهدة تصون مصالح انجلترا والأجانب ، ونصحوا بالغاء الأحكام العرفية . واجراء الانتخابات فى الحال .

رحلة سعد باشا في الصعيد : وفى يوم ١١ اكتوبر قام سعد برحلة نيلية إلى الصعيد . ولما وصلت الباخرة التى تقله إلى أسيوط ، وقعت مشادة بين المستقبلين له والمتشيعين لعدلى باشا ، انتهت إلى معركة بلغ عدد الجرحى فيها خمسا وعشرين نفساً مات بعضهم ، وغرق ثلاثة فى النيل ، فمنعت الحكومة بالقوة نزوله إلى أسيوط وتابعت الباخرة سيرها حتى جرجا ، وهناك كان من المتوقع حدوث فتنة كالتى وقعت فى أسيوط ، فمنعته الحكومة من النزول ، ولكنه أتم الرحلة إلى أسوان .

قطع المفاوضات الرسمية : وفي يوم ١٩ نوفمبر قطعت المفاوضات بين عدلى باشا واللورد كرزون ، لأن عدلى لم يستطع قبول المشروع الذى عرضه عليه اللورد ثم عاد إلى مصر وقدم استقالته يوم ٨ ديسمبر .

نفى سعد ورفاقه إلى سيشل : بعد استقالة عدلى باشا كان الوفد المصرى ينشر دعاية قوية لاقامة العراقيل فى وجه كل وزارة ، بينما كان اللورد اللنبى يفاوض ثروت باشا فى قبول الوزارة على نظام جديد وهو نظام تصريح ٢٨ فبراير الذى أعلن فيما بعد . وكانت دعاية الوفد معطلة لتنفيذ هذه الخطة ، فنبهت السلطة العسكرية سعدا ورفاقه إلى الامتناع عن القاء الخطب وحضور المجتمعات العامة ، وأمرتهم بمغادرة القاهرة ، وأن يقيم كل منهم فى بلده تحت مراقبة المدير .

وقد رد سعد ردا قويا على هذا الأمر جاء فيه :

« إنى موكل من قبل الأمة للسعى فى استقلالها ، فليس لغيرها سلطة تخليني من

القيام بهذا الواجب المقدس . لهذا سأبقى فى مركزى مخلصا لواجبى ، وللقوة أن تفعل بنا ما تشاء أفرادا وجماعات .

وكذلك كان رد بقية أعضاء الوفد تأمينا على رد رئيسهم .

وكان لهذا الحادث أثر كبير في ضم الصفوف ، فعاد بعض المنشقين إلى الوفد وحضرت الوفود الكثيرة من غير الوفديين إلى بيت سعد تعلن تضامنها معه واعجابها برده .

وفى يوم ٢٣ منه قبضت السلطة على سعد باشا وزملائه إلى سيشل .

وكانت البلاد في غليان عظيم ، والمظاهرات مستمرة ليل نهار ، وأضربت غالبية الموظفين والمدارس جميعا ، واحتجت جميع الهيئات على اعتقال أعضاء الوفد المصرى وعاد جميع الذين انفصلوا عن الوفد إلى حظيرته .

حوادث الاسكندرية والدفاع عن سمعة مصر :

صدى حوادث أزمير : لما نشبت الحرب بين الدوله العثمانية واليونان وانتهت باحتراق مدينة أزمير وخروج الأروام منها ، واستقرار سلطة الأتراك فيها ، هاجت هذه الحوادث خواطر اليونان فى الشرق الأدنى ، وكان لها صدى خاص فى الأسكندرية حيث يكثر عددهم ؛ وتجلى استياؤهم فى مظاهر شتى لفتت الأنظار ، وشغلت الخواطر وكان من نتائجها أن استفزت العناصر المهيجة في الأسكندرية إلى مقابلة روح العداء الذى أبدته الطبقة السفلى من هؤلاء بمثله ، فوقعت حوادث باعثة على الأسف فى المدينة ، ولا سيما فى يومى ٢٢ و ٢٣ مايو سنة ١٩٢١ ، وهاج الرأى العام ، وذهب المتشائمون فى تأويل هذه الحوادث وتعليلها مذاهب شتى ، حتى خاف الأجانب على أرواحهم ؛ وبلغ من تأثير الوهم فى نفوس بعضهم أنهم ضربوا صفحاً عن الاعتبارات التى أدت إلى هذه الحوادث ؛ وصاروا يحسبون أنها نشأت عن التعصب الدينى وكراهية الأجانب ، وطيرت الأنباء البرقية إلى أوروبا مجسمة الحوادث ، ومعللة لها على وجه يثير الخواطر .

بيان بالدفاع عن سمعة مصر : وقد تحادثت مع شكور باشا فى هذا الخصوص وفى ضرورة كتابة مذكرة فى الصحف الافرنجية بمصر وأوروبا ، ويوقع عليها أشخاص معروفون لأدحاض هذه التهمة ، فكتبت مذكرة بما عن لى فى الموضوع ، كما أن شكوراً أملى مارآه ، وأعطيناها لأحد المحامين المشهورين لصياغتها ثم أخذت منها نسخة واجتمعنا : شكور باشا وواصف غالى ويوسف باشا قطاوى وأنا وقرأناها

واقترح الأخيران بعض تعديلات لاتمس الجوهر، وبعدها يضناها ، وأرسل شكور باشا نسخة منها إلى جعفر بك فخرى فى الأسكندرية للتوقيع عليها من مصريين وأجانب ، ثم توجهنا إلى البرنس محمد على وعرضنا الأمر عليه ، فقال : إنه كان قدخطر له عمل شيء لادحاض تهمة التعصب الدينى ، وتكلم مع حسين باشا رشدى ، ولكن تركا الأمر لأنهما لايريدان القاء مسئولية حادث الأسكندرية على المصريين خاصة ، ولا على الأجانب أو الأروام ؛ فقدمت اليه نسخة من البيان الذى عملناه ، فقرأه واستحسنه ، وأشار بأن نعرضه أيضاً على حسين باشا رشدى ، ففعلنا ، فأشار بتعديل خفيف ، وبعدها يضنا المشروع وتوجهت فعرضته ثانية على البرنس ، فوافق على التعديل ، وأمضاه حسن باشا عبدالرازق وعبد الله باشا وهبى وغيرهم ، وأبقى المشروع عنده .



نجيب شكور باشا



يوسف اصلان قطاوى باشا

وبعد ذلك اجتمعت لجنة للتوفيق بين سعد وعدلى عند البرنس محمد على باشا ، فعرض البيان عليها فأشار بعضهم بحذف كل مايتعلق بالحرب التركية اليونانية وهى السبب المباشر للحوادث ، وهم سابا باشا

وعبدالله وهبي باشا وموسى قطاوى باشا[١] ورابع ؛ أما الآخرون فوافقوا على الأصل.

ولما علم شكور باشا الذى كان غائباً عن مصر وحضر رأى أن ماحصل من التعديل ضد مصالحنا ، إذ ورد فيه أن فى الأسكندرية كما فى باقى الثغور طائفة من أوباش الأجانب والمصريين ليس لهم مبدأ ولاهم متعلمون ، وتوجد بين القسمين حزازات منبعثة من مزاحمة الأجنبى للمصرى تؤدى إلى انفجارات . وقال: إذن يمكن الأجابة علينا بأنه إذا كان الأمر كذلك ، وأن الانفجار الذى حصل أخيراً هو نتيجة لهذا ولم تتمكن السلطة المصرية من قمع الانفجار ، فحينئذ يلزم وجود قوة أجنبية دائمة كالقوة الأنجليزية لقمعه .

يوسف سابا باشا

وكنت أنا وشكور بين الحاضرين وكذلك موسى باشا قطاوى ، فتباحثنا فى الخلاف ، وبعد أخذ ورد اتفق الجميع على اضافة جملة فحواها أنه فضلا عن هذه المزاحمة المستمرة ، فقد طرأ ظرف استثنائى بمثابة الشرارة التى تلهب النيران ، ومن ذلك نجمت حوادث الأسكندرية . وعليه اتفقنا جميعاً ، وأمضينا البيان بعد هذا التعديل وها هو ذا نصه .

« ان ما وقع من حوادث الاسكندرية فى شهر مايو الماضى قد ملأ نفوس الموقعين على هذا حزناً ؛ فرأوا من واجبهم أن يعربوا علناً عن استيائهم من هذه الحوادث الشائنة ، وعن الدهشة التى استولت عليهم عند ما شاهدوا فى بعض الأوساط الأوروبية بادرة شعور يميل إلى اسناد السبب فى وقوع هذه الحوادث إلى التعصب وكراهية الأجانب .

« ثم ردد لسوء الحظ عدد من الجرائد صدى هذا الشعور ، حتى بالغت فأكدت بوجوده عند جميع المصريين على السواء .

---

(١) صور ج ٢ ق ١ ص ٣١٩ .

« اما وقد هدأت النفوس قليلا بعد الشعور الذى بدر اليها بكل أسف لأول وهلة فان الموقعين على هذا يعتبرون أن فى مقدورهم اليوم أن يوضحوا الأمور على حقيقتها بدون أى تحيز .

« صحيح ان التحقيق الذى يجرى الآن سيكشف الغطاء عمن هم المسئولون ، فيجازى المجرمون والحارقون والناهبون . إلا أن القضاء على الأشاعات الباطلة التى أذيعت بدون أن يفكر مذيعوها في ما تحدثه من ضرر للاجانب والمصريين على السواء يستوجب من الموقعين على هذا عرض الاعتبارات التى تسمح فى نظرهم بتقدير الوقائع على وجه الصحة .

« ليس من يجهل أن أهالى الثغور الواقعة على البحار مثل ثغر الاسكندرية هم على العموم خليط من أجناس مختلفة للغاية ، وأن من بينهم نسبة لا نصيب لها من التعلم ولا قسط من المبادىء ، تخلق بين أفرادها ضرورات المعيشة منافسات ومطامع تهدد فى كل وقت باثارة اعتداءات من جانب ، ورد اعتداءات من جانب آخر ، لاسيما إذا أضيف إلى سبب هذا التباغض وجود ظروف خاصة تلهب النار من مستصغر الشرر . إلا أنه مع بلوغ سكان الاسكندرية ٤٠٠,٠٠٠ نفس فاننا نتمسك بتقرير هذه الحقيقة : وهى أنه ليس بينهم إلا أقلية ضعيفة جدا من هذه الطبقة التى نشير اليها . وبالتالى لا يمكن أن يسند إلى جميع المصريين ما شوهد فى بلدة واحدة من بلدانهم .

« ومما يثبت أن القلاقل كانت محصورة الدائرة ان معظم الجرحى من أوروبيين ووطنيين كانوا من أفراد هذه الطبقة المشار اليها ، بحيث أنه إذا كان قد أصيب أحد من غيرها فأصابته استثنائية . ويمكن تعليلها بأنه فى مثل هذه الاضطرابات يسعى دائما الأشقياء الذين لا خلاق لهم فى انتهاز الفرصة السانحة .

« إن هناك آلافا من العائلات الأوروبية موزعة فوق متسع البلاد المصرية بحيث لا قرية إلا وفيها تاجرها الأوروبى يعيش مع عائلته عيشة هادئة وسط سكان كلهم من الأهالى ، ولا مدينة فى الأرياف إلا وفيها عدد من التجار الأوروبيين وسماسرة القطن ورجال الأشغال الذين يرون مدارسهم وكنائسهم وديورهم الخ ... تعيش وتنمو فى جوها الطلق . ومع هذا فانه بالرغم من حوادث الاسكندرية الدموية ، ومن المناقشات الجدلية الصحفية لم يحدث أى حادث اعتداء ، أو سوء رعاية ضد هذه الآلاف من العائلات المنشورة فوق أطراف القطر المتباعدة ؛ بل

على العكس استمرت علاقات الوداد على أوثق ما تكون . فهل يعقل إذا أن يسند إلى ١٣ مليونا من سكان مصر روح هذا التعصب وكراهة الأجانب التى تحدث بها المتحدثون ؟

« فى قلاقل سنة ١٩١٩ حيث انتزعت قضبان السكك الحديدية من مواضعها وقطعت خطوط التلغراف والتليفون بقيت عدة مدن فى الداخل معزولة تمام العزلة ومع هذا لم يبد من الأهالى وقتئذ أى شاهد على كراهة الأجانب عموما أو التعصب الممقوت .

وفى جميع المظاهرات السياسية الكبرى التى حصلت منذ ثلاثة أعوام لم يصب أى أوروبى بأى ايذاء ، بل كثيرا ما رأينا الأوروبيين يعطفون على المتظاهرين وشاهدنا ما هو فريد فى بابه ولا مثال له فى تواريخ الشعوب الأخرى ، وهو تأليف الهلال مع الصليب فوق راية واحدة ؛ فهل التعصب هو الذى أحدث هذه المعجزات ؟

« ان جعل أمة بأكملها مسئولة عن قلاقل وقعت فوق نقطة من أرضها لهو ظلم يتحتم على كل واحد منا واجب العمل على دفعه . وان ما أذاع كثير من الأوروبيين ونشروه من مشاهدات الأحوال التى رأوها وقرروا فيها كيف لزم المصريون العديدون في تلك الأيام المحزنة خطة المحبة والتآخى لكاف لاقناع من لا يصدقون بأن احساسات الأمة المصرية لم يطرأ عليها أى تغيير .

« ان الموقعين على هذا يرجون ممن وقع فى نصابهم قيادة الرأى ، وارشاد الجمهور أن يعملوا باخلاص على تهدئة الخواطر تحقيقا لمصلحة العناصر المختلفة التى عاشت جنبا لجنب وفى كل زمان عيشة طيبة هادئة » .

فى يوم السبت ٢٥ يونيه سنة ١٩٢١ .

الامضاءات

سمو الأمير محمد على ، سمو الأمير عزيز حسن ، سمو الأمير محمد على حليم ، الشيخ محمد بخيت ، السيد عبد الحميد البكرى ، القمص يوسف غبريال ، أحمد مظلوم باشا ، يوسف سابا باشا ، أحمد حشمت باشا ، يحيى ابراهيم باشا ، حسن حسيب باشا ، موسى قطاوى باشا ، محمد شكرى باشا ، عبد الله وهبى باشا ، اسماعيل صبرى باشا ، اسماعيل أباظه باشا ، أحمد فايق باشا ، اللواء على فهمى باشا ، اسكندر فهمى باشا ، أحمد خيرى باشا ، حسن عبد الرازق باشا ، أفلاطون باشا ، عثمان مرتضى باشا ، أمين يحيى باشا ، خيرى بك ، عمر شريف بك ، عبد الحليم جندى ، نجيب شكور باشا ، أحمد شفيق باشا .



يحي ابراهيم باشا



حسن حسيب باشا



أحمد فايق باشا



اسكندر فهمي باشا

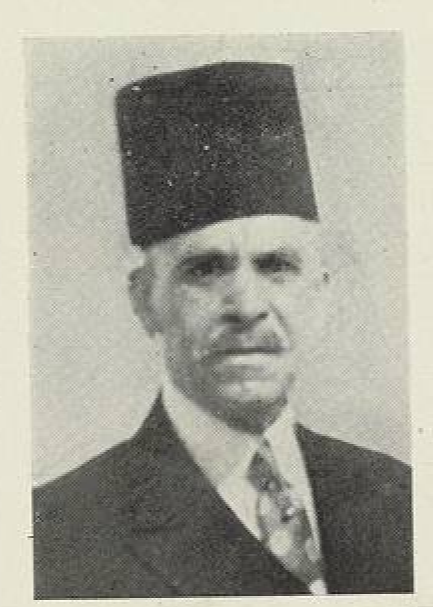

محمد أفلاطون باشا


عثمان مرتضى باشا

ثم استحضر الأمير محمد على باشا عنده بعض الأوروبيين فكتب المحامى الشهير التليانى مانوزاردى الجملة الآتية :

« نحن الموقعين على هذا قد اطلعنا على البيان المتقدم الذكر ونقر ما فيه ، لأننا معتقدون تمام الاعتقاد بأن حوادث الأسكندرية التى يؤسف لوقوعها لم تكن قط نتيجة أى إحساس تعصب أو كراهة للأجانب » .

ا . مانوزاردى محام أمام محكمة الاستئناف المختلطة — ج . ن . موصيرى بك بنكير — ج يوجن مدير بنك الاسكونت دو باريس — دكتور كومانوس باشا — البير مزراحى أحد مديرى بنك كوكس — الأستاذ الدكتور بول فالنتن مدرس بالجامعة المصرية .


أمين يحيى باشا

ثم قام الدكتور سيد كامل بترجمة البيان إلى اللغة العربية ، وأرسلت النسخ الفرنسية إلى الجرائد الأفرنجية فى مصر والأسكندرية وبورسعيد ، وأرسلت نسخ عربية إلى الجرائد العربية فى مصر والأسكندريه ، وبعثنا للجمعيات المصرية وللمصريين فى الخارج نسخاً من الفرنساوية لنشرها فى جرائد أمريكا وانكلترا وفرنسا وإيطاليا والنمسا وألمانيا وسويسرة والآستانة ، وفى المنتديات وغيرها ، ثم وزعنا من النسخ العربية على الأحزاب فى مصر والغرف التجارية المصرية والنقابات والعلماء للتوقيع عليها ، ثم وزعنا بالفرنسية نسخاً للمنتديات الأفرنجية والغرف التجارية الأوروبية والجمعيات وغيرها .

وكنا فكرنا فى عرض البيان على مدير البنك الأهلى لتوقيعه فذهبنا : موسى قطاوى وشكور وأنا إليه ، وتكلمنا معه فقال: إنه يظن أن هذا البيان يضر ولا ينفع ولمح إلى حوادث ١٩١٩ واعتبرها مثبتة للتعصب الدينى مضافاً إليها ماحدث أخيراً في الأسكندرية وأنه يعتبر فوق ذلك حوادث الثغر من جرائر سياسة سعد باشا وأخيراً قال : إنه سيعرض الأمر على مجلس الأدارة ويستطلع رأيه في التوقيع (يعنى رفض) .

ثم إن الأمير محمد على دعا اليه المسيو هنرى نوس البلجيكى وحادثه في الموضوع فقبل مبدئياً وطلب أن ترسل إليه نسخة من البيان ، ولكنه عدل وقال : إن اخوانه يستحسنون أن يكتبوا بياناً آخر لايخرج في معناه عن البيان الحالى ، ولكن يكتب بأسلوب غير هذا الأسلوب الذى يعبر عن موقف المصريين . وقد اجتمعنا شكور وقطاوى وأنا به ، وتناقشنا معه فى الأمر ، فقال فى أثناء الحديث : إن البعض يظن أن وجود البرنس وشفيق فى هذه المسأله دليل على أنها مسألة خديوية ؛ وقد كان سموه أنبأنى أنه فهم من كلام نوس بك أن امتناعه راجع إلى انتمائه للسلطان فؤاد الذى لا يرتاح إلى قيام البرنس على رأس أى حركة ، أما أنا فلما سمعت ماقاله نوس بك اعترضت على هذا الكلام ، وقلت : « إننى وطنى قبل كل شيء وإننى لا أفعل إلا مافيه صالح بلدى ولا علاقة لى بأى شخص » وقام نوس بك من عندنا على نية الذهاب إلى الأسكندرية لمناقشة بعض أصحابه فى الموضوع ثم كتابة البيان ؛ ولكن لما رجع منها أخبر قطاوى باشا أنه عدل عن كتابة أى شيء لما وجده من استياء الأفرنج وتهيجهم ، كما أن مزراحى المحامى كان قد ذهب قبله إلى الأسكندرية ومعه نسخة فرنسية للسعى عند الأوربيين للتوقيع عليها فلم يفلح .

وجاءت لنا بعض الردود من الغرف التجارية بوصول البيان وبأنها لاتشتغل بالسياسة ، وكتب لنا بعض الممثلين السياسيين بوصول البيان وبالشكر ، ولكن قنصل فرنسا فى الأسكندرية خطب لمناسبة عيد ١٤ يوليو فقال فى خطابه: «إنه كان يتساءل عن أسباب سكوت المصريين عن حادث الأسكندرية ، ولكن فى هذه الأيام قام بعض الأمراء وكبار القوم وأعلنوا استياءهم لما وقع ، وفندوا تهمة التعصب الدينى وكراهة الأجانب ، وامتدح القنصل هـذا القول وأتى ببعض الجمل من البيان فسررنا من ذلك .

هذا وقد وصل إلى جريدة الأخبار من أحد المصريين بفينا برقية بنشر البيان فى جرائدها وبأنه وقع لديها موقع الاستحسان .

شئون مختلفة

نور الدين يشكو من معاملة عباس : فى يوم ٢٢ فبراير قابلت نور الدين بك فأظهر استياءه من عباس ، وقال أنه لما أرسله إلى سويسرة سنة ١٩١٨ سلمه تحويلا بمائة وثلاثين ألف مارك وأخذ منه سنداً بتسلمه هذا المبلغ ، ولما وصل إلى سويسرة دفعه إلى أحد البنوك باسم مدام لوزانج صاحبة سموه بناء على التعليمات التى تلقاها ، والآن أرسل عباس هذا السند إلى ألمانيا مدعياً أنه دفع هذا المبلغ لنور الدين من المبالغ التى تسلمها من ألمانيا لتخصم من حسابه الباقى طرف سموه ، مع أنه لم يأخذ بارة واحدة باسمه . قال وهكذا لحقتنى وصمة في سويسرة وفي الآستانة وفى ألمانيا من جراء أفعال الخديو . وعلمت منه أن لوزانج لما سافرت من الآستانة وحضرت إلى سويسرة . أخذت من بنوك زوريخ كل ما كان الخديو أودع فيها من الأوراق ، والمجوهرات خوفاً من أن يحجز عليها كما سبق تهديده بذلك فى برقية أرسلتها له فى سنة ١٩١٩ بأن حمصى يريد الحجز على هذه الأشياء .

ثم قال إنه طلب الرجوع إلى مصر ولكن السلطة مشتبهة فى أنه قدم إلى أوربا لنشر الدعاية في مصلحة الخديو وقد رخص لعائلته بالرجوع إلى مصر وهو يؤمل أن يحصل على التصريح أيضاً بعد أن ينفى عن نفسه ما ألصقه به عباس .

نوادر عن شح عباس : قابلت فى زوريخ عزيز باشـا عزت يوم ١٧ مارس ودعانى إلى الغذاء مع البروفسور هيس وجاءت سيرة الخديو ، فقدح هيس فى أخلاقه ؛ ومن ضمن ما قاله : إنه أرسل له بأن يحضر اليـه فى يوم

سبت لبذل المساعى فى إخراج المرحوم يكن من الحبس ، فجاء مساء الجمعة بدلا من السبت ، فلما لاحظ الخديو على ذلك ، أجاب البروفسور أنه عجل بالحضور ليتمكن من التكلم فى المسألة صباح السبت ، ولو حضر فى اليوم المذكور ما أمكنه ذلك. لأن الأدارات والمصالح تغلق أبوابها بعد ظهر السبت، قال هيس: «وكل هذه الملاحظة لعدم دفع مصاريفى فى الليلة التى أمضيتها» . وقال أيضاً: إنه كان يستدعيه مراراً إلى زرويخ : ويبقيه حتى الساعة ١٢ والنصف، ثم ينظر سموه فى ساعته ويقول له : « هيا يا بروفسور الحق الغداء » يعنى أنه يصرفه بهذه الطريقة .

ثم قال متهكماً : «وإنما الحق يقال أنه دعانى وزوجتى مرة لتناول الشاى »ثم قال :إنه كان قد ناط به تفسير القرآن لجاويدان خانم أو الكونتس توروك لما كانت فى مصر، فكان يقضى الساعات فى ذلك . ثم سأل جويدان عما يلزم أن يصنعه لتذكير الخديو بأتعابه ، فأشارت عليه بأن يقدم كشفاً يبين فيه حسابه ، فقدم الكشف وطلب ٣٠ جنيهاً، فغضب الخديو من ذلك، وخاطبه بعد أيام منتقداً تفسيره فرد عليه بأنه اقتبس ما ألقاه من التفسير من كتاب التفسير الكبير للطبرى . قال البروفسور: «وهذا الانتقاد إنما كان تخلصاً من استمرار إعطائى الأجر على أتعابى »

سنة ١٩٢٢

الأحوال السياسية وتصريح ٢٨ فبراير — الجرائم السياسية ضد الانجليز — قانون ولاية العرش — قانون تصفية أملاك عباس — اشتغالي بالصحافة في الليبرتيه — مساعدة المنكوبين بالحريق في الاستانة — رحلتي في سوريا وفلسطين — مطلوباتي من عباس

الأحوال السياسية وتصريح ٢٨ فبراير: من أول هذا العام كان الناس ينتظرون حضور اللورد اللنبي المعتمد الانجليزي في مصر ، بعد أن برح إلى بلاده للتفاهم مع حكومته على اتباع سياسة جديدة ، وهي سياسة تصريح ٢٨ فبراير الذي أعلن بعد إيابه بالاتفاق مع عبد الخالق ثروت باشا ؛ وقد كان الاحتفال بقدومه كبيراً ، وازدحم الكثيرون في فناء المحطة ، وعلى جانبي الطرق التي مرت مركبته بها، وحيوه بالتصفيق .



عبد الخالق ثروت باشا

الأغلبية والتصريح : وبعد إعلان التصريح قابلته قلة من الشعب بالترحيب، أما الكثرة الساحقة . فكانت في حالة عصبية توحي إليها الحذر الشديد من السياسة الانجليزية ، ولا سيما وقد مهد لهذا التصريح بنفي سعد باشا وزملائه ، فلم يكن من المستطاع إقناع هذه الكثرة بأن سياسة يمهد لها بنفي زعيم البلاد ، يكون فيها خير للأمة .

موقف الصحف : وقد التزمت معظم الصحف المصرية جانب التحفظ في التعليق عليه ، ولكنها اتفقت على

أمر واحد ، وهو أن السياسة الجديدة ، لم تحقق لمصر كل آمالها ، وإنما هى خطوة فى سبيل تحقيق تلك الآمال .

الجاليات الأجنبية وسياسة التصريح : أما الجاليات الأجنبيـــة فى مصر فقد



اللورد اللنبي

تخوف بعضها من النص على أن انجلترا تحفظ لنفسها بحق حماية الأجانب . وكان أشد هذه الجاليات تخوفاً هي الجالية الفرنسية ، التي قررت أن ترسل احتجاجاً إلى الموسيو جايار الوزير المفوض والوكيل السياسي لفرنسا في مصر جاء فيه :

« إننا لو افترضنا أضيق ماتحتمله الصيغة الواردة بالتصريح من المعاني ، لما استطعنا أن نتصور أن المصالح الفرنسية — عامة كانت أو خاصة — يمكن الدفاع عنها أو (حمايتها) بواسطة حكومات أخرى غير الحكومة الفرنسية

« على أن مجرد قبول مثل هذا النظام نزول غير مقبول ، لاسيما وأن انتصارنا قريب العهد منا .

« وفوق هذا ومن جهة عملية محضة ، يسوغ لنا أن نتساءل عما تئول إليه مصالحنا إذا كانت متناقضة مع مصالح رعايا الدولة الحامية » .

الأمراء والتصريح : وقد اهتم أصحاب السمو الأمراء ببحث الحالة الجديدة ، وموقف مصر السياسي بعدها ، وكانت آراؤهم متجهة إلى اعتبار هذا التصريح كسباً نظرياً فقط ، لم يغير شيئاً من الناحية العملية .

وقد كتبوا إلى عظمة السلطان فؤاد الأول كتاباً يشرحون فيه نظريتهم جاء فيه :

« إن بقاء الحالة الحاضرة مع وجود الجيوش البريطانية في مصر مما يؤذي الاستقلال ، لأن هذه الأحوال لاتستوي هي ومبادىء الحرية الشخصية » .

وطلبوا إعلان استقلال مصر مع سودانها ، وسيادتها التامة في الداخل والخارج وتأليف جمعية وطنية لمناقشة التصريح ، وتحضير مشروع الدستور ، وأن تجرى الانتخابات بكامل الحرية بعد إلغاء الأحكام العرفية ، وإعلان حرية الصحافة . والعفو عن المعتقلين السياسيين ، ودعوة المنفيين .

بدء تنفيذ التصريح : كان المنتظر أن يعرض التصريح على البرلمان البريطاني يوم يوم ٩ مارس ، ثم أجل إلى يوم ١٤ منه ، أما الحكومة المصرية فقد أخذت تنفذه فعلا من يوم إعلانه ، فعينت وكلاء مصريين للوزارات بدلا من الأنجليز ، ثم امتنع المستشار المالي من حضور جلسات مجلس الوزراء ، كما كان المتبع منذ بدء الاحتلال

وفي يوم ١٤ مارس وافق البرلمان الأنجليزي عليه واحتفلت الحكومة يوم ١٥ مارس بالاستقلال . أما الشعب فكان بعيداً عن الاشتراك مع الهيئات الرسمية ، بل

كان بعض الشباب يجتمعون ويهتفون للاستقلال التام ، فكان هتافهم هذا دليلا على عدم اقتناعهم بأن ماحصل هو الاستقلال الذى يطلبون .

رأى عباس فيه : قرأت حديثاً لعباس مع مراسل جريدة « بروجريه دى ليون » الفرنسية عن الحالة الجديدة، ومما جاء فيه :

« إننى لاأعير اللعب الذى لعبته وزارة لندن أدنى أهمية . يكفى أن يقرأ الانسان بأى شروط اعترفت تلك الوزارة باستقلال مصر ، ليفهم أنه لم يتغير شىء من عهد الضغط الذى تعيش فيه بلادى منذ إعلان الحماية » .

وزارة ثروت باشا والرأى العام : لم تكن الوزارة على العموم موضع ثقة الرأى العام ، وكانت لذلك لاتسمح للشعب بابداء آرائه ، حتى أن الأمير يوسف كمال ، دعا إلى اجتماع يعقد فى بيت السيد أبى بكر راتب باشا يوم ٢٤ مارس فتصدت الحكومة لهذا الاجتماع ومنعته ، فزاد ذلك فى السخط عليها ، وعرضها لنقد كثير من العقلاء الذين كانوا على الحياد بينها وبين خصومها .

وقد زادت الحالة تعقداً حينما ألفت الحكومة لجنة لوضع الدستور ، دون أن تكون منتخبة من الشعب .

نعم إنها دعت جميع الهيئات إلى الاشتراك فيها ، ولكن لم يتقدم لها أحد من الوفديين وهم الكثرة الساحقة، ولا من الحزب الوطنى . وزاد ذلك هوة الخلاف بين الشعب والحكومة .

تأليف حزب الأحرار الدستوريين : لهذا فكر المنتمون إلى ثروت باشا وعدلى باشا ، فى تأليف حزب يناصر سياسة الوزارة ، وسمى «حزب الأحرار الدستوريين» وكان ذلك يوم ٣٠ اكتوبر . وانضم إلى هذا الحزب كثير من مفكرى الأمة ، وأصحاب البيوت الكبيرة فيها .

وقد قوبل الحزب الجديد بالسخط الشديد، وأذاع الوفديون بياناً يتهمه فيه بالتخاذل وبشق وحدة الأمة ، وكانت أحاديث الانتقاد له تتداول فى كل مكان .

وفى مساء ١٦ نوفمبر وقع اعتداء بالرصاص على عضوين من رجال الحزب هما المرحومان حسن عبد الرازق باشا واسماعيل زهدى بك ، وكان المعتدون يظنون أن سيارتهما تحمل عدلى باشا رئيس الحزب .

وقد توفى العضوان متأثرين بجراحهما .

استقالة ثروت باشا وأسبابها : وفى يوم ٢٩ نوفمبر قدم ثروت باشا استقالته .
وأحاطت بهذه الاستقالة عدة إشاعات عن أسبابها الحقيقية ، غير أنه من المؤكد
أنه كان من بين هـــذه الأسباب ، دسائس خصومه فى السراى ، ورماها أن له



محمد توفيق نسيم باشا

اتصالا بالخديو السابق ، لأن اسماعيل الرزنمجى باشا والده كان متزوجاً بأحدى جوارى عباس باشا الأول والد إلهامى باشا جد الخديو السابق من والدته ، وأنه ساعد وفد الحزب الوطنى على السفر إلى مؤتمر لوزان ليعمل فى مصلحة عباس .

وقد ألفت بعد ذلك وزارة نسيم باشا فقوبلت بالترحيب من الرأى العام وأصدر الوفد بيانا يعدد فيه مساوىء الوزارة السابقة ، ويفهم منه الرضاء عن الوزارة الجديدة، وإن لم يصرح بذلك .

الجرائم السياسية ضد الانجليز : وقعت فى هذا العام عدة جرائم سياسية ضد الانجليز نتيجة لتهيج الأعصاب الذى كانت الأمة معرضة له بين التقلبات السياسية ونفى الزعماء ، ومحاكمة بعضهم ، واعتقال فريق منهم .

وقد وقعت أولى هذه الجرائم يوم ٣٠ ابريل على اثنين من فرقة الطيران ، فجرحا جراحا بليغة ، وفر المعتدون قبل أن يتمكن البوليس من القبض عليهم .

وفى يوم ٢٤ مايو وقع اعتداء آخر على البكباشى كيف مساعد الحكمدار بالقاهرة .

وفى يوم ٢٩ يوليو اعتدى مجهولون على المستر توماس براون مدير قسم البساتين بوزارة الزراعة ونجله ومربيته الانجليزية وسائق المركبة التى كانت تقلهم .

وفى يوم ٢ ديسمبر أطلقت خمس رصاصات على مستر روبسون المدرس بمدرسة الحقوق .

والذى كان يلفت النظر فى كل هذه الجرائم انها وقعت فى شوارع مزدحمة بالسابلة ، وفى أوقات يكثر فيها المرور دون أن يقبض على الفاعلين .

قانون وراثة العرش : لما تولى السلطان فؤاد عرش مصر لم يكن له أولاد من الذكور ، وفى فبراير سنة ١٩٢٠ رزق عظمته نجله سمو الأمير فاروق (جلالة الملك) وقد أخبر اللورد اللنبى عظمته يوم ١٥ ابريل من السنة نفسها بأن الحكومة البريطانية تعترف بالأمير فاروق وباعقابه من الذكور ، ورثة لعظمته .

وفى ١٣ ابريل سنة ١٩٢٢ صدر مرسوم بوراثة العرش . ينص على ولاية العهد للأمير فاروق، وعلى حرمان عباس باشا الخديو السابق من ولاية الملك ، دون أبنائه وذريتهم .

قانون تصفية أملاك عباس : وفي منتصف شهر يوليو راجت أشاعات تتلخص فى أن الخديو السابق قد فر من الاستانة إلى سويسرا ، وأنه يدس الدسائس هناك ضد مصر ، فصدر بتاريخ ٢٧ يوليو قانون باقرار ما قامت به السلطة العسكرية ، فى ظل الأحكام العرفية من تصفية أملاك عباس ، وبحرمانه دخول الأراضى المصرية أو سماع أى دعوى قضائية منه بأى وسيلة ، أو مباشرته لأى عمل داخل الحدود المصرية شخصيا أو بالواسطة ، وإذا لم يتسلم ثمن ما يباع من أملاكه بواسطة لجنة التصفية بعد مضى عام من بيعها فان الثمن يصادر لخزانة الحكومة.

وقد أرسل عباس داخل ظروف لكثير من عظماء المصريين منشورا سريا يظهر فيه عدم اعترافه بقانون الوراثة ؛ ولا قانون التصفية ، وعزمه على العمل للاحتفاظ بحقوقه ، ويدعوهم فيه لنصرته .

اشتغالى بالصحافة :

مقالات تثير اهتمام الدوائر العليا : منذ أواخر العام الماضى دخلت فى زمرة الصحفيين ، فبدأت أكتب مقالات في جريدة الليبرتيه عن عهد الأسرة العلوية المحمدية ، وكانت تظهر كل يوم أربعاء فى صدر الجريدة ، وقد أخذت تلفت الأنظار فى الأوساط الانجليزية وفى السراى .

وفى يوم ١٨ يناير سنة ١٩٢٢ قابلت موسيو ليون كاسترو صاحبها فأخبرنى أن قلم المطبوعات في الداخلية أرسل إليه إشارة تليفونية ليستدعيه ، وكان يظن أنهم سيخاطبونه فى الكف عن معارضة تشكيل الوزارة الجديدة بعد وزارة ثروت باشا .

السراى تخشى الدعاية لعباس : وفي يوم ٢٠ منه قابلته ، ففهمت منه أن سبب استدعائه هو مقالاتى التى أنشرها بجريدته ، وذلك أن السراى تخشى أن يكون الغرض عمل دعاية لعباس حينما أصل إلى الكلام عنه ، وقد طلبوا منه أن يخبرهم عما إذا كان فى مقالاتى الآتية شىء من هذا القبيل ، فقال لهم : « إنه يكتب مقالاته واحدة واحدة ، وأنا لا أعلم ماذا سيكتب بعد ذلك ، ولكنى لا أظن أنه يقصد القيام بالدعاية لعباس »

عندئذ قلت لكاسترو : « إننى لا أقصد الكلام عن عباس فى مقالاتى هذه إلا

عرضاً ، لأنني أنوى نشر كتاب خاص عن تاريخ آخر الخديويين ، ثم أضفت : وإن عباساً له صفات طيبة وأخرى معيبة، وعلى كل حال أنا على الحيدة من جهته ، وإذا كنت قد خدمته هذه المدة الطويلة بنية صادقة ، فذلك دين على لوالده توفيق رأيت أن أفيه.

النهضة النسوية : وقد حدث أثناء اشتراكى في تحرير هذه الجريدة أن دعا صاحبها المحررين بها لحفلة عشاء برياسته ، ثم كانت حفلة ثانية برياستى . وكانت المجلة قد خصصت قسماً لشئون المرأة ، ومن بين ما كان ينشر فيه مقالات لكاتبات من بينهن سيدة باسم (حياة) تؤيد فيها حرية المرأة ونهضتها بأسلوب رشيق . ففى هذه الحفلة تحدثت عن النهضة النسوية الجديدة ، وأثنيت على هذه الكاتبة المجيدة ، وعلى زميلاتها ، وانتصرت لحرية المرأة ، وقد ردت على هذه الكاتبة رداً لطيفاً وذكرت فيه أن والدها يعرفنى ، ويعرف عنى أشياء كثيرة . .

انقطاعى عن التحرير : وأخيراً رأيت أن أنقطع عن التحرير في هذه الجريدة بعد كتابة خمس وثلاثين مقالة ، تجنباً للاحتكاك بالدوائر العليا التى كانت لا ترتاح لنشر مقالاتى .

مساعدة المنكوبين بالحريق فى الاستانة : في يوم ٢١ يونيو سافرت إلى الاستانة لقضاء فصل الصيف بها . وفى يوم ١١ أغسطس قابلنى الحاج حسين مانع زاده أحد التجار المشهورين وأخبرنى أنه حدث حريق كبير فى بعض احياء الاستانة، وقد تشكلت لجنة برعاية السلطان ، ورياسة توفيق باشا الصدر الأعظم لمساعدة المنكوبين ، وستقوم ببناء منازل للفقراء الذين أصابهم الحريق فدمر بيوتهم ، وأن السلطان قال بوجوب وجود عضوين فى اللجنة من غير الأتراك وأنه (أى مانع زاده) قال فى الاجتماع انه يعرفنى عندما حضر لمصر ، وكنت أنا مديرا للأوقاف ، وأثنى على : فقررت اللجنة سؤالى عما إذا كنت أقبل الدخول حتى أروج اكتتاب المصريين لاعانة فقراء المنكوبين بالحريق ، فقلت : « يلزم سؤال الانجليز عن رأيهم في الموضوع ، فاذا لم يجدوا مانعا يسألون عن رأيهم فى دخولى عضوا فى اللجنة ، حتى لا يظنوا أننى أتداخل فى مسائل سياسية » .

وبعد بضعة أيام قال : إنه تقرر استدعائى عند الصدر لمباحثتى فى المسألة وفي يوم ١٦ منه وردت إلى دعوة لمقابلته يوم ١٩ ، ولما قابلته بالصدارة

قال لى: «ان لجنة الحريق أمكنها باعانات مالية من الجمهور أن تبنى بيتين كبيرين يحتويان على مساكن متعددة، وانها شرعت فى بناء بيت ثالث، والايجارات التى تأتى من هذه البيوت تنفق فى بناء بيوت للفقراء المنكوبين بالحريق؛ وستشرع في فى طبع تذاكر بفئات مختلفة لعرضها على المحسنين من المسلمين أتراكا وعربا، ومن شتى الأجناس للمساعدة على بناء البيوت المذكورة، فهل يتيسر تنظيم هيئة فى مصر لهذا الغرض؟».

قلت: «إن الذى يتولى الآن جمع الأموال لمساعدة الأناضول هو الأمير عمر طوسون». قال: «وهل يمكنك أن تكاتبه فى هذا الصدد لمعرفة عدد التذاكر التى يمكن توزيعها ومقدار قيمتها؟». قلت: «انى على وشك السفر إلى مصر والأحسن أن أكلمه شفهيا فى الموضوع. ولكنى يادولة الصدر أجهل تفاصيل غرض اللجنة؟ فهل لها لائحة لأطلع عليها، وهل توجد خريطة تبين الأماكن المحترقة واحصاء عن عدد البيوت ومساحاتها، والتى منها للفقراء، وما هى المعلومات عن طريقة بنائها؟».

فقال: «إنه سيطلب من اللجنة هذه الايضاحات؛ والفكرة السائدة هى أن تقسم الأرض إلى جملة أقسام، وتستدعى شركات البناء وتعطى كل شركة قسما». قلت: «وهل الشركات، تقبل مشترى الاراضى وبناءها وتأجيرها وهى محكورة؟». ولفت نظره إلى هذه النقطة وأن اللازم استبدال أحكارها أولا. ثم استأذنت منه على أن أكون تحت أمره في أى وقت؛ فأجاب بأنه لا يستطيع أن يقدم لى كل المعلومات التى طلبتها، وأخيرا جاءنى منه مندوب. وترك لى في المنزل خريطة استامبول، والأراضى المحترقة ملونة بالأحمر، وعليها معلومات عن عدد المبانى المحترقة، وهى ١٠ آلاف منزل

وفي يوم ٢ سبتمبر زرت الصدر مودعا، وتحادثنا فى موضوع إعانة المنكوبين ثم قدمت له الاقتراح الآتى:

قلت: «علمت من سليمان أفندى البستانى أن جلالة الملك فؤاد أرسل لكم بواسطته تحياته، وانكم كلفتموه أن يبلغه شكركم، وبما أن العلاقات ودية بينكم وبين جلالته فربما يكون من الموافق كتابة خطاب ودى غير رسمى بهذه المناسبة ومن ضمنه استعطاف جلالته لمساعدة هذا المشروع»، فوافق على الفكرة. ولكن قال: «حيث اننا لم نعقد الصلح مع الحلفاء، فالأصوب تبليغ جلالته شفهيا من قبلى»

قلت : « وانني لا أخفى عليكم ان الأزمة المالية لم تزل موجودة فى مصر خصوصا لانخفاض ثمن القطن ، فالمصريون معذورون الآن ، ومع كل فانني سأقوم بالمأمورية في السراى وعند الأمير عمر طوسون »

وفى يوم ٥ سبتمبر غادرت الاستانة عائدا ، فوصلت الاسكندرية يوم ١٠ منه . وتوجهت مباشرة إلى سراى رأس التين ومعى الخريطة السابقة الذكر . فكتبت اسمى فى سجل التشريفات ، ثم قابلت حسن نشأت بك (باشا) أحد كبار رجال الديوان وسلمته الخريطة ، وبلغته ما كلفنى الصدر ، فتسلمها وأخذ عنوانى .

ثم قابلت الأمير عمر طوسن وأخبرته بالمهمة فقال : « إنه تقرر عدم ارسال نقود للاستانة لأن حكومتها ضد الكماليين ، وأن كل ما يجمع من النقود يرسل إلى الأناضول » وبذلك انتهت المسألة .

رحلتى فى سوريا وفلسطين :

إعجابى بالتعليم فى الجامعة الأمريكية ببيروت : سألت كثيراً ممن لهم وقوف على الجامعة الأمريكية في بيروت ، فوجدت أنهم يجمعون على القول بأنها تفضل مدارس مصر فى التعليم والتربية ، وعلمت من أحد أصحاب المقطم أن المسلمين لهم معلم للديانة السمحة ، واليهود والنصارى لهم معلمون في دياناتهم ، وأنه سيحضر عن قريب مندوب من الجامعه ، لمرافقة التلاميذ الذين سيذهبون اليها للدراسة ، لهذا صممت على انتظاره، وأخذ المعلومات منه، ثم السفر بولدى احمد وراشد اليها .

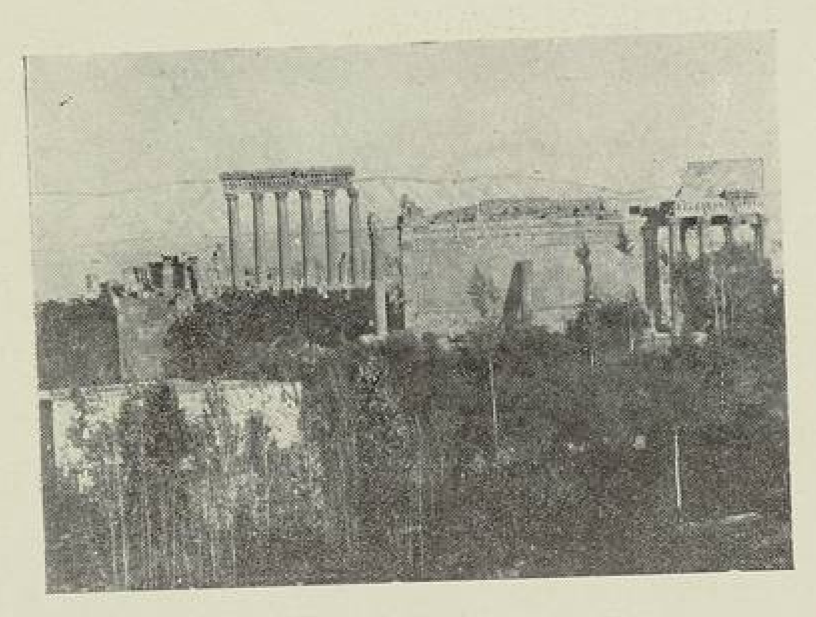
وفى يوم ١٣ اكتوبر — وكنت قد حصلت على المعلومات المطلوبة — سافرت معهما ، فوصلنا إلى الحدود المصرية يوم ١٤ منه ، وفى اليوم التالى وصلنا إلى بيروت فذهبنا للكلية ، وهناك قابلنا الأستاذ حامد ثابت مدير قسم الأولاد الصغار ، فسلمته الولدين ، ودفعت نصف المصروفات السنوية لهما، وهى مائتان وثمانية جنيهات سورية

وقد علمت أن من أخص الصفات التى تعنى الكلية بغرسها في نفوس طلابها ، الاعتماد على النفس ، فالطالب هو الذى ينظم غرفته بنفسه ، كما أن الطلبة الفقراء يشتغلون بالخدمة فى الكلية نفسها مقابل إعفائهم من المصروفات .

رحلتى فى بعض البلاد : وفى يوم ١٧ اكتوبر اتفقت مع شركة مصايف لبنان على القيام برحلة لبعلبك ودمشق، فركبت السيارة وصعدت الجبل ، ومررت على عاليه وبحمدون وصوفر؛ ثم نزلنا إلى شتوره ، وتغديت عند صاحبي القديم سليم افندى

بولاد، وله هناك أراض واسعة، ومعمل نبيذ وسط كروم كثيرة.

ومن هناك ذهبنا إلى بعلبك فزرت والدة الشاعر الكبير خليل بك مطران، فأعجبت بثقافتها وحسن إدارتها لشئون العائلة.



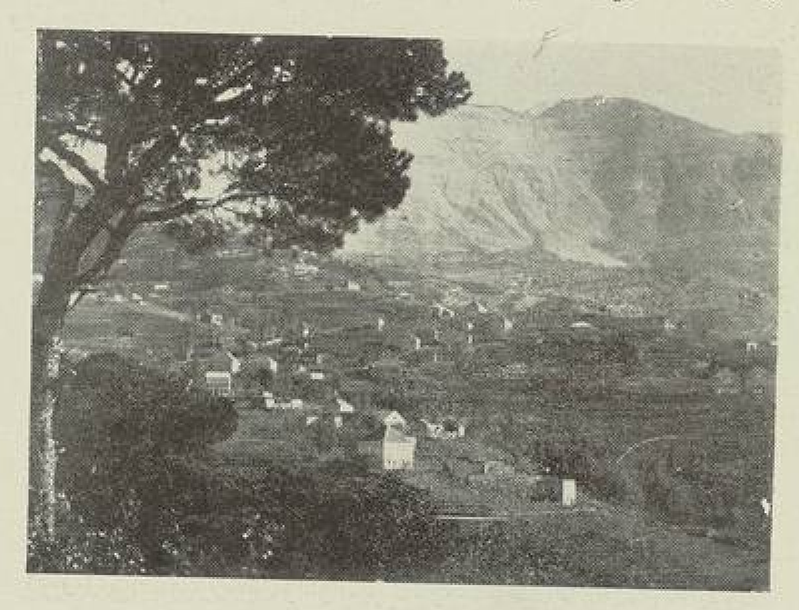
معبد بعلبك

ثم شاهدت معبد بعلبك، وهو معبد رومانى قديم مبنى بأحجار ضخمة يبلغ طولها ١٩ مترا وعرضها أربعة أمتار وارتفاعها ثلاثة. ومنها أعمدة قطرها ثمانية أمتار.

وبعد ذلك قمنا إلى دمشق، والطريق يشبه فى بعض جهاته بلاد السويسرة صخوراً ووديانا وأشجارا.. وقد قابلنى على المحطة وكيل محمد على العابد بك لغيابه فى حلب فركبنا مركبة ونزلت بفندق فيكتوريا فى ضيافة حرمه، وقد حضرت لزيارتى؛ ثم أرسلت مركبتها فذهبت بها لزيارة حقى بك العظم الحاكم العام الذى أرسل معى مدير الأوقاف لمشاهدة المعاهد الدينية والمساجد، وقد زرنا الجامع الأموى وبيت أسعد باشا العظم الأثرى الذى اشتراه الفرنسيون بستين ألف جنيه سورى، وفيه قاعات عربية جميلة، وشاهدنا دار الأيتام وفيها ١٥٠ بنتاً وهى متسعة ونظيفة، والحكومة هى التى تنفق عليها مع دار أخرى للأولاد: وأخيراً زرت معمل تلسان لشغل الخشب المنزل بالسن والصدف، وبين الصناع كثيرون من اليهود والأرمن

أما المسلمون فقد لاحظت أن ليس لهم نصيب كبير فى الصناعات على العموم .

وقد رددت الزيارة لحرم العابد بك ؛ ثم غادرت المدينة إلى المعلقة وزحلة



ظهور الشوير

فظهور الشوير على ارتفاع ١٦٠٠ متر تقريباً ، ثم نزلت إلى بورمانة حيث المنظر جميل بين أشجار الصنوبر ورائحته ، وعدنا إلى بيروت .

وفى صباح ٢٥ سافرت بالسيارة إلى حيفا ومنها إلى القدس ، فزرت حاكمها موسيو « ستورس » ، وكان من قبل فى مصر سكرتيراً شرقياً لكرومر ، ثم زرت منزل المفتى الحاج أمين الحسينى .

وفى اليوم التالى حضر شيخ الحرم بناء على أمر المفتى لمرافقتى فى الزيارات ، فزرنا الحرم وقبته مزينة بالفسيفساء الفاخرة الدقيقة ، وهى قائمة على اثنى عشر عموداً ، وأربع اسطوانات ، والصخرة المقدسةفيالأسفل؛ ثم تفرجنا على قبةتسمى محكمة داود ، وهى صغيرة ومصنوعة من القيشانى . ومحمولة على ثمانية عشر عموداً على نظام القبة الكبيرة

ثم توجهنا الى المسجد الأقصى ورأينا المحراب العظيم الذى بناه صلاح الدين الأيوبى ، وبجانبهمنبرعلى طراز عربى متقن ، وصانعه «حميدبنظافر الحلبى» ثم صلينا فى جامع سيدنا عمر ، ثم خرجنا ونزلنا الى المسجد الأقصى القديم ، ومنه الى محل

سرير عيسى . فاصطبل سليمان ذى الحجارة الضخمة ، ثم خرجنا فرأينا باب التوبة وباب الرحمة ، وهما عظيمان معلقان منذ القدم ، وعلى جانبهما كرسى سليمان (للحكم) وخرجنا من الحرم الشريف ودخلنا الصلاحية (المدرسة) وفيها كنيسة، ويقال: إن فيها قبر حنا والدة مريم، وهى صغيرة ، ويشاع أن سيدنا عيسى كان يبرىء الأبرص بادخاله فى مياهها، وهذه المدرسة كانت فى مدة الحرب كلية لتخريج المبشرين المسلمين من كل أطراف العالم الاسلامى ، وكان يديرها الشيخ عبد العزيز جاويش ، وكان فيها أساتذة أفاضل ، ولكن بعد الحرب أقفلت وسلمت الى جماعة من الفرنسويين .

ثم توجهنا الى مدرسة روض المعارف . ويديرها شيخ يظهر على وجهه الذكاء والنشاط، وشاهدنا التدريس في الفصول والمطبخ؛ وأعطونى أجزاء من مجلة يصدرونها اسمها . وأخيراً توجهنا الى كنيسة القيامة وزرنا قبر المسيح والأماكن الدينية التى داخل الكنيسة التابعة لأقوام مختلفة ، وهى على جانب عظيم من الفخامة، وبعد الغداء رجعنا الى هذه الكنيسة ، وتفرجنا على الآثار القديمة والهدايا النفيسة والمجوهرات الثمينة وكتب الانجيل التسعة المزخرفة ومن بين مارأينا صورة لمريم فى أطار زجاجى مطرزة بالجواهر الكريمة، ومنها اؤلؤة على الجبهة ثمينة ، ويقال: إن قيمة المجوهرات في هذه الكنيسة تبلغ ٨ ملايين من الجنيهات وكثير منها لطائفة الروم الارثوذكس التى لها نفوذ عظيم وعقارات كثيرة فى القدس، أما مفتاح كنيسة القيامة فهو في يد عائلة اسلامية من قديم الزمان ، لمنع الاختلافات بين الطوائف المسيحية المختلفة .

وبعدذلك ركبنا سيارة ، وتوجهنا الى مدينة الخليل، ورأيت فى الحرم الابراهيمى من الخارج قطعاً كبيرة من الحجارة ، وقيل لى : إن سيدنا سليمان هو الذى بنى هذا لمسجد. ولكنى لاحظت أن حجارته صلبة جداً ، ولا أظن أنه من بناء زمان سليمان — وفى هذا الحرم قبر سيدنا ابراهيم الخليل وقبر زوجته سارة . ثم قبور اسحق وزوجته رفقة ، ويعقوب وزوجته لائقة، ويوسف، وبه الغار الشريف ويتدلى فيه قنديل لأنارته، وله فوهة، يجلس عليها شيخ، فيكشف هذا الغطاء عن الفوهة ليرى الزائر عمق الغار .

ومن مدينة الخليل توجهنا بالسيارة الى بيت لحم، وتفرجنا على كنيسة المهد، وزرنا موضع مولد المسيح ، وموضع النخلة التى أمر الله سيدتنا مريم أن تهزها فيتساقط منها الرطب ، وهو لا يبعد عن محل الولادة الا بخمسة أمتار تقريباً ، ومسقوف

الآن بيناء؛ ومدينة بيت لحم بيوتها صغيرة مبنية بالحجر ونظيفة؛ وحاراتها ضيقة إلا أن أمام الكنيسة ميداناً متسعاً . وبعد هذه الزيارة رجعنا الى القدس وشكرت المفتى على حفاوته ثم عدت لمصر .

مطلوباتى من عباس : فى يوم ٥ نوفمبر علمت من محمد شفيق باشا أن عباساً وكل حسن بك صبرى المحامى (باشا) فى تصفية أملاكه مع الحكومة المصرية . وكان سموه قد جمع لجنة من المحامين المختلفى الجنسية وشاورهم بالسويسرة فى قضاياه ضد السلطة فى مصر ، فكان قرارهم أن له الحق فى مقاضاة السلطة ، ولكن حسن بك صبرى رأى أن هذه القضايا لا يمكن البت فيها قبل مضى سنة من وقت صدور الدكريتو الذى يقضى بمصادرة ماله من المال بعد التصفية ان لم يتسلمه فى هذه المدة ، وعليه رأى أن الأصوب قبول تصرفات السلطة وقبض ما يكون من المال وهو بين نصف مليون وستمائة ألف جنيه ، فيشترى به أراضى فى الأناضول فيعوض، ماخسره فى مصر . فقبل هذا الرأى، ووكله فى تنفيذه .



حسن بك صبرى (باشا)

فلما علمت بذلك عزمت على أن أقابله ، وأتكلم فى موضوع مطلوباتى من الخديو .

وفى يوم ٧ قابلته، وعلمت منه أنه سبق أن دار كلام بينه وبين الخديو فى أوربا فى موضوع مطلوباتى، وأن سموه يظن بأننى رفعت دعوى ضده ، وأنه قال: « أما مطلوب شفيق من النقود فسيرد لكن ما معنى هذه الدعوى؟ » ولما علم صبرى بك بأن هذه الدعوى لاتوجد الا فى مخيلته ، قال : الحمد لله . وأخبرته بملخص حكاية هذه المطلوبات ، فقال : « ان المبلغ لا يستحق التردد فى دفعه، وطلب منى أن أسلمه مذكرة به، ووعد أن يتوسل الى الخديو لدفعه، فشكرته ووعدته بعمل المذكرة .

وفى يوم ١٠ اجتمعت بالدكتور سيد كامل وتكلمت معه فى المسألة ، فرأى معى أن لا بأس من تحرير مذكرة لحررناها كما يأتى :

« حدائق القبة فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ »

« حضرة صاحب العزة الأستاذ الفاضل حسن بك صبرى »

« بعدالتحية والاحترام، فاتحتكم منذ ثلاثة الأيام فى موضوع مطلوباتى من الجناب العالى، وقد دهشت عندما علمت أن سموه لا يزال ظاناً بانى مخاصمه أمام المحاكم وهذا بخلاف الواقع كما أخبرتكم، وقد سبق لى أن استعطفت سموه لصرف هذه المطلوبات، ولكن مظنة وجود دعوى هى وحدها كانت دائماً السبب فى تأخير صرفها. والآن اشهدكم أنه ليس لى فى أى جهة من جهات القضاء هنا أو فى الاستانة أو فى أوروبا أثر لأية دعوى خاصة بهذه المطلوبات، وعليه أرجوكم أن تعرضوا على أعتاب سموه رجائى فى أن يتفضل فيأمر بصرف حقوقى التى أنا فى أشد الحاجة إليها.

« وانى أتخذ بجوار وساطتكم القيمة، السنين الطويلة من عمرى التى قضيتها فى خدمة سموه بكل صدق واخلاص، شفيعاً فى قبول الطلب الذى أرجو أن تكون الاجابة عليه فى القريب العاجل.

« أما مطلوباتى فهى : أولا ٢٦٣٣ جنيهاً مصرياً قيمة ما أخذ من نقود المسيو حمصى مع الفوائد لغاية السنة الجارية. ثانياً ٩٤٣ جنيها مصريا الباقى من سلفة الشيخ على يوسف وقدرها ٢٠٠٠ جنيه التى عقدها فى الخاصة مع الفوائد، فتكون الجملة ٣٥٧٦ جنيهاً مصرياً (١) وقد سبق أن سلمت مذكرة لحضرة الأستاذ أحمد بك لطفى فعرضها على الجناب العالى الذى أمره أن يبلغنى رد سموه بأنه سيأمر بدفع مطلوباتى بعد زمن قليل. هذا وتفضلوا بقبول شكرى على وساطتكم، وأننى متوسم حل هذه المسألة على يديكم »

شفيق

وقد توجهت لمكتب حسن بك صبرى يوم ١١ فبراير وتركت له هذا الخطاب.

وفى يوم ١٣ زرت عبدالحميد باشا سليمان وكيل وزارة الأشغال، فوجدت عنده حسن بك صبرى الذى أخبرنى بأنه تسلم خطابى، وأنه وجده فى تحريره ومحتوياته جيداً جداً، وأنه سيرسله مشفوعاً بتعضيد منه. قال : « وربما سافرت اليه بعد أسبوعين أو ثلاثة لأنهى المسألة » فشكرته. وقد سافر بعد ذلك. وبعد عودته أخبرنى أن عباساً تسلم مذكرتى وقرأها ثم لم يعطه جواباً

أما ما تم فى المسألة بعد هذا فسيجده القارىء فى ملحق بمذكرات العام الآتى

---

(١) ولم أرغب فى ضم المطلوبات الأخرى حتى أصل إلى تسوية هذين المبلغين أولا

سنة ١٩٢٣

عمارة المسجد الاقصى — السماح للوالدة بالعودة الى مصر
الحكم ضدى فى قضية الاوقاف — بين مؤلفاتى وعضوية البرلمان — شؤون مختلفة

عمارة المسجد الاقصى : فى يوم ٩ فبراير علمت بحضور مفتى القدس السيد محمد أمين الحسينى ، رئيس المجلس الأسلامى الأعلى ؛ وكنت تعرفت به فى القدس عند زيارتى لها فى العام الماضى ؛ وهو شاب يبلغ الثلاثين من العمر تقريباً ، ذكى يتحدث بعقل ورزانة ويعرف التركية



السيد محمد أمين الحسينى
رئيس المجلس الأعلى الأسلامى ومفتى القدس

وقد توجهت إلى فندق الكونتننتال لزيارته فلم أجده ، وتركت له بطاقتى

وفى يوم ١٣ دعيت عند السيد عبد الحميد البكرى لتناول الشاى فى حفلة أقامها تكريماً للمفتى ، وكان معه كمال بك المعمارى التركى الشهير . المكلف هو ومن معه من المهندسين الأتراك بترميم قبتى المسجد الأقصى والصخرة ، والحاج سعيد بك الشواء عضو المجلس الأسلامى الأعلى ومدير بلدية غزه سابقاً ، وخليل افندى سكاكينى ، وعادل افندى جبره مدير المكتب الأقصى ، والشيخ محمد بخيت ، والقمص بولس غبريال ، وغيرهم .

وعلمنا أن الغرض من حضور الوفد الفلسطينى جمع إعانات للقيام بالتعمير المطلوب ، الذى تبلغ نفقته مائة وخمسين ألفاً من الجنيهات .

وفي ١٥ منه حضرت حفلة غداء أقامها أحمد زكى باشا للوفد ، وكان معنا شيخ الأزهر ، والمفتى والشيخ محمد بخيت ، والسيد عبدالحميد البكرى ، والسيد رشيد رضا وسليمان شفيق باشا وزير الحربية السابق فى تركيا ، وتناقشنا فيما يجب عمله لجمع التبرعات المطلوبة ؛ وتقرر أن أعرض الأمر على الأمير محمد على ، وألتمس رياسته للهيئة التى ستشكل لجمع الإعانات ، وأن يقدم الوفد لسموه غداً بواسطة السيد عبد الحميد البكرى والشيخ بخيت .

وفي يوم ١٦ قابلت الأمير ، وعرضت عليه المسألة فقبل مبدئياً ، على أن يستطلع رأى اللورد اللنبى . ثم حضر الوفد الفلسطينى وقدمه السيد البكرى والشيخ بخيت لسموه ، ودار الكلام فى الموضوع ، فأظهر ارتياحه وقبل بتحفظ ، وقال : إنه عند ابتداء العمل يسافر مع اللجنة التى ستشكل إلى الوجه القبلى لجمع التبرعات . ويطلب من سمو الأمير عمر طوسن أن يقوم بهذا العمل فى الاسكندرية والوجه البحرى ؛ فخرج الوفد شاكراً لسموه ، مستريحاً لما بذلته من المساعى .

وفى يوم ١٩ دعوت الوفد لتناول الشاى ، ومعه السيد البكرى والشيخ بخيت والسيد رشيد رضا وزكى باشا ، والقمص بولس غبريال ، رئيس الكنيسة القبطية بحارة الروم ومندوب البطريركية والأستاذ نسيم صيبعة ، وابرهيم بك نجار صاحب « لسان العرب » .



القمص بولس غبريال

وفي يوم ٢٠ انعقد مجلس إدارة الرابطة الشرقية ودارت المناقشة حول المساعى التى قمت بها لدى الأمير محمد على ، فتقرر اعتماد هذه المساعى من الجمعية .

وفى يوم ٢٥ قابلت الأمير بناء على طلبه فى نادى محمد على ، فأخبرنى أنه حظى بمقابلة جلالة الملك فؤاد ، وعلم منه ما دار بينه وبين مفتى القدس من الحديث حول جمع التبرعات ، فلاحظ جلالته أن الوقت غير مناسب للبدء بهذا العمل نظراً للازمة الاقتصاديه ؛ ثم قال للامير : إنه لم يكن

يعلم أن الوفد الفلسطيني طلب من سموه أن يرأس لجنة الاكتتابات ، بل علم أنه لجأ إلى الشيخ محمد بخيت . فسألت الأمير عما إذا كان الملك يكره الشيخ بخيت ؛ فقال بالفرنسية ما معناه : « نعم له ثأر عنده » .

وبعد أن تركته قابلت الوفد ، وأخبرته بما كان بين الملك والأمير ، فتقرر أن يزور المفتي اللورد اللنبي ، ويخبره بما حصل .

ولما قابله قال له : « الحقيقة أن الملك مشغول الفكر الآن بالحالة السياسية ، والأفضل الانتظار حتى تشكل الوزارة (١) . أما الأزمة المالية فلا عبرة بها » ؛ ثم أوصى المفتي أنه عندما يعلم بتشكيل الوزارة يكتب إلى اللورد . وهو يقابل الملك وينهى المسألة .

وفي يوم ٢٧ سافر الوفد الفلسطيني ، فودعه على المحطة كثير من أعضاء مجلس الرابطة الشرقية ، وغيرهم .

وفي يوم ١٠ يونيو عاد مفتي القدس لاعادة الكرة فيما يختص بجمع الاكتتاب فنصحت له بأن يسير حسب رغبات جلالة الملك ؛ فيبدأ بالكلام مع الوزارة ملتمساً أن يكون العمل تحت رعاية جلالته ، على أن يعين هو اللجنة التي تقوم بالعمل في الوقت الذي يختاره . بحيث لا تكون هناك صلة بين المشروع ، وبين البكري ، أو الشيخ بخيت أو صاحب المذكرات ، وذلك أدعى إلى رضاء جلالته .

وقد رافقته فقدمته لرئيس الوزراء ، فتكلم معه حسبما اتفقنا ، ووجد منه عطفاً على المشروع ، وقال : « إن اللورد اللنبي حادثه في هذا الصدد ، وأنه سيعرض الأمر على جلالة الملك ويحبذه » .

وفي يوم ١٢ منه اجتمع مجلس إدارة الرابطة الشرقية ، وقرر المساعدة في جمع الاكتتابات ، سواء باشتراك بعض أعضاء الرابطة في اللجنة التي سيأمر الملك بتشكيلها ، أو بتخصيص هيئة من الأعضاء لتعمل على انفراد .

وفي يوم ١٤ منه قابل المفتي سعيد ذو الفقار باشا كبير الأمناء ، فوعد بالمساعدة لدى جلالة الملك ، وقد قبل جلالته رعاية المشروع ، وتقرر ابتداء العمل في الخريف القادم .

وبلغت التبرعات ٣٠٦ جنيهات و ٨٦٠ مليما . وبعد ذلك تبرع جلالة الملك فؤاد بمبلغ خمسة آلاف جنيه وتبرعت وزارة الاوقاف بخمسة آلاف أخرى .

---

(١) بعد سقوط وزارة ثروت باشا

السماح للوالدة بالعودة الى مصر : فى يوم ٩ ابريل حضر إلى منزلنا الأمير محمد على ، وتكلم مع حرمى فى ارسال خطاب من السيدات المصريات إلى اللورد اللنبى ، بشأن عودة دولة الوالدة ، يتلخص فى أن الأحكام العرفية هى التى تمنع عودتها ؛ ولذلك يطلبن وساطة جنابه لرفع هذا القيد ، وتذليل الصعوبات ، التى ربما تعوق رجوعها

تحررت هذا الخطاب بالفرنسية ، وأطلعت عليه شكور باشا ، وطلبت منه كتابته على الالة الكاتبة . ولكن السيدات عدلن عنه ، وقررن إرسال رسالة باللغة العربية يطلبن فيها تحديد ميعاد لمقابلة اللورد للتكلم معه فى الموضوع ، ووقعته السيدة شريفة هانم رياض

وحتى يوم ١٨ منه لم يرد الرد . وقد اتفق أن كان شكور باشا فى هذا اليوم عند مستر كار سكرتير اللنبى ، فسأله عما إذا كان اطلاق سراح أعضاء الوفد المعتقلين في قصر النيل قد أحدث أثراً طيباً عند المصريين ؟ فأجابه الباشا بالايجاب . ثم أظهر المستر كار امتعاضه من تمسك السراى بمسائل غير هامة .

ففهم شكور أنه يعنى بذلك توقفها عن الاذن لوالدة الخديو بالرجوع ، فقال كار : « نعم إننى أعنى ذلك ، لأن اللورد قابل الملك موفداً من قبل حكومته التى لاترى مانعا في عودة دولتها، وطلب منه أن يوضح أسباب عدم السماح لها بالعودة فأجاب الملك ، بأنه يرى الأفضل الانتظار حتى يعلن الدستور وينعقد البرلمان تحضر فى شهر ديسمبر ، وكان الأصوب أن يقابل طلب حكومة انجلترا بالقبول »

فقال شكور باشا : إنه على استعداد للكلام مع السراى فى هذا الشأن ، فسمح له كار بذلك ، وتوجه فى يومه إلى السراى، فأقنع سعيد ذا الفقار باشا بأن الأصوب السماح لدولتها بالعودة الان ، لأنه حين يعلن الدستور لا يكون هناك مانع من رجوعها : فلا يكون للسراى رأى فى ذلك . فوعد بالتكلم مع الملك فى هذا الشأن .

وقد أعلمنى شكور باشا بمسعاه فشكرت له

وفى يوم ١٩ ابريل تمكن سعيد ذوالفقار من اقناع الملك بهذا الرأى، فأرسلت السراى برقية للوالدة بذلك . وأرسلت باسمى واسم حرمى برقية لدولتها بالتهنئة ، وأعلمت الأمير بمساعى شكور باشا

الحكم ضدى فى قضية الأوقاف : ذكرت فى سنة ١٩١٦ ما نمى إلى من الأخبار وأنا فى تركيا عن رفع قضية ضدى من الأوقاف السلطانية .

وأذكر هنا تفصيلا لهذه القضية من مبدئها إلى نهايتها . ذلك أنه فى أواخر سنة ١٩١٤ عينت الأوقاف اثنين من موظفى المالية ، وهما جورج بك طلاماس والمسترجون هلبرت لفحص أوراقها ، فاتضح لهما أن هناك أموالا سحبت لانفاقها فى وجوه خيرية ، ولكنها صرفت فى وجوه أخرى . فتولت النيابة التحقيق ، وكان المحقق هو محمد زكى الابراشى أفندى (باشا) فأتم تحقيقه ولم يجد شيئاً فى مكتبى بعابدين ولكنه وجد فى منزل أحمد بك صادق وكيل الأوقاف الخديوية سندات بالمقادير التى صرفت باسم الفقراء ، بينما ذهبت فى وجوه أخرى . فقدم القضية إلى محكمة مصر الابتدائية فى يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٥ .



زكى الابراشى باشا

ونظراً لوجود صالح أجنبى فى القضية ، وهو الحارس القضائى على أموال الخديو فى الخاصة الخديوية معيناً من البنك العقارى الذى يداين دائرة عباس ، فقد حولت القضية إلى محكمة مصر المختلطة ؛ وكان ذلك عقب صدور أحكام بالبراءة من المحاكم الأهلية فى قضية أقيمت على خيرى باشا مماثلة لقضيتى ؛ وكانت الأوقاف تطالبنى بالتضامن مع الخديو بمبلغ ٧٨٠٦ جنيهات و ٩٦١ مليما وقد حجزت على أموالى المودعة فى بنك دى رومه وقدرها عشرة آلاف جنيه تقريبا دون الحجز على أموال الخاصة الخديوية

وكانت وقائع الدعوى كما يأتى : « أننى كنت أودع باسمى المبالغ الخاصة بالديوان ليتسنى لى صرفها كما أشاء » ، « وأننى صرفت المبالغ التى رفعت بها الدعوى دون إذن من الخديو لعدم وجود أوامر كتابية منه بذلك » ، « وأن تحقيقات النيابة تثبت أن البيانات التى فى أذون الصرف غير حقيقية »

وقد رد وكيلى عن النقطة الاولى بأن المبالغ المودعة في المصارف على قسمين :

الاول . وهو رءوس الاموال ، وهذه مودعة باسم الاوقاف ، والثانى وهو فوائد رءوس الاموال ؛ وقد أودعت بأسمى كرئيس للاوقاف ؛ وذلك كراهة لان يظهر أن الأوقاف تتعامل بالفوائد المحرمة شرعاً ؛ وقد جرى هذا العرف من قبلى . وعن النقطة الثانية ، بأنه لم يكن يتصور أن أتأخر عن صرف المبالغ حتى يصدر لى أمر كتابى من الخديو ، لأن العادة جرت بأن تكون هذه الأوامر شفوية ، وحسبي أننى كنت أتأكد من الخديو نفسه أنه أمر بصرف المبالغ . وعن النقطة الثالثة بأنه لم يكن من المتيسر أن أتجسس وأستقصى عن المبالغ التى تصرف لأعرف مواضع صرفها ، وأتأكد من أنها صرفت فى وجوهها ، ووظيفتى لاتسمح لى بذلك ، وما أنا إلا وكيل عن الخديو (الناظر) وله كل الحرية فى صرفها .

وكان هذا الدفاع أمام المحكمة الابتدائية يوم ٨ مارس سنة ١٩٢١ ، ولكنها حكمت ضدى بأن أدفع مبلغ ٤٥٥٦ جنيهاً ، وعلى الخاصة وحدها بدفع مبلغ ١٣٥٠ جنيهاً مع دفع فوائدها باعتبار ٥ فى المائة من وقت رفع الدعوى . وبرفض طلبى الرجوع منى على الخاصة الخديوية ، وبدفع مصاريف الدعوى و ٨٠٠ جنيه لمحامى الأوقاف .

وقد استأنفت هذا الحكم أمام محكمة الاستئناف المختلطة .

وفى يوم ٢٦ ابريل سنة ١٩٢٣ كان موعد المرافعة أمامها ، فترافع أولا محامى الأوقاف ، ثم أعقبه مستر بادوا محامى الخديو ، ثم ترافع عنى البستانى بك ، وأخيراً وقفت فقلت : إن محكمة الاستئناف قررت أنه لايمكننى أن أعصى أوامر الناظر (الخديو) على شرط ألا أقوم شخصياً بعمل لايجوزه القانون ، وهذه النقطة على ما أظن هى أساس القضية ، والأستاذ البستانى فند أقوال الأوقاف فى هذه النقطة ، وقال إن الدليل على أن الأوقاف لم تكن مقتنعة بأننى تداخلت فى أمور لايجوزها القانون ، أنها طالبتنى مدنياً فقط ، وطالبت خيرى باشا المدير الذى سبقنى فى الأوقاف جنائياً مع أن القضيتين متشابهتان تماماً ؛ ولا شك أن المحكمة تحب أن تعرف ماهو سبب هذا الاعتقاد ، فلو كان عفيفى باشا خلفى فى هذا المنصب على قيد الحياة لأعلمكم . ولكن لعدم وجوده اسمحوا لى أن أعرفكم به .

فى مايو سنة ١٩١٤ عندما كنت أرافق عائلتى المسافرة من الاسكندرية إلى الاستانة قابلت السلطان حسين كامل في القطار ، ودار الحديث عن أعمال الأوقاف الخديوية ، فقال لى : « ياشفيق أظن أنه تجرى أعمال عندك بدون علمك » ، فدهشت

لهذا الكلام ، لأنه حينما كان يصدر لى أمر من عباس وفى الغالب عن طريق أحمد بك صادق بصرف مبلغ لتوزيعه بمعرفته وهو وكيلى ، كنت أرجع لسموه لأتأكد من صحة الأمر، وعندها فقط كنت أصرفه بحسن نية . فكلام السلطان حسين لى يثبت أننى كنت بعيداً عن الألاعيب التى لا يجيزها القانون . وهو السلطان حسين ولا شك الذى أمر عفيفى باشا بألا يطالبنى إلا مدنياً

« وإننى ابن موظف شغل مناصب هامة ، فكان فى عهد الخديو اسماعيل باشا رئيساً لقلم العرضحالات فى السراى ، ثم انتقل إلى إدارة المالية المصرية ، ولكن لما عين على رأس هذه النظارة اسماعيل صديق باشا لم يلبث أن استقال، لأنه لم يشأ أن يوافق على أعمال رئيسه ، فلو أطلع ولده على أى شك فى إدارة المصلحة التى كان يديرها ما تأخر لحظة عن اتباع خطة أبيه

« إن لى فى خدمة الحكومة ما يزيد على الأربعين عاماً ، أدرت فيها الديوان الخديوى ثم الأوقاف قبل أن أنتقل إلى الأوقاف الخصوصية ، وإننى مرتاح الضمير من ناحية أعمالى ، لأننى أحس بأننى قمت بواجباتى بكل صدق وأمانة ، ولذا أرفع صوتى قائلا : إنه فى هذه المدة الطويلة لم يجسر أحد أن يدعى على فى نزاهتى أو إدارتى اللهم إلا الأوقاف الملكية ، والآن وقد اتضح لها كل شىء فأرجو أن تحنى رأسها أمام الحقيقة وتوافقنى على طلباتى .

« وعلى كل حال فاننى أنتظر من محكمة الاستئناف آخر ملجأ للعدالة ، لا رفض دعوى الأوقاف فقط ، بل أيضاً الحكم عليها بتعويض لى نظير الضرر العظيم الذى نالنى من جراء حجزها على مالى بدون حق فوق الثمانية الأعوام » . وقد أجلت الجلسة بعد ذلك للنطق بالحكم

وفى يوم ١٢ يونيو أخبرنى البستانى بك تليفونياً أن النائب العام للمحاكم المختلطة تشرف بمقابلة جلالة الملك ، وأنه يظن أن لهذه المقابلة علاقة بموضوع قضيتى

وفى يوم ١٦ قابلت شكور باشا ، وأعلمته بهذا الحديث ، فأشار على بالذهاب إلى مقر المندوب السامى ، والتكلم مع أحد السكرتيرين فى الموضوع . وقد حدث فعلا أنى قابلت السكرتير الشرقى ، وأخبرته بما يجول فى خاطرى ، وبتخوفى من هذه المقابلة ، ورجوته ـ إن لم يكن هناك مانع ـ أن يستفهم عن سبب تأخر النطق بالحكم فوعدنى بذلك

وبعـد هذا قابلت مرزباخ المحامى، فقال لى: إن هذه القضية من القضايا الهامة ومعلوم أمرها للمستشارين، وإنه ظهر من كلام المستشار فامباس معه، ان تيار الأفكار في صالحى، فاطمأننت قليلا

وفى يوم ٢١ يونيو أصدرت المحكمة حكمها وهو مبنى على الحيثيات الآتية:

«حيث ان شفيق باشا كان مديراً للأوقاف الخصوصية الخديوية فكان يلزمه أن يتحقق من أن المبالغ المنصرفة دفعت فى أعمال الخير

«وحيث ان مسئولية الخاصة واقعة عليها بناء على الحكم الصادر فى ٨ يناير سنة ١٩٢١

حكمت المحكمة بمسئولية الخاصة وشفيق باشا بدفع مبلغ ٢٠٢٥ جنيهاً بالتضامن، مع دفع الفوائد ابتداء من رفع الدعوى أى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٥»

وقد كان لهذا الحكم وقع سيء شديد الأثر فى نفسى

بين مؤلفاتى وعضوية البرلمان: فى يوم ١٣ مايو دعوت للافطار بعض معارفى من أهل منشية الصدر والقبة من العمد والمدرسين وغيرهم حسب عادتى كل عام.

وبعد تناول الطعام وقف احمد بسيونى عمدة حدائق القبة، وطلب من الحاضرين أن يضموا أصواتهم الى صوته فى أن أرشح نفسى للبرلمان، لاننى لم أقبل الترشيح حتى الآن على الرغم من أن بعض كبراء الحى أمثال شكور باشا دعونى الى ترشيح نفسى. فوافقه جميع الحاضرين وألحوا على فى القبول. فشكرت لهم هذه الثقة وقلت: إنى ازاء هذا الالحاح سأفكر فى الأمر؛ ثم تكلموا فى تنظيم لجنة للقيام بعمل الدعاية اللازمة، وقرءوا الفاتحة على ذلك ثم انصرفوا.

وفي يوم١٩ منه زرت الشيخ حسونة النواوى شيخ الأزهر الأسبق مهنئاً بالعيد، وأطلعته على ماقاله بعض أهل الحى لحبذ اقتراحهم، وألح على بقبوله، وذكر أنه موافق عليه، وقد فكر فيه من قبل، وأشار على بعض من حضر عليه للمعايدة بذلك.

وفى يوم ٢٠ منه عيدت على مصطفى بك الديب فى مصر الجديدة ورويت له ماحصل من أهل الحى ومن الشيخ حسونة، فعرفنى أنه عضو فى لجنة الوفد الانتخابية في مصر الجديدة، وأنه سيجس نبض من معه فى ترشيحى.

وفي يوم ٢٣ منـه حضر إلى وقال: إن اللجنة اجتمعت ودار الكلام فيمن

يرشحونه ، فقال : إنه يرى فى قسم الوايلى ثلاثة أشخاص جديرين بالانتخاب ، وهم حسن حسيب باشا ، ومحمد شفيق باشا ، واحمد شفيق باشا ، فوافقوا بالاجماع ؛ ثم انبرى منهم اثنان فأثنيا على ، وقالا : إننى مجرب وسوابق حسنة ولى دراية بالتاريخ وأجيد اللغة الفرنسية .

وفي يوم ٣ يونيو زرت الوفد فى بيت المصرى بك السعدى ، وتكلمت مع على بك الشمسى في موضوع ترشيحى عن قسم الوايلى ، فقال: إنه سيسجل اسمى فى سجل المرشحين من قبل الوفد لعضوية مجلس الشيوخ ، لأن الترشيحات لمجلس النواب قد انتهت .

وأخيراً راجعت نفسى ، فوجدت أمامى عملا تاريخياً أهم بالقيام به ، وهو إصدار حوليات مصر السياسية ، واخراج «مذكراتى فى نصف قرن » وأن هذا العمل التاريخى يتطلب منى أن أقف على الحياد بين الأحزاب المختلفة لأتفرغ للحقيقة وحدها ، بينما ترشيح نفسى لعضوية البرلمان ، سيعرضنى للانغماس في الحزبية .

فكان أمامى أن أوازن بين مؤلفاتى وعضوية البرلمان ، فاخترت الأولى وعدلت عن الترشيح .


السيد مصطفى الادريسى

شئون مختلفة :

تعرفي بالمستر كراين الأمريكى : في أواخر سنة ١٩٢٢ دعيت لتناول الشاى عند السيد عبد الحميد البكرى ، وكان من بين المدعوين المستر كرين سفير أمريكا فى الصين سابقاً ، وقد تعرفت به فى السنة الماضية عند السيد نفسه ، وكنت وعدته بأن أحصل له على توصية للامام الأدريسى ليتمكن من زيارة العسير فى طريقه الى زيارة بن السعود والامام يحيى ، ثم دعوت الحاضرين لأخذ الشاى عندى فى أول يناير الحالى ، وكان من بين المدعوين السيد

مصطفى الأدريسى، فتعرف بالمستر كرين ووعده بالتوصية، كما أنه تعرف بسليمان شفيق باشا ناظر الحربية العثمانية سابقاً والذى هو ضيف الآن بمصر، وله معرفة تامة بالبلاد العربية السابق ذكرها، فضلا عن البصرة والعراق ودمشق وسوريا، وقد تم الاتفاق على أن يرافق المستر كرين، وتقرر أن تكون الرحلة فى سبتمبر القادم لأنه وقت ملائم.

وقد دعانى المستر كرين مع سليمان شفيق باشا والبكرى والتفتازانى والدكتور رضا توفيق الفيلسوف التركى لتناول الغداء فى فندق مينا هاوس، وقد أهديت له مجموعة مقالاتى في جريدة الليبرتيه.



الدكتور رضا توفيق الفيلسوف التركى

وفى يوم ١٠ يناير سافر لزيارة الحجاز

وفى يوم ٢٤ رجع من رحلته بعد أن قابل ملك الحجاز، فحضر لزيارتى مودعاً قبل سفره الى الأستانة:

مشروع اقتصادى: عرفت من السيد مصطفى عبد العال الأدريسى وهو ممثل صاحب العسير في مصر أنه يهتم منذ السنة الماضية بمسألة معدن البترول فى جزيرة فرسان أمام الحديدة التابعة لعسير، وقد تقدمت له جملة عطاءات من ثلاث شركات انجليزية، فاختار أحسنها، وهو مقدم من أحد الأنجليز بمصر وآخر بانجلترا، وقد قرأنا شروط العطاء معاً؛ ولاحظت على بعض المواد، وهى تتلخص فى أن المستر باركر الأنجليزى بالأصالة عنه وبالنيابة عن آخر فى لندن طرف أول، والسيد مصطفى والسيد الأمام الأدريسى طرفاً آخر، يطلبون أخذ امتياز معدن البترول وما يوجد من المعادن الأخرى فى جزيرة فرسان لمدة خمسين سنة، ولهم الحق فى مد هذه المدة خمسين سنة أخرى عند اتفاق الطرفين، وقبل مضى المدة الأولى بسنة واحدة. وأن كل الأدوات اللازمة للعمل لايؤخذ عنها جمرك، وأن الأرض تبقى فى ملكية الأمام، وعليه أن يحمى العمال بحراس فى نظير ثلاثة آلاف جنيه سنوياً

تدفع مقدماً ، وله أن يعين مأموراً ليقيد في دفتر خاص الصادر من المعادن ، وأن يخصص مندوباً لحضور الجمعية العمومية ، وبحث ميزانية الشركة أو الشركات التي يؤسسها طالبا الامتياز، وذلك على مصاريف الشركة ، وللامام الحق في ربع الأسهم مجاناً ، وللاهالى أن يكتتبوا بعشرة فى المائة توضع تحت تصرف السيد مصطفى .

وكانت ملاحظاتى ، خاصة بأن الشروط لاتبين الجهة التى تحسم الخلاف إذا وقع بين المتعاقدين ، ولم تحدد المدة التى في خلالها يبتدىء العمل ، ووعدته أن أتكلم مع بعض الماليين الأمريكيين الذين سيفدون إلى مصر قريباً ، بواسطة سفير أمريكا وكان الأمير محمد على قد وعدنى أن يقدمنى له مع توصية منه . ولما قابلته وحادثته فى الموضوع قال لى : إن مدير شركة البترول الأمريكية قدم إلى مصر ثم سافر إلى فلسطين وسيعود لمصر فى ١٤ مارس فأقابلك معه .

ولكن هذه المقابلة لم تتم ، وأهمل المشروع كله بعد ذلك بسبب بسط نفوذ ابن السعود على بلاد الأدارسة .

أسرار عن مسألة طابه : ورد ذكر هذه المسألة فى القسم الأول من حكم عباس وفى يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ أخبرنى عزت باشا العابد أنه كان قد بلغ الأنجليز أن الدولة ستحدث تعديلا فى الحدود بين مصر وفلسطين نظراً لما كانت تنويه من إعطاء امتياز للألمان بأنشاء سكة حديدية فى فلسطين ، فأوعزت لندن إلى كرومر أن يستعلم من الغازى مختار باشا عن ذلك فأجابه بخشونة قائلا : « وهل الدولة العلية غير مستقلة ؟ - أو ليس لها الحق فى عمل ماتريد »

وعندئذ انتقلت المخابرات إلى الآستانة . وقد وافق عزت باشا العابد ، وزكى باشا مشير الطوبخانة ورضا باشا السر عسكر على جعل رأس محمد الحد الفاصل بين البلادين .

ولكن أبا الهدى الصيادى ويوسف رضا باشا رئيس قومسيون أسكان المهاجرين وكان ميالا للروسيا ، أرسلا تقارير سرية للسلطان عبدالحميد ، بأن رأس « محمد » رمز معناه أن محمد رشاد الخامس سيقتسم الحكم مناصفة مع جلالته ! فذعر عبد الحميد لهذا ! وحنق على عزت باشا ومن معه ،

الملك فؤاد لايأذن لى بالمقابلة : فى يوم ٢٩ سبتمبر عدت من الأستانة إلى

الأسكندرية فذهبت إلى سراى رأس التين ، وطلبت من التشريفاتى النوباتجى أن يحدد لى ميعاداً لمقابلة جلالة الملك

وفى يوم ٣ اكتوبر تكلمت تليفونياً مع سعيد ذى الفقار باشا فى هـــذا الموضوع ، فقال: إن جلالة الملك مشغول كثيراً ، وسألنى عما اذا كنت قد سافرت الى القاهرة بعد عودتى من الأستانة، فقلت لا . فأجاب : حينئذ يمكنك السفر وعند رجوع جلالته لمصر سينظر فى طلب المقابلة

وبعد ذلك لم يأتنى خبر !

وقد علمت من مصدر أثق به نقلا عن الملك انه قد وصل الى علمه اننى أقوم بدعاية لعباس فى جمعية الرابطة الشرقية (سيأتى فصل خاص بها فى ملحق)

ملحقـــــات

جمعية الرابطة الشرقية — مطلوباتى من عباس

صلات عباس الشخصية — تحليل شخصية عباس

جمعية الرابطة الشرقية : تألفت هذه الجمعية سنة ١٩٢٢ وبقيت حتى سنة ١٩٣١ وقد آثرت جمع أخبارها فى فصل واحد حتى أعطى القارىء صورة كاملة عن أعمالها

مهد الجمعية : دعا ميرزا مهدى رفيع مشكى بك سر تجار ايران جماعة من أصدقائه الأفاضل بمنزله ، وكان منهم المصرى والسورى والعجمى والتركى . وبعد العشاء أخذوا بأطراف الحديث ، فقال احمد زكى باشا أحد المدعوين : ها نحن أولاء اجتمعنا ونحن من أمم شرقية مختلفة ، فهلا يستطاع القيام بعمل نافع من هذا الاجتماع ؟

ثم هداهم التفكير الى انشاء جمعية تربط أفراد الشرقيين وتقوى ما بينهم من العلاقات أسموها « جمعية الرابطة الشرقية » واختاروا للرياسة السيد عبد الحميد البكرى أحد الحاضرين وللسكرتيرية احمد زكى باشا

انضمامى لها : ولما سمعت بهذه الفكرة مما نشر عنها الصحف كتبت لكاتم السر أحبذها ، وأعلن رغبتى فى الانضمام فجاءنى الرد باعتبارى عضواً بها مع الترحيب والسرور

الاجتماع الأول : وفى يوم ١٩ فبراير اجتمع الأعضاء في دار الرئيس بسراى الخرنفش ، وحضر الاجتماع أكثر من خمسين بينهم الأمير يوسف كمال ، والنبيل اسماعيل داود ؛ وألقى السيد البكرى خطبة قيمة . وقد اقترحت اسناد رياسة الشرف الى الأمير يوسف كمال ، ولكن



النبيل اسماعيل داود



أعضاء جمعية الرابطة الشرقية

سره اعتذر، وطلب أن تظل الرياسة للسيد البكرى، ثم جرى الانتخاب لمجلس الادارة، فانتخب السيد عبد الحميد البكرى رئيساً، والشيخ محمد بخيت والسيد رشيد رضا نائبين، واحمد زكى باشا كاتم سر، ومعه ثلاثة مساعدين أحدهم عربى، والثانى تركى، والثالث فارس، وميرزا مهدى رفيع مشكى بك أميناً للصندوق والسيد محمد الغنيمى التفتازانى. وصالح جودت بك القاضى، وحبيب لطف الله بك والأستاذ أميل زيدان، والشيخ عبد المحسن الكاظمى، والدكتور محجوب ثابت والشيخ مصطفى عبد الرازق، وصاحب المذكرات أعضاء

أغراضها: أما أغراض الجمعية، فقد حددها قانونها بأنها توثيق الروابط بين الأمم الشرقية بالتعاون الفكرى بينها، ودرس حضارة الشرق، وما يناسب اقتباسه لنهضته من الحضارة الغربية: وأن تتوسل الى ذلك بالوسائل العلمية والاقتصادية وبث دعوتها بالقلم واللسان، وايفاد بعض رجالها الى البلاد الشرقية للتعارف والتآلف وانشاء شعب فيها، وعقد مؤتمرات دورية فى جهات متعددة لتبادل الأفكار وللبحث فى شؤون الجمعية ومراحلها العملية وتكوين نادللاجتماعات والقاء الخطب والمحاضرات واستقبال الوافدين على مصر من كبراء الشرقيين وفضلائهم، واصدار مجلة تنشر المباحث العلمية والاقتصادية والأدبية، وتحيى بواسطتها آثار السلف ولتقوم مقام السفير بين أمم الشرق

اعتقال عضو فى الجمعية والأفراج عنه: وفى يوم ٢٣ ابريل قرر مجلس الادارة السعى للأفراج عن الدكتور محجوب ثابت[1] الذى اعتقل بالواحات الداخلة. وقد أنتج هذا السعى وأفرج عنه

مهمتى لدى عظماء الأستانة: وفى يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٢٣ قرر المجلس انتدابى من الجمعية لدى عظماء الأستانة بمناسبة سفرى إليها للسعى فى سبيل نشر اسم الجمعية لخدمة الشرق والشرقيين مع تفويضى فى التصرف بما يناسب أغراض الجمعية

وبعد عودتى عرضت على المجلس فى جلسة ٦ نوفمبر نتيجة مهمتى وهى:

مقابلتى للخليفة وحديثى معه عن الرابطة: قابلت جلالة الخليفة فعرضت عليه قانون الرابطة ولائحتها الداخليــــة، فقابلنى ببشاشة وقال: إنه يتذكرنى من أيام وجودى بالأستانة عند ما كنت أقابله مندوباً من الخديو لأبلاغه تحياته، وإنه

(١) صورته مع أعضاء مجلس الادارة وستأتى

مسرور برؤيتى . وأستعلم منى عن الرابطة فقدمت له قانونها مجلداً تجليداً فاخراً فاطلع عليه جلالته ، وقرأ مقدمة قانونها وشكرنى على تعريفه بها ، وكان يجهلها ، وتمنى نجاحها ، وكلفنى تبليغ أعضاء مجلس إدارتها شكر جلالته على تقديم القانون

ثم قلت لجلالته : « إن غرض الجمعية غير سياسى ولا دينى ، فهى جامعة لعموم الشرقيين من جميع الأديان، وبقانونها مادة تحرم الاشتغال بالسياسة وإنما غرضها التعارف والتآلف بين أمم الشرق بتقوية الصلات الودية والاقتصادية » : فسر جلالته بذلك .

ثم قلت : « إن مما يحقق هذا الغرض إنشاء فرع لبنك مصر بالاستانة » فقال : « إننى أفكر فى دعوة أمم الشرق التى لها مصارف إلى إنشاء فروع لها بالأستانة ، وفى اقتراحك بتقوية العلاقات الاقتصادية بين تركيا ومصر » . قلت : « إن الصلات الاجتماعية قديمة وباقية وأن التجارة يحسن تقوية روابطها بين مصر وتركيا فان بعض البلاد التركية كأزمير المشهورة بمتاجرها تأتى منها المتاجر على مراكب غير تركية ، وبعضها قد لا يمر بأزمير ، ولهذا يفكر المصريون فى إنشاء وابورات بحرية لسفر الركاب والمتاجرة ببحار الشرق ، وكم يكون من المستحسن إيجاد روابط بين مصلحة السفائن التركية والشركة المزمع إنشاؤها » فتمنى جلالته أن يتم ذلك .

مقابلة ممثل أنقرة : وبعد هذا قابلت عدنان بك ممثل أنقرة الرسمى بالاستانة وحادثته بخصوص الرابطة ، وقدمت له قانونها ونسخة أخرى لرفعها إلى الغازى مصطفى كمال فوعد بتقديمها إليه . وقد كنت عازماً على السفر لأنقره لولا ماعلمته من أن الغازى مشغول ، فاكتفيت بأن أترك له مع عدنان بك رسالة لفخامته كانت معى من الأمير عمر طوسن يعرفه بى فيها .

وعند خروجى من الباب العالى قابلت أحمد جودت بك الصحفى التركى المشهور فدعانى إلى إدارة جريدته إقدام . وقد عرضت عليه فكرة الرابطة فاستحسنها .

مقابلة الحاكم العسكرى للاستانة : ثم زرت رأفت باشا الحاكم العسكرى وتحادثنا فى شأن الرابطة فقال : « إن تركيا مشغولة الآن بشئونها الداخلية » وقد استحسن فكرة إنشاء فرع لبنك مصر بالاستانة .

دعايتى لها فى الاستانة : ثم حضر عندى عمر رضا بك مراسل الأخبار ، وهو

معلم اللغة الأنجليزية للخليفة ، وحادثنى فى جملة موضوعات تتعلق بمصر والدولة وسألنى عن الرابطة الشرقية ، وعما فعلته للان ، فأجبته بأن أغراض الجمعية عظيمة أما ماصنعته فشىء قليل نظراً لحداثتها ، فهى تستقبل عظماء الرجال الشرقيين عند مرورهم بمصر ، وتؤلف بينهم وبين المصريين ، والمخابرات متبادلة بينها وبين عظماء الشرق؛ ويهم الرابطة أن تنشىء لها شعباً بالدول الشرقية لتقوية الصلات بينهما . وأن الرابطة ستقوم قريباً بعمل تظهر به وهو السعى فى جمع الاعانات للمسجد الأقصى .

ووزعت عدة نسخ من قانون الرابطة على الصحف المهمة وكبار رجال الدولة .

وقد استنتجت أن مسألة إيجاد شعبة للرابطة متعـــذرة بسبب اضطرابات الأحوال ، وكان سليمان البستانى الوزير السابق وعد بالمساعدة فى إنشائها . ولكنه أشار بتأجيلها .

رسالة شكر إلى الخليفة : وبعد أن عرضت هذه التفصيلات على مجلس الأدارة قرر إرسال الخطاب الآتى للخليفة :

« حضرة صاحب العطوفة كبير أمناء جلالة الخليفه الأعظم » .

« السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فقد عاد إلى مصر حضرة صاحب السعادة احمد شفيق باشا أحد أعضاء مجلس إدارة جمعية الرابطة الشرقية ، فأبلغ ذلك المجلس أنه طبقاً لما عهد إليه قد تشرف بأن رفع إلى سدة مولانا الخليفة - أيده الله - خبر إنشاء جمعية الرابطة الشرقية بمصر ، وأبان لجلالته أغراضها السلمية العمرانية ، التى ترمى إلى تأييد روابط التعارف والتآلف بين أمم الشرق وشعوبه بلا تمييز بين الأجناس والأديان . وأن جلالته تفضل بأظهار عطفه العالى على تلك المقاصد ، وتكرم حفظه الله فكلف سعادته تبليغ ارتياحه مع سلامه السامى إلى أعضاء مجلس الأدارة ، فتقبل أعضاء المجلس المجتمعون اليوم لذلك تحيات جلالته وعطفه الكريم برفع أكف الدعاء بطول حياة جلالته مؤيداً للمبادىء الكريمة معضداً للمجهودات القويمة ؛ وقرر بالأجماع تحرير هذا الخطاب . راجين من عطوفتكم رفع فروض شكرهم بالنيابة عن جميع أعضاء الرابطة الشرقية مختلفى الأجناس والمذاهب إلى سدته العليا .

« أدامه الله مظهراً للعناية الربانية ، مؤيداً بالرعاية الصمدانية » .

إحياء ذكرى جمال الدين بالرابطة : وفى يوم ٩ مارس سنة ١٩٢٤ أحيت الرابطة بسراى البكرى ذكرى وفاة المرحوم السيد جمال الدين الأفغانى ، فتكلم

ميرزا مهدى بك عن تاريخه والأستاذ مصطفى عبد الرازق عن نظريته فى ربط الشعوب الشرقية .

تدخل الجمعية فى الحرب الحجازية العمومية : وفى يوم ٥ اكتوبر وردت للرابطة برقية من السيد أمين الحسينى جاء فيها :

« أبرقنا لنجد لحقن الدماء ، وصون الأماكن المقدسة فنرجو ابراقكم بمثل ذلك ، ونقترح إرسال وفد منكم لجدة ليشترك مع سائر الوفود الاسلامية بالسعى لحقن الدماء ، وصون حرية البلاد المقدسة ، وللتوسط فى حل المشكل بما يضمن المصالح الاسلامية والعربية »

فعقدت جلسة مجلس الادارة فوق العادة وتقرر إرسال برقية لجلالة ملك الحجاز ، وعظمة سلطان نجد على يد جناب الحاج ميرزا محمد على قنصل ايران بجدة ، وعضو الرابطة الشرقية هذا نصها :

« قنصل ايران بجدة . أبلغوا باسم الرابطة الشرقية النص الآتى للجلالة الهاشمية والعظمة السعودية : إن الخلاف القائم بينكما يسوء الرابطة الشرقية التى لها شرف العمل على توثيق الروابط السلمية بين أمم الشرق جميعاً ، فنناشدكم باسم الانسانية ، العمل بروح الوئام لفض الخلاف ، وتقرير السلم حقناً للدماء الزكية ، وصوناً للبقاع المقدسة ، كما هى أمنية الشرق والشرقيين »

فرد جلالة ملك الحجاز بأنه يشايع الرابطة الرأى في العمل على حقن الدماء والوصول إلى السلم

ولم يرد عظمة السلطان ابن السعود .

افتتاح نادى الرابطة : وفى يوم ٩ يناير افتتحت دار الرابطة بشارع سامى بالقرب من المالية ، فدعا مجلس الادارة عدداً من العظماء والعلماء ومحررى الصحف

وبعد ما أديرت أقداح الشاى وأطباق الحلوى أخذت صورة للمدعوين مع أعضاء الرابطة ، ثم ألقى السيد عبد الحميد البكرى كلمة الافتتاح فبين فيها ضرورة اتصال البلاد الشرقية وترابطها ، وأعلن افتتاح دار الرابطة .

ثم تكلم السيد الغنيمى التفتازانى عن جهود الجمعية الثقافية والعلمية وقرأ نص برقية أرسلتها الجمعية إلى سراى عابدين بمناسبة افتتاح دارها

وتحدث ميرزا مهدى بك عما رآه فى الجمعية من غيرة على الشرق والشرقيين وتمنى لها مستقبلا سعيدا فى جمع شمل الشرق

وأخيرا القيت كلمتى ، وفيها شبهت مصر بقلب الشرق النابض ، وأنه ليس عجيبا أن تتألف الرابطة الشرقية فيها ، فتربط جميع الاطراف وتجمعها

عطف الرئيس ولسن : وفى أول ابريل أصدرت الرابطة مجموعة من خطب الرئيس ولسون ورسائله فى السنوات من ١٩١٣ إلى ١٩١٩

وهذه المجموعة أرسلها الدكتور ولسن للرابطة بواسطة صديقه الحميم مستر تشارلس كراين سفير الولايات المتحدة فى الصين سابقاً ، ورئيس اللجنة الأمريكية التى طافت الشرق الأدنى لسؤال أهله عن رغائبهم قبل أن يبت مؤتمر الصلح فى تقرير مصيرهم .

وكان قد مر بمصر سنة ١٩٢٢ كما ذكرت ، فسمع بالرابطة الشرقية فزارها في سراى الخرنفش ، ثم سافر إلى الولايات المتحدة ، وكان مما حدث به صديقه الحميم الدكتور ويلسون خبر الرابطة ، فأعجب بها وأحب أن يشجعها فى أعمالها ، فانتخب هذه المجموعة وكلف مستر كراين أن يوصلها للجمعية لترجمتها إلى بعض اللغات الشرقية ونشرها فى الشرق ، ووعد بأن يكتب لها مقدمة بقلمه .

وقد عاد مستر كراين سنة ١٩٢٣ وسلم هذه المختارات للرابطة ، وبلغها عطف الرئيس ولسن وإعجابه .

ولكن الموت حال دون كتابة المقدمة التى وعد بها إذ توفى قبل طبعها .

مساعدة الجمعية لجرحى الريف بمراكش : فى يوم ٩ يونيو عرضت على مجلس إدارة الرابطة رسالة وردت إلى من الأمير عمر طوسون ، بخصوص مساعدة جرحى الريفيين بمراكش ، فتقرر أن تقوم الجمعية بعمل نداء لاستنداء الأكف لمساعدة هذا المشروع ، وتبرع الأعضاء الحاضرون بمبلغ ١٣٨ جنيهاً وقد كتب الأمير شاكراً للجمعية عملها .

تدخلها فى حوادث دمشق : وفى جلسة ٢٧ اكتوبر عرضت برقية من موسى كاظم باشا رئيس اللجنة التنفيذية بفلسطين ، تصف الفظائع التى ارتكبت في دمشق وغيرها من مدن سوريا ؛ فقرر المجلس الاحتجاج لدى عصبة الأمم ورئيس وزراء فرنسا ورئيسى مجلس الشيوخ ومجلس النواب بها وبعض صحفها .

وهذا هو نص الاحتجاج :

« إن جمعية الرابطة الشرقية تحتج بكل قواها باسم الانسانية لدى عصبة الأمم على الفظائع الواقعة في سورية وهى فظائع تستوجب أشد الاستنكار من الشعب الفرنسى نفسه .

« إن أكثر المدن عمرانا من مدن سورية قد أصلح معظمها فى هذا اليوم ركاما من الخرائب والاطلال ؛ أما مدينة دمشق المقدسة فقد كان نصيبها أكثرهولا وأشد مصاباً ولاسيما فى أحيائها التاريخية والآهلة بالسكان والتجارات ، فقد أصبح الألوف من النساء والشيوخ والأطفال ـ عدا القتلى ـ بلامأوى يعانون نهاية الآلام من الفاقة البالغة ؛ وفوق هذه النكبة فغير مسموح للنساء بأن يخلصن بأنفسهن من هذا الجحيم

« إن العالم المتمدن لايمكنه أن يبق ساكناً ، أو أن يغمض الطرف بازاء هذه الفظائع التى يعجز عنها الوصف ، وأن جمعية الرابطة الشرقية أمام هذه الأهوال تناشد العصبة عواطفها الخيرية ، وتضامنها الانسانى ، لتضع نهاية سريعة لهذه الاعمال التى تثير الغضب فى سريرة كل انسان »

مساعدتها للمنكوبين فى سوريا : وكذلك وجهت الرابطة نداء لجمع التبرعات للمنكوبين في سوريا وتبرع المجلس بمبلغ ٨٢ جنيها ، وبلغ مجموع التبرعات التى جمعتها الرابطة ١٢٠٠ جنيه تقريباً

وأرسلت الجمعية برقية لحكيم أجمل خان الزعيم الهندى الكبير فى دلهى وهذه هى صورتها :

« ضرب مدينة دمشق آثار عطف العالم الشرقى والآثار الاسلامية التاريخية تهدمت . كذلك كان حظ حماه . تدمر المدن والقرى . وتفرض الغرامات الباهظة. والأهالى غير قادرين على الدفع ، الشتاء يقترب بقره مهدداً بالجوع عشرات الألوف من النساء والأولاد والشيوخ.. والأرض لم تزرع. الرابطة الشرقية ترجو مساعدتكم لدى الشعب الهندى الكريم ، وصحافته الشريفة ، لاعانة السوريين وللاحتجاج على المظالم . قدافتتحنا الاكتتاب هنا »

وقد جاء الرد بالبرق بالصورة الآتية :

« نشكركم على برقيتكم . كل الجهود مبذولة فى الهند وفى الخارج . انا الثقة أن كل الأحزاب المصريه تتعاون لتخفيف مصاب إخواننا المنكوبين . نرجو اهداء تحياتنا إلى أحمد شفيق باشا »

بحث فى الأزياء والتقاليد الشرقية : فى يوم ١٢ ابريل سنة ١٩٢٦ دعوت أعضاء الرابطة لتناول الشاى بدارها ، وبعد ذلك عرضت أن يكون موضع سمر الليلة مناقشة الأزياء والتقاليد الشرقية ، وطرحت عليهم الأسئلة الآتية :

١ — هل يجب أن نستمر نحن الشرقيين على تقاليدنا ومظاهرنا كما هى . أو أننا نندمج في العوائد والأخلاق الغربيـــة . أو أننا نحتفظ بتقاليدنا وعوائدنا الحسنة ونستبدل بعض الظواهر والتقاليد القديمة بأخرى غربية مما يفيدنا ولا يتنافى مع العادات القومية الصحيحة ؟

٢ — وإذا قررنا التجديد فما هى المظاهر القديمة التى يلزم تغييرها بمظاهر جديدة تنطبق على قواعد الصحة والاقتصاد ؟

٣ — وهل ينبغى إذا تقرر تجديد الزى أن تتميز كل فئة فى الشعب بزى مخصوص يناسب حالتها وطقوسها الذاتيـة ؟ .

دارت المنـاقشة فى هذه الأسـئلة وتناولها سماحة الرئيس وسعادة الوكيـل وعبد الرءوف بك زكى والشيخ محمود أبو العيون وصالح بك جودت والدكتور منصور فهمى والأستاذ نسيم صيبعه ، وظلت المناقشات إلى ما يقرب من منتصف الليل .

وقد ألفت بعد ذلك جمعية للنظر في الموضوع من جميع جهاته الاجتماعيـة والاقتصادية والصحية ، وعقدت عدة جلسات لهذا الغرض ، وعرضت عليهـا زياً مبتكراً قليل النفقات ومناسبا للطقس في مصر ، نال استحسان الكثيرين ، ولكن لم تنته المسألة إلى شىء عملى

صلة الرابطة بالجمعيـات فى الشرق : وفى ١٧ نوفمبر اقترحت إيجاد صلات بين الرابطة والجمعيات بالشرق ، فتقرر بعد تلاوة المذكرة المقدمة منى للمجلس في هذا الشأن ، أن ترسل جمعيتنا للجمعيات العلمية والأدبية فى الشرق بطلب قانونها ومطبوعاتها تمهيداً لعقد الصلات معها

وفى ١٠ ابريل سنة ١٩٢٧ اقترحت تأليف لجان داخلية للرابطة لدرس شئونها ولجان لمعرفة أحوال البلاد الشرقية .

وقد تقرر تأليف لجنة تنفيذية ولجنة مالية . ثم لجنة عربية للبحث فى شئون بلاد العرب والعراق وسوريا ، ولجنة تركية للبحث فى شئون تركيا ، ولجنة فارسية للبحث فى شئون فارس وأفغانستان وبلوخستان وشمال الهند ، ولجنة هندية لدراسة

شئون الهند ، ولجنة الشرق الأقصى لدراسة حال الهند الصينية وبلاد الملايو والصين واليابان ، ولجنة المغرب لدراسة شمال افريقية واللجنة الافريقية لدراسة الحبشة والسودان ، على أن يعجل بتأليف اللجان الثلاث الأول ، ويترك الباقى للظروف.

وفى ١٥ ديسمبر قدمت اقتراحا بطريقة استقبال الرابطة لجلالة ملك الأفغان وتقرر نشر تحية من الرابطة لجلالته يوم قدومه بالصحف ، وارسال تلغراف تهنئة له مع الجنرال غلام جيلانى خان سفير جلالة الملك بأنقرة .

اصدار مجلة الرابطة ومقالاتى بها : وفى جلسة ٥ ابريل سنة ١٩٢٨ تقرر فتح اكتتاب لاصدار مجلة تعبر عن أغراض الرابطة ، وتنشر مبادئها ، فتبرع سمو الأمير يوسف كمال بمبلغ خمسين جنيها ، وسمو الأمير عمر طوسن بمبلغ عشرين جنيها ، والسيد على بك الرفاعى بعشرين جنيها ، والسيد البكرى بعشرة جنيهات ؛ وتبرعت بمبلغ ستة جنيهات وربع الجنيه شهريا . وقد أسندت إلى ادارة المجلة .

وقد صدر العدد الأول منها يوم ١٥ اكتوبر ، وكتبت به مقالة بعنوان : « جمعية الرابطة الشرقية . ماضيها . حاضرها . مستقبلها » ومما جاء فيها :

« منذ أكثر من جيل استيقظ الأمل فى قلوب الشرقيين ، ودب النشاط فى نفوسهم، فظهرت فى الشرق نهضات منثورة ، لم تزل تعالج العوائق المحلية ، وتكافح المناهضات الخارجية ، وأخذت تبدو لها آثار تقوى الأمل .

« لفت ذلك أنظار بعض المفكرين من أفذاذ الشرقيين الى تنظيم هذه الجهود ، وتوجيهها وجهة صالحة متكاتفة متضامنة .

« ترددت هذه الفكرة فى الأذهان ، وألحت على الرءوس ، حتى اختمرت في مصر قبل باقى الأقطار الشرقية . ولاغرو فمصر بالنسبة للشرق منارة ، ولأهله قبلة، إذ ليس بين بلدان الشرق اليوم من لها مميزات مصر ، وذلك لتوسطها بين القارات ، ولما لأهلها من دماثة تجعلهم يعتبرون كل شرقى بالنسبة لوادى النيل وطنياً . ومعاهدها العلمية — الأزهر والجامعة ومختلف المدارس — مازالت ترحب أكرم الترحيب بجميع رواد العرفان من شباب الشرقيين . حتى نبغ منهم عدد ليس بالقليل ، ومنهم من انتظم فى سلك خدمتها الحكومية، فأدى لها خدمات عظيمة .

« ومصر ، فوق ذلك ، قنطرة الشرق إلى الغرب ، وواسطة عقد الثقافتين ، ونقطة اتصال الحضارتين .

« ثم عرضت برنامج الجمعية وما قامت به من الأعمال الهامة منذ نشأتها ، وختمت الكلمة بما يأتي :

« الى هذه الوسائل الأدبية ينبغي أن تشجع الجمعية المشروعات الاقتصادية التي يقوم بها أبناء الشرق مجتمعين ، كتأسيس شركات برأسمال شرقي ، لاستثمار الأراضي بريها ، واستخراج ماتحتوي من كنوز ثمينة ، ومعادن نفيسة ، وإنشاء الطرق ، وتحسين المواصلات ، لاستخدامها في نشر التجارة وتعميمها ، متبعة في ذلك الأساليب الفنية الحديثة . وليس لدينا شك في أن « بنك مصر » لايتباطأ في تقديم العون الممكن لجميع الشرقيين في هذا السبيل .

« اذا حققنا ذلك البرنامج ، ووصلنا الى هذه الغايات المحددة ، انتظم حالنا ، واستطعنا أن نرفع رءوسنا ، شاعرين بمجدنا الشرقي ، وكبريائنا القومي ، وسايرنا الغرب في مدنية تضارع مدينته ، وحضارة تناسب حضارته .

« عندئذ يكون الشرق حقاً للشرقيين . والله ولي التوفيق »

وفي العدد الثاني كتبت مقالة بعنوان : « الشرق غني في أرضه . فقير في أهله » ، ومما جاء بها :

« تكاتفت دول الغرب على أمم الشرق فوضعت فيما بينها نظاماً حددت فيه مناطق النفوذ لكل واحدة منها حتى لايطغى بعضها على بعض .

أحست الأمم الشرقية بالضغط والارهاق المادي الذي كاد يذهب بثروتها ، فأخذت في الذود عما بقي بيدها ، واسترداد ماذهب منها .

« وهي في نهوضها هذا فقيرة في بعض نواحيها يعوزها المال مقفرة في النواحي الأخرى ينقصها العلم والنبوغ . لهذا فواحدة منها لاتستطيع النهوض وحدها بكل مايوصل الى تحقيق الأغراض المرجوة ، والآمال المرموقة .

« من أجل ذلك نرى التضامن بين هذه الأمم الشرقية ، وعقد حلف معنوي اقتصادي مقرباً لهذه الغايات البعيدة

« قد لايكون يسيراً عقد حلف رسمي بين أمة وأمة ، والحال كما هي الآن في الشرق فلادخال المسألة في حيز الامكان والعمل ، نقترح بادي الرأي إنشاء شركة مساهمة ذات رأسمال لاتشترط ضخامته أولا ، بل يزاد عند الاقتضاء ، توزع أسهمها بين الشرقيين في مختلف البلدان . وتكون أسمية ، كي لاتتسرب الى الأيدي الأجنبية ويكون مركزها في مصر — لتوسطها بين القارات الثلاث ولأنها البلد الذي يعيش

فيه أكثر عددمن مختلف الاخوان الشرقيين — ويكون من أغراض هذه الشركة
(أولا) درس وتحضير البحوث الوافية فى المشروعات المالية والاقتصادية فى كل قطر من أقطار الشرق، سواء أكان لحسابها الخاص أم لحساب غيرها من أبناء الشرق أم بالاشتراك معه ؛ ويحسن أن تقوم بهذا العمل هيئة مصرية فنية تجوب الاقطار الشرقية تدريجياً وتتفق مع حكوماتها وأهلها على الأعمال الضرورية لها .
(ثانيا) السعى فى إيجاد رءوس الأموال لتنفيذ ما يتقرر من هذه المشروعات.
والابحاث المشار اليها هى التى يقصد بها إلى احياء موات أرض البلاد وتنمية ما فيها من بركة من نواحى الزراعة والصناعة مثل مشروعات الرى لشق الترع وإيجاد الأحواض والسدود والخزانات والآبار الارتوازية وتوليد الكهرباء ؛ ثم مشروعات استقلال الصناعات بتأسيس المصانع واستثمار المناجم والمعادن من فحم حجرى ومنابع زيت البترول واستخراج الزمرد والياقوت والفيروز والمرجان واللؤلؤ والزبرجد الثمين القيمة . وكل ذلك موجود فى جزيرة العرب . نضيف إلى ذلك وإنشاء السكك الحديدية ، وتسيير الترام والبواخر وغيرها من وسائل النقل .

« وأشد البلاد حاجة لهذه الشركات هى الواقعة على شواطىء البحر الأحمر، وأهم المشروعات فى الوقت الحاضر التى تفتقر اليها هذه البلاد هو انشاء شركة بواخر مشتركة بينها وبين مصر تديرها أيد شرقية، يعلم أصحابها حاجات المسافرين من اخوانهم حجاجاً وتجارا ، فيجد هؤلاء الراحة متوفرة على الصورة التى ألفوها وتجارتهم مصونة من كل عبث .

« ولعلنا نجد قريبا (لشركة مصر للنقل والملاحة) أسطولا تجاريا يقوم بهذا الغرض الضرورى العظيم بزيادة رأس مالها تحفظ للبلاد الواقعة على شواطىء البحر الأحمر حصصاً فى أسهمها ؛ وبذلك يتحقق التضامن ، وتتقوى ناحية من نواحى الرابطة الشرقية .

«تلك فكرة عرضت اطرحها على القراء الكرام رجاء بحثها وتمحيصها ونقدها بكل صراحة واخلاص حتى إذا ما وضح الرأى وجدنا الآخذين به من الدائبين على خدمة الشرق والشرقيين ، ويد الله مع الجماعة »

تمثيلى للرابطة فى افتتاح المسجد الاقصى : انتدبتنى الجمعية لتمثيلها فى حفلة افتتاح المسجد الاقصى . وقد ألقيت كلمة شكرت فيها اللجنة التى قامت بتعمير هذه المقدسات لحفظها من التداعى والزوال .

ثم شرحت للحاضرين أغراض الرابطة التي انتدبتني عنها ، وما قامت به من جلائل الأعمال . ودعوت الى عقد مؤتمرات دورية في بلاد الشرق تضم مندوبين عنها للتعارف والدراسة والتقريب بين الجميع

وفي ١٤ أكتوبر تقرر أن تصدر الرابطة بيانا للحكومات والشعوب بمناسبة اعتداء اليهود على البراق تبين فيه حق المسلمين التقليدى فى هذا المكان ، وأن اعتداء اليهود عليه يسبب كثيراً من المشاكل وسفك الدماء ، وتدعو هذه الحكومات لمنع حدوث هذه المشاكل .

تدخل الجمعية للاصلاح بين الأحزاب فى جاوه : وفى ١٨ ديسمبر تقرر إنشاء شعبة للجمعية فى جاوه ، وأن تتدخل الجمعية لحسم النزاع القائم بين بعض الأحزاب فيها ، وقد نجحت فى تدخلها .

تقدير الملك فيصل لمجلة الرابطة : وفى ٢٣ فبراير سنة ١٩٣ ورد خطاب من ديوان الملك فيصل يبلغنى فيه تقدير جلالته لمجلة الرابطة وأنه تفضل بالاشتراك فيها وأرسل ١٠ جنيهات مقابل ذلك ، فتقرر كتابة رسالة بالشكر وهذا نصها :

« حضرة صاحب السعادة رستم بك حيدر — البلاط الملكى . بغداد .

« تشرفت لجنة مجلة الرابطة الشرقية بكتابكم المؤرخ ١٦ فبراير سنة ١٩٢٩ المتضمن أمر جلالة الملك بالاشتراك فى مجلة الرابطة الشرقية .

« ولقد قدرت اللجنة أحسن تقدير ذلك العطف الملكى السامى على المجلة ، ورأت تفضل صاحب الجلالة بالاشتراك فيها اشارة سامية إلى رضا جلالته عنها ، وذلك مما تغتبط المجلة به أكبر اغتباط ، ويحفز من هم الناهضين بها والقائمين فى خدمتها .

« وقد أنهت اللجنة إلى مجلس ادارة الجمعية تلك المبرة الملكية ، فاستقبلها بما هى أهله من جزيل الحمد والثناء وكلفنى أن أنوب عنه فى رفع آيات الشكر الوافر إلى عرش صاحب الجلالة مع عظيم الاجلال والاحترام .

« فأرجو أن تتفضلوا برفع ذلك إلى السدة الملكية العالية والسلام عليكم ورحمة الله . »

معونة الجمعية لعرب فلسطين المتهمين فى حوادثها : وفي ٣٠ اكتوبر ورد للجمعية كتاب من سكرتير اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى ، يستنهض فيه بواسطة

مجلس إدارة الرابطة الشرقية سنة ١٩٢٩



من اليمين: احمد شفيق باشا. الشيخ محمد الغنيمي التفتازاني المساعد العربي. السيد محمد رشيد رضا نائب ثان. السيد عبد الحميد البكري (رئيس الجمعية). الشيخ محمد بخيت نائب أول. الشيخ عبد المحسن الكاظمي احمد زكي باشا كاتم السر العام — وقوف، من اليمين: نور الدين مصطفى بك المساعد التركي. محمد رضا قزويني المساعد الفارسي. الدكتور محجوب ثابت بك. صالح جودت بك. ميرزا مهدي رفيع مشكي بك أمين الصندوق

همة المحامين المصريين للدفاع عن عرب فلسطين المتهمين أمام المحاكم الفلسطينية في المحاكمات الخاصة بحوادث فلسطين الأخيرة مع اليهود .

وقد أبلغ المجلس هذا الخطاب إلى نقابة المحامين الأهليين لانتداب من يتبرع منهم لهذه المهمة.

وقد تبرع للدفاع كثيرون من بينهم محمد على باشا وتوفيق باشا دوس والأستاذ مكرم عبيد (باشا).

الرابطة تقدم لى تذكارا : فى جلسة ٧ مايو سنة ١٩٣٠ اقترح السيد التفتازانى أن يقوم مجلس ادارة الرابطة بتقديم تذكار لى بمناسبة بلوغى سن السبعين وتقرر أن يكون هذا التذكار اطارا ثمينا على الطراز العربى ، كتب به اسم الرابطة وتوقيعات أعضاء مجلس الادارة .

استقالتى من لجنة المجلة : وفى يوم ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٠ عرضت استقالتى من لجنة المجلة ، بعد ان كف بصرى ، لعجزى عن القيام بهذه المهمة ، فتقرر استبقائى لعدم الاستغناء عن جهودى ومشورتى ، وحرصاً على راحتى تقرر اختيار محمد بك عبد الرسول كشميرى للقيام بادارة المجلة مالياً

فتور الرابطة ثم انقطاعها عن العمل : وبكل أسف بعد هذه المجهودات وبعد اتساع أعمال الرابطة ، وانتشار سمعتها فى الشرق والغرب حتى أمريكا . انتهت إلى فتور عن العمل ، أعقبه انقطاعه ، وانفراط عقدها

بعض عظماء الزائرين للرابطة : وبهذه المناسبة أذكر هنا بعض عظماء الزائرين الذين زاروا الرابطة في حياتها وهم :

من الهند حضرات السيد سليمان الندوى من أعظم كره — الشيخ عبد القادر القصورى من لاهور — الشيخ عبد الماجد القادرى بدوان — ابو المختار أمين احمد — الزعيمان الدكتور أجمل خان — ، رحمة الله عليه ، والدكتور انصارى من دلهى — السيد عبد الكريم الحسينى والدكتور عبد الحق وظهير الدين احمد من حيدر آباد الدكن وسمو الأمير لوهار والفيلسوف الكبير طاغور والسيد أبو المظفر احمد وبندت مونيلال نهرو الزعيم الهندوسى وظفر على خان صاحب جريدة زمندار فى لاهور والحاج اسماعيل من لاهور والكاتب أبو سعيد العربى الصحفى والسيد أمير على



السيد أمير علي

ومن كابتاون بجنوب افريقيا الامام عبد الرحمن قاسم جمال الدين رئيس مدرسة مسجد الأزهر والشيخ احمد بن محمد بهاء الدين. مدير العلوم الشرعية بمدرسة البرهامية الشافعية

ومن حضر موت سمو الأمير صالح بن عوض القعيطى والسيد احمد العطاس خليفة السادات والسيد محمد بن عقل والسيد محمد بن هاشم وآل السيد احمد بن عمر بن يحيى

ومن نجد والحجاز الأمير سعود بن عبد العزيز والأمير عبد العزيز بن عبدالله والشيخ فوزان السابق ، معتمد جلالة ملك الحجاز ونجد والشيخ حافظ وهبة المستشار والشيخ يوسف يس ، مدير مطبوعات الحجاز والشريف يحيى عدنان والشيخ عبدالله سراج والشيخ صالح شطا والسيد محمد سعيد الدردير .

ومن الأفغانيين غلام حسين السفير فوق العادة وعلى احمد خان والى مدينة كابول وسلطان احمد خان والجنرال غلام جيلانى وشير رضا وغيرهم .

ومن العراقيين جلالة الملك فيصل والشيخ عطا الله الخطيب ، مدير الاوقاف وفهمى بك المدرس ، أمين جامعة آل البيت .

ومن القدس الحاج أمين الحسينى ، مفتى القدس ورئيس المجلس الأسلامى الأعلى والأساتذة إسعاف النشاشيبى وجبر عادل وبندلى الجوزى وخليل بك الخالدى .



السيد عمر بن أبى بكر

ومن سومطرا الحاج عبد الكريم أمر الله رئيس معلمى الدين الأسلامى بالمدرسة العليا . ودرويش زكريا بمجلس سومطرا .

ومن مراكش سعادة قدور بن غبريط وزير السلطان .

ومن تونس الزعيم الكبير السيد عبد الحميد الثعالبى بجامعة آل البيت ببغداد وقد اختير عضواً بمجلس الأدارة .

ومن جاوه السيد أبو بكر العطاس والسيد حسن بك أحمد العطاس ومختار لطفى رشيد .

ومن بولونيا يعقوب شنكر مفتيها .

مطلوباتى من عباس : سبق أن ذكرت شيئاً عن هذه المطلوبات متفرقاً فى سنة ١٩٢٠ عند تقديم المذكرة لعباس التى أعقبتها استقالتى ، وفى سنة ١٩٢٢ عند مطالبتى له ببعض مالى عنده على يد حسن بك صبرى (باشا)

بيان واف بمطلوباتي: ولم يكن ماذكرته هو كل المطلوبات ، فالآن أجملها هنا وهي ٦٣٠ جنيها بقية سلفة الشيخ علي يوسف وقد سبق ذكرها و ٢٢٨٧ جنيها نقود حمصي المعروفة للقارىء و٧٧ ألف فرنك سويسري (٣٠٠٠ جنيه تقريباً) مافقدته في سياحتي في انسبروك و٢٢٠٥ جنيها ماحكم به ضدي في قضية الأوقاف (غير فوائدها من ١٩١٤ – ١٩٢٣) و٥٠٠ جنيه كنت قد سلفتها لقصر جبوقلي ورصدت في دفاتره . فيكون المجموع حوالى ٨٥٠٠ جنيه غير الفوائد ، وبعضها من سنة ١٩١٤ وبعضها من سنة ١٩١٨ وقد عرف القارىء أن عباسا أبى سداد شيء منها

وفي ١٨ فبراير سنة ١٩٢٤ حررت لدولة الوالدة خطاباً قلت فيه :

« تعلمين يادولة الوالدة كيف أنني خدمت سمو الخديو بصدق وإخلاص ، ففي صباه كنت أستاذه ، وفي مدة حكمه ٢٣ سنة كنت الخادم الصادق ، وفي مدة الحرب ضحيت كل غال في خدمته ، مع أنه كان في إمكاني أن أنتهز الظروف مثل الكثيرين ولكنني وأنا رجل مبدأ . لم أرد أن أغير خطتي ، لأن عباساً هو ابن ولي نعمتي ، وقد أردت أن أدفع ديني فسددته .

« ولكنه لم يكافأني على خدمتي الصادقة ، بل أنه يرفض الاعتراف بما لي عنده من الدين بحجة أنني سأقاضيه أمام المحاكم مرة ، أو أنني لا أحبه مرة أخرى ، وهذا غير صحيح ، والدليل على ذلك أنني بعد مضي عدة سنوات بعيداً عنه ، لم أحرك ساكناً بالمطالبة ، ورغم المساعي التي لم تنتج فانني لازلت صابراً ، أرجو الوصول الى تسوية . وكيف أتقدم للمحاكم بينما أنت يامولاتي أمرتني ألا أعمل شيئاً بأمل الوصول الى حل مرض ؟

« لذلك جئت راجياً دولتك ، حتى لا يقال : إنني قدمت نقوداً للسيدة التي وسطها الخديو بينه وبين البرنس عبد المنعم في سويسرة ولموظفيه بقصد تخليصهم من البؤس الذي كانوا فيه في زمن الحرب . وسموه مع اعترافه بهذا الدين يأبى دفعه ، فضلا عن رفضه سداد خمسمائة جنيه ذهباً دفعتها لدائرته في جبوقلي في وقت كانت في حاجة شديدة للنقود وكذلك بقية دين الشيخ علي يوسف الذي خصم من نقودي ، بينما سموه هو الذي أمرني بضمانته .

« وكل هذه الأشياء لا تقدر بجانب مافعله معي من صدور أمره لي بصرف مبالغ من الأوقاف لانفاقها في الأعمال الخيرية بصفتي مديراً لها . مع أنها دفعت بدون علمي في نفقات الفنادق لصاحبته في أوربا ، وفي شراء عجلات لسيارته الخصوصية

التيأرسلها الى أراضيه فى الضلمان ، وفي نفقات الاشراف بضيافة سموه . وغير هذه من الحقائق التى ثبتت فى التحقيق وفى المحكمة .

وبما ساءنى أن مبلغا مقداره ثمانية آلاف جنيه وكسور حجز من مالى الخاص فى المحكمة بناء على طلب الاوقاف الخصوصية ، مدة عشر سنوات ، مع أن هذا الحجز كان خليقا أن يوقع على الخاصة الخديوية ، لأن سموه هو المتسبب فى ذلك . وقد دافعت عن نفسى أمام محكمة الاستئناف المختلطة بدون جدوى، فحكم علىوعلى سموه بالتضامن ، ودفعت للمحامى ما يقرب من الف جنيه .

« فمن الحق أن تدفع لى هذه المبالغ ، وإلا فلا يسعنى إلا مقاضاة سموه أمام المحاكم ، دون أن ألام على ذلك .

« غير أننى أتريث فى هذا لأنه سيكون سببا فى فرح أعداء سموه ، واعتمادا على عدالة دولتكم ومكارمكم المشهورة ، فأرجو أن يصدر أمركم بسداد هذه المبالغ التى تعود على خدامكم أولادى .

« واننى مستعد لتقديم كل المستندات التى تثبت حقوقى لم تمتد بينه دولتكم »

وقد انتظرت بعد وصول هذا الخطاب لدولة الوالدة حتى يوم ٢٤ مارس دون أن يصلنى رد عليه، فعزمت على اتخاذ الاجراءات القانونية .

مقابلتى لوزير المالية ورد لجنة التصفية : وفى يوم ٢٨ يوليو قابلت توفيق نسيم باشا وزير المالية، وقدمت له عريضة أرجوه فيها أن يطلب من ملفات الخاصة، الملف الخاص بمبلغ الخمسمائة الجنيه التى سلفتها لجبوقلى ، ومبلغ الستمائة والثلاثين جنيها التى دفعت من نقودى فى ضمانة الشيخ على يوسف . وإذا تبين للوزارة أحقيتى لهذين المبلغين أمر بصرفهما . فوعدنى باحالة طلبى إلى اللجنة المشكلة فى المالية لتصفية الأملاك الخديوية .

وقد امتد بيننا الحديث إلى ما لقيته من الاضرار بسبب الخديو السابق مادية وأدبية ، وقلت : « أما الآن فأترك الأمر للقضاء والقدر »

وفى يوم ٢٨ أغسطس ورد لى من هذه اللجنة الرد الآتى :

« حضرة صاحب السعادة احمد شفيق باشا

« بالاشارة الى كتاب سعادتكم بشأن مطالبة لجنة تصفية أملاك سمو الخديو السابق بسداد مبلغ ٥٠٠ (خمسمائة جنيه انجليزى) التى سبق أن اقترضتها الخاصة

من سعادتكم لحساب سمو الخديو السابق عند ما كان بالأستانة فى نوفبر سنة ١٩١٤ مع حفظ حقكم فى المطالبة بمبلغ ٦٣١ جنيه و ٩٢٥ مليما الذى دفع من مال سعادتكم الخاص للبنك الشرقى الألمانى نيابة عن الخاصة في ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٤ قيمة باقى سلفة المرحوم الشيخ على يوسف بضمانة الخاصة ، أتشرف بالافادة بأن اللجنة قررت بأن المبالغ المذكورة دخلت ضمن أعمال التصفية التى قام بها الحارس لأملاك الأعداء والتى أقرها القانون نمرة ٢٨ سنة ١٩٢٢ واعتمدها، وحرم المطالبة بها أمام جهات القضاء ؛ وعلى ذلك لا يكون للجنة الحكومية المنصوص عليها فى هذا القانون شأن في هذه الطلبات »

وكيل المالية

ورئيس لجنة تصفية أملاك سمو الخديو السابق

مقابلتى لوزير الحقانية . وفى يوم ٥ سبتمبر قابلت محمد سعيد باشا وزير الحقانية وقدمت له طلباً بأن يصدر أمره إلى النائب العام لدى المحاكم الأهلية بأعطائى صوراً رسمية من محاضر تحقيق النيابة ضد احمد بك صادق ، وفيها مستندات المبالغ المحكوم بها على وعلى الخديو حتى أقدمها للحارس القضائى على أملاك الأعداء ، وذلك لأثبت له ان المبالغ المذكورة صرفت فى شئون سموه أو لرجاله ، وبذلك أتمكن من استرداد ما خسرت فى قضية الأوقاف ، وقد وعدنى بأجابة طلبى

رسالتى لمصفى أملاك الاعداء ورده عليها : وبعد حصولى على هذه المستندات قدمت إلى المصفى طلباً جاء فيه :

« صدر حكم محكمة الاستئناف المختلطة ضدى وضد سمو عباس حلمى بالتضامن فى القضية المقامة علينا من الأوقاف الملكية الخصوصية بدفع مبلغ ٢٠٢٥ جنيها مع الفوائد ٥ ٪ اعتبارا من ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ مع الرسوم . وبما أنه كان حجز على بمبلغ ٨٧٠٦ ج و ٩٦١ م ونفذ على بمبالغ هذا الحكم والباقى من المحجوز بقى فى صندوق المحكمة طول هذه المدة ، وضاع على ما كنت طلبته من الانتفاع بهذا المبلغ فيما يعود على بالمنفعة تحت حجزه فى خزانه المحكمة . هذه المبالغ التى دفعت منى خلاف أتعاب المحامى ورسوم أخرى مما يبلغ مقداره الف جنيه . ومن العدل أن المبالغ التى تحملتها كان يجب أن يدفعها سمو عباس لأن المبالغ صرفت من الأوقاف بأوامر سموه، وكان يقال عنها إنها للخيرات، وأنا نفذت أوامره بصفته خديوياً وناظرا لهذه الأوقاف؛ فاذا ظهر انها صرفت فى خلاف ذلك بغير علمى

فلست في الحقيقة مسئولا ؛ فالحجز الذى حصل على ما كان لى فى بنكو دى روما جعله عديم الانتفاع وحرمنى من دفع المبالغ المطلوبة منى من بعض البنوك، وكانت النتيجة مبيع الأسهم التى كانت مودعة عندها باسمى بأثمان منخفضة، وفى وقت حرج فالحجز الذى حصل على المبالغ التى كانت باسمى كانت نتيجته افلاسى، وهذا من أعمال سمو الخديو وهو المسئول ماديا وأدبياً، وعليه أن يدفع لى كل الخسائر. وبما أن جنابكم بامصفى أملاك الأعداء حاجزون على أمواله، وبما أنكم مكلفون بدفع ديونه أرجوكم دفع المبلغ المحكوم به من محكمة الاستئناف »

وكان رده أن على أن أتوجه للجنة المالية

وبذلك كنت كمتسول يمد يده ذات اليمين وذات الشمال، بدل أن أشكر وأكافأ على عواطفى وبذل المساعدات وقت الشدة

تدخل دار المندوب السامى : وفى يوم أول يونيو سنة ١٩٢٥ جاءتنى دعوة من دار المندوب السامى إلى ليلة ساهرة، وكان ذلك لأول مرة، فخطر على بالى أن اللورد ربما تلق معلومات عنى وعن الظروف التى أحاطت بى، ففكرت فى أن أطلب مساعدته عند الحارس القضائى لتصفية أملاك الأعداء، ليدفع لى ما خسرته فى قضية الأوقاف

وفي يوم ٥ منه تقابلت مع السكرتير الشرقى لدار المندوب، وشرحت له الموضوع فأبدى لى عطفه، وأوصانى أن أكتب للمندوب السامى، وأطلب منه التوسط لدى الحارس القضائى ،وقال : إنه نظراً لقرب سفره سيترك مذكرة بخصوصى. فشكرته

وفي يوم ١٣ منه قابلته وسلمته خطاباً منى إلى اللورد اللنبى أوضحت فيه مسألة قضية الأوقاف، ورجوت مساعدته عند الحارس

وفي يوم أول يوليو قابلت الحارس القضائى، وتحادثنا في سيرة عباس فشرحت له مقدار ما أصابنى من الضرر فى سبيله، فظهر عليه التأثر ثم قال : « إن عريضتك وصلت من دار المندوب السامى، وقد رددت عليها رسمياً بأنى موافق على ما سبق أن أبداه زميلى السابق من أن الحكم لا يخليك من المسئولية. ولكننى بعد أن سمعت حديثك هذا أرى من العدل أن ينظر إلى طلبك من جهة العدل والانصاف، لا من الجهة القانونية، ووعدنى بأنه سيكتب مذكرة فى هذا الموضوع بصفة غير رسمية فشكرته كثيراً

وفى يوم ٩ منه قابلته مرة أخرى ، فسألنى عما إذا كان قد وصل إلى شىء من دار المندوب خاصاً بطلبى ، فأجبته نفياً . فقال : « إن الأولى أن تذهب إلى هناك وتشرح لهم الموضوع شفهياً ، وإننى قد أرسلت منذ أيام رسالة إلى مستر هندرسون السكرتير الذى يقوم بأعمال الدار ، قلت فيها : إننى بصفة خصوصية أرى ألا يتحمل شفيق باشا مسئولية تصرفات الخديو ، وإن كان الحكم لم يخله من المسئولية القانونية فهو مظلوم ، وما كان يستطيع أن يرد طلب الخديو » .

وفي يوم ٢٣ منه توجهت اليه بناء على دعوة منه ، فقال لى : « إن دار المندوب السامى أشارت أنه إذا أمكنك أن تثبت أن المبالغ المحكوم بها عليك وعلى الخديو صرفت بناء على أوامر رسمية منه . فان هذه المبالغ ترد لك » ، ونصحنى بأن أذهب إلى محامى الحراسة لأتحادث معه فى هذا الموضوع .

وفى يوم ٢٧ منه قابلت المحامى ، وعلمت منه أن مهمته محصورة في أن يطلع على الأوراق التى ربما تكون تحت يدى ، تثبت أمر الخديو السابق لى بدفع المبالغ المحكوم بها على ، فأجبته بأن هذه الأوراق لو كانت لدى لقدمتها إلى المحكمة ، وأن الخديو السابق أو الملك الحالى ، لا يعطى أمراً كتابياً عند ما يأمر بصرف نقود .

وفى يوم ٢٩ قابلت الحارس فأخبرنى أن المحامى حضر عنده بعد مقابلتى له ، وأنه كلفه بكتابة تقرير عن مسألتى ، وسيرفعه إلى دار المندوب ، وينتظر الأوامر

العودة إلى لجنة التصفية : وفى سنة ١٩٣٥ عاودت المطالبة عند لجنة التصفية فجاءنى الرد منها ، بأنها مصرة على الرد الذى بعثت به إلى فى المرة الأولى سنة ١٩٢٤

نهاية المطاف : وهكذا كان الفشل والخسارة هما نهاية المطاف بعد هذه المجهودات .

صلات عباس الشخصية : اطلع القارىء فى خلال هذا الجزء الأخير على علاقات عباس بصاحبته « مدام لوزانج » في تواريخها ومناسباتها

وقد سبق إن كانت له علاقات بصاحبة أخرى قبلها ، وكان موضع ذكر هذه العلاقات ، هو القسم الثانى من حكم عباس ، ولكن لأسباب خاصة حذفت منه .

وهأنذا أذكرها في نهاية الجزء الأخير ، حتى أرسم للحقيقة والتاريخ صورة كاملة لعباس .

الكونتيس توريك : فى عام ١٩١٢ حضرت « الكونتيس » صاحبة الخديو — وكان قد تعرف بها فى باريس عقب عودته من أوروبا عن طريق الأستانة —

وعلمت منها أنها لما وصلت يصحبها كلبها إلى الأستانة لقيت فى الجمرك بعض الصعوبات ، وأن مستشاره محمد على بك قدم لرؤيتها هى وكلبها ؛ وربما كان ذلك بناء على أخبار وردت اليه من منير باشا سفير الدولة بباريس ليتمكن من التقاط صورتها ، وعرضها على السلطان .

وكانت تدعى أنها « الكونتيس توريك دوسزندرو » ولكن اسمها الحقيق هو « مدام بوسكاش » .

نعم إن الكونت توريك تزوج بوالدتها ، ولكنه تركها لما رابه منها ، ثم سافرت مع خدين لها إلى أمريكا . وبعد أن وضعت هـذه « الكونتيس » وأختاً لها ، عادت إلى زوجها ، ورغبت في أن يعترف بهما ، فرفض وطلقها ، وتزوجت والدتها برجل من عامة الناس .

وقد حضرت الاثنتان إلى مصر فى الشتاء ، ومكثتا مع « الكونتيس » مدة ، ثم عادتا إلى باريس ، وأعادتا الكرة مرارا

ولما حضرت إلى العاصمة سكنت خلال فصل الشتاء فى منزل بجهة التوفيقية • ونظراً لبعد هذه الجهه عن سراى القبة ، استأجر لها منزلا آخر عند محطتها . وقد كان ذهابه إلى هذا المنزل يلفت الأنظار ، فنقلها فيما بعد إلى سرايه بموسطرد بين المزارع وكان الخديو يقوم بجميع نفقاتها .

وقد بلغنى من دومرتينو باشا وبروستر بك أن نفقاتها الشهرية كانت تتراوح بين الثمانمائة والألف من الجنيهات ، تنفق منها ما شاءت ، وترسل لأوربا ما تشاء .

وقد أخبرنى بروستر بك فى ١٢ مارس سنة ١٩٠٣ أنها اشترت من « لاتس » بائع الجواهر الشهير ، مجوهرات بأكثر من ١٩٨٠٠ جنيه على حساب الخاصة ، من ذلك عقد لؤلؤى بمبلغ ٥٠٠ر٥ جنيه ، و « ديادیم » بمبلغ ٣٠٠ر٣ جنيه ، وكانت فوق ذلك تشترى ما يلزمها على الحساب ، حتى أنه عند قيامها من مصر إلى الاسكندرية ، فى أوائل مايو تبعها بائع الأزهار مطالباً إياها على ملأ من الناس بسداد باقى حسابه . وربما كان ذلك بناء على اتفاق بينهما ، حتى يعلم الخديو أنه يطالبها

فيدفع له ما يطلب . وكان هذا رأى بروستر بك الذى تدخل فى الأمر ، وبعث بالرجل إلى العاصمة، وصرف له ما يطلبه ، كما صرفت مطالب غيره من الدائنين !

ولقد ذاع أنها صاحبة سموه ، وعرف ذلك معظم الناس ، وكانت هى نفسها لا تدع فرصة حتى تعلن هذه الصفة لكل من يخاطبها أو يقابلها .

وكانت قبل السفر إلى الاسكندرية ، تختلف إلى سراى عابدين ، كلما جاء إليها الخديو ، فتتغدى معه ، وتسامره بضع ساعات . وعند انصرافه تذهب إلى منزلها فتنتظره بعد العشاء .

ولما سافرت إلى الاسكندرية نزلت فى « المنتزه » وكان قد أعد لها مكاناً خاصاً فوق السلاملك . واستمر على تناول الغداء والعشاء معها ، فى ردهة الأكل الكبيرة ، والحاشية تتغدى وتتعشى فى حجرة المائدة الصغيرة بالسلاملك . وكان يقضى معها كل أوقات فراغه

ومن أغرب ماعلمت أنها رافقت عباساً فى حفله افتتاح خزان اسوان ، وطلبت أن تحضر الحفلة ، فرغب فى أن ترافق موسيو « دوتريش » المصور ، ولكنه أبى ، وكان الواسطة الدكتور كاوتسكى بك ، فغضب سموه من كليهما ، لأن صاحبته لم تستطع مشاهدة الاحتفال .

ومما يذكر أن السراى كانت تقيم حفلة راقصة فى شتاء كل عام فلما أرسلت تذاكر الدعوة لرجال السلك السياسى الأجنبى مع عقيلاتهم وإلى كبار رجال الجاليات الأجنبية . والأمراء والنظار وعظماء المصريين ، طلبت الكونتيس أن تحضر هذه الحفلة مع الخديو تشبهاً ببعض ملوك فرنسا الذين كانت صاحباتهم تحضر الحفلات فامتنع عباس أولا ، ولكنه خضع لارادتها بعد الالحاح .

وفى اليوم المحدد أمر سموه طورنيزن باشا بأن يرافقها ، وينتظر معها فى إحدى غرف الاستقبال البعيدة عن الجناح المخصص للحفلات ، حتى تصدر لها أوامر أخرى .

وفي الوقت نفسه كلف دومرتينو باشا أن يجس نبض قناصل الدول الجنرالية ، وكان من بينهم معتمد إيطاليا مسيو دومرتينو وهو قريب له . فكان جواب القناصل بالاجماع الانسحاب مع عقيلاتهم إذا وقع هذا الأمر

وعلى ذلك فان الكونتيس احتجبت حتى آخر السهرة وانصرفت إلى محل إقامتها

ولكنها حنقت حنقاً شديداً لعدم حضورها ، وطلبت عدم إقامة هذه الحفلة مرة أخرى. وقد تم ذلك .

وعلمت من الدكتور كاوتسكى أنها حانقة عليه ، وعلى بروستر ، وطورنيزن ، ودومرتينو ، وأنها تسعى بهم عند الخديو ، مع أن الدكتور نصح لها مرات بألا تتدخل فى مالا يعنيها ، وأن تحافظ على حسن العلاقة بين سموه وموظفيه ، وتجتهد فى أن يكون راضياً عنهم

وفى ذات مرة ذهبت إلى المنتزة ، وبعد الغداء وتلقى أوامر سموه ، خرجت . وقد حان وقت رجوعى إلى الاسكندرية، فذهبت لآخذ عصاى من السلاملك ، فلما دخلت وجدت « الكونتيس » فى الممر ، فتجاهلت وجودها ، ولكنها حيتنى عن بعد ، فكأنها أبت إلا أن تعرفنى بأنها تسكن المنتزه !

وقد سافر الخديو إلى ديفون صيف هذا العام للعلاج بحماماتها ، فرافقته «الكونتس» . وكانت ترد لها من باريس « طرود » مختلفة ، فيها ثياب وأمتعة وما شاكل ذلك ، فيقوم بسداد ثمنها .

وفى أثناء جلوسى مع سموه بالحديقة ذات يوم لقراءة البريد ، وتلقى الأوامر للرد عليه . قدمت هى من خلفى ، فقال عباس : « ها هى ذى (غزية الصعيد) حضرت» ... وأمرنى ألا أحول وجهى نحوها ؛ وأضاف على ذلك : إنها قادمة علينا الآن .... وقد رأيتها حين حضرت أمامنا لابسة ثوبا من « التلى » موشى بورق شجر عريض أصفر من «الترتر» فكان تشبيهها بغزية الصعيد فى موضعه . وقد ذهبت معه في المساء بهذه الثياب إلى المسرح ، وكانت هذه أول مرة يستصحبها معه أمام الأنظار .

ويمكننى القول بأن هذه « الكونتس » صورة مجسمة من المبالغة . فاذا كتبت خطابا كتبته بحروف كبيرة . وإذا تكلمت بالغت فى نطق الفرنسية خلافا للمعتاد ، وإذا ارتدت زيا اختارته خارجا على المألوف . وهكذا هى فى كل شىء من أعمالها !

وفيما يلى صورتان لها :




الكونتيس توريك

وفى صيف سنة ١٩٠٤ كانت تصحبه أثناء إقامته بفينا ، وقد أخبرنى طور يزن باشا بأن سموه اشترى لها خاتما يساوى عشرة آلاف كورون ، وفراء بسبعة آلاف. وأنه أنفق عليها فى هذه الرحلة مائة وثمانين ألف فرنك ، وأن أدوات الزينة وحدها بلغ ثمنها ألفى جنيه . وأنه اشترى لها جواهر في خلال هذا العام بثمانية آلاف جنيه. هذا فضلا عما أغدقه عليها من النفقات الباهظة في « فرانسز باد » من أجور الأطباء لعلاجها رجاء أن تحمل ، دون جدوى .

وقال لى مرة : « إن جملة ما تكبده الخديو من النفقات فى هذه الفترة يبلغ نحو أربعة عشر ألف جنيه ، وأنه أفضى إلى بأن الكونتس تنوى خرابه ! »

وفي سنة ١٩٠٦ وقعت مشادة بين الخديو واللورد كرومر من جراء موقف سموه فى مسألة طابة . وقد أخبرنى دومرتينو باشا أنه علم من بروستر بك أن الذى يشجع سموه على مناوأة الانجليز هى « الكونتس » وأنها كانت كلما جاء اللورد لمقابلته ، تجلس وراء الباب الفاصل بين قاعة الاستقبال وغرفة المكتب في عابدين وتستمع لما يدور بينهما من الحديث

وبينما كانت الكونتس تتردد على سراى القبة ، وتختلى بعباس فى مكتبه لتمضية

الوقت معه ، والاطلاع على أسراره من مكاتبات وغيرها ، كانت تتقابل مع الأسرة سواء في حديقة السراى أو خارجها . مما كان يسبب تكدير الأسرة أشد تكدير

ولما علمت الوالدة بخطورة ما قد يحدث من جراء هذه الحالة حضرت إلى عابدين يوم ١١ ابريل ، وكان الخديو مشغولا ، فأرسلنى اليها للاعتذار ، ورجائها فى الانتظار قليلا . فلما رأتنى أجلستنى إلى جانبها وقالت : « ياشفيق كيف يكون حالنا ؟ » فأجبتها أن الخديو لم يخبرنى بشىء ما .

وعلمت بعد مقابلتها لسموه أنها أزالت سوء التفاهم الذى كدر صفو العائلة

وكان الخديو خلال هذه الفترة يبدو متهيج الأعصاب ، مشتت الأفكار ، يسخط ويثور لأتفه الأسباب

وفى ٢٤ مايو حدثت بين الخديو وأحمد زكى باشا مشادة عاصفة ، اقتضت أن يقدم استقالته ، ولكن دومرتينو باشا أخبره أن الخديو معذور فى ثورته وتهيجه وأوضح له السبب ، فاقتنع وسحب استقالته

قال دومرتينو باشا : « بعد العشاء طلب سموه طورنيزن باشا ، الذى قدم له حساب الكونتس عند الجوهرى « لاتس » والكتبى « ديمر » وغيرهما . والأول يطالب بثمانية آلاف جنيه ، والآخرون بنحو ألفى جنيه ، فدخل سموه مع طورنيزن إلى أعلى السلاملك عند الكونتيس ، وجلس على مقعد ، وأخذ يقرأ مفردات هذا الحساب بعناية ، ويقول : « من أين آتى بهذا المبلغ ؟ وكيف أطلبه من دومرتينو باشا ناظر الخاصة ، مع أن الدائرة فى أزمة ؟ فلم ترد عليه بكلمة ، وعندئذ احمر وجهه ، والتهبت أعصابه ، حتى كاد يخشى عليه من حدوث مالا تحمد عقباه ،

ومن ذلك تأكدنا أن ثورته علينا بدون سبب ، أو لأسباب تافهة ، مبعثها أمور من هذا الطراز .

ثم قال لى دومرتينو باشا : « إن الخادم الخاص « فردريك » قص على أنه كثيرا ما شاهد « الكونتيس » وهى غاضبة مع الخديو ، وتقذف في وجهه بكل ما عندها من الأوراق الخاصة من رسائل وغيرها ، ولكن سموه يلاطفها ويردها اليها

قلت : إن الأوراق التى تقذفها وقت غضبها ليست هى الأوراق المهمة ؛ على الأرجح . فقد بلغنى أنها حفظت الوثائق الخطيرة لدى مسجل فى باريس لوقت الحاجة . وسموه يخشى الفضيحة ، فهو مرغم على الاحتفاظ بها وتحمل نفقاتها .

فقال دومرتينو : « إنه يعرف أن الكونتس صارت كاتمة أسرار الخديو فهى تكتب له الخطابات السياسية ، ولا يبعد أنها حفظت « مسوداتها » عندها ، فهى محيطة بكل أسراره وأفكاره » .

وفى ٨ يناير سنة ١٩٠٨ علمت أن طورنيزن باشا دفع أربعة آلاف جنيه لمحل الرهونات بباريس ، إذ كانت الكونتيس رهنت حزاما مرصعا بالجواهر . وهذا المبلغ من المبالغ المحصلة من بيع الرتب والنياشين .

وفى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩١٠ كان عباس قد عاد من الأرض المقدسة بعد حجه ، وبهذه المناسبة عقد عقده على صاحبته بعد اسلامها ، وقد سميت « جاويدان هانم أفندى » .

ولكنها ما لبثت أن تركته ، وسافرت خلسة إلى أوربا ، فبعث فى أثرها يوسف صديق باشا لاسترضائها ، ولاسترداد أوراقه منها ، فلم ينجح فى ارجاعها ، ولكنه نجح فى اقناعها برد الأوراق مستخدما كل الوسائل اللازمة . وهكذا انتهت علاقته معها

تحليل شخصية عباس : مما تقدم فى المذكرات يستطيع القارىء أن يتصور شخصية عباس ، بمحاسنها وعيوبها ، فهى واضحة فى تصرفاته وأعماله ، داخل الحكم وخارجه .

ومع هذا قد آثرت أن أفرد لذلك فصلا خاصا ملخصا ، أرسم فيه الصورة التى تركتها فى نفسى صحبتى الطويلة لعباس ، مبينا فيها ما له وما عليه .

جاذبية عباس : كل الذين اتصلوا بعباس ، لفت نظرهم فيه قوة جاذبيته ولطف حديثه ، واستطاعته أن يستميل محادثه إلى صفه ، وكان لهذا أثر كبير فى التفاف المصورين حوله عند توليه العرش مضافا إلى ما كان معروفا به من الوطنية ومعارضة السلطة الانجليزية ، وكثيرا ما شهد له بهذه الصفة مراسلو الصحف الأوربية الذين حادثوه ورجال السياسة الذين حضروا مجلسه .

فضله على الحركة الوطنية : ليس من ينكر أن تبوأ عباس العرش ، كان من المنبهات القوية للروح القومية فى مصر ، إذ وجد الشعب فيه رمزا لثورته على تغلغل السياسة الانجليزية فى عهد والده الخديو توفيق .

ومن الأعمال التى انتفعت بها البلاد فى عهده معونته للزعيم الشاب مصطفى كامل فانهما والحق يقال أوقدا نار الحماسة في نفوس المصريين ، ولم يبخل الخديو

بالمساعدات المادية للزعيم في جهاده ، كما عاونه بانشاء هيئة سرية من بعض الشبان الذين درسوا فى أوربا ومن موسيو روليبه سكرتيره ، وبعض الفرنسيين وعلى رأسهم موسيو جافيو عميد الجالية الفرنسية بمصر للاتصال به وتغذيته بجميع المعلومات مع تغيير وكيل شركة هافاس بمصر ، ليساعد الوكيل الجديد على نشر أخبار الحركة المصرية .

عمله على حفظ حقوقه الشرعية : ولم يأل عباس جهدا فى محاربة النفوذ الانجليزى فى أول عهده ، والوقوف للمستعمرين بالمرصاد ، والمحافظة على كرامته معهم ومن ذلك أنه لما لاحظ ان الضباط الانجليز فى الجيش المصرى لا يؤدون له التحية العسكرية عند مروره بهم أصدر أمره باجراء تحقيق فى ذلك ، وكانت النتيجة أن أرسلت الأوامر من السردارية بالانتباه إلى أداء هذا الواجب . كما أنه سمع بأن موظفا انجليزيا أهان مرءوسه المصرى ، فأمر باجراء تحقيق دقيق حفظا لكرامة الموظفين المصريين .

وأوضح من هذا موقفه فى حادثتى إقالة النظارة الفهمية والحدود ، ومحاولة استعمال كامل سلطته الشرعية فيهما ، ولو أنه وجد فى كلتا الحادثتين نظارا حوله يؤيدونه بحكمة ، ولا يبالغون له في تصوير الأخطار التى تحيط بمركزه ، أو لو أنه وجد من السلطان بعض المساعدة ، لتغير تاريخ الاستعمار البريطانى فى مصر . ولكنه مع الأسف وقف وحيدا أمام قوة انجلترا فاضطر للاستسلام .

على انه رغم فشله فى الاحتفاظ بسلطته الشرعية ، ظل يناضل كرومر ، ولكن فى حذر ، وقد اشتد النزاع مرتين بينهما حتى هدد سموه العميد بالتنازل عن العرش فتراجع كرومر خشية أن تتدخل الدول فى هذا الأمر الخطير .

مهارته السياسية : كانت لعباس مهارة سياسية ظهرت فى بعض المشروعات التى فكر فيها . مثال ذلك : انه لما علم بعزم امبراطور ألمانيا على زيارة مصر فى طريقه لفلسطين فكر فى انتهاز هذه الفرصة ، لأنشاء علاقات ودية بين فرنسا وألمانيا ، باستدعاء مجلس شركة قناة السويس لاستقبال الأمبراطور . وقد خابر الفرنسيين فى هذا ، فوعدوه بالموافقة . ولو تم هذا المشروع لكسب من هذه السياسة أعظم نصيب ، غير أن السلطان وانجلترا حالا دون إتمامه :

ومثل هذا يقال عن المشروع الذى قام به فى إبان الحرب العظمى ، لفصل فرنسا عن انجلترا بأموال ألمانية ، وبمشاركة موسيو بولو ، ولكن حال دون نجاحه المطامع المالية من كليهما .

وتبدو هذه المهارة السياسية ، فى مناوراته سنة ١٩١٧ مع الانجليز والأتراك قبل عودته إلى الأستانة ، فى الوقت الذى كان يرسلنى فيـــه بمهمة إلى برن مع فؤاد بك سليم سفير الدولة ، كان يتصل بالسفير الانجليزى وملك البلجيك لتسوية موقفه ، موهماً كل فريق انه معه ، وأن الفريق الآخر راغب فى استمالته اليه .

وتبدو كذلك في إشاعة عزمه على زيارة منشئات نهر الطونة التى أنشأها حلفاؤه ، عنـد ما رأى منهم فتوراً من ناحيته وهو بالسويسرة ، وبذلك استعاد هتمامهم به .

وكان يستخدم مهارته هـذه فى بعض الشئون الداخلية ، فمثلا حينما أراد تغيير محمد سعيد باشا ، نقمة عليه لأنه لم يساعد سموه فى بيع سكك حديد مربوط بالثمن الذى يريده ، لوح كتشنر بأنه يفضل مصطفى فهمى باشا عليه ، فكان هذا داعة قبول كتشنر تغيير النظارة .

عباس لا يكتم السر ولا ينتصح : من أظهر صفات عباس إنهلم يكن يكتم السر وكذلك كان سكرتيره الذى اختاره معه من النمسا وهو أستاذه موسيو روليبه .

وقد جنت عليه هذه الخلة كثيراً في حياته السياسية ، ذلك أنهما اتفقا فى طريقهما لمصر على اتباع عدم استسلام الخديو للانجليز والمحافظة على حقوقه الشرعية في حكم البلاد ولما وصلا ، لم يستطيعا كتمان هذه الخطة ، ولا المحافظة على ما يدور فى السراى من الأسرار ، فكنا إذا جلسنا نحن رجال الحاشية على المائدة الخديوية لتناول طعام الغداء مع سموه ، باح لنا بمـا دار بينه وبين كرومر من الحديث ، أو بما دار فى مجلس النظار .

وقد حـدث في مسألة الحدود ، إن الخديو كان قد أعرب ونحن على المـائدة إن عزمه على إبداء ملاحظاته على الجيش باعتباره قائداً أعلى له ، ووصل الخبر الى السردار كتشنر . من أحـد ياوران عباس ، وكان لذلك أثره السيء فيما وقع بعد ذلك .

وعنـد ما تولى أراد أن يتعرف بكبار الموظفين والأعيان ، فخصص لهم أياماً معينة لمقابلته فى السراى ، والتحدث اليهم فى شتى الامور ؛ وكان بعضهم يطلعه على أسرار المصالح ؛ ولـكنه لم يحافظ عليها فكان يرددها فى أحاديثه ، فتنتقل إلى الانجليز فيحاسبونهم عليها . ولذلك امتنعوا عن إمداده بالمعلومات

وكذلك كان روليه قد اصطفى قنصل الروسيا فى مصر ، فكان يجتمع به ، ظنا منه أنه يناوىء سياسة انجلترا فى مصر ، ويبوح له ببعض أسرار السراى وبمعاضدته هو لسياسة عباس ، فتصل هذه الأخبار إلى كرومر . وفى إحدى زيارات روليه للعميد حادثه في عدائه للانجليز ، ونصح له بألا يتدخل فى السياسة ؛ وانتهى الأمر إلى أن يطلب كرومر عزل روليه ، ثم يكتفى بمنحه أجازة طويلة بناء على تدخل الخديو على أن يبتعد عن الشئون السياسية .

وكثيراً ما كان عبد العزيز بك عزت يلاحظ على أحاديث عباس ، وإفشائه الأسرار ، بكل اخلاص ، فيتضايق الخديو من ملاحظاته ، وقد انتهى الأمر بتقديم استقالته من خدمة سموه .

وكذلك أبعد عنه الرجل المخلص له محمود شكرى باشا لمجرد أنه كان يقول عند الضرورة « أنصح لكم يا أفندينا » فكان يثقل عليه ذلك ، وكأنه يقول فى نفسه : « وهل أنا لا أدرك الخطأ والصواب ، حتى يكرر لى هذه النصائح ؟ ! »

ومن أغرب ما يروى عن خلة افشاء السر عند عباس أنه وهو يشتغل بمشروع فصل فرنسا عن انجلترا سنة ١٩١٥ كلف يوسف صديق باشا ألا يذكر اسم (بولو) أمام البارون أوبنهايم الألمانى ، بل يكتفى بأن يقول عنه « الرجل الواسطة » بينما هو نفسه قد راح يذكر الاسم صريحاً للبارون !

هل عباس دستورى ؟ : تمكن الاجابة على هذا السؤال بالايجاب والنفى فى آن واحد ؛ وإن كان جانب النفى هو الذى يغلب عند التطبيق العملى .

ففى ظروف كثيرة ، كان يصرح بأنه راغب في سن دستور لبلاده ؛ ولكن فى بعض الظروف كان يرى منه النفور من أعمال قانونيـة منافية لرغائبه الشخصية ؛ فسخط على الامام الشيخ محمد عبده عندما أراد سموه أن تعطى كسوة التشريف العلمية لامام المعية ، فرد عليـه الشيخ بأن مجلس الادارة أعطاها لمن هو أحق منه مستخدماً فى ذلك السلطة التى يخولها إياه القانون

وكذلك عندما عارض الشيخ وحسن عاصم باشا فى استبدال أرض مشتهر بالقيمة التى كان يطلبها ، فانه غضب عليهما ، وأسرها فى نفسه لهما ، فعاكس الشيخ عبده كثيراً ، وأقال عاصم باشا من خدمة الديوان

ومثل ذلك موقفه من بعث قانون مطبوعات سـنة ١٨٨١ لمجرد أن الصحف انتقدت سموه بشدة

مطامع عباس المالية وملاذه الخاصة : بعد أن رأى عباس أنه لا فائدة من الاصطدام مع الانجليز وأن السلطان عبد الحميد لم يعاونه أية معاونه فى نضاله معهم حتى ساءت العلاقات بينهما ، قرر زيارة لندن سنة ١٩٠٠ ، وتعد هذه الزيارة بدء الهدنة بين عباس والانجليز .

وعند ذلك جنح إلى ملاذه الخاصة ، التى كلفتـه نفقات باهظة ، ولم يستطع أن يكبح ميوله ويقف عند حد فيها فاندفع فى إيجاد موارد مالية جديدة ، يستطيع بها تأدية هذه النفقات الشاذة ، واضطره هذا الاندفاع إلى الدخول فى أعمـال تجارية كانشاء سكة حديد مريوط ، التى سمح الانجليز ببيع بعض أدواتها له بأثمان بخسة، حتى يلهو بها عن مناوأتهم .

ومثل اشتراك الخاصة الخديوية مع السيد بك يس فى استغلال بعض المحاجر . ثم انحطت هذه الأعمـال التجارية فلجأت الخاصة إلى الدخول فى المزايدة على « معدية » الوايلى ، وحرمان الرجل الفقير الذى كان يعيش منهـا ، مما لا يتفق مع كرامه الخاصة .

ولما لم تكف هذه الموارد الظاهرة لسد حاجات عباس . أخذ فى تجارة أخطر وهى الرتب والنياشين؛ ثم التجارة في استبدالات الأوقاف ، وفى المناصب الكبيرة ويرى القراء ذلك تحت عنوانات : « صفقة طيبة . مدير الأوقاف يباع ويشترى . عباس يصيب عصفورين بحجر ، في القسم الثانى من حكم عباس ؛ وكذلك اهتم باستخراج معادن طاشيوز وسواها وتحمل فى ذلك ما تحمل من السلطان عبدالحميد

وتتضح مطامعه المالية ، فى تصرفاته بنقود ألمانيا وبما طلته في ردها، مجازفاً بفقد الثقة من حلفائه به ، وانفضاض رجال حاشيته عنه ، حتى لقد قرروا عدم الاعتراف بخديويته ، والالتفاف حول ولى عهده لولا أن عاد فرد هذه النقود

كما يتضح ذلك من إضرابه عن دفع نقود حمصى التى صرفت لسد نفقات بعض المتصلين به . وفى عدم دفعه لبقية مطلوباتى منه . وكلها قد أنفقت من مالى الخاص فى ظروف حرجة بأمره أو بسببه .

نوادر عن بخل عباس : ولقد بلغ من بخل عباس أن يكون بعضه من النوادر الطريفة التى لا يتمالك الأنسان نفسه أمامها من الدهش والابتسام !

من هذه الطرائف أنه كان بعد تلاوة الرسائل الواردة اليه ، يقتطع منها الصفحات البيضاء فيها ، لتستعمل الكتابة مذكرات صغيرة

ومنها ما رواه البروفسور هيس عند ما استدعاه عباس ليحادثه فى إخراج يكن من السجن وحدد له يوم السبت للحضور ، فحضر مساء الجمعه ليكون تحت أمره ، فاستكثر عباس أن يتحمل نفقاته ليلة .

وكذلك نقده لتفسير القرآن لمدام جاويدان (الكونتس توريك) بعد ما كلفه إياه ، حتى يتخلص من دفع أتعابه وهى ثلاثون جنيها !

آداب عباس وأخلاقه : مما لاشك فيه أن آداب عباس فى أول عهده كانت آداباً راقية .

وقد كنت أخجل عندما يطلب منى أمراً فيقول « ألتمس منك كيت وكيت » .
وقد أخرج من موظفى المعية من كان يعلم عنهم تعاطى الخمور والجلوس فى المشارب والاستخفاف بالدين والأخلاق ، حرصاً على كرامة حاشيته ، وأمر بمراقبتهم لمعاقبة من يخالف هذه الأوامر .

ولكن هذه الآداب العالية لم تستمر حتى نهاية حكمه ، نظراً لوجود بعض أصاغر الموظفين الذين لاخلاق لهم ، فاقتبس منهم عادة السب والشتم ، والكلام الذى لا يصح صدوره من مثله .

وكذلك تغيرت أخلاقه فكان لايتورع عن طرد موظفين فى سن الشيخوخة ، وعقاب بعضهم عقاباً بدنياً بيده ، أو عقاباً مادياً لأتفه الأشياء .

وقد برزت من خلاله خلة الأنانية ، فكان الذين يخدمونه أشبه شىء بالليمونة يعتصرها حتى آخر نقطة؛ ثم يقذف بها بعيداً عنه ، من ذلك تصفيته لرجال الحاشية فى سنة ١٩٢٠ ، ومعاملته قبل ذلك ليوسف صديق بالحجز على أمواله فى بنك زيوريخ ، ومعاملته ليكن بعد القبض عليه ، ولمحمد بك فريد بعد ماقبل أن يعمل معه وينسى معا كساته ومضايقاته . وأخيراً بموقفه معى مما اضطرنى للاستقالة بعد ماقمت له به من الخدمات في محنته بكل إخلاص .

ثم إنه كان يهتم بأشياء صغيرة لايصح أن يشتغل بها حاكم مثله ، فكان يسره أن يوقع الشقاق بين أفراد حاشيته ، كما أوقع الخلف بين فريد بك والشيخ جاويش ، فقرب الأخير منه لهذا الغرض ، حتى إذا تم غضب عليه بحجة أنه من رجال سعيد

حليم . ويبدو حبه للدسائس الصغيرة ، فى محاولة إيقاعه بين يكن باشا وزوجته إذ يتهمه أمامها بأن له عشيقة أخرى سنة ١٩١٧ .

ولا يعدم الباحث تصرفات كثيرة لعباس تنقصها الشهامة ، وفى أول ذلك مواقفه مع رجال تركيا الفتاة أيام السلطان عبد الحميد ، فانه كان يستميلهم إليه ، ويوهمهم بالحماية ، ثم يضحى بهم فى سبيل التقرب للسلطان قضاء لمآربه الخاصة .

ولا يقل عن هذا امتناعه عن معاونة محمد بك فريد بالمال فى أثناء غربته بأوربا مع أنه قبل العمل معه فى مسائل خطيرة .

ويمكن ملاحظة ذلك فى كل مايختص بمطامعه المالية وبخله الشديد .

تردد عباس : ومما يلاحظ على عباس ، أنه كان كثير التردد بين الاقدام والاحجام ، ولم يكن هذا لأنه كثير الأناة والروية ، بل لأنه يتوهم مخاوف كثيرة فى كل خطوة يخطوها ، وكثيراً ما كانت هذه المخاوف مبعثها الحرص المادى . وأشد مايظهر ذلك فى تردده بين الانجليز والأتراك سنة ١٩١٧ ، حتى تغلب الرأى القائل بعودته لتركيا بعد فترة طويلة ومناقشات مملة .

⁂

وبعد فهذه هى الخطوط البارزة فى صورة عباس ، وتتلخص فى كلمتين قلتهما لمندوب « البورص اجبسيان » ادجار جلاد عند ما سألنى عن رأيى فى شخصية عباس بعد عودتى من أوربا وهما : « مادى منتهز للفرص » .

وقد رسمتها دون تفريط أو افراط ، للحقيقة والتاريخ ؛ ويجد القارىء مصداقها فيما مر به فى الحوادث فى الجزء الأخير والله على ما أقول وكيل .

كلمة ختامية : الآن وقد انتهيت من طبع مذكراتي في نصف قرن ، أستشعر راحة في نفسي ، واطمئناناً في بالي ، لأنني تمكنت من تحقيق أعظم أماني في الحياة وهو إخراج هذه المذكرات .

وكثيراً ما كانت تهجس في نفسي الهواجس ، فأتساءل : ترى يمد الله في أجلي ، ويمنحني الصحة الكافية ، لاتمام هذا العمل الذي وقفت عليه جانباً من حياتي ؟ ثم أدعو الله أن يحقق هذه الرغبة ، حتى تحققت أخيراً والحمد لله .

لقد عشت حياتي كلها معتزاً بهذه المذكرات أعظم اعتزاز ، وكنت أستصحبها في أسفاري خوفاً عليها ، ثم أودعها في احدى خزائن بنك من البنوك مدة إقامتي في أوربا ، خوفاً أن تمتد اليها يد النسيان أو السرقة ، حتى أنه عند ما قطعت المواصلات بين تركيا والسويسرة وأنا عائد مع عائلتي ، وكنا في نيس كما مر ذلك سنة ١٩١٨ ، كنت حائراً بهذه المذكرات وأنا أحملها كحيرتي بعائلتي وأبنائي .

وعند ما ظهر الجزء الأول ، وفيه تحليل لشخصية الخديو اسماعيل وبعض الأخبار التي عرفتها عنه ، وكان ذلك في عهد ضيق فيه على الحريات العامة ، وأولها حرية النشر ، وسن قانون استثنائي للصحافة ، خفت أن يقع لهذا الجزء حادث ، ولكنه مر بسلام ، فحمدت الله .

وكذلك عند ما ظهر الجزء الثاني الخاص بعباس بقسميه ، وفيه ما فيه عن أخباره وحوادثه ، عاودني الخوف والقلق ، رغم أنه صدر في عهد أكثر حرية ، ولكن الله سلم .

وهأنذا أخرج الجزء الثالث والأخير في عهد مليكنا المعظم فاروق الأول : عهد الحرية والاستقلال ، وقد ضمنته بعض ما حذف من القسم الثاني لظروف خاصة ، ورائدي في ذكر ما ذكرت الحق والتاريخ .

ولئن كنت قد رحبت بالنقد عند صدور الجزء الأول ، فأنا اليوم أشد ترحيباً به ، بعد تمام المذكرات . وإنني أتقدم لحضرات القراء راجياً أن يبدو آراءهم بصراحة في هذه المذكرات كلها ، حتى تتمحص الحقائق للاجيال القادمة ، ولا تتهمنا بالمحاباة أو التقصير .

والحمد لله أولا وآخراً على حسن توفيقه .

دار "مجلى" للطبع والنشر
القاهرة — شارع الداخلية
تليفون : ٥٥٤٥٥ و ٥١٤٥١

